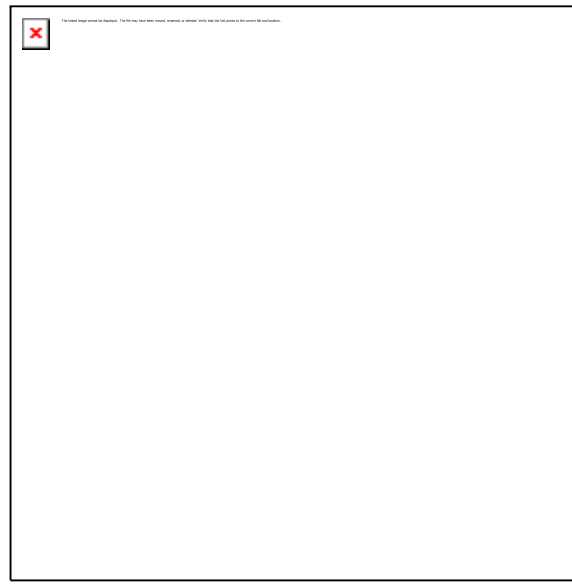
The linked image cannot be displayed. The file may have been moved, renamed, or deleted. Verify that the link points to the correct file and location.

ىلإ نِيَتَئاملا َدْعَب َنوُسْمَخلا َو سُداّسلا سُرْدَّلا
ةِّيِنُدلا ُمولُعلا :نِيَتَئاملا َدْعَب َنِيّتّسلا َو سِماَخلا
ُمَلاَّسلا ِهْيَلَع ِداَّصلا ِرِقْعَج ِماَملإا ِةعِوَنَتْملا

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و صلّى الله على محمّد و آله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم

الدين

و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ.[1]

و قال سبحانه قبل هذه الآية:

وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ

[1] الأعراف: ٧ و الآية ٥٨، من السورة.

الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

تفسير العلّامة الطباطبائيّ لآية: «و البلد الطيّب ...»

قال العلّامة آية الله الطباطبائيّ أعلى الله درجته في تفسير هذه الآيات: وفي الآية وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إلى آخر الآية بيان لربوبيّته تعالى من جهة العود، كما أنّ في قوله: إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ[1] بيانا لها من جهة البدء. وقوله: بُشْراً، و أصله البشر بضمّتين جمع بشير كالنُّذُر جمع نذير. و المراد بالرحمة المطر. و قوله: بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، أي: قدّام المطر، و فيه استعارة تخييليّة بتشبيه المطر بالإنسان الغائب الذي ينتظره أهله فيقدم و بين يديه بشير يبشّر بقدومه.

---

[1] هي الآية التي تسمى آية الخسرة، مع الآيتين اللتين تليانها - و هي قراءتها ثواب كثير كآية الكرسيّ - إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ، ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. (الآيات ٥٤ إلى ٥٦. من السورة ٧: الأعراف).

و الإقلال: الحمل، و السحاب و السَّحابة، الغمام و الغمامة، كتَمْر و تَمْرَة. و كون السحاب ثقالًا بالماء، و قوله: لِبَلَدٍ مَيِّتٍ، أي، لأجل بلد ميّت، أو إلى بلدٍ ميّت. و الباقي ظاهر (و لا يحتاج إلى تفسير).

و الآية تحتجّ بإحياء الأرض على جواز إحياء الموتى، لأنّهما من نوع واحد. **وَ حُكْمُ الأَمْثَالِ فِي مَا يَجُوزُ وَ مَا لَا يَجُوزُ وَاحِدٌ**[1]. و ليس الأحياء الذين عرض لهم عارض الموت بمنعدمين من أصلهم، فإنّ أنفسهم و أرواحهم باقية محفوظة و إن تغيّرت أبدانهم، كما أنّ النبات يتغيّر ما على وجه الأرض منها و يبقى ما في أصله من الروح الحيّة على انعزال من النشوء و النماء، ثمّ تعود إليه حياته الفعّالة. كذلك يخرج الله الموتى. فما إحياء الموتى في الحشر الكلّيّ يوم البعث إلّا كإحياء الأرض الميتة في بعثه الجزئيّ العائد كلّ سنة. و للكلام ذيل سيوافيك في محلّ آخر إن شاء الله تعالى.

---

[1] هذه العبارة قاعدة فلسفيّة مفادها أنّ الأشياء المتماثلة المتشابهة واحدة في الأحكام المثبتة و المنفيّة المترتّبة عليها.

قوله تعالى: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ

إلى آخر الآية.

الذِّكْرى القليل. و الآية بالنظر إلى نفسها كالمثل العامّ المضروب لترتّب الأعمال الصالحة و الآثار الحسنة على الذوات الطيّبة الكريمة كخلافها على خلافها، كما تقدّم في قوله: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ[1] لكنّها بانضمامها إلى الآية السابقة تفيد أنّ الناس و إن اختلفوا في قبول الرحمة فالاختلاف من قِبَلهم، و الرحمة الإلهيّة عامّة مطلقة.

و قال سماحة العلّامة في البحث الروائيّ:

و في «الكافي» بإسناده عن ميسر، عن أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام قال: قلتُ: قول الله عزّ و جلّ: وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها،[2] قال: فقال: يا مَيْسَرُ! إنّ الأرض كانَتْ فاسِدَةً فأحْياها اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِنَبِيِّهِ، وَ لا تُفْسِدُوا في الأرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها.

و في «الدرّ المنثور» أخرج أحمد، و البخاريّ، و مسلم، و النسائيّ، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم:

---

[1] كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ لَهُ الدِّينَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ ادْعُوهُ الأعراف: ٧: ٢٩، من السورة ٧: الآية ٥٦.

[2] الأعراف: ٧: الآية ٥٦، من السورة ٧.

مثَلُ ما بَعثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَ العِلْمِ كَمثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضاً فَكانَتْ مِنْها بُقَيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فَأنْبَتَتِ الكَلأَ وَ العُشْبَ الكَثِيرَ. وَ كانَتْ مِنْها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بِها النّاسَ فَشَرِبُوا وَ سَقَوا وَ زَرَعُوا. وَ أصابَ مِنْها طائِفَةً أُخرى إنَّما هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً وَ لا تُنْبِتُ كَلأً. فَذلِكَ مثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَ نَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَ عَلَّمَ؛ وَ مثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأساً وَ لَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ.[1]

أجل، إن تفسير القلب الطيّب بعلم النبيّ و الإمام و هدايتهما، و تفسير

[1]. ١٧٨ و ١٧٧ و ١٦٥ و ١٦٤، ص ٨، ج «الميزان في تفسير القرآن»

و الإمام بعد مجيء الرسول و إصلاح الأرض أمثالها ليسا من المعاني التأويليّة للآيات المباركة، بل هما من المعاني الظاهريّة للقرآن الكريم و بظهور المعنى الصحيح و فساد المعنى المستعدّة و فسادها، إذ إن الأرض الصالحة يتيسّر للإنسان و الإفساد في الأرض بعد إصلاحها يتيسّر للإنسان و يتبادر إلى الذهن في أوّل وهلة، و لا حاجة إلى جرّ التأويل.

إن وجود الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين و الدراية و العقل و العلم و الفطنة و الهداية، يخرج فيها نبات طيّب حَسَن، فيُحفظ الدين بثمار حلوة يانعة نافعة، و فواكه ثمينة و أدوية عقيمة لمعالجة الأمراض و رفع العلل و الأسقام. و لا فائدة للعالم البشري و المجتمع الإنساني من وجود المخالفين و المعاندين و المكابرين. ذلك أنّ الأئمّة المعصومين بعيدون عن الهوى و التغطرس و حبّ الذات و الدعوة إلى النفس و جعلها محوراً. فما عندهم يترشّح من نفوس طاهرة صفيّة زكيّة متّصلة بعالم النور

و التجرّد و العرفان الإلهيّ و التوحيد الربوبيّ. و من الواضح أنّ الظُّلمة لا تترشّح من النور، و القُبح لا يُولَد من الحُسن، و الخبيث لا يخرج من الطيّب. أي: لا يسري من الله تعالى و أصفيائه المخلصين إلى العالم الخارجيّ إلّا العلم الحقيقيّ اللدنّيّ الخالد الثابت الأصيل.

الإمام الصادق عليه السلام النموذج الماثل للبلد الطيِّب

إن الإمام جعفر الصادق عليه السلام من تلك النبتة الفريدة التي نمت في أرض التوحيد الطيّبة. و لم تنفح آثاره العلميّة الهاديّة الشيعة فحسب، بل نفحت الأجيال البشريّة برمّتها، و لم تُظَلِّل المدينة المنوّرة وحدها بل ظَلَّلت العالَم بأسره، و لم تقتصر على عصر واحد فقط، بل هي للعصور كلّها خالدة إلى الأبد.

و لِمَ ذاك؟ ذاك لأنّه عليه السلام معصوم، و كلّ معصوم أبديّة كأبديّة القرآن الكريم ذي العصمة. و لكلمة كلّ فقيهٍ و فتواه و حكمه و رأيه حجّيّة

في حياته اعتباراً من الشيخ الطوسيّ و العلّامة الحلّيّ حتى آية الله البروجرديّ و آية الله الحكيم و من شابههم، بَيدَ أنّ تلك الحجّيّة تسقط بموت هؤلاء الفقهاء، إذ إنّهم غير معصومين، و على الناس أن يقلّدوا المجتهد الحيّ الأعلم الجامع للشرائط، أمّا الآيات القرآنيّة الكريمة، و السنّة النبويّة الثابتة، و السيرة الإماميّة المسلّم بها فهي حُجّة إلى يوم القيامة.

قال آية الله السيّد على خان المدنيّ الشيرازيّ رفع الله رتبته في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام: وجعفر بن محمّد هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

إلى أن قال: قال الشيخ المفيد: لم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته مثل ما نُقل عنه من العلوم و الآثار، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات فكانوا أربعة آلاف رجل.

و قال الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعيّ: أَمَّا فِي زِيَارَةِ الْمَقَابِرِ، وَ تَفَقُّدِ الْأَحْبَابِ وَ عِمَارَةِ الْمَوَاتِ، وَ تَعَهُّدِ الْمَنَاسِكِ وَ الْمَشَاهِدِ، حَتَّى أَنَّ مِنْ كَثْرَةِ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْمُقَامِ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُقْصَرُ الْأَيْدِي عَنْ مُسَاوَاتِهَا، وَ الْعُلُوِّ الَّتِي لَا تُدْرَكُ الْأَفْهَامُ عُلَاهَا، وَ الْإِحَاطَةِ بِحُكْمِهَا تُضَافُ إِلَيْهِ وَ تُزْوَى عَنْهُ.[1]

اختيار أبي حنيفة للتلمذة عند الإمام الصادق عليه السلام

و قال الذهبيّ في «الكاشف»: قال أبو حنيفة: ما رأيتُ أفقه منه. و قد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني من المنصور.[2]

و عن عمرو بن أبي المقدام، قال: كنتُ إذا نظرتُ إلى جعفر بن محمّد علمتُ أنّه من سلالة النبيّين.

---

[1] وردت هذه المطالب عينها في كتاب «مطالب السؤول» ص ١٨، الطبعة الحجريّة الرحليّة. قال الشيخ عبّاس القمّيّ في كتاب «الكنى و الألقاب» ج ١، ص ٣٣٢: هو كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعيّ المعروف با بن طلحة. له «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول»، و «العقد الفريد للملك السعيد». توفّي بحلب سنة ٦٥٢ هـ.

[2] «الكاشف» ج ١، ص ١٨٦. في «الكنى و الألقاب» ج ٢، ص ٢٣٨: هو محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ. وُلد بدمشق سنة ٦٧٣ هـ، و طلب الحديث، و رحل في طلبه إلى مصر حتى رجع استاذاً فيه. و أكثر من التصنيف في تاريخ الرجال، منها: «تذكرة الحفّاظ»، و «ميزان الاعتدال»، و «تجريد أسماء الصحابة». تُوفّي سنة ٧٤٨ هـ.

و عن صالح بن الأسود، قال: سمعتُ جعفر بن محمّد يقول: سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُوني فَإنَّهُ لَا يُحَدِّثُكُمْ أحَدٌ بَعْدي بِمِثْلِ حَديثي.[1]

قال العلّامة الجليل الشيخ محمّد حسين الظفّر: وما كان فقهاء الشيعة عيالًا عليه فحسب، بل أخذ كثير من فقهاء السُّنّة الذين عاصروه الفقه عنه، أمثال مالك، و أبي حنيفة، و السُّفيانَيَّنِ (سفيان الثوري، و سفيان ابن عُيَيْنَة) و أيّوب، و غيرهم، كما ستعرفه في بابه، بل إن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» (ج ١، ص ٦) أرجع فقه المذاهب الأربعة إليه.

و هذا الآلوسي في «مختصر التحفة الاثني عشرية» ص ٨ يقول:

---

[1] «رياض السالكين» ص ٨، الطبعة الحجرية؛ و في طبعة جماعة المدرّسين: ج ١، ص ٧١ إلى ٧٣. و مصدر الحديث الأخير «كشف الغُمّة» ج ٢، ص ١٥٥.

[2] من الحري بالعلم أنّ علماء السُّنّة في الهند ألّفوا كتاباً باللغة الفارسية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري بدر علماء الشيعة فيها إلى ردّها و الجواب عنها باللغة نفسها، و كشفوا بطلانها بإفاداتهم العلميّة و بحوثهم الدقيقة العميقة، و بدّدوا مرام تلك التهم الملصقة بالشيعة. و من هذه الكتب «منتهى

و رختفين اكـ ةّنسلا ل هأ نيبو هو ةفينحو بأ اذهو[1]...

لا وْلَ: نا سلح صفأ بل وقي

«ضوحلا ثيدحى لع مهضارتعلا ضوخلا ل هأ تا هيبنتة بـ نونعملا«مـلاكلا

،ىرخا ةرّمـ هـ ١٢٨٢ ةنسه عبط ديعا و ،ةرّمـ هـ ١٢٥٠ ةنسه عبُط يذلا

(...ةيلاتلا ةحفصلا يف شماهلا عباتم

[1] (... تتمة الهامش من الصفحة السابقة)

و مؤلّفه هو حيدر على فيض آباديّ. و منها: «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» تصنيف شاه وليّ الله الدهلويّ (المولود سنة ١١١٤ هـ و المتوفّى سنة ١١٧٦ هـ كما ذكر الآلوسيّ في مقدّمته على كتاب «مختصر التحفة الاثني عشريّة» ص يب)، طُبع هذا الكتاب لأوّل مرّة في لاهور، باكستان سنة ١٣٩٦ هـ. و منها: «التحفة الاثني عشريّة» تصنيف نجل المذكور شاه عبد العزيز الدهلويّ (ولادته سنة ١١٥٩ هـ، و وفاته سنة ١٢٣٩ هـ كما أورد الآلوسيّ في كتابه المارّ ذكره، ص يب). كانت طبعته الثالثة في لاهور أيضاً سنة ١٣٩٦ هـ، سمّاه مؤلّفه في ديباجته «نصيحة المؤمنين و فضيحة الشياطين». و قال أيضاً: سبب تسميته بـ «التحفة الاثنا عشريّة» هو تأليفه في نهاية القرن الثاني عشر، و احتوائه على جميع مطالب الشيعة خلال هذه القرون الاثني عشر، مع الردود عليها.
أجل، ما إن طُبعت هذه المخطوطات بالهند حتى بادر سماحة السيّد محمّد قلي الموسويّ النيسابوريّ الهنديّ إلى جوابها جواباً مُفحماً مدهشاً من خلال تصنيفه كتاب «الأجناد الاثنا عشريّة المحمّديّة في ردّ التحفة الاثني عشريّة الدهلويّة».
يلق دّمحم نب نيسح دماح ريم دّيسلا ّيناّبرلا لجرلا اذه لجنم اق ّمث ةّمئلأا بقانم يف راونلأا تاقبط باتكـ فيلأتب **ّيروتنكلا ّيروباسينلا**

.ارّيحمً ابيجعً ادر اهيلعً ادار«راهطلأا

و ننقل فيما يأتي موجزاً و منتخَباً لما ذكره العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ في كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» حول هذين الرجلَين الباحثَين العظيمَين الجليلَين. قال في ج ٤، ص ١٩٢ و ١٩٣ من هذه الموسوعة تحت الرقم ٩٥٨: «تشييد المطاعن لكشف الضغائن» هو بجميع أجزائه الآتية ثامن مجلّدات «الأجناد الاثنا عشريّة المحمّديّة في ردّ التحفة الاثني عشريّة الدهلويّة» المرتّبة على اثني عشر باباً في الردّ على الإماميّة. و التشييد هذا ردّ على خصوص الباب العاشر من «التحفة» الذي هو في دفع المطاعن، و ردّ الباب الأوّل منه الذي هو في حدوث فرق الشيعة اسمه «السيف الناصريّ». و ردّ الباب الثاني منه الذي هو في نسبة المكائد إلى الشيعة اسمه «تقليب المكائد»، و ردّ الباب السابع منه الذي هو في الإمامة اسمه «برهان السعادة»، و ردّ الباب الحادي عشر منه الذي هو في الأوهام و التعصّبات و

.نُامْعُنلا كَلَهَلِ نَاتَتَسلا

رفعجم الإمام مهيف بحصن يتللا نيتنسلا ديريـ

[1].ملعلا ذخلأ ملاسلا هيلع قداصلا

هملع «ةيملعلا هتايح» نأوذع تحتً اضيأ لاق و

ةايحلإ يّمامله و لاق في شرحه: لا فضيلة كالعلم، فإنّه

و ءرملا ةهابنه و، اهدولخ و اهّيقر و اهتداعس و ملاا

.هسفنذ فرشو هماقم وّلع

الهفوات اسمه «مصارع الأفهام». كلّ هذه الكتب من مجلّدات كتاب «الأجناد» باللغة الفارسيّة مطبوعة بالهند ... و جميع هذه الكتب من تأليفات العلّامة السيّد محمّد قلي بن السيّد محمّد حسين ابن حامد حسين بن زين العابدين الموسويّ النيسابوريّ الكنتوريّ المولود في ١١٨٨ و المتوفّى في تاسع المحرّم ١٢٦٠، ترجمه مفصّلًا في آخر «نجوم السماء». و على «التحفة» ردود اخرى أيضا ك- «العبقات»، و «النزهة الاثني عشريّة»، و غيرها.

[1] ريدجلا نم .مقبن يسرّدملا ةعامج ةعبط ١٤٣٠ ص ١٠ ج«قداصلا ماملإا» ط ٨٠ ص«ةيرشعي نثلاا ةفحتلا رصتخم» يف ةدوجوم ةرابعلا هذهّنأ ركذلاب نم يهّيسولآا اهاكحي تلا ةرابعلا هذهّنأ ديَبَ ١٣٨٧ ةنس، ةرهاقلا ٢، يّيولهدلا زيزعلا دبع ماشه«ةفحتلا» بحاص عاشنإ نم لا، هسفنّيسولآا عاشنإ **ةّنسلا لهأ نيَبَوُهوَوُهوَ** هنع ىلاعتالله يضر ةفينحوبأ اذهو :يهةرابعلا و **... لوقيو رختفين اك** إلى آخره. و عبارة عبد العزيز في «التحفة» ص ٤٦ هي: نعم، ذكر الإمام الشافعيّ فضائل من أدرك من أهل البيت. و لا يقتصر هذا عليه، فجميع أهل السنّة يذكرونها. و رواية الحديث عن أئمّة أهل البيت كثيرة في كتب السنّة. و سمّوا سلسلة الآباء من أهل البيت «سلسلة الذهب».

و لا غرابة لو كان العلم أفضل من العبادة أضعافاً مضاعفة. لأنّ العابد صالح على طريق نجاة قد استخلص نفسه فحسب، و لكن العالم مصلح يستطيع أن يستخرج عوالم كبيرة من غياهب الضلال، و صالح في نفسه أيضاً، و قد فتح عينيه في طريقه. و من فتح عينه أبصر الطريق.

و ليس في الفضائل ما يصلح الناس و ينفعهم و يبقى أثره في الوجود مثل العلم، فإنّ العبادة و الشجاعة و الكرم و غيرها إذا نفعت الناس فإنّما نفعها ما دام صاحبها في الوجود، و ليس له بعد الموت إلّا حسن الاحدوثة.

و لكن العالم يبقى نفعه ما دام علمه باقياً، و أثره خالداً.

و قد جاء في السنّة الثناء العاطر على العلم و أهله، كما جاء في الكتاب آيات جمّة في مدحه و مدح ذويه. و هذا أمر مفروغ عنه، لا يحتاج إلى استشهاد و استدلال.

نعم، إنّما الحقّ في أنّ هذا الثناء خاصّ بالعلم الديني و علمائه، أو عامّ لكلّ علم و عالم؟!

أعتقد بشكل قاطع أنّه مختصّ بعلم الدين و علمائه. و الأحاديث قد صرّحت به. و كفى من الكتاب قوله تعالى: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ.[1]

و قد لا تجد خشية عند علماء الصنعة و ما سواهم غير علماء الدين، بل إن بعضهم قد لا تجده يعترف بالوجود أو بالوحدانيّة.

و ما استحقّ علماء الدين هذا الثناء إلّا لأنّهم يريدون الخير للناس و يسعون له ما وجدوا إليه سبيلاً. و متى كانوا وجدتَهم أدلّاءَ مرشدين هادةً منقذين.

---

[1] فاطر: ٣٥، من السورة ٢٨، الآية.

و علم الدين إلهاميّ و كسبيّ. و الكسبيّ يقع فيه الخطأ و الصواب و الصحيح و الغلط. و غلط العالم و خطؤه يعود على العالم كلّه بالخطأ و الغلط، لأنّ الناس أتباع العلماء في الأحكام و الحلال و الحرام، و الله جلّ شأنه لا يريد للناس إلّا العمل بالشريعة التي أنزلها، و الأحكام التي شرّعها. فلا بدّ من أن يكون في الناس عالم لا يُخطئ و لا يغلط، و لا ينسى، و لا يسهو، ليرشد الناس إلى تلك الشريعة المنزلة منه جلّ شأنه، و الأحكام المشرّعة من لدنه سبحانه، فلا تقع الأمّة في أشراك الأغلاط، و بحبائل الأخطاء،

ً. و لا يكون ذلك إلّا إذا كان علم العالم وحيا أو إلهاما

فمن هذا كان تحتما أن يكون علم الأنبياء و أوصيائهم

من العلم الإلهي و الإلهام الوحياني أو الإلهامي صونا لهم و للأمم

ً. عن الوقوع في الخطأ

و الله تعالى قد أنزل شريعة واحدة لا شرائع، و في

كل قضية حكما ً لا أحكاما ً، و نصب للأمة في كل زمن

مرشدا ً لا مرشدين. و جعلها اليوم شرائع و لها مشرّعون

لا شريعة واحدة و مشرّعا ً واحدا ً. و نرى في كل قضية

أحكاما ً لا حكما ً واحدا ً. و في كل زمن مرشدين متخالفين

متنابذين، بل يكفّر بعضهم بعضا ً، و يبرأ بعضهم من

بعض لا مرشدا ً واحدا ً. و ليس هذا ما جاء به المصلح

الأكبر رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لا ما أراده

لأمته.

فلا غرابة لو حكم العقل بأنّ الواجب عليه سبحانه

أن ينصب في كل فترة زمنية عالما ً يدل الناس على

الشريعة كما جاءت، و يأتيهم بالأحكام كما نزلت. و هل

يجوز ذلك على أحد سوى علي ّ و بنيه؟

و هذه آثارهم العلميّة بين يديك فاستقرئها لعلّك تجد

على النور هدىً. و لو لم يكن لديناً أثر أو دليل إلّا قوله

صلّى الله عليه و آله: أنا مَدينَةُ العِلْمِ وَ عليٌّ بابُها،[1] و قوله:

أنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتابَ اللهِ وَ عِتْرَتي أهْلَ بَيْتي،[2]

لكفى في كون أهل البيت علماء الشريعة و الكتاب الذين

أخذوا العلم من معدنه، و استقوه من ينبوعه. و لو كان

علمهم بالاكتساب لجعلهم الرسول علماء الكتاب على

طول الدهر دون الناس. و ما الذي يميّزهم على الناس إذا

كانوا و الناس في العلم سواء؟!

و ممّا يستعين الانتباه أنّ الناس كانوا محتاجين إلى

علمهم أبداً. و كلّما رجعوا إليهم في أمر وجدوا علمه

عندهم، و ما احتاجوا هم إلى علم الناس أبداً.

و لا نريد أن نلمس كل هذه الحقيقة بالأخبار دون

الآثار، فإنّ في الآثار ما به غنى للبصر. و هذه آثارهم

---

[1] الخطيب في «تاريخ بغداد» ج ٢، ص ٣٧٧؛ و المتّقي الهندي في «كنز العمّال» ج ٦، ص ١٥٦.

[2] «مسند أحمد بن حنبل» ج ٤، ص ٣٦٦؛ و «صحيح الترمذي» ج ٢، ص ٣٠٨.

شاهدة على صدق ما ادّعوه و ادّعى فيهم. و أمر بحقن الدماء بأن تنتبه إليه، و هو أنّ الجواد عليه السلام انتهت إليه الإمامة و هو ابن سبع، و نهض بأعبائها، و قام مقام أبيه من التعليم و الإرشاد، و أخذ منه العلماء خاضعين آباؤه مستفيدين. و ما وجدت فيه نقصاً عن علوم آبائه.

و هذا عليّ بن جعفر شيخ العلويّين في عهده سنّاً و فضلاً، إذا أقبل الجواد يقوم فيقبّل يده، و إذا خرج يسوّي له نعله. و سئل عن النطق بعد الرضا عليه السلام، فقال: أبو جعفر ابنه! فقيل له: **أَنْتَ فِي سِنِّكَ وَ قَدْرِكَ وَ أَبُوكَ فِي هَذَا اللِّسَانِ وَ الْعِلْمِ!** فقال: **مَا أَرَاكَ إِلَّا مُحَمَّدِيّاً وَ لَوْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَأَخَذَ بِلِحْيَتِي وَ قَالَ: فَمَا حِيلَتِي إِنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يَرْزُقْنِي شَيْطَاناً، ثُمَّ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ

السلام. فلو كان علمهم بالتحصيل لكان عليّ أكثر من الجواد تحصيلًا، أو لو كانت الإمامة بالسنّ لكان عليّ أكبر العلويّين سنًّا.

على أنّ الجواد قد فارقه أبوه يوم سافر إلى خراسان وهو ابن خمس.

فمن الذي كان يؤدّبه و يثقّفه بعد أبيه حتى جعله بتلك المنزلة العليّة لو كان ما عندهم عن تعلّم و تأدّب؟! و لِمَ لا يكون المعلّم و المثقِّف هو صاحب المنزلة دونه؟! و لِمَ لَمْ يُقبِل الجواد؟!

أجل، توفّي الجواد و هو ابن خمس و عشرين سنة. و أنت تعلم أنّ ابن هذا السنّ لم يبلغ شيئاً من العلم و أفق عمره هذا كلّه في طلبه، فكيف يكون عالم الأمّة و مرشدها، و معلّم العلماء و مثقِّفهم، و قد رجعت إليه الشيعة و علماؤها من يوم وفاة أبيه الرضا عليه السلام؟ و هكذا الحال في ابنه عليّ الهاديّ عليه السلام. فقد قضى الجواد، و ابنه الهاديّ ابن ستّ أو ثمان. فمن الذي ثقّفه و جعله بذلك المحلّ الأرفع؟ و كيف رجعت إليه العلماء و الشيعة و هو ابن هذا السنّ؟ و ما ذا يُحسن من كان هذا عمره لو كان علمه بالاكتساب؟

فالصادق -كسائر الأئمّة- لم يكن علمه كسبيّاً و أخذاً من أفواه الرجال و مدارستهم. و لو كان كذلك، فممّن أخذ و على يد مَن تخرّج؟ و ليس في تأريخ واحد من الأئمّة

عليهم السلام أنّه تتلمذ أو قرأ على واحد من الناس حتى في سنّ الطفولة. فلم يذكر في تأريخ طفولتهم أنّهم دخلوا الكتاتيب[1] أو تعلّموا القرآن على المقرئين كسائر الأطفال من الناس. فما علم الإمام إلّا وراثة عن أبيه، عن جدّه، عن الرسول، عن جبرئيل، عن الجليل تعالى. وسنشير إلى بعض آثاره العلميّة و إلى تعليمه لتلامذته. و ما سواها ممّا هو داخل في حياته العلميّة.

كيفيّة المدرسة العلميّة للإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

لم يُؤخَذ العلم عنه على هيئة ما هو عليه اليوم من الحوزات العلميّة و النقاش في الدليل و المأخذ، بل كان تلامذته يرون إمامته دائماً. و الإماميّة -كما تقدّم- ترى أنّ علم الإمام لا يدخل فيه الرأي و الاجتهاد ليحاسب الإمام على المصدر و المستند. و إنّما علمه إلهيّ موروث. نعم، ربّما يسأله السائل عن علّة الحكم، سؤال تعلّمٍ و استفادة لا سؤال ردٍّ و جدل.

---

[1] الكتاتيب معنيان: أحدهما جمع كتّاب، و كتّاب جمع كاتب، فهو جمع الجمع. و الآخر مكان التعليم بصيغة كتّاب و جمعه كتاتيب.

اوا كانوا الإمامية عن غير العلم أخذ أنّ على
يرون جلالته و سيادته و إمامته،[1] وقد عدّوا أخذهم عنه
منقبة شُرفوا بها و فضيلة اكتسبوها.[2] و هذا ابن أبي
الحديد قد أرجع علم المذاهب الأربعة إليه في الفقه.[3]

فكان السائل يأتي إليه و يستعلمه عمّا أشكل عليه. و
كان الكثير منهم قد استحضر الدواة و القرطاس ليكتب
ما يمليه عليه الإمام ليرويه عنه عن تثبّت.

و إذا أردت أن تعرف مبلغ علمه فانظر إلى كثرة من
استقى منه العلم. فقد بلغ من عرفه منهم أربعة آلاف أو
يزيدون. و لماذا روى هؤلاء كلّهم عنه و لم يرووا عن
غيره، مع وفرة العلماء في عصره؟! و لماذا إذا روى
أحد منهم عنه وقف عليه و لا يُسأل عمّن روى ما أملاه،
إلّا أن يخبر هو أنّ ما أملاه عن آبائه، عن جدّه الرسول
صلّى الله عليه و آله.

---

[1] «تهذيب الأسماء و اللغات»؛ و «ينابيع المودّة».

[2] «مطالب السؤول» ص ٨١.

[3] «شرح نهج البلاغة» ج ١، ص ٦.

وما كانت تلك المدرسة التي خرّجت ذلك العدد الجمّ مدرسة تريد أن تعلّم العلوم للذكر و الصيت و الفخر و الشرف. و ما كان هدف تلامذتها إلّا أن يتعلّموا العلم للعلم و خدمة الدين و الشريعة. و مَن خالف هذه السيرة أبعده الإمام عن حوزته. فكم طرد اناساً و لعن قوماً خالفوه في سيرته و سريرته. و ما زالت عظاته و إرشاداته تسبق تعاليمه، أو تطّرد معها.

تعاليم الإمام الصادق عليه السلام لتلاميذه

ما أكثر تعاليمه و أكثر عظاته و نصائحه! و إنّما نذكر منها هاهنا ما يخصّ طلب العلم.

قال عمرو بن أبي المقدام[1]: قال لي أبو عبد الله عليه السلام في أوّل مرّة دخلتُ عليه: تَعَلَّمُوا الصِّدْقَ قَبْلَ الحَدِيثِ.[2]

ما أثمنها من نصيحة! و ما زال يوصي كلّ مَن دخل عليه من أوليائه بالصدق و أداء الأمانة. و لا عجب فإنّ

---

[1] هو من ثقات مشاهير رجال الإمام الصادق عليه السلام.

[2] «أصول الكافي» باب الصدق و أداء الأمانة.

بهما سعادة المرء في هذه الحياة، و وفرة المال و الجاه، و الطمأنينة و الرضى به للحكومة بين الناس.

و أمّا إرشاده إلى طلب العلم، فما أكثر قوله فيه! فتارةً يقول عليه السلام: لَسْتُ اُحِبُّ أنْ أرَى الشّابَّ مِنكُمْ إلّا غادِياً فِي حالَيْنِ: إمّا عالِماً أوْ مُتَعَلِّماً. فَإنْ لَمْ يَفْعَلْ فَرَّطَ، وَ إنْ فَرَّطَ ضَيَّعَ، وَ إنْ ضَيَّعَ أثِمَ.[1]

و اخرى يقول: اطْلُبُوا العِلْمَ وَ تَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالحِلْمِ وَ الوَقارِ![2] و ما اقتصر على حثّهم على طلب العلم، بل حثّهم على ما يزدان به من الحلم و الوقار، بل التواضع، كما في قوله عليه السلام: وَ تَواضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَهُ العِلْمَ، وَ تَواضَعُوا لِمَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ العِلْمَ، وَ لا تَكُونُوا عُلَماءَ جَبّارِينَ، فَيُذْهَبُ بِاطِلُكُمْ بِحَقِّكُمْ.[3]

ما أدقّها من نصيحة، و أسماه من تعليم! فإنّ العلم لا ينفع صاحبه و لا الناس ما لم يكن مقروناً بالتواضع،

---

[1] «المجالس» للشيخ الصدوق رحمه الله، المجلس الحادي عشر.

[2] «الأصول الكافي» ج ١، ص ٣٦، الحديث الأوّل.

[3] «المجالس» للشيخ الصدوق، المجلس ١٧؛ و «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٤١، الحديث الثاني، الطبعة الحديثة.

سواء كان المتحلّي به معلّماً أو متعلّماً، و إن الناس تتفاوت من ذي الكبرياء، و جبروت النفس يذهب ذلك المقدار من العلم الذي عند الإنسان و يقضي عليه.

و يقول عليه السلام في إرشاده لطالب العلم:

وَ لَا تَطْلُبِ الْعِلْمَ لِثَلَاثٍ: لِتُرَائِيَ بِهِ، وَ لَا لِتُبَاهِيَ بِهِ، وَ لَا لِتُمَارِيَ بِهِ. وَ لَا تَدَعْهُ لِثَلَاثٍ: رَغْبَةٍ فِي الْجَهْلِ، وَ زَهَادَةٍ فِي الْعِلْمِ، وَ اسْتِحْيَاءٍ مِنَ النَّاسِ، وَ الْعِلْمُ الْمَصُونُ كَالسِّرَاجِ الْمُطْبَقِ عَلَيْهِ.[1]

إن الصادق عليه السلام يريد أن يكون طلب العلم للعلم و لنفع الأمّة. فلو طلبه المرء للرياء أو المباهاة أو المجادلة لما انتفع و نفع، بل لتضرّر و أضرَّ، كما أنّ تركه للرغبة في الجهل و الزهد في العلم كاشف عن الحمق، و لا خير في حياء يُقيمك على الرذيلة و يبعدك الفضيلة. و لا يكون انتفاع الناس بالعلم إلّا بنشره. و ما فائدة السراج إذا أطبق عليه.

---

[1]. «بحار الأنوار» ج ١٧، ص ٢٧٠.

و لنفاسة العلم حضّ على طلبه و إن كلّف غالياً، فقال:

اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِخَوْضِ الْمُهَجِ وَشَقِّ اللُّجَجِ.[1]

و لمّا كان للعلم أعوية و معادن فقد نهاهم عن أخذ العلم من غير أهله، فقال عليه السلام: اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِ الْعِلْمِ، وَ إِيَّاكُمْ وَ الْوِلَايِجَ فَهُمُ الصُّدُّونَ عَنِ اللهِ.[2]

إنّنا نجد عياناً أنّ المتعلّم يتغذّى بروح معلّمه، و يتشبّع بتعاليمه. فالتلميذ إلى الضلالة أدنى إن كان المعلّم ضالّاً، و إلى الهداية أقرب إن كان هادياً، لأنّ غريزة المحاكاة تقوى عند التلميذ بالقياس إلى معلّمه.

تبجيل الإمام الصادق عليه السلام و تعظيمه للعلماء

و ما حثّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام على طلب العلم فحسب، بل أراد منهم إذا تعلّموه أن يعملوا به، فقال عليه السلام: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوا فَلَنْ

---

[1]. «اصول الكافي» ج ١، ص ٣٥، الحديث الخامس.

[2]. كتاب «زيد الزرّاد» وهو من الاصول المعتبرة.

يُنْقِذُكُمُ اللهُ بِالعِلْمِ حتى تَعْمَلُوا بِهِ، لأَنَّ العالِمَ هَمُّهُ الرِّوايَةُ، وَ السَّفِيهَ هَمُّهُ الرِّعايَةُ.[1]

و قال: العِلْمُ الذي لا يُعْمَلُ بِهِ كالكَنْزِ الذي لا يُنْفَقُ مِنْهُ، أتْعَبَ نَفْسَهُ في جَمْعِهِ وَ لَمْ يَصِلْ إلى نَفْعِهِ.[2]

و قال: مَثَلُ الذي يَعْلَمُ الخَيْرَ وَ لا يَعْمَلُ بِهِ مَثَلُ السِّراجِ يُضِيءُ لِلنّاسِ وَ يُحْرِقُ نَفْسَهُ.[3]

و قال: إنّ العالِمَ إذا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ القُلُوبِ كَما يَزِلُّ المَطَرُ عَنِ الصَّفا.[4]

و قد دلّهم على ما يحفظون به ما يتعلّمونه، فقال عليه السلام: اكْتُبُوا فَإِنَّكُمْ لا تَحْفَظُونَ حتى تَكْتُبُوا.[5]

---

1. «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٣٧، الحديث ٥٤.
2. المصدر السابق.
3. «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٣٨.
4. «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٣٩.
5. «أصول الكافي» ج ١، ص ٥٢، الحديث ٩.

و ممّا قاله للمفضّل بن عمر: اكْتُبْ وَ بُثَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ فَإِنْ مِتَّ فَوَرِّثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ فَإِنَّهُ يَأْتِي زَمَانٌ هَرْجٍ مَا يَأْنَسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ.[1]

و قال: احْتَفِظُوا بِكُتُبِكُمْ فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا.[2]

و لم يُرد عليه السلام فضيلة العلم لأهل زمانه فحسب، بل أراد كلّ جيل و عصر، كما أنّه ما أوصاهم بالتعلّم إلّا لأن يجمعوا كلّ فضيلةٍ معه، كما ستعرفه من وصاياه، و كما تعرفه من قوله عليه السلام: فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ، وَ صَدَقَ الْحَدِيثَ، وَ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَ حَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ: هَذَا جَعْفَرِيٌّ، وَ يَسُرُّنِي ذَلِكَ وَ يُدْخِلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرُورَ، وَ إِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلَاؤُهُ وَ عَارُهُ، وَ قِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ.[3]

---

1. «اصول الكافي» ج ١، ص ٥٢، الحديث ١١.
2. «اصول الكافي» ج ١، ص ٥٢، الحديث ١٠.
3. «اصُول الكافي» ج ٢، ص ٦٣٦.

إن الصادق و آباءه من قبل و أبناءه من بعد جاهدوا في حسن تربية الأمّة و توجيههم إلى الفضائل، و ردعهم عن الرذائل بشتّى الوسائل. و لكن ما حيلتهم إذا كان الناس يأبون أن يسيروا بنهج الحقّ، و أن يتنكّبوا عن جادّة الباطل؟!

و ما حضّ على طلب العلم إلّا و حضّ على العناية بشأن العلماء و العطف عليهم، فقال عليه السلام:

ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ: مَسْجِدٌ خَرِبٌ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ، وَ عَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ، وَ مُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ غُبَارٌ لَا يُقْرَأُ فِيهِ.[1]

و قال إسحاق بن عمّار الصيرفيّ: قلتُ للصادق عليه السلام: مَنْ قَامَ

[1]. «بحار الأنوار» ج ٩٢، ص ١٩٥.

مِنْ مَجْلِسِهِ تَعْظِيماً لَهُ؟! قال عليه السلام: مَكْرُوهٌ لِلرَّجُلِ فِي الدِّينِ.

وقال عليه السلام: مَنْ أَكْرَمَ فَقِيهاً مُسْلِماً لَقِيَ اللهَ يَوْمَ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَمَنْ أَهَانَ فَقِيهاً مُسْلِماً لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ.[1]

و ما أكثر ما جاء عنه عليه السلام في رعاية أهل العلم و تقديرهم، و إكرام العلماء و توقيرهم، و هكذا كان مجاهداً في تثقيف أتباعه و تهذيبهم و تعليمهم الأخلاق الفاضلة.[2]

الإمام الصادق عليه السلام أعلم الأمة بالقرآن

علم التفسير و كيفية استخراج معاني القرآن الكريم

كان في الحديث عن أهل البيت الذي أشرنا إليه موارد جمة للتفسير حتى أنّ بعض المفسّرين جعلوا تفسيرهم كلّه مبنياً على الحديث. و إذا شئت أن تعرف

---

[1] بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٤٤، الحديث ١٣.

[2] الإمام الصادق، ج ١، ص ١٣١ إلى ١٤٠، الطبعة الرابعة، مؤسّسة النشر الإسلامي.

شيئاً من كلام الصادق عليه السلام في التفسير، فدونك «مجمع البيان» فإنّه قد أورد شيئاً من أحاديثه في تفسيره، وقد يُشير إلى رأي أهل البيت مستظهراً ذلك من حديثهم.

وهناك مؤلّفات عديدة في آيات الأحكام، وقد علّق عليها المؤلّفون ما جاء في تفسيرها والإشارة إلى مفادها من طريق أهل البيت وأحاديثهم. والحديث الوارد عن سيّد الرسل في عدّة مقامات ومن عدّة طرق: الذي يعرّفنا مبلغ علمهم بالقرآن، وإنّ في كلّ زمن علماً منهم بالقرآن.

إنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ وعِتْرَتي أهْلَ بَيْتي.

ما إن

تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَداً. فَإِنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ.

و تشفع لهذا الحديث الأخبار الكثيرة الواردة عن أهل البيت في شأن علمهم بالقرآن. و الصادق فسره بقوله: وَ اللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ كِتابَ اللهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلى آخِرِهِ كَأَنَّهُ فِي كَفِّي. فِيهِ خَبَرُ السَّماءِ وَ خَبَرُ الْأَرْضِ وَ خَبَرُ ما كانَ وَ خَبَرُ ما هُوَ كائِنٌ. قالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: فِيهِ تِبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ.[1]

و يفرج أصابعه مرّة اخرى فيضعها على صدره و يقول: وَ عِنْدَنا وَ اللهِ عِلْمُ الْكِتابِ كُلِّهِ.[2] إلى كثير أمثال ذلك.

و لا بدّ في كلّ زمن من عالم بالقرآن الكريم على ما نزل، كما يشهد لذلك حديث الثقلَين، و لأنّ القرآن إمامٌ صامتٌ و فيه المحكم و المتشابه، و المجمل و المبيّن، و الناسخ و المنسوخ، و العامّ و الخاصّ، و المطلق و المقيّد، إلى غير ذلك ممّا خفي على الناس علمه. و كلّ فرقة من الإسلام تدّعي أنّ القرآن مصدر اعتقادها، و

---

[1] يريد الإشارة إلى قوله: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ (الآية ٨٩ من السورة ١٦: النحل).

[2] الحديث ٥، ص ٢٢٩، ج ١ «من أصول الكافي».

تزعم أنّها وصلت إلى معانيه و اهتدت إلى مقاصده. و تأتي على ذلك بالشواهد.

فالقرآن مصدر الفَرْق بزعم أهل الفرق. فمن هو الحَكَم الفصل ليردّ قوله وتفسيره شُبُهات هاتيك الفرق و مزاعم هذه المذاهب؟ و قد دلّ حديث الثقلين على أنّ علماء القرآن هم العترة أهل البيت خاصّة و منهم يكون العالم به في كلّ عصر.

و في عصره عليه السلام إذا لم يكن هو العالم بالقرآن فمن غيره؟! ليس في الناس من يدّعي أنّ في أهل البيت أعلم من الصادق في عهده في التفسير أو في سواه من العلوم.[1]

دروس الإمام الصادق عليه السلام في عرفان الذات المقدّسة للحقّ المتعال

فتح المرحوم المظفّر هذا البحث تحت عنوان علم الكلام، وقال: نعني من علم الكلام العلم الذي يبحث عن الوجود، و الوحدانيّة، و الصفات (صفات الباري تعالى) و ما يلزم هذه المباحث من نبوّة، و إمامة، و معاد بالأدلّة العقليّة المبتنية على اسس منطقيّة صحيحة، و لا نعني به علم الجدل الذي تاه فيه كثير من الناس لاعتمادهم فيه على خواطر توحيها إليهم نفوس ساقها إلى الكلام حبّ الغلبة في المجادلة دون أن يستندوا إلى ركن وثيق أو يأخذوا هذا العلم من معدنه الصحيح.

و إن جاء ذمّ على ألسنة الأحاديث للمتكلّمين، فيعني بهم الذين تعلّموا الجدل للظهور و الغلبة و لم يستقوا

---

[1]. «الإمام الصادق» آية الله المظفّر، ج ١، ص ١٤٥ إلى ١٤٧، الطبعة الرابعة.

الماء من منبعه، و لم يعبأوا بما يجرّهم إليه الكلام من لوازم فاسدة. و أمّا الذين انتهلوه من مورده الرويّ، و بنوه على اسس صحيحة و دعائم وجدانيّة فإنّهم ألسنة الحقّ و هداته و دعاة الإيمان و أدلّاؤه.

الدليل العقليّ ضروريّ في توحيد ذات الحقّ تعالى

و إن أوّل من برهن على الوجود و لوازم الوجود بالأدلّة العقليّة و الآثار المحسوسة أمير المؤمنين عليه السلام حتى كاد أن يشكّ في تلك الخطب بعض من يجهل أو يتجاهل مقام أبي الحسن من العلم الربّانيّ بدعوى أنّ

العلم على تلك الاصول لم يكن معهوداً في ذلك الزمن. وليت شعري إن لم يعترف هذا الجاهل بأنّ علم أبي الحسن الهاميّ يستقيه من المنبع الفيّاض، فإنّه لا يجهل ما قاله النبيّ صلّى الله عليه وآله فيه: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا.

و نسج على منوال أبي الحسن بنوه في هذا العلم، فإنّهم ما زالوا يفيضون على الناس من علمهم الزاخر عن الوجود و لوازمه. و كيف يعبد الناس ربّاً لا يعرفونه، و يطيعون نبيّاً يجهلونه، و يتّبعون إماماً لا يفقهون مقامه؟! فالمعرفة قبل كلّ علم و أفضل كلّ علم. يقول الصادق عليه السلام: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْعِلْمُ بِاللهِ[1].

وليس للمسلم في تلك القواعد و الاصول مدخل، لأنّ التقليد في العقليّات لا يصحّ عند أرباب العقول.

أجل، قد يجيء النقل دليلاً، و لكنّه من الإرشاد إلى حكم العقل، أو الإشارة إلى الفطرة كما في قوله تعالى: أَ

[1] بحار الأنوار، ج ١، ص ٢١٥.

فِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ.[1] و أمثالها من القرآن المجيد. فإنّ هذه الآية الكريمة لم تحملك على القول بالوجود حتماً، بل لفتتك إليه من جهة الأثر و مشاهدته.

فإذا جاء عن الرسول و عترته أدلّة على هذه الاصول فما كلامهم في هذا إلّا إرشاد إلى حكم العقل. فإنّهم ما زالوا يدلّون على العقل و يهدون إلى دلالته. و هذا الصادق نفسه يقول: العَقْلُ دَلِيلُ المؤمِنِ؛ و يقول: دِعامَةُ الإنْسانِ العَقْلُ؛ و يقول: لَا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْقِلُ. و لو قرأتَ ما أملاه الكاظم عليه السلام على هشام بن الحكم في شأن العقل و العقلاء لعرفت كيف

[1] الآية ١٠، من السورة ١٤: إبراهيم.

ى لعا اوّثح و ،هيلع اولّد و ،لقعلا ةقيقحل اوفرع هروذبة ءاضتسلاا.

و لقد جاء في كلامهم الشيء الكثير من الاستدلال على هذه الاصول. و هذا «نهج البلاغة» قد جمع من البراهين ما أبهر العقول و حيّر الألباب، كما جمعت كتب الحديث و الكلام كثيراً من تلك الحجج. و من تلك الكتب: «الاحتجاج» للطبرسيّ، و «اصول الكافي»، و «التوحيد» للصدوق. و الأوّل و الثاني من «بحار الأنوار». و في كتبه الاخرى التي يترجم فيها الأئمّة عليهم السلام، و يذكر كلامهم طيّ تراجمهم، إلى نظائر هذه الكتب الجليلة![1]

«راوذلأا راحب» يف هيلع الله ناوضر يّسلجملا ىور عن «لاحتجاا» عن هشام بن الحكم قال: دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام، فقال له الصادق عليه السلام: يا بْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ! أَ مَصْنُوعٌ أَنْتَ أَمْ غَيْرُ مَصْنُوعٍ؟!

[1] ةعبارلا ةعبطلا، ١٤٩ إلى ١٤٧ ص ،١ ج «ماملإا قداصلا».

قال: لستُ بمصنوع!

فقال له الصادق: فَلَوْ كُنْتَ مَصْنُوعاً كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ؟!

فلم يحر ابن أبي العوجاء جواباً و قام، و خرج. و ورد مثل هذا الحديث أيضاً عن هشام في توحيد الصدوق بسند آخر.

قال المجلسي في بيانه موضّحاً هذا الحديث: لما كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضروريّاً، نبّهه عليه السلام بأنّ العقل يحكم بديهةً بالفرق بين المصنوع و غيره. و فيك جميع صفات المصنوعين، فكيف لم تكن مصنوعاً؟!

أشكل استاذنا العلّامة الطباطبائي قدّس الله سرّه في تعليقته على التوضيح المذكور، و قال: لا يَخْفَى أنّ الرواية غير موثقة للتنبيه على ما

ذكره؛ بل إلزام له بالترجيح بلا مرجّح، فإنّ اختياره عدم المصنوعيّة مع جواز مصنوعيّته قول بلا دليل. (ط)[1]

إنما أفاده استاذنا العلّامة قدّس الله سرّه أفضل ممّا أفاده جدّنا الأقدم من جهة الا مّا العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه، بل هو الأولى و المتعيّن.

حوار الإمام الصادق عليه السلام مع الديصانيّ في التوحيد

و روى العلّامة المجلسيّ أيضاً عن «الاحتجاج» أنّ أبا شاكر الديصانيّ وهو زنديق[2] دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا جعفر بن محمّد! دلّني على معبودي!

---

[1] و «حاز الأفاوز» ج ٣، ص ٣١، كتاب التوحيد، الباب ٣: إثبات الصانع و صفاته، و سياق قدرته و علمه و وجوده على جميع ما يتعلّق بالاستدلال بحدائث الأجسام و الطبيعة الحديثة.

[2] قال في الهامش: الزنديق بالكسر من الثنويّة أو القائل بالنور و الظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة و الربوبيّة، أو من يبطن الكفر و يظهر الإيمان، أو هو معرّب زَنْ دين، أي: دين المرأة. قاله في «القاموس». و في «المصباح»: المشهور على ألسنة الناس أنّ الزنديق هو الذي لا يتمسّك بشريعة و يقول بدوام الدهر. و العرب تعبّر عن هذا بقولهم: ملحد، أي: طاعن في الأديان، انتهى. و نقل عن «مفاتيح العلوم» أنّ الزنادقة هم المانويّة. و كانت المزدكيّة يسمّون بذلك. أقول: و الظاهر أنّ الزنديق معرّب لزند دين، و الزند اسم لكتاب المجوس جاء به زردشت الذي يزعم المجوس أنّه نبيّ، أو معرّب زنديّ، أي: المنسوب إلى زند، فأخذ كلمة واحدة و زيد عليه القاف - انتهى.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: اجلس! فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة! فناوله إيّاها!

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

يا دَيْصانيّ! هذا حِصْنٌ مكنونٌ لَهُ جِلْدٌ غليظٌ، وَتَحْتَ الجِلْدِ الغليظِ جِلْدٌ رقيقٌ، وَ تَحْتَ الجِلْدِ الرَّقيقِ ذَهَبَةٌ مائِعَةٌ وَ فِضَّةٌ ذائِبَةٌ، فَلَا الذَّهَبَةُ المائِعَةُ تَخْتَلِطُ بِالفِضَّةِ الذائِبَةِ، وَ لَا الفِضَّةُ الذائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ المائِعَةِ

فَهِيَ عَلَى حَالِهَا لَمْ يَخْرُجْ[1] مِنْهَا خَارِجٌ مُصْلِحٌ فَيُخْبِرُ

عَنْ إِصْلَاحِهَا، وَ لَمْ يَدْخُلْ[2] فِيهَا دَاخِلٌ مُفْسِدٌ فَيُخْبِرُ عَنْ

إِفْسَادِهَا. لَا يَدْرِي لِلذِّكْرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلْأُنْثَى؟!

تَتَفَلَّقُ عَنْ مِثْلِ أَوْكَارِ الطَّوَاوِيسِ. أَتَرَى لَهَا مُدَبِّرًا؟!

قَالَ: فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، وَ أَنَّكَ

إِمَامٌ وَ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَ أَنَا تَائِبٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ

حوار آخر للإمام الصادق عليه السلام مع الديصاني

روي في «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل عن عبد

الله الديصاني أنّه أتى باب أبي عبد الله عليه السلام

فاستأذن عليه، فأذن له، فلمّا قعد قال له: يا جعفر بن

محمّد! دلّني على معبودي!

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟! فخرج

عنه و لم يخبره باسمه. فقال له أصحابه: كيف لم تخبره

باسمك؟! قال: لو كنت قلت له: عبد الله، كان يقول: من هذا

---

1. في «الاحتجاج» المطبوع: لا يخرج.

2. وفيه أيضاً: و لا تدخل.

الذي أنت له عبد؟! فقالوا له: عُد إليه فقل له: يدلّك على معبودك و لا يسألك عن اسمك! فرجع إليه، فقال له: يا جعفر! دلّني على معبودي و لا تسألني عن اسمي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس، و إذا غلام صغير ... إلى آخر الخبر.

قال المجلسيّ في بيانه: قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة، و تقرير استدلاله عليه السلام أنّ ما في البيضة من الإحكام و الإتقان و الاشتمال على ما به صلاحها و عدم اختلاط ما فيها من الجسمين السيّالين - و الحال أنّه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج مخبراً عن صلاحها،

و لا يدخلها جسمانيّ من خارج فيفسدها، و هي تنفلق عن مثل ألوان الطواويس -يدلّ على أنّ له مبدأ غير جسم و لا جسمانيّ، و لا يخفى لطف بنية الإصلاح إلى ما يخرج منها، و الإفساد إلى ما يدخل فيها، لأنّ هذا شأن أهل الحصن الحافظين له و حال الداخل فيه بالقهر و الغلبة.[1]

و روى المجلسيّ أيضاً عن «الأمالي» للصدوق، عن أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، قال: دخل أبو شاكر الديصانيّ على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقال له: إِنَّكَ أَحَدُ الْمُجُومِ الزَّوَاهِرِ، وَكَانَ آبَاؤُكَ بُدُوراً بَوَاهِرَ، وَ أَمَّهَاتُكَ عَقِيلَاتٍ عَبَاهِرَ، وَ عُنْصُرُكَ مِنْ أَكْرَمِ الْعَنَاصِرِ، وَ إِذَا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ فَبِكَ تُثَنَّى الْخَنَاصِرُ،

[1]. بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣١ و ٣٢.

فَخَبِّرْني أيُّها البَحْرُ الخِضَمُّ الزّاخِرُ: ما الدَّليلُ عَلَى حَدَثِ [حُدُوثِ] العالَمِ؟![1]

فقال الصادق عليه السلام: يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِأَقْرَبِ الأَشْياءِ!

قال: وَما هُوَ؟!

قال: فدعى الصادق عليه السلام ببيضة فوضعها على راحته، ثمّ قال:

هَذا حِصْنٌ مَلْمُومٌ، داخِلُهُ غِرْقِئٌ رَقيقٌ، تَطيفُ بِهِ فِضَّةٌ سائِلَةٌ وَ ذَهَبَةٌ مائِعَةٌ، ثُمَّ تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ الطَّاوُوسِ، أَ دَخَلَها شَيْءٌ؟!

قال: لا!

قال: فَهَذا الدَّليلُ عَلَى حَدَثِ [حُدُوثِ] العالَمِ!

---

[1] قال المجلسيّ في سياق بيانه: قوله: **فَبِكَ تُثَنَّي الخَناصِرُ**. أي: أنت تُعدّ أوّلاً قبلهم لكونك أفضل و أشهر منهم، و إنّما يُبْدَأ في العدّ بالخنصر. و الملموم المضموم بعضه إلى بعض. و الخضمّ بكسر الخاء و فتح الضاد و تشديد الميم: الكثير العطاء.

قال [الديصاني]: أخبرتَ فأوجزتَ، وقلتَ فأحسنتَ، وقد علمتَ أنّا لا نقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو لمسناه بأكفّنا، أو شممناه بمناخرنا، أو ذقناه بأفواهنا، أو تصوّر في القلوب بيّناً، و استنبطه الرّوايات إتقاناً!

فقال الصادق عليه السلام: ذكرتَ الحواسّ الخمس، وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح.

قال العلّامة المجلسيّ في بيانه: قوله عليه السلام: و هي لا تنفع شيئاً بغير دليل، أي: هي عاجزة يتوقّف إدراكها على شرائط، فكيف تنفي ما لم تدركه بحسّك؟ كما أنّ البصر لا يبصر الأشياء بغير مصباح. ويحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل، أي: لا تنفع الحواسّ بدون دلالة العقل، فهو كالسراج لإحساس الحواسّ. و أنت قد عزلتَ العقل و حكمه و اقتصرتَ على حكم الحواسّ!

قال العلّامة الطباطبائيّ في الهامش: بل المراد أنّ الحواس إنّما لها التصوّر، و أمّا التصديق و الحكم فللعقل. (ط)[1].

استهزاء ابن أبي العوجاء بالحجّ و جواب الإمام الصادق عليه السلام

و روى المجلسيّ عن «الاحتجاج» عن عيسى بن يونس، قال: كان ابن أبي العوجاء[2] من تلامذة الحسن البصريّ، فانحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب صاحبك و دخلت فيما لا أصل له و لا حقيقة؟

قال: إنّ صاحبي كان مخلّطاً يقول طوراً بالقدر و طوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه. فقدم مكّة متمرّداً و إنكاراً على من يحجّ، و كان يكره العلماء

---

[1]. بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٩ و ٤٠.

[2] قال في الهامش: عدّه السيّد المرتضى رحمه الله في كتابه «الأمالي» ممّن كان يتستّر بإظهار الإسلام، و يحقن بإظهار شعائره و الدخول في جملة أهله دمه و ماله. و كان في الباطن زنديقاً ملحداً، و كافراً مشركاً، و قال: حكي أنّ عبد الكريم بن أبي العوجاء قال: - لمّا قبض عليه محمّد بن سليمان و هو والي الكوفة من قبل المنصور، و أحضره للقتل، و أيقن بمفارقة الحياة - **لئن قتلتموني لقد وضعتُ في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة!**

مجالسته و مساءلته لخبث لسانه و فساد ضميره. فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال: يا أبا عبد الله! إن المجالس بالأمانات، و لا بدّ لكلّ من به سعال أن يسعل، أ فتأذن لي في الكلام؟! فقال الصادق عليه السلام: تكلّم بما شئت. فقال:

إِلَى كَمْ تَدُوسُونَ هَذَا البَيْدَرَ،[1] وَتَلُوذُونَ بِهَذَا الحَجَرِ، وَ تَعْبُدُونَ هَذَا البَيْتَ المَرْفُوعَ بِالطُّوبِ وَ المَدَرِ، وَ تَهْرَوِلُونَ حَوْلَهُ كَهَرْوَلَةِ البَعِيرِ إِذَا نَفَرَ؟!

إِنْ مَنْ فَكَّرَ فِي هَذَا وَقَدَّرَ عَلِمَ أَنَّ هَذَا فِعْلٌ أَسَّسَهُ غَيْرُ حَكِيمٍ وَ لَا ذِي نَظَرٍ. فَقُلْ فَإِنَّكَ رَأْسُ هَذَا الأَمْرِ وَ سَنَامُهُ، وَ أَبُوكَ أُسُّهُ وَ نِظَامُهُ!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ وَ أَعْمَى قَلْبَهُ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الحَقُّ وَ لَمْ يَسْتَحْوِذْ عَلَيْهِ، وَ صَارَ الشَّيْطَانُ وَلِيَّهُ وَ أَوْرَدَهُ مَوَارِدَ الهَلَكَةِ ثُمَّ لَا يُصْدِرُهُ.

[1] البيدر: الموضع الذي يُجمع فيه الحصيد ويُداس ويُذرّى.

وَ هٰذَا بَيْتٌ اسْتَعْبَدَ اللهُ بِهِ عِبادَهُ لِيَخْتَبِرَ طاعَتَهُمْ فِي إِتْيانِهِ، فَحَثَّهُمْ عَلَى تَعْظيمِهِ وَ زِيارَتِهِ، وَ جَعَلَهُ مَحَلَّ أَنْبِيائِهِ، وَقِبْلَةً لِلْمُصَلّينَ لَهُ.

فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوانِهِ، وَ طَريقٌ يُؤَدّي إِلى غُفْرانِهِ، مَنْصُوبٌ عَلَى اسْتِواءِ الْكَمالِ، وَ مُجْتَمَعِ الْعَظَمَةِ وَ الْجَلالِ، خَلَقَهُ اللهُ قَبْلَ دَحْوِ الْأَرْضِ بِأَلْفَيْ عامٍ.

فَأَحَقُّ مَنْ اطيعَ فيما أَمَرَ وَ انْتُهِيَ عَمّا نَهَى عَنْهُ وَ زَجَرَ: اللهُ الْمَشْئُولُ الْأَرْواحِ وَ الصُّوَرِ.

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرتَ الله[1] فأحلتَ على

الغائب!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويلكَ كيف يكونُ غائباً

من هو مع خلقه شاهدٌ؟! وإليهم أقربُ من حبل الوريد،

يسمعُ كلامهم، ويرى أشخاصهم، ويعلمُ أسرارهم!

فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كلِّ مكانٍ؟! أليس إذا

كان في السماء كيف يكونُ في الأرض؟! وإذا كان في

الأرض كيف يكونُ في السماء؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما وصفتَ الخلوق

الذي إذا انتقل من مكانٍ اشتغل به مكانٌ، وخلا منه مكانٌ،

فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان

الذي كان فيه!

فأما الله العظيمُ الشأنِ الدائمُ الملكِ فلا يخلو منه

مكانٌ، ولا يشتغلُ به مكانٌ، ولا يكونُ إلى مكانٍ أقربَ

منه إلى مكانٍ!

---

1. في «الأمالي»: ذكرتَ يا أبا عبد الله.

و روى مثلها في «الأمالي» للصدوق بسندٍ، و في علل الشرائع» بسند آخر أيضاً.

ذم ابن أبي العوجاء على محاورته الإمام عليه السلام

و روى الصدوق مثلها في توحيده بسند آخر. و أضاف في آخرها أنّ الإمام عليه السلام قال في آخرها:

وَ الذي بَعَثَهُ بِالْآيَاتِ الْمُحْكَمَةِ، وَ الْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ وَ أَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ، وَ اخْتَارَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، صَدَّقْنَا قَوْلَهُ بِأَنَّ رَبَّهُ بَعَثَهُ وَ كَلَّمَهُ.

فقام عنه ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه: مَنْ أَلْقَانِي فِي بَحْرِ هَذَا؟! وفي رواية ابن الوليد: مَنْ أَلْقَانِي فِي بَحْرِ هَذَا! سألتكم أن تتلمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة!

قالوا: ما كنت في مجلسه إلّا حقيراً. قال: إنّه ابن من حلق رؤوس

مَنْ تَرَوْنَ!

قال المجلسيّ في بيانه: الخُمرة بالضمّ حصيرة صغيرة من السعف. أي: طلبت منكم أن تطلبوا لي خصماً ألعب به كالخمرة فألقيتموني على جمرة ملتهبة!

و في «الاحتجاج» للطبرسيّ روي أنّ الصادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء: إِنْ كُنْ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ - وَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُ - نَجَوْنَا وَ نَجَوْتَ، وَ إِنْ لَمْ يَكُنِ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ نَجَوْنَا وَ هَلَكْتَ![1]

و روى المجلسيّ عن «الخصال» للصدوق، بسنده عن هشام بن سالم، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: سمعتُ أبي يحدِّثُ عن أبيه عليه السلام أنّ رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

---

1. «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٣ إلى ٣٥.

و احتجاج الإمام عليه السلام هذا مأخوذ من القرآن الكريم: الآية ٢٨، من السورة: ٤٠: غافر: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ.

قال: بِفَسْخِ العَزْمِ،[1] وَنَقْضِ المِمَمِ. لَمَّا أنْ هَمَمْتُ بِحَلِّ بَيْنِي وَبَيْنَ هَمِّي. وَعَزَمْتُ فَخَالَفَ القَضاءُ عَزْمِي. فَعَلِمْتُ أنَّ المُدَبِّرَ غَيْرِي!

قال: فَبِمَاذَا شَكَرْتَ مَعْمَاءَهُ؟!

قال: نَظَرْتُ إِلَى بَلَاءٍ قَدْ صَرَفَهُ عَنِّي وَأَبْلَى بِهِ غَيْرِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ فَشَكَرْتُهُ.

قال: فبماذا أحببتَ لقاءه؟!

---

[1] وفي نسخة: بفسخ العزائم.

قال: لَمّا رَأيْتُهُ قَدِ اخْتارَ لي دينَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ أنْبِيائِهِ، عَلِمْتُ أنَّ الذي أكْرَمَني بِهذا لَيْسَ يَسْلُبُني فَأحْبَبْتُ لِقاءَهُ.

و مثل هذه الرواية في «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهما السلام.[1]

و أيضاً في «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل عن هشام بن سالم، عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام عند ما قيل له: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟! قالَ: بِفَسْخِ العَزْمِ وَ نَقْضِ الهَمِّ. عَزَمْتُ فَفَسَخَ عَزْمي، وَ هَمَمْتُ فَنَقَضَ هَمّي.[2]

إراءة الإمام عليه السلام الله لابن أبي العوجاء في وجوده

و روى المجلسيّ أيضاً عن «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل عن أحمد بن محسن الميثميّ،[3] قال: كنت

---

1. «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٤٢.

2. «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٤٩.

3 أشار المستشار عبد الحليم الجنديّ المصريّ إلى هذا الحديث في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٢٨٥ و ٢٨٦ في سكون الإمام وهدوئه، في سياق البحث.

عند أبي منصور المتطبّب، فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال: كنتُ أنا و ابن أبي العوجاء و عبد الله بن المقفّع في المسجد الحرام. فقال ابن المقفّع: ترونَ هذا الخلق؟ - و أومى بيده إلى موضع الطواف - ما منهُمْ أحَدٌ يوجِبُ لَهُ اسْمَ الإنسانيَّةِ إلَّا ذلِكَ الشَّيْخُ الجالِسُ - يَعْني جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِما السَّلامُ - فأمَّا البَاقُونَ فَرَعاعٌ وَ بَهائِمُ.

فقال له ابن أبي العوجاء: و كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟!

قال: لأنّي رأيتُ عندهم ما لم أرَ عندهم!

فقال ابن أبي العوجاء: ما بُدَّ من اختبار ما قلت فيه منه.

فقال له ابن المقفّع: لا تفعل فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك!

فقال: ليس ذا رأيك و لكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إجلالك إيّاه لمحلّ الذي وصفتَ.

فقال ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت عليّ هذا فقم إليه و تحفّظ ما استطعت من الزلل، و لا تثنّ عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقال، و سمه ما لك أو عليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء و بقيت و ابن المقفّع، فرجع إلينا، و قال: يا ابن المقفّع ما هذا ببشر. وَإِنكَانَفِي الدُّنْيَا رُوحَانِيّيَتَجَسَّدُإِذَا شَاءَ ظَاهِرًا، وَيَتَرَوَّحُإِذَا شَاءَ بَاطِنًا فَهُوَ هَذَا!

فقال له: و كيف ذاك؟!

قال: جلستُ إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني، فقال: إِنْ يَكُنِ الأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْأَوْلِيَاءُ - وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ - يَعْنِي أَهْلَ الطَّوَافِ، فَقَدْ سَلِمُوا وَعَطِبْتُمْ، وَإِنْ

يكُنِ الأمْرُ كما تقُولُونَ - وَلَيْسَ كما تقُولُونَ - فقَدِ استَوَيْتُمْ وَهُمْ!

فقلتُ له: يرحمك الله! و أيّ شيء نقول؟ و أيّ شيء يقولون؟ ما قولي و قولهم إلّا واحداً.

فقال: كيف يكون قولك و قولهم واحداً، وهم يقولون: إنّ لهم معاداً و ثواباً و عقاباً، و يدينون بأنّ للسماء إلهاً، و أنّها عمران، و أنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد؟!

قال: فاغتنمتها منه، فقلتُ له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه و يدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان، و لِمَ احتجب عنهم و أرسل إليهم الرسل؟! و لو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به.

فقال لي: وَيْلَكَ! وَكَيْفَ احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ، وَ لَمْ تَكُنْ، وَ كَيَرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ، وَ سُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ، وَ صِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ، وَ رِضَاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ، وَ غَضَبَكَ بَعْدَ رِضَاكَ، وَ حُزْنَكَ بَعْدَ فَرَحِكَ، وَ فَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ، وَ حُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ، وَ بُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ، وَ شَهْوَتَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ، وَ عَزْمَكَ بَعْدَ إِبَائِكَ، وَ إِبَاءَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ، وَ رَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ، وَ رَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ، وَ رَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ، وَ يَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ، وَ خَاطِرَكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ، وَ عُزُوبَ مَا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ مِنْ ذِهْنِكَ.

وَ مَا زَالَ يَعُدُّ عَلَيَّ قُدْرَتَهُ الَّتِي فِي نَفْسِي الَّتِي لَا أَدْفَعُهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيمَا بَيْنِي وَ بَيْنَهُ.[1]

إثبات عليه السلام وجود الله بالبرهان الأبي العاجز عن طريق الصنع

و روى المجلسيّ أيضاً عن «التوحيد» للصدوق، عن القطّان، عن الكليني بإسناده رفع الحديث: أنّ ابن أبي

---

[1]. ٤٣ و ٤٢ ص ٣، ج «بحار الأنوار».

العوجاء حين كلّمه أبو عبد الله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني فجلس وهو ساكت لا ينطق. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كأنّك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه! فقال: أردتُ ذا كيا ابن رسول الله! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أنّي ابن رسول الله!

فقال: العادة تحملني على ذلك.

فقال له العالم عليه السلام: فما يمنعك من الكلام؟

قال: إِجْلَالًا لَكَ وَ مَهَابَةً مَا يَنْطِقُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَ أَظُنُّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ مَعَ تَدَانِيهِمْ مِنْكَ مِثْلُ مَا تَدَاخَلَنِي فَإِنِّي شَاهَدْتُ الْعُلَمَاءَ وَ نَاظَرْتُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَمَا تَدَاخَلَنِي مِنْ هَيْبَةِ

هَيْئَتِكَ!

قال: يكون ذلك، و لكن أفتح عليك بسؤال و أقْبِل عليه!فقال له: أَمَصْنُوعٌ أَنْتَ أَوْ غَيْرُ مَصْنُوعٍ؟!

فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء: بل أنا غير مصنوع!

فقال له العالم عليه السلام: فَصِفْ لِي لَوْ كُنْتَ مَصْنُوعاً كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ؟!

فبقي عبد الكريم مليّاً لا يحير جواباً، و لمع بخشبة كانت بين يديه و هو يقول: طَوِيلٌ عَرِيضٌ، عَمِيقٌ قَصِيرٌ، مُتَحَرِّكٌ سَاكِنٌ. كل ذلك صفة خلقه.

فقال له العالم عليه السلام: فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الامور!

فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، و لا يسألني أحد بعدك عن مثلها![1]

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: هبك علمت أنّك لم تُسأل فيما مضى، فما علمك أنّك لا تُسأل فيما بعد؟! على أنّك يا عبد الكريم نقضت قولك، ألذّك تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء، فكيف قدّمتَ و أخّرتَ؟!

ثمّ قال: يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً، أ رأيت لو كان معك كيس فيه جواهر، فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار في الكيس. فقال لك قائل: صف لي الدينار، و كنتَ غير عالم بصفته، هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس و أنت لا تعلم؟!

---

[1] ذكر الشيخ محمّد حسين الملظفّر هذا الخبر إلى هنا في كتاب «الإمام الصادق» من كتاب «التوحيد» للصدوق، باب إثبات حدوث العالم.

قال: لا!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فالعالَم أكبر و أطول و أعرض من الكيس، فلعلّ في العالَم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة!

فانقطع عبد الكريم و أجاب إلى الإسلام بعض أصحابه، و بقي معه بعض، فعاد في اليوم الثالث، فقال: اقلّب السؤال؟

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اسأل عمّا شئت!

كلام الإمام عليه السلام في حدوث العالَم و الأجسام

فقال: ما الدليل على حدث الأجسام؟!

فقال: إنّي ما وجدتُ شيئاً صغيراً و لا كبيراً إلّا و إذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، و في ذلك زوال و انتقال عن الحالة الاولى. و لو كان قديماً ما زال و لا حال، لأنّ الذي يزول و يحول يجوز أن يوجد و يبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، و في كونه في الأزل دخوله في القدم، و لن تجتمع صفة الأزل و الحدوث، و القدم و العدم في شيء واحد.

فقال عبد الكريم: هبك علمت في جري الحالتين و الزمانين على ما ذكرت و استدللت على حدوثها. فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدثها؟! فقال العالم عليه السلام: إنّما نتكلّم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه و وضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه و وضعنا غيره؛ و لكن أجبتك من حيث قدّرت أن تلزمنا و نقول: إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ما ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر. و في جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم! فانقطع و خزي.

فلمّا أن كان من العام القابل التقى معه في الحرم، فقال له بعض

شيعته: إن ابن أبي العوجاء قد أسلم.

فقال العالم عليه السلام: هو أعمى من ذلك لا يسلم.

فلما بصر بالعالم، قال: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ! فقال له العالم: ما جاء بك إلى هذا الموضع؟

فقال: عِبَادَةُ الجَسَدِ، وَسُنَّةُ البَلَدِ، وَلِنَبْصُرَ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الجُنُونِ وَالحُمْقِ وَرَمْيِ الحِجَارَةِ!

فقال له العالم: أنت بعد على عتوّك وضلالك يا عبد الكريم!

فذهب يتكلّم، فقال له: لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ.[1] ونفض ردائه من يده، وقال: إِنْ كُنْ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ - وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُ - نَجَوْنَا وَنَجَوْتَ! وَإِنْ كُنْ الأَمْرُ كَمَا نَقُولُ - وَهُوَ كَمَا نَقُولُ - نَجَوْنَا وَهَلَكْتَ!

فأقبل عبد الكريم على من معه، فقال: وجدتُ في قلبي حرارةً! فردّوني. فردّوه ومات، لا رَحِمَهُ الله.

و في «الاحتجاج» للطبرسيّ بعض هذا الحديث مرسلًا.

---

[1] البقرة: ٢ من السورة ١٩٧ من الآية.

و تحدّث المجلسيّ عن هذا الحديث مفصّلًا تحت عنوان «تَنْوِيرٌ»[1].

و كذلك روى المجلسيّ عن «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل عن مروان بن مسلم قال: دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه السلام فقال: أليس تزعم أنّ الله خالق كلّ شيء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى! فقال له: أنا أخلق. فقال له: كيف تخلق؟!

قال: احدث في الموضع ثمّ ألبث عنه فيصير دواباً. فأكون أنا الذي خلقتها.

[1] بحار الأنوار، ج ٣، ص ٤٥ إلى ٤٩، الحديث العشرون.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أ ليس خالق الشيء يعرف كم خلقه؟! قال له: بلى! قال: فتعرف الذكر منها من الانثى؟! و تعرف كم عمرها؟! فسكت.[1]

و روي عنه أيضاً بسنده المتّصل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقاً أَصْغَرَ مِنَ البَعُوضِ، وَ الجِرْجِسُ أَصْغَرُ مِنَ البَعُوضِ، وَ الذي يُسَمُّونَهُ اللَوَلَغَ أَصْغَرُ مِنَ الجِرْجِسِ، وَ مَا فِي الفِيلِ شَيءٌ إِلَّا وَ فِيهِ مِثْلُهُ، وَ فُضِّلَ عَلَى الفِيلِ بِالجَانِحَيْنِ.[2]

---

[1] «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٥٠ و ٥١، الحديث ٢٤.

[2] نقل المعلّق في الهامش عن كتاب «حياة الحيوان» للدميري، ما نصّه: و بالرجلين، و خرطوم الفيل المصمت، و خرطومه مجوّف نافذ للجوف. فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم و قذف به إلى جوفه فهو كالبلعوم و الحلقوم، و لذلك اشتدّ عضّها، و قوي على خرق الجلود الغلاظ. و مما ألهمه الله تعالى أنّه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لا يزال يتوخّى بخرطومه المسام التي يخرج منها العَرَق، لأنّها أرقّ بشرة من جلد الإنسان. فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، و فيها من الشَّرَه أن يمصّ الدم إلى أن ينشقّ و يموت، أو إلى أن يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه. و من عجيب أمره أنّه ربّما قتل البعير و غيره من ذوات الأربع فيبقى طريحاً في الصحراء، فتجتمع السباع حوله، و الطير التي تأكل اللحم، فمن أكل منها شيئاً مات لوقته ... إلى آخر كلام الدميري.

قال المجلسيّ في بيانه: قال الفيروزآباديّ: الجِرجِس بالكسر: البعوض الصغار - انتهى. إلى أن قال: و الولغ هذا بالغين المعجمة، و في «الكافي» بالمهملة. و هما غير مذكورَين فيما عندنا من كتب اللغة. و الظاهر أنّه أيضاً تصحيف من البعوض.

و الغرض بيان قدرته تعالى. فإنّ القدرة في خلق الأشياء الصغار أكثر و أظهر منها في الكبار، كما هو المعروف بين الصنّاع من المخلوقين.

فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ.[1]

قال سماحة الأستاذ الأفخم الأعظم العلّامة الطباطبائيّ في تعليقه على توضيح المجلسيّ و تعليقه: هذا بحسب الدقّة و اللطف، و كأنّه عليه السلام في هذا المقام، و أمّا بحسب القدرة فالأمر بالعكس من جهة تفويق الذرّات و توديع القوى العظيمة الهائلة. قال تعالى: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ. (المؤمن: ٥٧)[2]

إثبات وجود الله للديصانيّ: عن طريق النظر في الوجود

و روى المجلسيّ أيضاً عن «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو شاكر الديصانيّ: إن لي مسألة تستأذن لي على صاحبك. فإنّي قد سألتُ عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مشبع!

---

[1] المؤمنون: ٢٣، من السورة ١٤، الآية.

[2] «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٤٤ و ٤٥، الحديث الثاني عشر.

فقلتُ: هل لكَ أن تخبرني بهذا فلعلّ عندي جواباً ترتضيه؟

فقال: إنّي احبّ أن ألقى بهذا أبا عبد الله عليه السلام!

قال: فاستأذنتُ له، فدخل، فقال له: أ تأذن لي في السؤال؟! فقال له: سل عمّا بدا لك! فقال له: ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟!

فقال: وجدتُ نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إمّا أن أكون صنعتها أنا (أو غيري)؛ فلا أخلو من أحد معنيين: إمّا أن أكون صنعتها و كانت موجودة، أو صنعتها و كانت معدومة. فإن كنت صنعتها و كانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها. و إن كانت معدومة، فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً. فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صانعاً و هُوَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ. فقام و ما أجاب جواباً.

قال المجلسيّ في بيانه: هذا برهان متين مبنيّ على تقوّف التأثير و الإيجاد على وجود الموجود و المؤثّر. و الضرورة الوجدانيّة حاكمة بحقّيّتها، و لا مجال للعقل في إنكارها.[1]

حوار الإمام عليه السلام مع الزنديق المصريّ

و روى المجلسيّ أيضاً عن «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل عن هشام بن الحكم قال: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام، فخرج إلى المدينة ليناظره، فلم يصادفه بها. فقيل له: هو بمكّة. فخرج الزنديق إلى مكّة و نحن مع أبي عبد الله عليه السلام، فقابلنا الزنديق - و نحن مع أبي عبد الله عليه السلام في الطواف، فضرب كتفه كتف أبي عبد الله عليه السلام. فقال له جعفر عليه السلام: ما اسمك؟ قال: اسمي عبد الملك. قال: فما كنيتك؟ قال: أبو عبد الله. قال: فمن الملِك الذي أنت له عبدٌ أ من ملوك السماء أم من ملوك

[1] ٢٣. «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٥٠، الحديث

الأرض؟! و أخبرني عن ابنك، أعبد إله السماء أم إله الأرض؟! فسكت.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: قُمْ مَا شِئْتَ تَخْتَصِمْ! فقال هشام بن الحكم: قلتُ للزنديق: أما تردّ عليه! فقبّح قولي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغتُ من الطواف فأتنا! فلما فرغ أبو عبد الله عليه السلام أتاه الزنديق فقعد بين يديه و نحن مجتمعون عنده. فقال للزنديق: أتعلم أنّ الأرض تحت و فوق؟!

قال: نعم! قال: فدخلتَ تحتها؟! قال: لا!

قال: فما يُدريك بما تحتها؟!

قال: لا أدري إلّا أنّي أظنّ أن ليس تحتها شيء.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فالظنّ عجز ما لم تستيقن!

قال أبو عبد الله عليه السلام: فصعدتَ إلى السماء؟!

قال: لا. قال: فتدري ما فيها؟ قال: لا. قال: فعجباً لك لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهنّ و أنت جاحد ما فيهنّ! و هل يجحد العاقل ما لا يعرف؟!

فقال الزنديق: ما كلّمني بهذا أحد غيرك!

قال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت في شكّ من ذلك!

قال الزنديق: و لعلّ ذاك. و لعلّ ليس هو، فلعلّه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيّها الرجل! ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، فلا حجّة للجاهل - يا أخا أهل مصر! تفهّم عنّي فإنّا لا نشكّ في الله أبداً. أما ترى الشمس و القمر و الليل و النهار يجريان ليس لهما مكان إلّا مكانهما. فإن كانا يقدران على أن يذهبا و لا يرجعا، فلِمَ لا يصير الليل نهاراً و النهار ليلاً؟! اضطرّا و الله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، و الذي اضطرّهما أحكم منهما و أكبر منهما.

قال الزنديق: صدقتَ!

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا أهل مصر! الذي تذهبون إليه و تظنّونه بالوهم، فإن كان الدهر يذهب بهم، لِمَ لا يردّهم؟! و إن كان يردّهم لِمَ لا يذهب بهم؟! القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر. السماء مرفوعة، و الأرض موضوعة، لِمَ لا تسقط السماء على الأرض؟! و لِمَ لا تنحدر الأرض فوق طباقها فلا يتماسكان و لا يتماسكان عليها؟!

فقال الزنديق: أمسكهما و ربّهما و سيّدهما. فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام.

فقال له حمران بن أعين: جُعلت فداك! إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمنت الكفّار على يدي أبيك.

فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبد الله عليه السلام: اجعلني من تلامذتك! فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام بن الحكم: خذه إليك فعلّمه. فعلّمه هشام. فكان معلّم أهل مصر و أهل الشام و نسحت بطارته حتى رضي بها أبو عبد الله عليه السلام.[1]

و روى المجلسيّ مثله عن «الاحتجاج» عن هشام بن الحكم. و ذكر بعده شرحاً مفصّلًا مهمّاً نوعاً ما، و هو تحت عنوان: «إيضاح». و قال في آخره: تفصيل القول في شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضي مقاماً آخر. و إنّما نُشير في هذا الكتاب إلى ما لعلّه يتبصّر به اولو الأذهان الثاقبة من اولي الألباب. و سنبسط الكلام فيها في كتاب «مرآة العقول» إن شاء الله تعالى.[2]

---

[1] مدنسب، ٧٤ يلإ ٧٢ ص، ١ ج«يفاكلا» باتكي فًاضيأ ربخلا اذهّينيلكلا ركذ ص، ١ ج«قداصلا ماملإا» باتكي فرّفظملا موحرملا مدروأ امك، لصّتملا ةعبارلا ةعبطلا، ١٩١ يلإ ١٨٩.

[2] ٢٥. ثيدحلا، ٥٤ يلإ ٥١ ص، ٣ ج«راونلأا راحب»

كتاب «توحيد المفضّل»، و كتاب «الإهليلجة» المنسوبَين إلى مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما أفضل الصلاة و السلام[1]

قال المجلسيّ رحمه الله: و لنذكر بعد ذلك «توحيد المفضّل بن عمر» و رسالة «الإهليلجة» المرويّتين عن الصادق عليه السلام لاشتمالهما على دلائل و براهين على إثبات الصانع تعالى. و لا يضرّ إرسالهما لاشتهار

[1] أشار عبد الحليم الجنديّ إلى هذه الرواية في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٢٨٥، في لزوم الاستدلال العقليّ.

انتسابهما إلى المفضّل. و قد شهد بذلك السيّد ابن طاووس[1] و غيره، و لا ضعف محمّد بن سنان و المفضّل، لأنّه في محلّ المنع، بل يظهر من الأخبار الكثيرة علوّ قدرهما و جلالتهما. مع أنّ متن الخبرين شاهد صدق على صحّتهما. و أيضاً هما يشتملان على براهين لا تتوقّف إفادتها العلم على صحّة الخبر.

---

[1] قال المعلّق في الهامش: قال ابن طاووس في ص ٩ من كتابه «كشف المحجّة» لذي أمله عليه مولانا الصادق عليه السلام و انظر: كتاب المفضّل بن عمر «الذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام و انظر: كتاب «الإهليلجة» و ما فيه من فيما خلق الله جلّ جلاله من الآثار! و انظر: كتاب الاعتبار. فإنّ الاعتناء بقول سابق الأنبياء و الأوصياء و الأولياء عليهم أفضل السلام (المراد هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام) موافق لفطرة العقول و الأحلام. و قال في ص ٧٨ من كتاب «الأمان من أخطار الأسفار و الأزمان» و يصحب معه كتاب «الإهليلجة» و هو كتاب مناظرة مولانا الصادق عليه السلام مع الطبيب الهندي في معرفة الله جلّ جلاله بطريق غريبة عجيبة ضروريّة، حتى أقرّ الهندي بالإلهيّة و الوحدانيّة. و يصحب معه كتاب المفضّل بن عمر «الذي رواه عن الصادق عليه السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي و أسراره، فإنّه عجيب في معناه.

قال المعلّق: و عدّ النجاشي من كتبه (المفضّل) كتاب الفكر كتاب في بدء الخلق و الحثّ على الاعتبار وصيّة المفضّل. و ذكر طريقه إليه هكذا: أخبرني أبو عبد الله بن شاذان قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى عن أبيه، عن عمران بن موسى، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل. (انتهى) و لعلّ المراد منه هو كتاب توحيده هذا.

قال سماحة استاذنا الأكرم العلّامة الطباطبائي قدّس

الله تربته في تعليقه على كلام المجلسي على صحّة

الخبر: أمّا متن الخبر الأوّل المشتهر بـ «توحيد المفضّل»

فهو مطابق لجلّ الأخبار المرويّة عن أئمّة أهل البيت

عليهم السلام المطابقة لمعارف الكتاب العزيز، و ما

يشتمل عليه من الأدلّة البراهين تامّة لا غبار عليها.

و أمّا خبر «الإهليلجة» فمحصّل ما فيه إثبات حجّيّة

حكم العقل و عدم

كفاية الحواسّ في الأحكام، و إثبات وجود الصانع من طريق السببيّة، و إثبات وحدته من طريق اتّصال التدبير. و هذا لا شكّ فيه من جهة العقل، و لا من جهة مطابقته لسائر النقل، غير أنّه مشتمل على تفاصيل لا شاهد عليها من النقل و العقل، بل الأمر بالعكس، كاشتماله على كون علوم الهيئة و أحكام النجوم مستندا ً إلى الوحي، و كذا كون علم الطبّ و القرابادين (علم الأدوية) مستندين إلى الوحي، مستدلًّا بأنّ إنسانا ً واحدا ً لا يقدر على هذا التتبّع العظيم و التجارب الوسيعة.

مع أنّ ذلك مستند إلى أرصاد كثيرة و محاسبات علميّة و تجارب ممتدّة من امم مختلفة في أعصار و قرون طويلة تراكمت تحتى تكوّنت في صورة فنّ أنتجه مجموع تلك المجاهدات العظيمة.

و الدليل عليه أنّ النهضة الأخيرة سبكت على الهيئة و الطبّ في قالب جديد أوسع من قالبهما القديم بما لا يقدّر من السعة. و لا مستند له إلّا الأرصاد و التجارب و المحاسبات العلميّة. و كذا ما هو مثلهما في السعة

كالكيمياء، و الطبيعيّات، و علم النبات، و الحيوان، و غير ذلك. نعم من الممكن استناد أصلها إلى الوحي و بيان النبيّ.

و ممّا يشتمل عليه الخبر كون الجار باقية على حال واحدة دائماً من غير زيادة و نقيصة، مع أنّ التغيّرات الكلّيّة فيها ممّا هو اليوم من الواضحات. على أنّ الكتاب و السنّة يساعدانه أيضاً.

و الذي أظنّه - و الله أعلم - أنّ أصل الخبر ممّا صدر عنه عليه السلام، لكنّه لم يخل عن تصرّف المتصرّفين فزادوا و نقصوا بما أخرجه عن استقامته الأصليّة. و يشهد على ذلك النسخ المختلفة العجيبة التي سيقلها المصنِّف رحمه الله. فإنّ النسخ يمكن أن تختلف بالكلمة و الكلمتين و الجملة و الجملتين لسهوٍ من الراوي في ضبطه أو من الكاتب في

استنساخه. و أمّا بنحو الورقة و الورقتين و خمسين سطراً و مائة سطر فمن المستبعد جدّاً، إلّا أن يستند إلى تصرّف عمدي. و ممّا يشهد على ذلك أيضاً الاندماج و عسر البيان الذي هَاشي في أوائل الخبر و أواسطه. و الله أعلم. (ط)[1].

وصف ذكر الإمام الصادق عليه السلام على لسان ابن أبي العوجاء

نقل المجلسيّ رواية «التوحيد» عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر أنّه قال: كنتُ ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر و المنبر، إلى أن قال: فقال ابن أبي العوجاء لصاحبه: دَعْ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَدْ تَحَيَّرَ فِيهِ عَقْلِي، وَ ضَلَّ فِي أَمْرِهِ فِكْرِي، وَ حَدِّثْنَا فِي ذِكْرِ الأَصْلِ الَّذِي يُمْشَى بِهِ!

ثُمَّ ذَكَرَ ابْتِدَاءَ الأَشْيَاءِ وَ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ بِإِهْمَالٍ لَا تَدْبِيرَ، وَ لَا صَانِعَ لَهُ وَ لَا مُدَبِّرَ، بَلِ الأَشْيَاءُ تَتَكَوَّنُ مِنْ ذَاتِهَا بِلَا مُدَبِّرٍ، وَ عَلَى هَذَا كَانَتِ الدُّنْيَا لَمْ تَزَلْ وَ لَا تَزَالُ!

---

[1]. ٥٦ و ٥٥ ص، ٣ ج «بحار الأنوار»

قال المفضّل: فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلتُ: يا عدوّ الله! ألحدتَ في دين الله، و أنكرتَ الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم، و صوّرك في أتمّ صورة، و نقلك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حيث انتهيت. فلو تفكّرت في نفسك و صدّقك لطيف حِسّك، لوجدتَ دلائل الربوبيّة و آثار الصنعة فيك قائمةً، و شواهد جلّ و تقدّس في خلقك واضحة، و براهينه لك لائحة.

فقال: يا هذا! إن كُنْتَ مِنْ أهْلِ الكَلَامِ كلَّمْناكَ، فإنْ ثَبَتَ لَكَ حُجَّةٌ تَبِعْناكَ. وَ إن لَمْ تَكُنْ مِنهُمْ فَلَا كَلَامَ لَكَ!

وَ إن كُنْتَ مِنْ أصحابِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصادِقِ فَمَا هكَذا يُخاطَبُ،

رَ أكْثَرَ أنَّ لِلْجُلُودِ الْمَدْبُوغَةِ. وَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهِ وَ لَا بِمِثْلِ دَلِيلِكَ يُجَادِلُنَا. وَ لَا بِمِثْلِ دَلِيلِكَ يُجَادِلُنَا. وَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهِ

مِمَّا سَمِعْتَ، فَمَا أَفْحَشَ فِي خِطَابِنَا، وَ لَا تَعَدَّيَ فِي جَوَابِنَا.

وَ إِنَّهُ لَلَحْلِيمُ الرَّزِينُ الْعَاقِلُ الرَّصِينُ، لَا يَعْتَرِيهِ خُرْقٌ وَ لَا طَيْشٌ وَ لَا نَزْقٌ. وَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا وَ يُصْغِي إِلَيْنَا وَ يَسْتَعْرِفُ حُجَّتَنَا حَتَّى إِذَا اسْتَفْرَغْنَا مَا عِنْدَنَا وَ ظَنَنَّا أَنَّا قَدْ قَطَعْنَاهُ بِحُجَّتِنَا وَ خِطَابٍ قَصِيرٍ وَ يَسِيرٍ وَ خِطَابٍ كَثِيرٍ قَدْ أَحْضَرْنَاهُ حُجَّتَنَا بِكَلَامٍ يَسِيرٍ وَ خِطَابٍ قَصِيرٍ قَدْ قَطَعْنَاهُ بِحُجَّتِنَا، وَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ، وَ لَا يَسْتَطِيعُ جَوَابَهُ، وَ يُلْزِمُنَا بِهِ الْحُجَّةَ، وَ لَا يَسْتَطِيعُ جَوَابَهُ، وَ لَا يَسْتَطِيعُ جَوَابَهُ!

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ مَحْزُوناً مُفَكِّراً فِيمَا بُلِيَ بِهِ الْإِسْلَامُ وَ أَهْلُهُ مِنْ كَفْرِ هَذِهِ الْعِصَابَةِ وَ تَعْطِيلِهَا. فَدَخَلْتُ عَلَى مَوْلَايَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَرَآنِي مُنْكَسِراً، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنَ الدَّهْرِيِّينَ وَ بِمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمَا.

فَقَالَ: لَأُلْقِيَنَّ إِلَيْكَ مِنْ حِكْمَةِ الْبَارِي جَلَّ وَ عَلَا وَ تَقَدَّسَ اسْمُهُ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ وَ السِّبَاعِ وَ الْبَهَائِمِ وَ الطَّيْرِ وَ الْهَوَامِّ، وَ كُلِّ ذِي رُوحٍ مِنَ الْأَنْعَامِ، وَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ وَ غَيْرِ ذَاتِ الثَّمَرِ وَ الْحُبُوبِ وَ الْبُقُولِ الْمَأْكُولِ

من ذلك وغير المأكول ما يعتبره المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحيّر فيه الملحدون. فبكّر عليّ غداً!

قال المفضّل: فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به... إلى أن قال:

فقال: يا مفضّل! إنّ الله كان و لا شيء قبله و هو باقٍ و لا شيء معه. فله الحمد على ما ألهمنا، و له الشكر على ما منحنا، و قد خصّنا من العلوم بأعلاها، و من المعالي بأسناها، و اصطفانا على جميع الخلق بعلمه، و جعلنا مهيمنين عليهم بحكمه!

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي! أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه؟!

- وكنتُ أعددتُ معي ما أكتب فيه - فقال لي: افعلْ![1]

أهمّيّة كتاب «توحيد المفضّل»

و ذكر المجلسيّ رضوان الله عليه هذا الخبر بحذافيره مع شرح موجز لبعض المفردات و المطالب. و استوعب الخبر خمساً و تسعين صفحة من القطع الوزيريّ اعتباراً من ص ٥٧ إلى ص ١٥١. وهو زاخر بنفائس المعاني و دُرَر العِلم و المنطق و العقل و الدراية حقّاً. كما أنّه آية بارزة على ربوبيّة الحقّ جلّ و عزّ و وحدته في مظاهر عالم الإمكان بجميعها. وقد سُرِدَ بنحوٍ مستدلّ لطيف حتى أنّ البصر لا يشبع من مطالعته، و البصيرة لا ترتوي من درايته. من هنا أمر السيّد ابن طاووس أعلى الله درجته بمطالعته و ملازمته. و من هنا أيضاً ترجمه المجلسيّ إلى الفارسيّة، و صنّفه في رسالة مستقلّة، اعيد طبعها مراراً. و من هنا أيضاً طُبع ذلك

---

[1] بحار الأنوار» ج ٣، ص ٥٧ إلى ٥٩، الباب ٤: الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل بن عمر.

الكرّاس من «البحار» باللغة العربيّة مستقلًّا و أصبح في متناول أيدي العامّة من العرب و العجم.

و ما كان أحسن أن نُورد الرسالة كلّها هذا، بَيْدَ أنّه متعذّر بسبب تفصيلها و ضيق هذه المجموعة عن استيعابها. و يبدو أنّ اختيار بعض الفقرات دون بعض أمر لا مبرّر له. لهذا تأسّيًا بالعالم الجليل و الحبر النبيل الشيخ محمّد حسين الظفّر نكتفي بما يأتي:

قال في كتاب «الإمام الصادق عليه السلام» حقًّا لقد ألقى الصادق عليه السلام على المفضّل من البيان ما أنار به الحجّة، و أوضح الشبهة، و لم يدع للشكّ مجالًا، و للشبهة سبيلًا. و أبدى من الكلام عن بدائع خلائقه، و غرائب صنائعه ما تحار منه الألباب، و تندهش منه العقول. و أظهر من خفايا حِكَمه ما لا يهتدي إليه إلّا أمثاله ممّن اوتي الحكمة و فصل الخطاب.

و كلّما حاولت أن أنتخب فصولًا خاصّة من تلك البدائع لم اطق، لأنّي أجدها كلّها منتخبة، و أن أقتطف من كلّ روضة زهرتها اليانعة لم أستطع، لأنّي أراها كلّها وردة واحدة في اللون و العرف. فما رأيتُ إلّا أن أذكر من كلّ فصل أوّله، و اشير إلى شيءٍ منه، و الفصول أربعة:

١ - تفصيل الجنين و الطفل الرضيع

قال عليه السلام بعد أن ذكر عمي الملحدين و أسباب تشكّهم و تهيئة هذا العالَم و تأليف أجزائه و انتظامها. ثمّ ابتدئ يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به! فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم و هو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، و ظلمة الرحم، و ظلمة المشيمة.[1] حيث لا حيلة عنده في طلب غذاه، و لا دفع أذًى، و لا استجلاب منفعة، و لا دفع مضرّة. فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات. فلا يزال ذلك غذاءه حتّى إذا كمل خلقه، و استحكم بدنه، و قوي أديمه

---

[1] المشيمة كيس لحميّ يكون فيه الجنين، و هو بمنزلة الثوب له.

عل ى مباشرة الهواء و بصره عل ى ملاقاة الضياء، هاج
الطلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج و أعنفه حتى يولد.

و إذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمّه
إل ى ثديها. فانقلب الطعم و اللون إل ى ضرب آخر من
الغذاء، و هو أشدّ موافقة للمولود من الدم، فيوافيه في
وقت حاجته إليه. فحين يولد قد تلمّظ و حرّك شفتيه طلباً
للرضاع. فهو يجد ثدي أمّه كأداوتين[1] المعلّقتين لحاجته
إليه، فلا يزال يغتذي باللبن ما دام رطب البدن رقيق
الأمعاء ليّن الأعضاء، حتى إذا تحرّك و احتاج إل ى غذاء
فيه صلابة ليشتدّ و يقوى بدنه طعّمت له الطواحن
من الأسنان و الأضراس، ليمضغ بها الطعام فيلين
عليه و تسهل له إساغته.

فلا يزال كذلك حتى يدرك. فإذا أدرك و كان ذكراً
طلع الشعر في وجهه، فكان ذلك علامة الذكّر و عزّ
الرجل الذي يخرج به من حدّ الصبيّ و شبه النساء. و إن
كانت انثى يبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها البهجة

---

[1] الأداوة: بكسر ففتح - إناء صغير من جلد يتخذ للماء، جمعه أداوى.

و النضارة التي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل و بقاؤه.

لعبة مُضَلَّلُ فيما يدبّر الإنسان في هذه الأحوال المختلفة. هل تريد أن يكون بالإهمال؟! أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم، أما كان يذوي و يجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء؟! و لو لم يزعجه المخاض عند استحكامه، أما كان سيبقى في الرحم كالموءودة في الأرض؟! و لو لم يوافقه اللبن مع ولادته، أما كان سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه و لا يصلح عليه بدنه!! و لو لم تطلع عليه الأسنان في وقتها، أما كان سيمتنع عليه مضغ الطعام و إساغته؟! أو يقيمه على الرضاع فلا يشدّ بدنه و لا يصلح لعمل، ثمّ كان تشتغل أمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد؟

و لو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته، أما كان سيبقى في هيئة الصبيان و النساء، فلا تراه جلالاً و لا وقاراً؟! فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكلّ شيء من هذه المآرب إلّا الذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن، ثمّ

توكّل له بمصلحته بعد أن كان. فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد و التقدير يأتيان بالخطأ و المحال، لأنّ الإهمال ضدّ العمد و هذا فظيع من القول و جهل من قائله، لأنّ الإهمال لا يأتي بالصواب، و التضادّ لا يأتي بالنظام تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً.

قال المظفّر: إن الإهمال دوماً يأتي بالخطأ كما رأيت بمشاهدة عياناً.

لو وجّهت الماء إلى الزرع، و أهملت تقسيمه على الألواح، أيسقي الألواح كلّها من دون خلل؟! أو إذا نثرت البذر في الأرض من دون مناسبة، أ يخرج الزرع بانتظام، أو إذا جمعت قطعاً من خشب و واصلتها بمسامير، أتكون كرسيّاً أو باباً من دون تنسيق؟!

الحكمة الإلهيّة من عدم تعقّل الطفل حين الولادة

ثمّ قال عليه السلام: ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته و لبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف، و ورد عليه ما لم يَرَ مثله من اختلاف صور العالم من البهائم و الطير إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة و يوماً بعد يوم، و اعتبر ذلك بأنّ من سبي من بلد إلى بلد و هو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلّم الكلام و قبول الأدب كما يسرع الذي يُسبى صغيراً غير عاقل.

ثمّ لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصّباً بالخرق مسجّى في المهد، لأنّه لا يستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه و رطوبته حين يولد. ثمّ

كان لا يوجد له من الحلاوة و الوقع من القلوب ما يوجد للطفل. فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عمّا فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف و معرفة ناقصة. ثمّ لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً و شيئاً بعد شيء و حالاً بعد حال، حتى يألف الأشياء و يتمرّن و يستمرّ عليها، فيخرج من حدّ التأمّل لها و الحيرة فيها إلى الانصرف و الاضطراب في المعاش بعقله و حيلته، و إلى الاعتبار و الطاعة و السهو و الغفلة و المعصية. و في هذا أيضاً وجوه اخر. فإنّه لو كان يولد تامّ العقل مستقلّاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، و ما قدّر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة، و ما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافاة بالبرّ و العطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم. ثمّ كان الأولاد لا يألفون آباءهم و لا يألف الآباء أبناءهم، لأنّ الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء

فـرعيلاف ،نودلويـنيحـمهعذهنوقّرفتيفمهتطايحو
الرجلأباه و امّه و لا ميتمعنمنكاح امّه و اخته و ذواتـ
.نّهفرعيلا ذإ ،همنمرحاملا

و أقلّ ما في ذلك من القباحة، بل هو أشنع، و أعظم، و أفظع، و أقبح، و أبشع لو خرج المولود من بطن امّه و هو يعقل أن يرى منها ما لا يحلّ له، و لا يحسن به أن يراه. (عورة الامّ). أ فلا ترى كيف اقيم كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب و خلا من الخطأ دقيقه و جليله؟!

قال الملظفرّ: إنّ بعض هذا البيان البديع من الإمام عن تدرّج الإنسان في نموّه، و نموّه في أوقاته كافٍ في حكم العقل بأنّ له صانعاً صنعه عن علم، و حكمة، و تقدير، و تدبير. ثمّ إنّ الصادق عليه السلام جعل يذكر فوائد البكاء للأطفال من التجفيف لرطوبة الدماغ، و إن في بقاء الرطوبة خطراً على البصر و البدن.

ثمّ ساق البيان إلى جعل آلات الجماع في الذكر و الاثنى على ما يشاكل أحدهما الآخر. ثمّ ذكر أعضاء البدن و الحكمة في جعل كلّ منها على الشكل الموجود.

و هاهنا يقول له المفضّل: يا مَوْلَايَ! إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة، فيقول له الإمام: سلهم عن هذه الطبيعة أ هي شيء له علم و قدرة على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟! فإن أوجبوا لها العلم و القدرة، فما يمنعهم من إثبات الخالق؟ فإنّ هذه صفته. و إن زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم و لا عمد، و كان في أفعالها ما قد تراه من الصواب و الحكمة، علم أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، و أنّ الذي سمّوه طبيعة هو سنّته في خلقه الجارية على ما أجراه عليه.

قال المظفّر: انظر إلى قول أهل الطبيعة فإنّهم جروا على نسق واحد من عهد الصادق عليه السلام إلى اليوم، و كأنّهم لم يتعقّلوا هذا الجواب

القاطع لحجتهم أو أغضوا عنه إصرارًا على العناد و الجحود.

إن الإمام عليه السلام حصر الطبيعة بين اثنين لا ثالث لهما، و ذلك لأنّها إمّا تكون ذات علم و حكمة و قدرة، أو تكون خالية عن ذلك كلّه. فإن كان الأوّل فهي ما نثبته للخالق، و لا فارق إذن بيننا و بينهم إلّا التسمية. و إن كان الثاني كان اللازم أن تكون آثارها مضطربة لا تقدير فيها و لا تدبير، شأن من لا يعقل و يبصر و يسمع في أفعاله، و لكنّا نشاهد الآثار مبنيّة على العلم، و الحكمة، و القدرة، و التقدير. فلا تكون إذن من فعل الطبيعة العمياء الصمّاء، و كانت الطبيعة غير الله العالم القادر المدبّر، و لا تكون الطبيعة إذن إلّا سنّة في خلقه، لا شيء آخر له كيان مستقلّ عن خالق الكون.

ثمّ إن الإمام عليه السلام عاد إلى كلامه الأوّل، فتكلّم عن وصول الغذاء إلى البدن و كيفيّة انتقال صفوه من المعدة إلى الكبد في عروق رقاق و أشجة بينها قد جعلت كالمصفى للغذاء، ثمّ صيرورته دمًا و نفوذه إلى البدن

كلّه في مجارٍ مهيّأة لذلك، ثمّ كيفيّة تقسيمه في البدن و بروز الفضلة منه. فكأنّما الإمام كان الطبيب النّاطسيّ الذي لم يماثله أحد في الطبّ، و العالِم الماهر في التشريح الذي قضى عمره في عمليّة التشريح، بل كشف الإمام في هذا البيان **الدورة الدمويّة** التي يتغنّى الغربيّون باكتشافها. و قد سبقهم إليها بما يقارب اثني عشر قرناً.[1] ثمّ ساق كلامه إلى نشوء الأبدان و نموّها حالاً بعد حال، و ما شرّف الله به الإنسان من الميزة في الخلقة على البهائم، ثمّ استطرد الكلام إلى الحواسّ

---

[1] لفظ الإمام الصادق عليه السلام: ثمّ إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً و ينفذ إلى البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك، بمنزلة المجاري التي تهيّأ للماء و ينفذ إلى البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك، بمنزلة المجاري التي تهيّأ للماء و ينفذ إلى الأرض كلّها. و ينفذ ما يخرج من الخبث و الفضول إلى حتى يطرد في الأرض كلّها. و ينفذ ما يخرج من الخبث و الفضول إلى مفائض قد اعدّت لذلك - ... إلى آخره.

من الحريّ بالعلم أنّ في كلامه عليه السلام نقاطاً تُميط اللثام عن الدورة الدمويّة التي اكتشفها العالِم الإنجليزيّ وليم هارفي William Harvey (وُلد سنة ١٥٧٨ م و توفّي سنة ١٧٥٦ م). لقد تحدّث الإمام عليه السلام هنا مفصّلاً عن دوران الدم في الشرايين و الأوردة التي يكون القلب مركزها. لهذا يتسنّى لنا أن نقول بجرأة: إن أوّل مكتشفٍ للدورة الدمويّة هو الإمام عليه السلام. و كان الأطبّاء جميعهم يعتقدون أنّ توزيع الدم في الجسم يجري بصورة الشَّجَر و أغصانه و أوراقه. و أنّ الدم في هذه الأوردة الكبيرة و الصغيرة حتى العروق الشعريّة ثابت غير متحرّك. و الإمام الصادق عليه السلام ببيانه هذا قد وضّح و شرح بأنّ شجريّة الدم غير صحيحة، بل الصحيح هو دوران الدم. (نقلنا كلام الإمام عن «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٦٨).

التي خصّ الله بها الإنسان و فوائد جعلها على الجنو
الموجود، و اختصاص كلّ منها بأثر لا تؤدّيه الثانية.

و هكذا يفيض في بيانه عن الأعضاء المفردة و
المزدوجة و الأسباب التي من أجلها جعلها على هذا
التركيب. إلى أن يطّرد في بيانه عمّا منحه الجليل من
النِّعَم في المطعم و المشرب، و ما جعل فيه من التمايز
في الخلقة حتى لا يشبه أحد الآخر.

إلى أن يقول عليه السلام: لو رأيتَ تمثال الإنسان
مصوّراً على حائط فقال لك قائل: إنّ هذا ظهر هاهنا من
تلقاء نفسه لم يصنعه صانع، أ كنتَ تقبل ذلك؟ بل كنت
تستهزئ به، فكيف تنكر هذا في تمثال مصوّر جماد، و
لا تنكر في الإنسان الحيّ الناطق؟!

قال المظفّر: ما أقواها حجّةً، و أسماه بياناً، و إنّ كلّ
ناظرٍ فيه من أهل كلّ قرن يكاد أن يقول: إنّه أتى به أهل
زمانه و قرنه في الحجّة و الاستدلال بما يجده من ملاءمة
البيان و البرهان.

ثمّ إنّه في اليوم الثاني أورد على المفضّل الفصل الثاني، و هو في خلقة الحيوان، فقال عليه السلام: أبتدئ لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضح لك من غيره. فكّر في أبنية أبدان الحيوان و تهيئتها على ما هي عليه، فلا هي صلاب كالحجارة، و لو كانت كذلك لا تنثني و لا تتصرّف في الأعمال، و لا هي على غاية اللين و الرخاوة، فكانت لا تتحامل و لا تستقلّ بأنفسها، فجُعلت من لحم رخو ينثني تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب و عروق تشدّه و تضمّ بعضه إلى بعض، و غُلّفت فوق ذلك بجلدٍ يشتمل على البدن كلّه.

و من أشباه ذلك هذه التماثيل التي تُعمل من العيدان، و تلفّ بالخرق، و تشدّ بالخيوط، و يطلى فوق ذلك بالصمغ، فتكون العيدان بمنزلة العظام، و الخرق بمنزلة اللحم، و الخيوط بمنزلة العصب و العروق، و الطلاء بمنزلة الجلد. فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حدث بالإهمال من غير صانع، جاز أن يكون

ذلك في هذه التماثيل الميّتة. فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحريّ ألّا يجوز في الحيوان.

و فكّر بعد هذا في أجساد الأنعام فإنّها خُلِقَتْ على أبدان الإنسان من اللحم و العظم و العصب، أعطيت أيضاً السمع و البصر، ليبلغ الإنسان حاجاته منها. و لو كانت عمياً صمّاً لما انتفع بها الإنسان، و لا تصرّفت في شيء من مآربه. ثمّ منعت الذهن و العقل لتذلّ للإنسان، فلا تمتنع عليه إذا كدّها الكدّ الشديد، و حمّلها الحمل الثقيل.

فإن قال قائل: إنّه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلّون و يذعنون بالكدّ الشديد، و هم مع ذلك غير عديمي العقل و الذهن. فيقال في جواب ذلك: إن هذا الصنف من الناس قليل. فأمّا أكثر البشر، فلا يذعنون بما

تذعن به الدوابّ من الحمل و الطحن و ما أشبه ذلك،

و لا يقومون بما يحتاجون إليه منه. ثمّ لو كان الناس

يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن

سائر الأعمال، لأنّه كان يحتاج مكان الجمل الواحد و

البغل الواحد إلى عدّة أناسي. فكان هذا العمل يستفرغ

الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من

الصنعات، مع ما يلحقه من التعب الفادح في أبدانهم و

الضيق و الكدّ في معاشهم.

ثمّ إنّه عليه السلام أخذ يذكر المميّزات لكلّ نوع من

الأنواع الثلاثة للحيوان و هي: الإنسان، و آكلات

اللحوم، و آكلات النبات، و ما يقتضي كلّ نوع منها

حاجته من كيفيّة الأعضاء و الجوارح، فيأتيك بلطائف

الحكمة، و بدائع القدرة، و محاسن الطبيعة.

و يدلّك على الحكمة في جعل العينين في وجه الدابّة

شاخصتين، و الفم مشقوقاً شقّاً في أسفل الخطم، و لم

يجعل كفم الإنسان، إلى غير ذلك من خصوصيّات

الأعضاء و الجوارح.

و يرشدك إلى اللفتة في بعضها اهتداءً لمصلحته

كامتناع الأيّل[1] الآكل للحيّات عن شرب الماء، لأنّ شرب الماء يقتله و استلقاء الثعلب على ظهره و نفخ بطنه إذا جاع، حتى تحسبه الطير ميّتاً فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها، إلى غير ذلك من الحيوانات، فيقول الصادق عليه السلام: من

جعل هذه الحيلة طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة؟!

ثمّ إنّه عليه السلام تعرّض في كلامه للذرّة، و النملة، و الليث و تسميه العامّة أسد الذباب، و تام خلقة الذرّة و الليث و تسميه العامّة أسد الذباب، و تام خلقة الذرّة، مع صغر حجمها، و النملة و ما تهتدي إليه لاقتناء قوتها، و الليث و ما يهتدي إليه في اصطياد الذباب، ثمّ يقول: فانظر إلى هذه الدويبة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه

---

[1] هذا الحيوان كما جاء في الرواية هو الأيِّل بفتح الهمزة و تشديد الياء و جمعه أيايل. و يشبهه حيوان من ذوات الظلف، لذكره قرون متشعّبة غير مجوّفة، و ليس لُأنثاه قرون. في رواية المفضّل يقول الإمام عليه السلام: فإنّ الأيّل يأكل الحيّات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدبّ السمّ في جسمه فيقتله. و يقف على الغدير و هو مجهود عطشاً، فيعجّ عجيجاً عالياً و لا يشرب منه، و لو شرب لمات من ساعته. («بحار الأنوار» ج ٣، ص ١٠٠).

الإنسان إلّا بالحيلة و استعمال الآلات فلا تزدر بالشيء الإذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرّة و النملة و ما أشبه ذلك، فإنّ المعنى النفيس قد يتمثّل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك، كما لا يضع من الدينار و هو ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

ثمّ إنّه عليه السلام استطرد ذكر الطائر و كيف خفّف جسمه و أدمج خلقه و جعل له جؤجؤاً ليسهل عليه أن يخرق الهواء إلى غير ذلك من خصوصيّات خلقته، و الحكمة في خلق تلك الخصوصيّات. و هكذا يستطرد الحكمة في خصوصيّات خلقة الدجاجة، ثمّ العصفور، ثمّ الخفّاش، ثمّ النحل، ثمّ الجراد، و غيرها من صغار الطيور، و ما جعله الله فيها من الطبائع، و الفطن، و الهداية لطلب الرزق، و ما سوى ذلك ممّا فيها من بدائع الخلقة.

ثمّ استعرض خلق السمك و مشاكلته للأمر الذي قدّر أن يكون عليه. ثمّ قيل له عليه السلام: فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق و قصر علم المخلوقين، فانظر إلى ما

في البحار من ضروب السمك و دوابّ الماء و الأصداف و الأصناف التي لا تُحصى و لا تُعرف منافعها إلّا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث ... إلى آخر كلامه، وبه انتهى هذا الفصل.

قال المظفّر: ليس العجب من خالق أمثال هذه الذرّة و الدودة و أصناف الأسماك الغريبة التي اختلفت أشكالها، وتنوّعت الحكمة فيها،

و ليس العجب ممّن يهتدي إلى الحكمة في كلّ واحد من تلك المصنوعات بعد وجودها و تكوينها، و إنّما العجب ممّن ينكر فاطر السماوات و الأرضين و ما فيهنّ و بينهنّ مع إتقان الصنعة، و إحكام الخلقة، و بداعة التركيب. و لو نظر الجاحد إلى نفسه مع غريب الصنع و تمام الخلق لكان أكبر برهان على الوجود و وحدانيّة الموجود.

٣ - عجائب الخلقة في السماوات و الكرات السماويّة

ثمّ بكّر المفضّل في اليوم الثالث، فقال له الصادق عليه السلام: قد شرحت لك يا مفضّل خلق الإنسان و ما دبّر به، و تنقّله في أحواله، و ما فيه من الاعتبار، و شرحت لك أمر الحيوان. و أنا أبتدئ الآن بذكر السماء، و الشمس، و القمر، و النجوم، و الفلك، و الليل، و النهار، و الحرّ، و البرد، و الرياح، و المطر، و الصخر، و الجبال، و الطين، و الحجارة، و المعادن، و النبات، و النخل، و الشجر، و ما في ذلك من الأدلّة و العبر.

فكّر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير، فإنّ هذا اللون أشدّ الألوان موافقة وتقوية للبصر، حتى أنّ من وصفات الأطبّاء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضرة، وما قرب منها إلى السواد. وقد وصف الحذّاق منهم لمن كلّ بصره الاطّلاع في إجّانة خضراء مملوءة ماءً. فانظر كيف جعل الله جلّ وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد، ليمسك الأبصار المنقلبة عليه، فلا تنكأ فيها بطول مباشرتها له، فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والرويّة والتجارب يوجد مفروغاً عنه في الخلقة، حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون، ويفكّر فيها الملحدون قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ.[1]

فكّر يا مفضّل في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي الليل والنهار. فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كلّه، فلم يكن الناس يسعون في معايشهم، وينصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكن يتهنّؤون بالعيش

[1] المنافقون: ٦٣؛ و الآية ٤، من السورة ٩: التوبة؛ و الآية ٣٠، من السورة

مع فقدهم لذّة النور و روحه. و الأرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره، و الزيادة في شرحه. بل تأمّل المنفعة في غروبها. فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء و الراحة لسكون أبدانهم، و جموم حواسّهم، و انبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثمّ كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل و مطاولته على ما يعظم ذكاته في أبدانهم. فإنّ كثيراً من الناس لو لا جثوم هذا الليل المظلم عليهم لم يكن لهم هدوء و لا قرار حرصاً على الكسب و الجمع و الادّخار.

ثمّ كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس ضياءها، و تحمي كلّ ما عليها من حيوان و نبات. فقدّرها الله و دبّرها بحكمته و تدبيره، تطلع وقتاً و تغرب وقتاً، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثمّ يغيب عنهم تارة ليهدأوا و يقرّوا، فصار النور و الظلمة مع مثل ذلك يهدأوا و يقرّوا، فصار النور و الظلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه.

إلى أن يقول عليه السلام في آخر هذا الفصل: فكّر في هذه العقاقير وما خصّ بها كلّ واحد منها من العمل في بعض الأدواء. فهذا يغور في الفصل فيستخرج الفضول مثل الشيطرج، وهذا ينزف المرّة السوداء مثل الأفتيمون، وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج، وهذا يحلّل الأورام وأشباه هذا من أفعالها. فمن جعل هذه القوى فيها إلّا من خلقها للمنفعة؟! ومن فطن الناس بها إلّا من جعل هذا فيها؟!

إلى أن يقول: واعلم أنّه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته، بل

هما قيمتان مختلفتان بسوقين. و ربّما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم. فلا تستصغر قيمته. فلو فطن طالب الكيمياء لما في العذرة لاشتراها بأنفس الأثمان و غالى بها.

٤ - حكمة الآفات و الأضرار التكوينيّة

ثمّ إنّ المفضّل بكّر إليه في اليوم الرابع، فقال له الصادق عليه السلام: يا مفضّل! قد شرحتُ لك من الأدلّة على الخلق و الشواهد على صواب التدبير و العمد في الإنسان، و الحيوان، و النبات، و الشجر، و غير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر!

و أنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتّخذها الناس من الجهّال ذريعة إلى جحود الخالق و الخلق و العمد و التدبير، و ما أكثرت المعطّلة و المانويّة[1] من المكاره و المصائب، و ما أكثروه من

---

[1] المعطّلة كما عرّفهم الإمام عليه السلام في كلامه هنا هم بعض الملاحدة الذين اموا أن يدركوا بالحسّ ما لا يدرك بالعقل. فلمّا أعوزهم ذلك، خرجوا إلى الجحود و التكذيب، فقالوا: و لِمَ لا يدرك بالعقل؟ قيل: لأنّه فوق مرتبة العقل، كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته. فإنّك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أنّ اموا رمياً رمى به. فليس هذا العلم من قبل البصر، بل من قبل العقل، لأنّ العقل هو الذي يميّزه، فيعلم أنّ الحجر لا يذهب علوّاً من تلقاء نفسه. أ فلا ترى كيف وقف البصر على حدّه، فلم يتجاوزه. فكذلك يقف العقل

الموت و الفناء، و ما قاله أصحاب الطبائع، و من ذلك يتّضح زعم أنّ كون الأشياء بالعرض و الاتّفاق و الطبيعة، و قولهم الرّدّ عليهم، قاتلهم الله أنّى يؤفكون[1].

و من اتّخذ ناساً من الجهّال هذه الآفات المحدثة في بعض الأزمان كمثل الماء و الهواء و البرد و الجراد و غيرها إلى حدود الخلق و التدبير و الخالق. فيقال في جواب ذلك: إنّه إن لم يكن خالق و مدبّر، فلا يكون ما هو أكثر و أعظم من هذا و ذاك أن تسقط السماء على الأرض، و تهوي الأرض فتذهب سفلاً، و تتخلّ

على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه، و لكن يعقله بعقل أقرّ أنّ فيه نفساً و لم يعاينها، و لم يدركها بحاسّة من الحواسّ. و على حسب هذا أيضاً أنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، و لا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته - انتهى كلام الإمام («توحيد المفضّل» ص ١١٧ و ١١٨، طبعة بيروت، مؤسّسة الوفاء، الطبعة الثانية).

و قال الشيخ كاظم المظفّر في تعليقه على هذه الطبعة، ص ١٠ و ١١: المانويّة هم أصحاب الحكيم الفارسيّ ماني بن فاتك الذي ظهر في أيّام سابور ثاني ملوك الدولة الساسانيّة. و مذهبه مزيج من المجوسيّة و النصرانيّة. و قد تبعه في معتقده خلق كثير، و بقي قسم كبير منهم في الدور العبّاسيّ الأوّل ثمّ تسرّبت آراؤه إلى اوروبّا و بقيّة الأقطار الآسيويّة. و ماني هذا كان راهباً بحرّان. ولد حوالي سنة ٢١٥ م و قتله بعدئذٍ بهرام بن هرمز (انظر في ذلك: «الملل و النحل» للشهرستانيّ، ج ٢، ص ٨١؛ و «مروج الذهب» ج ١، ص ١٥٥؛ و «الفهرست» ص ٤٥٦؛ و «معرّب الشاهنامه» ج ٢، ص ٧١؛ و «الفرق بين الفرق» ص ١٦٢ و ٢٠٧؛ و «الآثار الباقية» للبيرونيّ، ص ٢٠٧؛ و «تاريخ الفكر العربيّ» لإسماعيل مظهر، ص ٣٩؛ و «حرّيّة الفكر» لسلامة موسى، ص ٥٥).

[1] المؤمنون: ٦٣؛ الروم: ٤٠، الأنبياء: ٣٠، العنكبوت: ٩.

الشمس عن الطلوع أصلًا، و تجفّ الأنهار و العيون حتى لا يوجد ماء للشفة، و تركد الريح حتى تخمّ الأشياء و تفسد، و يفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها!

آفات التكوينيّة لتأديب البشر

ثمّ هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء و الجراد و ما أشبه ذلك، ما بالها لا تدوم و تمتدّ حتى تجتاح كلّ ما في العالم، بل تحدث في الأحايين، ثمّ لا تلبث أن ترفع؟! أفلا ترى أنّ العالم يصان و يحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره، و يلدغ أحيانًا بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس و تقويمهم، ثمّ لا تدوم هذه الآفات، بل

تكشف عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظة، وكشفها عنهم رحمة؟!

وقد أنكرت المُعْطِّلة ما أنكرت المانَوِيَّة من المكاره والمصائب التي تصيب الناس، فكلاهما يقول: إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم، لَمْ يحدث فيه هذه الأمور المكروهة؟! والقائل بهذا القول يذهب به إلى أنّه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كلّ كدر. ولو كان هكذا كان الإنسان يخرج من الأشرّ والعتوّ إلى ما لا يصلح في دين ولا دنيا، كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه، حتى أنّ أحدهم ينسى أنّه بشراً وأنّه مربوب وأنّ ضرراً يمسّه أو أنّ مكروهاً ينزل به، أو أنّه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً، أو يواسي فقيراً، أو يرثي لمبتلي، أو يتحنّن على مضعوف، أو يتعطّف على مكروب.

فإذا واجهته المكاره وأحسّ بمرارتها اتّعظ وأبصر كثيراً مما كان عنه جاهلاً وغافلاً، ورجع إلى كثير مما كان يجب عليه. والمنكرون لهذه الأدوية المؤذية بمنزلة

و ،ةعشبلا ةرّمزلا ةيودلأا نوّمذيّ نذلا نايبصلا نوطّخستي و ،ةرازضلا ةمعطلأا نم مهعنلم نوكرّهو ،ةلطابلا و وهّللا اوغرّفتي نأ نوّبحي و ،لعلا و بدلأا ىلإ مهيّدؤت امك نوفرعي لا و ،مشر و معطم ةمعطلأا مهبقعت امو ،ةعادلا و وشنلا ةلطابلا نم سوءذيّ ةلذلا ةرازضلا نم آلالم و أسقام، و مامهف ي أدبلا ك لذب إن شاو ،ي فو أدوية من لملعفة، و إن شاب لذك من لصلاح، و ف ي

قال الظفرّ: و على هذا و مثله مثّل الصادق عليه السلام أقوال اولئك الملحدين في شأن آلافات و أجاب عنها ببيّر البرهان، إلى أن انتهى في البيان إلى ذات الخالق تعالى في شبه الملحدين، فقال: و إنّه كيف يكلّف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف و لا يحيط به؟

فيقول في الجواب: إنّما كلّف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه و هو أن يوقنوا به و يقفوا عند أمره و نهيه، و لم يكلّفوا الإحاطة بصفته، كما أنّ الملك لا يكلّف رعيّته أن يعلموا أطويل هو أم قصير، أبيض هو أم

أفلاطون بعد أن خلّفه على دار التعليم عند غيبته إلى صقليّة. نظر في الفلسفة بعد أن أتى عليه من العمر ٣٠ عاماً.

كان بليغ اليونانيّين و أجلّ علمائهم، كما كان من ذوي الأفكار العاليّة في الفلسفة، و يعرف بالمعلّم الأوّل، لأنّه أوّل من جمع علم المنطق و رتّبه و اخترع فيه. وقد عظم محلّه عند الملوك حتى أنّ الإسكندر الأكبر كان يمضي الامور عن رأيه. عاش سبعاً وستّين سنة، بعد أن توفّي في خلكيس عام ٣٢٢ ق. م، و له كتب كثيرة في مختلف العلوم.

أسمر. و إنّما يكلّفهم الإذعان بسلطانه و الانتهاء إلى أمره. أ لا ترى أنّ رجلًا لو أتى إلى باب الملك، فقال: اعرض عليّ نفسك حتى أتقصّى معرفتك، و إلّا لم أسمع لك، كان قد أحلّ نفسه العقوبة. فكذا القائل إنّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرّض لسخطه.

قال الملظفّر: و على مثل هذا البديع من البيان، و الساطع من البرهان، أتمّ الصادق عليه السلام دروسه التي ألقاها على المفضّل بن عمر، فقال في آخر كلامه: يا مُفَضَّلُ! خُذْ ما أتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ، وَ آلائِهِ مِنَ الحامِدِينَ، وَ أوْلِيائِهِ مِنَ المُطيعِينَ. فقد شرحتُ لك من الأدلّة على الخلق و الشواهد على صواب التدبير و العمد قليلًا من كثير و جزءًا من كلّ، فتدبّره! و فكّر فيه! و اعتبر به!

يقول المفضّل: فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله.[1]

قال المظفّر: حقيق بأن يغتنم أرباب المعارف جلائل هذه الحِكَم كما اغتنمها المفضّل، فقد أوضح فيها أبو عبد الله من حِكَم الأسرار و أسرار الحِكَم ما خفي على الكثير علمه و صعب على الناس فهمه.

و هذه الدروس كما دلّتنا على الحكيم في صنائعه تعالى أرشدتنا إلى إحاطته عليه السلام بفلسفة الخلقة، بل تراه في هذه الدروس فيلسوفاً إلهيّاً، و عالماً كلاميّاً، و طبيباً نطاسيّاً، و محلّلاً كيمياويّاً، و مشرّحاً فنّيّاً، و فنّاناً في

---

[1] قال في الهامش: طُبع هذا التوحيد المعروف بـ «توحيد المفضّل» عدّة مرّات. و رواه في «بحار الأنوار» ٣/ ٥٧ إلى ٩٠. و كانت المطبعات كلّها غير خالية من الغلط المطبعيّ، فكان النقل عنه بعد التدبّر و التطبيق. و أصحّها طبعاً ما طُبع في المطبعة الحيدريّة في سنة ١٣٦٩ هـ. و الشواهد على نسبة هذا التوحيد إلى الصادق عليه السلام كثيرة، ليس هذا محلّ ذكرها.

و الزراعة و الغرس، و عالماً بما بين السماء و الأرض من مخلوقاته، و قادراً على التعبير عن أسرار الحكم في ذلك الخلق![1]

ذكر المجلسي رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» في آخر هذا الحديث بعد قول الإمام عليه السلام للمفضّل: فتدبّره! و فكّر فيه! و اعتبر به! أنّ المفضّل قال: يَا مَوْلَايَ أَقْوَى عَلَى ذَلِكَ وَ أَبْلُغُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَقَالَ: احْفَظْ مَشِيَّةَ اللهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَنْسَ!

فَخَرَرْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ فَلَمَّا أَفَقْتُ قَالَ: كَيْفَ تَرَى نَفْسَكَ؟ فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَغْنَيْتُ بِمَعُونَةِ مَوْلَايَ وَ تَأْيِيدِهِ عَنِ الْمُفَضَّلُ! فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ! أَقْرَأُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتُهُ، وَ صَارَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ كَأَنَّمَا أَقْرَأُ مِنْ أُمِّ الْقُرْآنِ وَ مِنَ الْحَمْدِ وَ الشُّكْرِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَ مَوْلَايَ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ! فَقَالَ عليه السلام: يَا مُفَضَّلُ! فَرِّغْ قَلْبَكَ وَ اجْمَعْ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِكَ وَ أَطْمِئْنِ نَفْسَكَ وَ اسْأَلْنِي عَمَّا شِئْتَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ

---

[1] ١٦٤، إلى ١٥٠، ج ١، ص «الإمام الصادق» للشيخ محمّد حسين المظفّر، مؤسّسة النشر الإسلامي.

نْ مِـمَا فِيهِمَا وَ مَا خَلَقَ اللهُ بَيْنَهُمَا وَ الأَرْضِ، وَ السَّمَاوَاتِ

عَجَائِبِ خَلْقِهِ وَ أَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ وَ صُفُوفِهِمْ وَ مَقَامَاتِهِمْ

وَ مَرَاتِبِهِمْ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَ سَائِرِ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ

وَ الإِنْسِ إِلَى الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى

حَتَّى يَكُونَ مَا عَيَّنْتُهُ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءٍ.

أَيُّهَا الْمَكْلُوءُ! فَأَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ إِذَا شِئْتَ فَـ

عُضْوٌ مَوْضِعُكَ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الزَّفِيرُ، وَ مَوْضِعُكَ مِنَ

الْمَاءِ مِنَ الصَّدَى! وَ لَا تَسْأَلَنَّ عَمَّا وَعَدْتُكَ حَتَّى أَذْكُرَ

لَكَ مِنْهُ!

قال المفضّل: فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله!

الخبر فيه تجرّد النفس النقطة و المجرّدات الأخري

قال المجلسيّ في آخر هذا الخبر: ثمّ اعلم أنّ بعض تلك الفقرات تومئ إلى تجرّد النفس، وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ حُجَجُهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

قال أستاذنا الأكرم مسامحة العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله تربته في تعليقه على كلام المجلسيّ: بل إلى وجود أمورٍ أخرى غير النفس مجرّدة كما يشعر به قوله عليه السلام: وَ كَذَلِكَ الأُمُورُ الرُّوحَانِيَّةُ اللَّطِيفَةُ. و منه يظهر أنّ وصف شيء بأنّه روحاني أو لطيف في الأخبار يُشعر بتجرّده. (ط)[1].

احتجاج الإمام الصادق عليه السلام مع الطبيب الهنديّ في التوحيد

إنّ ما ذكرناه هنا بحمد الله و منّه يدور حول الخبر المشهور بتوحيد المفضّل. و ما يأتي بعد يُوحَى حول ما رواه العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه عن المفضّل

---

[1] حار الأنوار» ج ٣، ص ١٥٠ و ١٥١. و من الحريّ بالعلم أنّ حديث المفضّل الذي ذكره المجلسيّ استوعب خمساً و تسعين صفحة من الجزء الثالث من «البحار» ص ٥٧ إلى ١٥١.

بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام في خبر

«الإهليلجة» التي كانت بيد طبيب هندي. قال:

الخبر المروي عن المفضّل بن عمر في التوحيد المشتهر بالإهليلجة[1]

حدّثني محرز بن سعيد النحوي بدمشق قال: حدّثني

محمّد بن أبي مسهر[2] بالرملة، عن أبيه، عن جدّه قال:

كتب المفضّل بن عمر الجعفي إلى

أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام

يُعلمه أنّ أقواماً ظهروا من أهل هذه الملّة يجحدون

الربوبيّة، ويجادلون على ذلك، ويسأله أن يردّ عليهم

قولهم، ويحتجّ عليهم فيما ادّعوا بحسب ما احتجّ به على

غيرهم. فكتب أبو عبد الله عليه السلام:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أمّا بعد؛ وفّقنا الله وإيّاك لطاعته! وأوجب لنا بذلك

رضوانه برحمته! وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في

---

[1] أشار المستشار عبد الحليم الجندي في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٢٨٦، إلى هذا الحديث في استعمال الإمام عليه السلام الجدل العلمي لتوعية الشكّاكين.

[2] وفي نسخة: محمّد بن أبي مشتهر.

تـرتكدقّيبوبرلابداحلإا لـهأ نـمٍوقـنمكلذ و ،انتّلم

ّدرلل عنصأ نأ لأستـ و .مهتموصخ تّدتشا و مهتّدعـ

تددرـما و ضقنلا و مهيلعـ فـي أيديهم كتاباً عـلى حنو

.فـلاتخلاا و عـبلا لـهأ نـم مهريغ عـلى

و نحن نحمد الله على النِّعَم السابغة، و الحجج البالغة، و البلاء المحمود عند الخاصّة و العامّة (النعمة التي يُثني عليها الخاصّة و العامّة و يرونها قريبة منّا هي العلم، أو النعمة التي تصل إلى الخاصّة و العامّة من ساحتنا).

فكان من معه الاعظام و آلائه الجسام التي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيّته، و أخذه ميثاقهم بمعرفته، و إنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الشبهات و الأمور. و لم يدع لهم لا شيء الخواطر و مشتهيات الأنفس، و استغنى عنهم، و هو إلى من سواه، من خلقه حاجة. وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً.[1]

[1] النساء: ٤ و قرأ ابن مسعود، ١٣١ من الآية.

و لعم ري ما تي الجهة لمن قبل ربّهم (و ما يصيبهم من جميع أقسام الضرر و الهلاك فهو من أنفسهم فحسب) و أنّهم يرون الدلالات الواضحات و العلامات البيّنات في خلقهم، و ما يعاينون من ملكوت السماوات

و الأرض، و الصنع العجيب المتقن الدالّ على الصانع، و لكنّهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي، و سهّلوا لها سبيل الشهوات، فغلبت الأهواء على قلوبهم، و استحوذ الشيطان بظلمهم عليهم، كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ.[1]

و العجب ممن مخلوق يزعم أنّ الله يخفى على عباده، و هو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله، و هو يرى تأليف يُبطل حجّته.[2] و لعمري لو تفكّروا في هذه الامور العظام لعاينوا من أمر التركيب البيّن، و لطف التدبير الظاهر، و وجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن، ثمّ تحوّلها من طبيعة إلى طبيعة، و صنعة بعد صنعة ما يدلّهم ذلك على الصانع فإنّه لا يخلو شيء منها من أن

---

[1] و كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ. في الآية ٧٤ من السورة ١٠: يونس. يستبين من هذا أنّ كلام الإمام عليه السلام بصيغة الغائب اقتباس من الآية المباركة، لا ذكرها نصّاً.

[2] و في نسخة: و تأليف يبطل جحوده.

ً، يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدلّ على أنّ له خالقا ً مدبّرا
وتأليف تدبير يهدي إلى واحد حكيم.[1]

أجل، هذا الحديث مفصّل أيضا ً، وهو دلالة تامّة على حجيّة العقل. ولمّا كان ذكره بحذافيره لا يناسب الشيخ ً بالشيخ كتابنا هذا، لذا نكتفي هنا بذكر صدره تأسيّا العلّامة المظفّر رحمة الله عليه. قال في كتاب «الإمام الصادق» الإهليلجة.

سُمّي هذا التوحيد بالإهليلجة لأنّ الصادق عليه السلام كان منا ظرا ً فيه لطبيب هندي في إهليلجة كانت بيد الطبيب. وذلك أنّ المفضّل بن عمر كتب إلى الصادق عليه السلام يخبره أنّ قواما ً ظهروا من أهل هذه الملّة

[1]. بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٥٢ و ١٥٣.

يجحدون الربوبيّة ويجادلون على ذلك، ويسأله أن يردّ عليهم قولهم ويحتجّ عليهم فيما ادّعوا بحسب ما احتجّ به على غيرهم.

فكتب إليه الصادق عليه السلام فيما كتب: وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتاباً كنت انازعتُ فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار. وذلك أنّه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند، وكان لا يزال ينازعني في رأيه ويجادلني عن ضلالته. فبينا هو يوماً يدقّ إهليلجة ليخلطها دواءً احتجت إليه من أدويته إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادّعائه أنّ الديانات لم تزل ولا تزال شجرة تنبت وأخرى تسقط، ونفس تولد وأخرى تتلف. وزعم أنّ انتحالي المعرفة لله دعوى لا بيّنة عليها ولا حجّة لي فيها، وأنّ ذلك أمر أخذه الآخر عن الأوّل والأصغر عن الأكبر، وأنّ الأشياء المختلفة والمؤتلفة والباطنة والظاهرة إنّما تعرف بالحواسّ الخمس: النظر، والسمع، والشمّ، والذوق، واللمس. ثمّ قاد منطقه على الأصل الذي وضعه، فقال: لم يقع شيء

من حواسّي على خالق يؤدّي إلى قلبي فلا أستطيع أن أقرّ بالخالق)إنكاراً لله تعالى.

عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود

ثمّ قال: أخبرني بما تحتجّ في معرفة ربّك الذي تصف قدرته و ربوبيّته. و إنّما يعرف القلب الأشياء كلّها بالدلالات التي وصفت لك؟ قلتُ: بالعقل الذي في قلبي، و الدليل الذي أحتجّ في معرفته! قال: فإنّي يكون ما تقول و أنت تعرف أنّ القلب لا يعرف شيئاً بغير الحواسّ؟! و هل عاينت ربّك ببصر، أو سمعتَ صوته بأذُن أو شممته بنسيم، أو ذقته بفم، أو مسسته بيَدٍ، فأدّى ذلك المعرفة إلى قلبك؟!

قلتُ: أ رأيت إذا أنكرت الله و جحدته ألا تّك زعمت أنّك لا تحسّ بحواسّك التي تعرف بها الأشياء و أقررتُ أنا به، هل من بدّ أن يكون أحدنا صادقاً، و الآخر كاذباً؟!

قال: لا.

قلتُ: أ رأيت إن كان القول قولك، فهل تخاف عليّ شيئاً ممّا تخوّفك به من عقاب الله؟

قال: لا!

قلتُ: أ فرأيت إن كان كما أقول و الحقّ في يدي، أ لستَ قد أخذتَ فيما كنتُ احاذر من عقاب الله بالثقة، و أنّك قد وقعتَ بجحودك و إنكارك في الهلكة؟!

قال: بلى!

قلتُ: فأيّنا أولى بالحزم و أقرب من النجاة؟!

قال: أنت! إلّا أنّك من أمرك على ادّعاء و شبهة، و أنا على يقين و ثقة، لأنّي لا أرى حواسّي الخمس أدْرَكَتْهُ و ما لم تدركه حواسّي فليس عندي بموجود!

قلتُ: إنّما عجزت حواسّك عن إدراك الله أكثر، و أنا إنّما عجزت حواسّي عن إدراك الله اصدّقت به! قال: و كيف ذلك؟!

قلتُ: لأنّ كلّ شيء جرى فيه أثر التركيب لجسم، أو وقع عليه بصر للون. فما أدركته الأبصار و نالته

الحواسّ فهو غير الله سبحانه، لأنّه لا يشبه الخلق و لا يشبهه الخلق، و أنّ هذا الخلق يتنقل بتغيير و زوال، و كلّ شيء أشبه التغيير و الزوال فهو مثله، وَ لَيْسَ الْمَخْلُوقُ كَالْخَالِقِ وَ لَا الْمُحْدَثُ كَالْمُحْدِثِ.

ثمّ إنّ الصادق عليه السلام قال: قلتُ له: أخبرني هل أحطتَ بالجهات كلّها و بلغتَ منتهاها؟ قال: لا؟ قلتُ: فهل رقيت إلى السماء التي ترى، أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلتَ في أقطارها؟! أو هل خضتَ في غمرات البحور، و اخترقتَ نواحي الهواء فيما فوق السماء أو تحتها إلى

الأرض وما أسفل منها فوجدت ذلك خلاءً من مدبّر حكيم عالم بصير؟!

قال: لا!

قلتُ: فما يدريك لعلّ الذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تدركه حواسّك ولم يُحط به علمك!

قال: لا أدري! لعلّ في بعض ما ذكرت مدبّراً، وما أدري لعلّه ليس في شيءٍ من ذلك!

قال الملطفّر: ربّما يتوهّم بأنّ في كلام الصادق هذا إشعاراً بالتجسيم، لأنّه جوّز أن يكون في جهة معيّنة، وهو من شئون الجسم، ولكن ذلك كان منه إنكاراً على الطبيب الذي يريد أن يستدلّ على عدم الوجود بعدم الوجدان، وإنّما أراد الصادق أن يكذِّب دعواه بعدم الوجدان، فيورد عليه احتمال وجوده في جهة لم يصل إليها الطبيب، وأنّ احتمال وجوده في جهةٍ كافٍ في ردّ دعواه بعدم الوجدان. وهذا من باب الإلزام للخصم وإبطال حجّته، لا من باب إثبات وجوده في جهة. وقد

سبق من كلامه إنكار إدراكه بالحواسّ، و المثبت في جهة خاصّة مدرك بالحواسّ.

ثمّ قال الصادق عليه السلام: قلتُ: أما إذ خرجتَ من حدّ الإنكار إلى منزلة الشكّ فإنّي أرجو أن تخرج إلى المعرفة!

قال: فإنّما دخل عَلَيّ الشكّ لسؤالك إيّاي عمّا لم يُحط به علمي، و لكن من أين يدخل عَلَيّ اليقين بما لم تدركه حواسّي؟!

قلتُ: من قِبَل الهليلجتك هذه! قال: ذاك إذن أثبت للحجّة، لأنّها من آداب الطبّ الذي اعتنى بمعرفته![1]

شرح الإمام الصادق عليه السلام للهليلجة و إقرار المخالف

ثمّ إن الصادق عليه السلام صار يلقي عليه الأسئلة عمّا يخصّ الإهليلجة من كيفيّة صنعتها، و من وجود أمثالها في الدنيا، و الطيب بدواعي في الجواب حذراً من الالتزام بالصنعة الدالّة على الصانع، إلى أن ألزمه بما

[1] قال في هامش ص ١٥٥ من الجزء الثالث من «بحار الأنوار»: و في نسخة: لأنّها من أداة الطبّ الذي أدّعي معرفته. أي: جاءت كلمة «أدّعي» مكان كلمة «اذعن».

لا يجد محيصاً من الاعتراف به، وهو أنّها خرجت من شجرة.

ثمّ قال الصادق عليه السلام:

أَ رَأَيْتَ الإِهْلِيلَجَةَ قَبْلَ أَنْ تَعْقِدَ؟! إِذْ هِيَ فِي قِمِعِهَا[1] مَاءٌ بِغَيْرِ وَاءٍ، وَ لَا لَحْمٍ، وَ لَا قِشْرٍ، وَ لَا لَوْنٍ، وَ لَا طَعْمٍ، وَ لَا شِدَّةٍ؟!

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُلْتُ لَهُ: أَ رَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَزْقُقِ[2] الْخَالِقُ ذَلِكَ الْمَاءَ الضَّعِيفَ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْخَرْدَلَةِ

---

[1] قوله: قال المجلسيّ في شرح هذه العبارة (بحار الأنوار» ج ٣، ص ١٥٩): قوله عليه السلام: في قمعها. قال الفيروزآباديّ: القَمَع محرّكة: بثرة تخرج في اصول الأشفار، وقال: القَمَع بالفتح و الكسر، وكعنب: ما التزق بأسفل القمرة و البسرة و نحوهما - انتهى. و على التقديرين استُعير لما يبدو من الإهليلجة ابتداءً في شجرها من القشرة الرقيقة الصغيرة التي فيها ماء. و الأوّل أبلغ.

قوله عليه السلام: غير مجموع بجسم ... أي: هل كان يزيد بغير أن يُضمّ إليه جسم آخر من خارج، أو قمع آخر مثله، أو بغير قمعه. أي: قلعه و تفصيله - أي: تفريقه - ليدخل فيه شيء أو يضمّ إلى شيء.

[2] في النسخة المطبوعة من كتاب الملفوظ: «لو لم يرقق» بالقاف. و لكن في بحار الأنوار» بالفاء. و هو أصحّ، لأنّ الرفق بمعنى المعاونة و المساعدة، وهو أشبه.

وَ فِي القِلَّةِ وَ الذِّلَّةِ، وَ لَمْ يُقَوِّهِ بِقُوَّتِهِ، وَ يُصَوِّرْهُ بِحِكْمَتِهِ وَ يُقَدِّرْهُ بِقُدْرَتِهِ، هَلْ كَانَ ذَلِكَ الماءُ يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي قَعِرِهِ غَيْرَ مَجْمُوعٍ بِجِسْمٍ وَ لَا قَمِعٍ وَ تَفْصِيلٍ؟!

فَإِنْ زَادَ زَادَ ماءً مُتَرَاكِباً غَيْرَ مُصَوَّرٍ، وَ لَا مُخَطَّطٍ، وَ لَا مُدَبَّرٍ بِزِيَادَةِ أَجْزَاءٍ وَ لَا تَأْلِيفِ أَطْبَاقٍ؟!

و قال: أريتني من تصوير شجرتها و تأليف خلقتها أوضح لمحل ثمرتها و زيادة أجزائها و تفصيل تركيبها أوضح للادلالات و أظهر البيّنات على معرفة الصانع. و لقد صدقت بأنّ الأشياء مصنوعة، و لكنّي لا أدري لعلّ الإهليلجة و الأشياء صنعت نفسها.

ثمّ إن الصادق عليه السلام أثبت له أنّها مصنوعة لغيرها، لسبقها بالعدم[1]، و أن صنعتها تدلّ على أنّ صانعها حكيم عالم، إلى غير ذلك من البراهين.

ثمّ ما زال الصادق يساير ه في الكلام، و محور الكلام الإهليلجة، إلى أن أرغمه الدليل على الاعتراف بالصانع الواحد، بعد أن صار كلامها إلى اللجوج و المنجّمين.

---

[1] يواصل الإمام عليه السلام بحثه إلى أن يقول: ... و كيف صنعت [الإهليلجة] نفسها مفضولة مأكولة مرّة قبيحة المنظر لا بهاء لها و لا ماء؟ قال: لأنّها لم تقو إلّا على ما صنعت نفسها أو لم تصنع إلّا ما هويت. قلتُ: أمّا إذ أبيتَ إلّا التمادي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون أو بعد أن كانت؟ فإن زعمت أنّ الإهليلجة خلقت نفسها بعد ما كانت، فإنّ هذا لمن أبين المحال! كيف تكون موجودة مصنوعة ثمّ تصنع نفسها مرّة اخرى؟! فيصير كلامك إلى أنّها مصنوعة مرّتين؛ و لئن قلت: إنّها خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون، إن هذا من أوضح الباطل و أبين الكذب! لأنّها قبل أن تكون ليس بشيء، فكيف يخلق لا شيء شيئاً؟! و كيف تعيب قولي: إن شيئاً يصنع لا شيئاً، و لا تعيب قولك: إن لا شيء يصنع لا شيئاً؟! فانظر أيّ القولين أولى بالحقّ؟! («بحار الأنوار» ج ٣، ص ١٥٨).

ثمّ صار الصادق يدلي عليه بالبيان عن تلك العلامات على ذلك الصانع الواحد، و الدلالات على ذلك الحكيم القدير و العالم البصير من مصنوعاته من السماء، و الأرض، و الشجر، و النبات، و الأنعام، و غيرها، و كيفيّة دلالتها عليه. ثمّ أخذ في بيان صفاته من اللطف، و العلم، و القوّة،

و السمع، و البصر، و الرأفة، و الرحمة، و الإرادة.

كلام المرحوم المظفّر حول الإمام الصادق عليه السلام

قال المظفّر: و ما حداني على الإشارة إلى مواضع هذه الرسالة دون إيرادها إلّا رعاية الإيجاز، على أنّ هذه الرسالة جمعت فنونا من العلم إلى قوّة الحجّة و جودة البيان، و ما كان محور المناظرة فيها إلّا إهليلجة، و هي من أضعف المصنوعات، و أصغرها جرما و شأنا.[1]

و قال الشيخ المظفّر أيضا: تعرف المواهب الغزيرة من المقدرة في البيان، فبينا تجده يطنب في الدليل كما في توحيد المفضّل و غيره، إذ تراه يأتي بأوجز بيان في البرهان مع الوفاء بالقصد، و ذلك حين يُسأل عن الدليل على الخالق فيقول عليه السلام: مَا بِالنَّاسِ مِنْ حَاجَةٍ![2]

قال المظفّر: ما أوجزها كلمة، و أكبرها حجّة! فإنّا نجد الناس في حاجة مستمرّة في كلّ شأن من شئون

---

[1] ص، قدّس سرّه، «الإمام الصادق» للعلّامة الجليل الشيخ محمّد حسين المظفّر، ص ١٦٤ إلى ١٦٨، طبعة مؤسّسة النشر الإسلامي.

[2] لم أعثر عليه في «تحف العقول» و لا في «بحار الأنوار».

الحياة. و هذه الحاجة تدلّ على وجود مآل لهم في حوائجهم غنيّ عنهم بذاته، و أنّ ذلك المآل واحد. و إلّا لاختلف السير و النظام.[1]

و يسأله مرّة هشام بن الحكم بقوله: ما الدليل على أنّ الله تعالى واحد؟! فيقول عليه السلام: اتّصال التدبير، و تمام الصنع.[2]

---

[1] في كلام مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام مثل هذه الأدلّة الموجزة القاطعة. روى في «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٥٥، عن «جامع الأخبار». قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع، فقال: الدليل على الصنيع، و الشاهد على المصنوع، و القرآن على المنزل، و العقل على المحمول، و الآثار على المقدار، و الدلالة على الخالق، و في الفكرة على صحة الاعتبار، و في الاعتبار على موجبات الأمور، و في تصاريف الأمور على الحكمة، و في الحكمة على الدلالة، و في الدلالة على المعرفة، و في المعرفة على الإخلاص، و في الإخلاص على التوحيد، و في التوحيد على التطهير، و في التطهير على العبادة، و في العبادة على نيل الثواب، و في نيل الثواب على الزهادة في الدنيا، و في الزهادة في الدنيا على الرغبة في الآخرة، و في الرغبة في الآخرة على الخوف من النار، و في الخوف من النار على الشفقة، و في الشفقة على الطاعة، و في الطاعة على الجزاء، و في الجزاء على الشكر، و في الشكر على الرضا بالقليل، و في الرضا بالقليل على القناعة، و في القناعة على اليأس عن الناس، و في اليأس عن الناس على الغنى، و في الغنى على الحاجة إلى الله، و في الحاجة إلى الله على الإقبال على الله، و في الإقبال على الله على الإعراض عن الدنيا، و في الإعراض عن الدنيا على معرفة الدنيا، و في معرفة الدنيا على الزهد فيها، و في الزهد فيها على ترك الراحة، و في ترك الراحة على الاستعداد للموت، و في الاستعداد للموت على الخوف من الفوت، و في الخوف من الفوت على الحذر من الموت، و في الحذر من الموت على العمل الصالح، و في العمل الصالح على الخشية من الله، و في الخشية من الله على الخوف من العقاب، و في الخوف من العقاب على الرجاء، و في الرجاء على العمل بالطاعة، و في العمل بالطاعة على الإيمان، و في الإيمان على الهجرة، و في الهجرة على الجهاد، و في الجهاد على الصلاة، و في الصلاة على الزكاة، و في الزكاة على الصوم، و في الصوم على الحجّ، و في الحجّ على الاستطاعة، و في الاستطاعة على الفرائض، و في الفرائض على الفرق بين الحلال و الحرام، و في الفرق بين الحلال و الحرام على الورع، و في الورع على العلم، و في العلم على الفهم، و في الفهم على العقل، و في العقل على المعرفة بالله، و في المعرفة بالله على التوحيد، و في التوحيد على الإخلاص، و في الإخلاص

قال المظفّر: إنّ كلّ واحدة من هاتين المقدّمتين تصلح لأن تكون دليلًا برأسه، و ذلك لأنّ اتّصال التدبير شاهد على وحدانيّة المدبِّر، إذ لو كان اثنين أو أكثر لكان الخلاف بينهما سببًا لحدوث فترة أو تضارب، فلا يكون التدبير متّصلًا و التقدير دائمًا. كما أنّ تمام الصنعة في الخلقة دائمًا شاهد آخر على الوحدانيّة، لأنّ استمرار الاتّفاق في الاثنين مع التكافؤ في كلّ شأن لا يكون أبدًا، كما نشاهده في الذين يديرون دولاب البلاد. فإن حصل اختلاف و لو برهة، فسد المخلوق، فأين تمام الصنع؟ فالتمام دليل الوحدة أيضًا.[1]

دروس الإمام الصادق عليه السلام في العلوم المختلفة

دروس الإمام الصادق عليه السلام في: الكلام، الفلسفة، الحكمة، الطبّ، الكيمياء، الصيدلة، و جميع العلوم الطبيعيّة من المعدن، النبات، الحيوان، الإنسان، التنجيم، و غير ذلك

---

[1]. «الإمام الصادق» للمظفّر، ج ١، ص ١٦٨ و ١٦٩.

ذكر العالم الجليل و الحبر النبيل الشيخ محمّد حسين

الظفر في كتابه ما نصّه:

طبّ الأئمّة

قد جمع بعض علماء السلف شيئاً كثيراً من كلامهم في ذلك، و سمّاه «طبّ الأئمّة». و أخال أنّ الكتاب لا وجود له اليوم، غير أنّ المجلسيّ طاب ثراه يروي عنه كثيراً في «بحار الأنوار»، كما يروي عنه الحرّ العامليّ في «وسائل الشيعة».

و في ما جاء في الطبّ على الصادق عليه السلام دلالة على كفاية الأطبّاء عن الرجوع إلى الفلاسفة و الحكماء الذين ملأوا الكتب بما جاءوا به من مقدّمات و نتائج لا تسمن و لا تغني من جوع، و لا تشفي من مرض، و لا تدفع عن صحيح سقماً، و لا عن سقيم ألماً، و لا عن ميّت موتاً، و لا عن حيّ فوتاً، و لا عن ذي حياة حتفاً، و لا عن ذي بقاء تلفاً، و لا عن ذي قوّة ضعفاً، و لا عن ذي شباب هرماً، و لا عن ذي صحّة عطباً، و لا عن ذي سلامة زمناً، و لا عن ذي جمال دمامة، و لا عن ذي بياض سواداً، و لا عن ذي سواد بياضاً، و لا عن ذي ملاحة قبحاً، و لا عن ذي عذوبة ملوحة، و لا عن ذي ليونة خشونة، و لا عن ذي خشونة ليونة، و لا عن ذي رخاوة صلابة، و لا عن ذي صلابة رخاوة، و لا عن ذي حرارة برودة، و لا عن ذي برودة حرارة، و لا عن ذي رطوبة يبوسة، و لا عن ذي يبوسة رطوبة، و لا عن ذي حركة سكوناً، و لا عن ذي سكون حركة، و لا عن ذي خفّة ثقلاً، و لا عن ذي ثقل خفّة، و لا عن ذي لين صلابة، و لا عن ذي صلابة لين، و لا عن ذي ضعف قوّة، و لا عن ذي قوّة ضعفاً، و لا عن ذي نشاط كسلاً، و لا عن ذي كسل نشاطاً، و لا عن ذي فرح حزناً، و لا عن ذي حزن فرحاً، و لا عن ذي غضب حلماً، و لا عن ذي حلم غضباً، و لا عن ذي جرأة جبناً، و لا عن ذي جبن جرأة، و لا عن ذي فطنة غباوة، و لا عن ذي غباوة فطنة، و لا عن ذي ذكر نسياناً، و لا عن ذي نسيان ذكراً، و لا عن ذي عقل جنوناً، و لا عن ذي جنون عقلاً، و لا عن ذي علم جهلاً، و لا عن ذي جهل علماً، و لا عن ذي حكمة سفهاً، و لا عن ذي سفه حكمة، و لا عن ذي وقار خفّة، و لا عن ذي خفّة وقاراً، و لا عن ذي سكينة طيشاً، و لا عن ذي طيش سكينة، و لا عن ذي تؤدة عجلة، و لا عن ذي عجلة تؤدة، و لا عن ذي حياء وقاحة، و لا عن ذي وقاحة حياء، و لا عن ذي عفّة شرهاً، و لا عن ذي شره عفّة، و لا عن ذي قناعة حرصاً، و لا عن ذي حرص قناعة، و لا عن ذي زهد رغبة، و لا عن ذي رغبة زهداً، و لا عن ذي ورع فجوراً، و لا عن ذي فجور ورعاً، و لا عن ذي تقوى إثماً، و لا عن ذي إثم تقوى، و لا عن ذي صبر جزعاً، و لا عن ذي جزع صبراً، و لا عن ذي شكر كفراً، و لا عن ذي كفر شكراً، و لا عن ذي رأفة قسوة، و لا عن ذي قسوة رأفة، و لا عن ذي رحمة غلظة، و لا عن ذي غلظة رحمة، و لا عن ذي رهبة جرأة، و لا عن ذي جرأة رهبة، و لا عن ذي يقين شكّاً، و لا عن ذي شكّ يقيناً، و لا عن ذي إخلاص رياءً، و لا عن ذي رياء إخلاصاً، و لا عن ذي تواضع كبراً، و لا عن ذي كبر تواضعاً، و لا عن ذي ذلّة عزّاً، و لا عن ذي عزّ ذلّة، و لا عن ذي مذلّة ممدحة، و لا عن ذي ممدحة مذلّة، و لا عن ذي مسكنة غنىً، و لا عن ذي غنى مسكنة، و لا عن ذي بخل جوداً، و لا عن ذي جود بخلاً، و لا عن ذي سخاء لؤماً، و لا عن ذي لؤم سخاءً، و لا عن ذي كرم بخلاً، و لا عن ذي بخل كرماً، و لا عن ذي مروّة دناءة، و لا عن ذي دناءة مروّة، و لا عن ذي مودّة عداوة، و لا عن ذي عداوة مودّة، و لا عن ذي وفاء غدراً، و لا عن ذي غدر وفاءً، و لا عن ذي طاعة معصية، و لا عن ذي معصية طاعة، و لا عن ذي إقبال إدباراً، و لا عن ذي إدبار إقبالاً، و لا عن ذي استقامة عثاراً، و لا عن ذي عثار استقامة، و لا عن ذي يسر عسراً، و لا عن ذي عسر يسراً، و لا عن ذي نعمة بؤساً، و لا عن ذي بؤس نعمة، و لا عن ذي رخاء شدّة، و لا عن ذي شدّة رخاء، و لا عن ذي أمن خوفاً، و لا عن ذي خوف أمناً، و لا عن ذي عافية بلاءً، و لا عن ذي بلاء عافية، و لا عن ذي صحّة سقماً، و لا عن ذي سقم صحّة، و لا عن ذي لذّة ألماً، و لا عن ذي ألم لذّة، و لا عن ذي شهوة نهماً، و لا عن ذي نهم شهوة، و لا عن ذي ريّ عطشاً، و لا عن ذي عطش ريّاً، و لا عن ذي شبع جوعاً، و لا عن ذي جوع شبعاً، و لا عن ذي راحة تعباً، و لا عن ذي تعب راحة، و لا عن ذي نشاط كسلاً، و لا عن ذي كسل نشاطاً، و لا عن ذي فراغ شغلاً، و لا عن ذي شغل فراغاً، و لا عن ذي قيام قعوداً، و لا عن ذي قعود قياماً، و لا عن ذي ركوب راجلاً، و لا عن ذي راجل راكباً، و لا عن ذي ضحك بكاءً، و لا عن ذي بكاء ضحكاً، و لا عن ذي حزن سروراً، و لا عن ذي سرور حزناً، و لا عن ذي ضوء ظلمة، و لا عن ذي ظلمة ضوءاً، و لا عن ذي ظلّ حرّاً، و لا عن ذي حرّ ظلّاً، و لا عن ذي شمس قمراً، و لا عن ذي قمر شمساً، و لا عن ذي نهار ليلاً، و لا عن ذي ليل نهاراً، و لا عن ذي صيف شتاءً، و لا عن ذي شتاء صيفاً، و لا عن ذي ربيع خريفاً، و لا عن ذي خريف ربيعاً، و لا عن ذي برد حرّاً، و لا عن ذي حرّ برداً، و لا عن ذي ريح مطراً، و لا عن ذي مطر ريحاً، و لا عن ذي سحاب صحواً، و لا عن ذي صحو سحاباً، و لا عن ذي ثلج ثلجاً، و لا عن ذي ثلج ثلجاً، و لا عن ذي برق رعداً، و لا عن ذي رعد برقاً، و لا عن ذي صاعقة صاعقة، و لا عن ذي صاعقة صاعقة، و لا عن ذي ماء ماءً، و لا عن ذي ماء ماءً، و لا عن ذي نار ناراً، و لا عن ذي نار ناراً، و لا عن ذي أرض أرضاً، و لا عن ذي أرض أرضاً، و لا عن ذي سماء سماءً، و لا عن ذي سماء سماءً، و لا عن ذي جبل جبلاً، و لا عن ذي جبل جبلاً، و لا عن ذي بحر بحراً، و لا عن ذي بحر بحراً، و لا عن ذي سهل سهلاً، و لا عن ذي سهل سهلاً، و لا عن ذي وادٍ وادياً، و لا عن ذي وادٍ وادياً، و لا عن ذي شجر شجراً، و لا عن ذي شجر شجراً، و لا عن ذي ثمر ثمراً، و لا عن ذي ثمر ثمراً، و لا عن ذي ورق ورقاً، و لا عن ذي ورق ورقاً، و لا عن ذي عشب عشباً، و لا عن ذي عشب عشباً، و لا عن ذي حيوان حيواناً، و لا عن ذي حيوان حيواناً، و لا عن ذي إنسان إنساناً، و لا عن ذي إنسان إنساناً، و لا عن ذي ملك ملكاً، و لا عن ذي ملك ملكاً، و لا عن ذي شيطان شيطاناً، و لا عن ذي شيطان شيطاناً، و لا عن ذي جنّ جنّاً، و لا عن ذي جنّ جنّاً، و لا عن ذي طير طيراً، و لا عن ذي طير طيراً، و لا عن ذي دابّة دابّة، و لا عن ذي دابّة دابّة، و لا عن ذي سبع سبعاً، و لا عن ذي سبع سبعاً، و لا عن ذي هوام هواماً، و لا عن ذي هوام هواماً، و لا عن ذي حشرات حشرات، و لا عن ذي حشرات حشرات، و لا عن ذي هوام هواماً، و لا عن ذي هوام هواماً، و لا عن ذي سبع سبعاً، و لا عن ذي سبع سبعاً، و لا عن ذي دابّة دابّة، و لا عن ذي دابّة دابّة، و لا عن ذي طير طيراً، و لا عن ذي طير طيراً، و لا عن ذي جنّ جنّاً، و لا عن ذي جنّ جنّاً، و لا عن ذي شيطان شيطاناً، و لا عن ذي شيطان شيطاناً، و لا عن ذي ملك ملكاً، و لا عن ذي ملك ملكاً، و لا عن ذي إنسان إنساناً، و لا عن ذي إنسان إنساناً، و لا عن ذي حيوان حيواناً، و لا عن ذي حيوان حيواناً، و لا عن ذي عشب عشباً، و لا عن ذي عشب عشباً، و لا عن ذي ورق ورقاً، و لا عن ذي ورق ورقاً، و لا عن ذي ثمر ثمراً، و لا عن ذي ثمر ثمراً، و لا عن ذي شجر شجراً، و لا عن ذي شجر شجراً، و لا عن ذي وادٍ وادياً، و لا عن ذي وادٍ وادياً، و لا عن ذي سهل سهلاً، و لا عن ذي سهل سهلاً، و لا عن ذي بحر بحراً، و لا عن ذي بحر بحراً، و لا عن ذي جبل جبلاً، و لا عن ذي جبل جبلاً، و لا عن ذي سماء سماءً، و لا عن ذي سماء سماءً، و لا عن ذي أرض أرضاً، و لا عن ذي أرض أرضاً، و لا عن ذي نار ناراً، و لا عن ذي نار ناراً، و لا عن ذي ماء ماءً، و لا عن ذي ماء ماءً، و لا عن ذي صاعقة صاعقة، و لا عن ذي صاعقة صاعقة، و لا عن ذي برق رعداً، و لا عن ذي رعد برقاً، و لا عن ذي ثلج ثلجاً، و لا عن ذي ثلج ثلجاً، و لا عن ذي سحاب صحواً، و لا عن ذي صحو سحاباً، و لا عن ذي ريح مطراً، و لا عن ذي مطر ريحاً، و لا عن ذي برد حرّاً، و لا عن ذي حرّ برداً، و لا عن ذي ربيع خريفاً، و لا عن ذي خريف ربيعاً، و لا عن ذي شتاء صيفاً، و لا عن ذي صيف شتاءً، و لا عن ذي ليل نهاراً، و لا عن ذي نهار ليلاً، و لا عن ذي قمر شمساً، و لا عن ذي شمس قمراً، و لا عن ذي ظلّ حرّاً، و لا عن ذي حرّ ظلّاً، و لا عن ذي ظلمة ضوءاً، و لا عن ذي ضوء ظلمة، و لا عن ذي سرور

علم التشريح. وسيأتي ما في بعض مناظراته مع الطبيب الهندي ممّا يدلّ على ذلك.

و بإمكان الكاتب أن يجمع كتاباً فيما ورد عنه في خواصّ الأشياء و فوائدها، و في علاج الأمراض و الأوجاع، و في الحميّة و الوقاية. و هي متفرّقة في غضون كتب الأحاديث ونحوها. و ربّما لم يكشف عنها إلّا العلم الحديث مثل مداواة الحمّى بالماء البارد، فإنّه ذكروا له الحمّى، فقال عليه السلام: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَتَدَاوَى إِلَّا بِإِفَاضَةِ الْمَاءِ الْبَارِدِ يُصَبُّ عَلَيْنَا.

و نحن نحيلك على كتاب الأطعمة و الأشربة من «الوسائل» ج ٣، ص ٢٧٦ إلى ٣١١، لترى الشيء الكثير من ذلك.

علم الجَفْر

الجفر في الأصل ولد الشاة إذا عظم و استكرش. و لعلّ مبدأ هذا العلم كان يكتب على جلد ولد الشاة فسمّي به. و علم الجفر على الحروف الذي تعرف به الحوادث المستقبلة.

و جاء عن الصادق عليه السلام أنّ عندهم الجفر و فسّره بأنّه وعاء من أدم فيه علم النبيّين و علم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. و جاء عنهم الشيء الكثير عن الجفر الذي عندهم. و إنّا و إن لم نعرف هذا العلم و ما القصد منه إلّا أنّنا نعرف من هاتيك الأحاديث التي ذكرت الجفر، و أنّه من مصادرهم، أنّ هذا العلم شريف منحهم الله إيّاه. و جاء في «الكافي» أحاديث كثيرة عن الجفر الذي عندهم.

و ذكر بعض علماء أهل السنّة الجفر، و أنّه مما يعلمه الصادق عليه السلام. قال: الشلبنجيّ في «نور الأبصار» ص ١٣١: و في «حياة الحيوان الكبرى» فائدة. قال ابن قتيبة في كتاب «أدب الكاتب» و كتاب الجفر كتبه

الإمام جعفر الصادق بن محمّد الباقر، فيه كلّ ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة. و إلى هذا الجفر أشار أبو العلاء بقوله:

و قال في «الفصول المهمّة» نقل بعض أهل العلم أنّ كتاب الجفر

الذي بالمغرب يتوارثونه بنو عبد المؤمن بن عليّ من كلام جعفر الصادق. و له فيه المنقبة السنيّة، و الدرجة التي في مقام الفضل عليه.[1]

الكيمياء و جابر بن حيّان تلميذ الإمام الصادق عليه السلام

ذكر علم الصادق عليه السلام بالكيمياء كثير من المؤلّفين. و إن تلميذه جابر بن حيّان الصوفيّ الطرطوسيّ أخذ عنه هذا العلم، و ألّف خمسمائة رسالة فيه في ألف ورقة، و هي تتضمّن رسائل جعفر الصادق عليه السلام.[2]

و للقدماء و المتأخّرين من المستشرقين كلام كثير في شأن جابر. و قد ذكره ابن النديم في «الفهرست» ص ٤٩٨ إلى ٥٠٣. و أطال فيه الكلام و ذكر له من الكتب و الرسائل في مختلف العلوم لا سيّما الكيمياء، و الطبّ، و

---

[1] «الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة عليهم السلام» تأليف ابن الصبّاغ المالكيّ المتوفّى سنة ٨٥٥، ص ٢٣٥، الطبعة الحجريّة، ناصري؛ و في طبعة مطبعة العدل بالنجف: ص ٢٠٥.

[2] ابن خلّكان في «وفيّات الأعيان» ج ١، ص ١٨٥، أحوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام، طبعة بولاق؛ و في طبعة بيروت، دار صادر بتحقيق الدكتور إحسان عبّاس: ج ١، ص ٣٢٧.

الفلسفة، و الكلام شيئاً كثيراً لا يكاد يتّسع وقت الإنسان في العمر القصير لتأليفها. نعم إلّا أفذاذ في الدهر من أولي الفطنة مفرطين و انكبّوا على الكتابة و التأليف. و ذكاءً و تآليف على مذاهب الشيعة. و من ثمّ استظهر أنّه ذكر تشيّعه. و لعلّ أخذه عن الصادق و ائتمان الصادق به على هذا العلم شاهد على تشيّعه.

و ذكره في «الذريعة» في عداد مؤلّفي الشيعة في ج ٢، ص ٤٥١ و ٤٥٢

عند ذكره لكتابه «الإيضاح» في الكيمياء.

و لو تصفّحت شيئاً من رسائله التي نشرها المستشرق «هراوس» لأيقنت بتشيّعه و أخذه عن الإمام الصادق، لأنّه أخذ عنه كإمام مفترض الطاعة متبّع الرأي، و لعرفت أنّه لم يأخذ عنه الكيمياء فحسب، بل الكلام وغيره.

وقد أكبر مؤلّفو الإسلام منزلة جابر وعدّوه مفخرة من مفاخر الإسلام، و لا عجب فإنّ من تزيد مؤلّفاته على ثلاثة آلاف كتاب و رسالة في مختلف العلوم، وجلّها من العلوم النظريّة و الطبيعيّة التي تحتاج إلى زمن طويل في تجاربها و تطبيقها -هذا عدا الفلسفة و الكلام- لجدير بالتقدير و الإكبار و أن يكون مفخرة يعتزّ به.

وقد كبر على المستشرقين أن يكون عربيّ مسلم و من أهل القرن الثاني للهجرة يمتاز بتلك الآراء السديدة، و تكون نظريّاته الأساس العامّة التي قام عليها علم الكيمياء قديمه و حديثه، فصاروا يخبطون في تعرّضهم لكتبه كحاطب ليل، فمرّة يشكّون في وجوده، و تارة في

تعبارة و ،كتابلا بسُنذ امي فرخآ و ،هنامز هيلإ بسني نم هيرت امم ضعبلا ةبسن يف ةّذلأ ،بولسلاا و عضولا و بيوبتلا يف ةمساخو ،ملاسلا .كلذ ريغ لإ ،رصعلا كلذ لهأ هفرعي نكيم لـ

و قد فنّد بعض تلك الشكوك و المزاعم الكاتب إسماعيل مظهر صاحب مجلّة «العصور» فيما نشره في «المقتطف» (٦٨/ ٥٤٤ - ٥٥١ و من ٦١٧ - ٦٢٥). و جرى في هذه الحلبة الاستاذ أحمد زكي صالح فيما كتبه في مجلّة «الرسالة» المصريّة، السنة الثامنة (ص ١٢٠٤ - ١٢٠٦، و من ١٢٣٥ - ١٢٣٧، و من ١٢٦٨ - ١٢٧٠، و من ١٢٩٩ - ١٣٠٢)، و لقد فنّد تلك الأوهام و المزاعم تفنيداً حكيماً علميّاً. و صرّح مراراً بتشيّعه.

وقال في مناقشة رأي الأستاذ كراوس، ص ١٢٩٩:

و من الجليّ الواضح لدى كلّ من درس علم الكلام أنّ فرَق الشيعة كانت أنشط الفرق الإسلاميّة حركةً، و كانت أولى من أسّس المذاهب الدينيّة على أسس فلسفيّة، حتى أنّ البعض ينسب فلسفة خاصّة لعليّ بن أبي طالب.

و كان هذا الكلام من أحمد زكي لتصحيح ما يُنسب إلى جابر من المقارنة بين الآراء الكلاميّة و الفلسفيّة.

و جملة القول: أنّه قد أصبح من الواضح تشيّع جابر و تقدّمه في عدّة علوم لا سيّما الكلام، و الفلسفة، و الطبّ، و الكيمياء، و الطبيعيّات عامّة. و ما كادت تلتكون آراؤه الأسس العامّة لعلم الكيمياء إلّا لأنّه أخذ ذلك من معدنه الصحيح الإمام الصادق عليه السلام.

و كنت قد جمعت عدّة مصادر عن جابر لأتبسّط في ترجمته، غير أنّي اكتفيتُ بهذا الوجيز عن الإطالة فيها. فإنّ لو استقصينا الكلام على كلّ ما يقتضي التوسعة في البحث عنه لكان هذا الكتاب عدّة أجزاء، و هو و إن كان

لا يخلو من فائدة، غير أنّه يكون أبعد عن حياة الصادق الخاصّة.

سائر العلوم المتنوّعة للإمام الصادق عليه السلام

لا نعني بما ذكرناه من العلوم التي كتبنا عنها و أوضحنا أخذ الناس عن الصادق فيها أنّ تلك جميع ما لديه، بل إنّ الإمام على رأي الإماميّة يجب أن يكون عالماً بكلّ شيء و أعلم الناس في كلّ علم و فنّ و لسان و لغة، كما يقتضيه حكم العقل.

و لو نظرنا إلى الدليل السمعيّ من دون أن نثبت له الإمامة الإلهيّة لفهمنا منه أنّ في كلّ زمان عالماً من العترة بالكتاب و السنّة كما هو مفاد حديث الثقلين، و أنّ عالم الكتاب الذي نزل على الرسول تبياناً لكلّ شيء

يجب أن يكون عالماً بكلّ شيء. و ما دام الكتاب موجوداً فالعالم به من العترة موجود إلى يوم الحشر، و لا يعدو أن يكون ذلك العالم في عهد الصادق عليه السلام نفسه، إذ ليس في زمانه مَن هو أعلم منه في العترة. و كفت آثاره دلالة على ذلك العلم.

فصادق أهل البيت إذن عالم أهل البيت في عصره، و عالم العترة بالكتاب الجامع للعلوم و الفنون. فمن ثمّة نستغني بما سلف عن التعرّض لبقيّة العلوم، و الشواهد على علمه فيها. فليس غريباً و جاء الحديث أنّ الصادق عليه السلام كلّم الفُرْس بلسانهم و أهل اللغات بلغاتهم. و ناظر أهل كلّ علم و فنّ فخصمهم، مثل علماء النجوم، و الفلك، و الطبيعيّات، و الطبّ و ما عداها. و كلّ ذلك نطقت به الأخبار و دلّت عليه الآثار.[1]

[1] «الإمام الصادق» ج ١، ص ١٧٨ إلى ١٨٣، طبعة مؤسّسة النشر الإسلامي.

قال المستشار عبد الحليم الجندي: جابر بن حيّان أوّل مَن استحقّ في التأريخ لقب كيميائيّ، كما تسمّيه أوربّة المعاصرة.[1]

و هو الذي يُشير إليه أبو ريحان البيروني (٣٦٠ - ٤٤٠) - العربي الأصل - فيقول: «استاذنا أبو موسى

---

[1] قال آية الله المرزا أبو الحسن الشعراني رحمه الله في ص ٣٩ من كتابه مقدّمة شرح تجريد العقائد المسمّى بـ«گوهر مراد» و هو من المجلّد الثاني من «شرح إلهيات كتاب أسفار الأربعة» لصدر المتألّهين الشيرازي: «و أمّا بعد البعثة النبويّة فقد اشتهر جابر بن حيّان الطوسي الصوفي الكوفي الأزدي الملقّب بالمشرقي و بالبرقي و بالطرسوسي و بالطوسي و بالصوفي و بالكوفي و بالأزد

جابر بن حيّان». و المؤرّخون - إلّا بعضاً من غير المسلمين - متّفقون على تلمذته للإمام، و على صلته أو تأثّره به في العلم و العقيدة. و أكثرهم على أنّه صار بعد موت الإمام من الشيعة الإسماعيليّة.

ٌيَشِعَلَمِ الصادق في كتابه «الحل» يقول جابر: وَ اللهِ لَقَدْ وَ فَّيْتُ مِنْ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ، وَ لَمْ أَدَعْ شَيْئاً مِمَّا أَخَذْتُهُ إِلَّا وَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَ أَنَّى لَا أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا مَنْ أَلْزَمْتُهُ نَفْسَهُ، وَ أَنَّى لَا أَعْلَمُ عِلْماً يَقِيناً أَنَّهُ لَا يَنْبُتُ هَذَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالْبَاطِلِ كُلِّهِ.

و كانت له كتب رياضة و كيمياء تسبق العصور بجدّتها. قيل: إنّه أخذ علمه عن خالد بن يزيد، ثمّ أخذ عن الإمام جعفر. و هو يشير إلى الإمام دائماً بقوله: سيّدي، و يحلف به. و يعتبره مصدر الإلهام له.

لا يَ وَ لِسَيِّدِي وَ حَقِّ «الأحجار» يقول في مقدّمة كتابه «الحل»: أَسْأَلُكَ بِاسْمِ سَيِّدِي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لَمَا تُصِلَ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى أَبْدَ الْآبِدِ مِنْ تَحْرِيفٍ إِلَى

ذكر له المستشرق كراوس Kraus عشرين كتاباً في العصر الحديث أربعين مؤلّفاً. و أضاف ابن النديم في القرن الرابع للهجرة عشرين كتاباً أخرى. و ينقل ابن النديم قوله: «ألّفتُ ثلاثمائة كتاب في الفلسفة و ألفاً

و ثلاثمائة رسالة في صنائع مجموعة، و آلات الحرب، ثمّ ألّفت في الطبّ كتاباً عظيماً، ثمّ ألّفت كتباً صغاراً و كباراً، و ألّفت في الطبّ نحو خمسمائة كتاب. ثمّ ألّفت في المنطق على رأي أرسطاطاليس. ثمّ ألّفت كتاب الزيج أيضاً نحو ثلاثمائة ورقة. ثمّ ألّفت كتاباً في الزهد و المواعظ. و ألّفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة. (و هي الأدعية و العوذ التي يكتبونها و يحملونها معهم). و ألّفت في الأشياء التي يعمل بخواصّها كتباً كثيرة. ثمّ ألّفت بعد ذلك نحو خمسمائة كتاب نقضاً على الفلاسفة. ثمّ ألّفت كتاباً في الصنعة يعرف بـ «كتب الملك». و كتاباً يعرف بـ «الرياض».[1]

جابر بن حيّان في كلام هرمي كوبران

قال **هرمي كوبران** معهد يريدتلا ريدم في صّصختلا كرسي بحاص و يلاعلا تاساردلا ماعلا ريدملا و نوبروسلا ةعماج في ةّيعيشلا نوؤشلا

---

[1] ةّيروهمج راشتسم، «مصرلا يّدنجلا ميلحلا دبعلا قداصلا فعجر ماملإا» ص ٢٢٣ و ٢٢٤، ةّيملاسلإا نوؤشلل ىلعلأا سلجملا في ةّيبرعلا ةرهاقلا ةعبط ةنسلا ١٣٩٧ هـ.

لقسم الإيرانيّات في المعهد الإيراني الفرنسي بطهران

حول جابر بن حيّان:

١ - إن المجموعة الضخمة من المؤلّفات التي تحمل اسم جابر بن حيّان هي بدورها أيضاً هرمية في عدد من مصادرها. و لا يسعنا إلّا أن نحيل القارئ إلى العمل الضخم الذي وقفه لها المستشرق بول كراوس[1] الذي بقي رداحاً من الزمن المرشد الأمين في الدراسات الجابرية.

إن إعطاء الحكم الفصل على هوية مؤلّف هذه المجموعة لهو موضوع خطير، بَيْدَ أنّ المستشرق **برتلو**[2] الذي انصرف بشكل خاصّ إلى دراسة مؤلّفات جابر اللاتينية انتهى به البحث إلى إنكار كلّيّ وغير مدعوم برهانيّاً، لكون الوثائق صعبة المنال. من عدد عمجب مقابل ذلك قام المستشرق **هوليمارد**[3]

---

[1] Paul Kraus.

[2] Marcelin Berthelot (١٨٢٧ - ١٩٠٧ م) ولد بباريس. سياسيّ فرنسيّ و كيميائيّ مؤلّف كتب حول تركيب الأجسام العضوية الكيميائية و الحرارة. عضو مجمع اللغة الفرنسية.

[3] Holmyard

الوثائق الملائمة التي تدعم العُرف السائد. فهو يؤكّد أنّ جابراً عاش في حدود القرن الثامن الميلاديّ (الثاني للهجرة)، و أنّه كان تلميذاً للإمام جعفر الصادق [عليه السلام]، الإمام السادس، و هو فعلًا صاحب المجموعة الضخمة التي تُنسب إليه و التي يناهز عددها نحواً من ثلاثة آلاف رسالة (و ليس هذا الأمر ببعيد التصديق، إذا ما قايسناه بمؤلّفات ابن عربي أو المجلسيّ مثلًا).

اكسر[1] قرشتسملا لواحد أن يجد سبيلًا وسطاً بنفيه التأثير المباشر للإمام جعفر (و هذا النفي يتجاهل وجود تراث شيعيّ ثابت و لكنّه يقرّ بوجود تراث له مراكزه في إيران). أمّا **سواركلوب** فقد خلص من أبحاثه و انتقاداته المتحفّظة إلى إثبات عدّة مؤلّفين. و تكون هكذا قد نشأت مجموعات عدّة من المؤلّفات حول نواة أصليّة؛ و ذلك وفق ترتيب نكاد على وجه التقريب نتوصّل إلى إقامته من جديد. و يجعل (كراوس) تأريخ نشأة هذه المجموعات في حدود القرنين التاسع و العاشر للميلاد

---

[1] Ska-Pla

(الثالث أو الرابع للهجرة) لا في حدود القرن الثامن (الثاني للهجرة). و نحبّ أن نشير إلى أنّه بالرغم من التناقض القائم بين «المجموعات التقنيّة» و المجموعات الاخرى هناك صلة عضويّة بينها جميعاً و مصدر إلهاميّ ثابت.

تاعومجملا هذه نم ةدحاو ّنأً احيحصن اك اذإ و باتكى لإ دنسُت

«سرّ الخليقة» المنسوب **لأبولونيوس الطواني**[1] في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) فلسنا على شيء من اليقين من أنّ صاحب هذه المجموعة قد أوجد هو بنفسه تعابير الخاصّة وموضوعاته الخاصّة، وأنّه لم يستقها هو الآخر من مفكّر غيره.[2]

إن شهادة الفيلسوف سليمان المنطقيّ السجستانيّ (المتوفّى حوالي سنة ٣٧١ هـ ٩٨١ م) التي يورد ها ضدّ جابر بن حيّان تتناقض مع ذاتها. وإذا شئنا أن نتكلّم صراحة فإنّنا نعتقد في مثل هذا الميدان (حيث ضاع قسم كبير من مؤلّفات ذلك العصر) أنّ الرغبة في إظهار ما في التقليد والعُرف، وما يدلّ عليه هذا التقليد، هي أشدّ خطراً وفائدة من الانتقاد التأخيريّ المتطرّف الذي يطلب أدلّة غير ثابتة لا تلبث في كلّ لحظة أن تنسف وتضمحلّ.

---

[1] Apollonius Tyanensis.

[2] يقول المجريطيّ الذي كان يعيش بعد جابر بن حيّان بمائة وخمسين سنة: «مع أنّي أعيش بعد جابر بأكثر من قرن، بيد أنّي تلميذه بالواسطة. وكان تقريباً معاصراً لأساتذة الفلاسفة الإسلاميّين جميعهم في العلوم الطبيعيّة.

روغتو إذا كنّا حقّاً لا نودّ أن نبخس أئمّة الشيعة حقّهم،[1]

و لا أن نتجاهل جملةً كلّ ما روي لنا عنهم (و تأخّر الدراسات الشيعيّة يظهر بشكل خاصّ هنا). و إذا كنّا نذكر أنّ الإسماعيليّة تكوّنت في البدء مع أتباع الإمام إسماعيل بن الإمام جعفر، فإنّ الصلات بين جابر و الإسماعيليّة و بين جابر

اذإ و .يقيقحلا اهوجو ىلع انلا رظتهر مجعفر الإمام و اهصلختسا ي تلا رباجو ةحايلا ةمحلاتملا ةريسلا تناك تاقنصملا نم لمجم «يكدلجلا» ةيرباجلا ةّوكدّ ئّيميكلا ًاذيمليت و ًاّيئايميك ةعانصلا مالسلا هيلع] رفعج مامإلا نع ثاتموا ،[مالسلا هيلع] يضرلا يلع نع ثاتموا مامإلا عبات أ ،ةّنإف مهنم جراخ في سوط في ٨٠٤ م/ ٢٠٠ هـ. ماعلا في

---

[1] قاللمؤلّف هذا الكتاب: القصد هو مع ضياع الكتب فإنّنا إذا بذلنا قصارى جهودنا و استنبطنا رواية توضّح لنا سنّة عمليّة أو رواية تبيّن لنا مطلباً في أمر من الأمور التأريخيّة و أماثلها فذلك أفضل من الانتقاد التأريخيّ العنيف و رفض رجلٍ مثل جابر بن حيّان الذي نذكر وجوده قبل البحث في الروايات المأثورة عنه. و انتقادنا حينئذٍ كفر معدن بدون أن يكون فيه جوهر، فلا نجني إلّا العناء الذي لا ثمر فيه.

ضرتفتن أ و أماً .كلذ ركاذلا هيجو بسبب كذه دعي لم
عشي كلذ يف ،نيفلؤم ةدعت ةفلتخملا تاعومجملا
و ،رباجر كفلا نأ ًاريخأ ىرن فوسف ذإ ،فلخلا نم
ةيصخشلا ةقدأخذتفي للهايتةمعنىًخاصًاتيطخت ىحدود
.ثداوحلا خيرأتفي رّجحتمو دودحم ضوع

٢ - تميل الأبحاث التي قام بها المستشرق بول كراوس إلى أنّ النظريّة الجابريّة عن «الميزان» «تمثّل في العصر الوسيط محاولة دقيقة لبناء نظام كمّيّ في العلوم الطبيعيّة».

ةرابعلا هذه ةحصن أن نكمملا نم نكا زاجنإ نودس وارك لوبة فاوتلا نأ لا ولة حضاو رهاظإ ىلإ يمارلا دصقلا قيقحتك لذ دعب يقبأحاثبه. دنعة ينيدلا ةفسلفلا و ةيريباجلا ءايميكلا نيب تاقلاعلا طقفف ّلؤتلا ةيريباجلا «ةيّمكلا» مولعلا نإ ذإ ،ةيليعامسلإا ةملكبم ويلا ًلاف يلا أتلا خيرأتلا ّيئادبلل مولعلا، كما نعني ةشاملا ةيكولا ن«مولع» و«ةئاقمة بذاتهاا ةظرن«ها.

فعلم الميزان يكاد يشمل معطيات المعرفة البشريّة بأكملها، وهو لا يطبّق فقط على العوالم الثلاثة المؤلّفة للفلك ما دون القمر [أي: المواد المرتبطة بالحيوان و النبات و المعدن]، ولكنّه يشمل أيضاً حركات الكواكب و أقاليم العالم الروحيّ. وكما يذكر كتاب «الخمسينيّات» فإنّ هذا كموازين لقياس كلّ من العقل و نفس العالم، و الطبيعة، و الصور، و الأفلاك،

و الكواكب، و الطبائع الأربعة، و الحيوان، و النبات، و المعدن، و أخيراً ميزان الحروف الذي هو أشرف الموازين جميعاً. لذلك يُخشى أن تخلق كلمة «كمّي» في إطلاقها على العلوم الجابريّة بعض الإبهام و الالتباس.

اعتقاد جابر بانتماء علم الكيمياء على روح الأجسام و نفسها

إن ما قصد إليه كتاب «علم الميزان» هو اكتشاف العلاقة القائمة في كلّ جسم من الأجسام بين ظاهره و باطنه. و العمليّة الكيميائيّة تظهر هكذا، كما أشرنا سابقاً، و كأنّها حالة مثاليّة من حالات التأويل، أي: إخفاء الظاهر، و إظهار الخفي. و كتاب «ميدان العقل» يشرح بإسهاب أنّ قياس طبائع الشيء (من حرارة، و برودة، و رطوبة، و يبوسة) هو في الآن نفسه قياس للكمّيّات التي اختصّتها من هذه النفس العالم، أي: مدى شوق النفس لحلولها في المادّة. و من هذا الشوق الذي يحدو النفس نحو العناصر الطبيعيّة ينشأ المبدأ الذي هو في أصل الموازين. و باستطاعتنا إذن أن نقول: إن تحوّل الأجسام

مرهون بتحوّل النفس المرتدّة إلى ذاتها. و النفس هي عين المكان الذي يحدث فيه التحوّل. فالعمليّة الكيميائيّة تظهر و كأنّها عمليّة نفسيّة - روحيّة- لا نقول ذلك لكي نجعل من النصوص الكيميائيّة رموزاً خرافيّة عن النفس، و لكن لأنّ مراحل العمليّة المطبّقة حقّاً على مادّة حقيقيّة ملموسة ترمز إلى مراحل ارتداد النفس إلى ذاتها. إنّ المقاييس المعقّدة، و الأعداد الكبيرة التي توصّل إليها جابر بدقّة متناهية ليس لها أيّ معنى بالنسبة لمختبرات اليوم. و لمّا كان المبدأ و الهدف لـ «علم الميزان» هو الوصول إلى قياس رغبة «نفس العالم» و تشوّقها للحلول في المادّة، يصعب علينا إذن أن نرى فيه سبقاً في موضوع العلم الكمّيّ الحديث، و لكنّه، بالمقابل، يمكن أن ينظر إليه على أنّه سبق علميّ في موضوع «الطاقة النفسيّة» التي تستدعي في أيّامنا هذه مجموعة كبيرة من الأبحاث.

أن «ميزان» كان اسم جابر «علم الجبر» للوحيد الذي يخوّله أن يلاحظ درجات «الطاقة الروحيّة» للنفس التي تحلّ في الطبائع، ثمّ تتحرّر من هذه بواسطة الكيميائيّ الذي يتحرّر نفسه أيضاً في آن واحد بتحريره للطبائع.

٣ - أشرنا إلى أنّ جابر بن حيّان كان ينظر للميزان على أنّه أشرف الموازين جميعاً. و قد توسّع الحروفيّون في الإسلام بنظريّة حول الغنوص القديم، الغنوصيّون في أساس الخلق هي أنّ الحروف الهجائيّة لكونها أوّل تجسيد للكلام الإلهيّ (انظر: ماركوس[1] و أرواحيّ) تمتلك

[1] - Marcos le gnostique.

في الاسم الإلهيّ يقابل «الغنوص» اليهوديّ [يَهْوَهْ] حول «الكلمات الرباعيّة»[1].

في هذه «فورة الانزياح الخاصّ بـ» تهيّأ الجو لنبوغ هذه الرسالة، الرسالة التي عنوانها الكتاب الجديد[2]، إلّا أنّها تُصفّح عن الموضوع المفهوميّ الذي يكمن وراء «الغنوص» و «الميكيافيليّ» لا، من هذين الجوّ الرباعيّ.

تحلّل هذه الرسالة مطوّلًا قيمة الحروف الرمزيّة و معناها. هذه الحروف الرمزيّة ثلاثة: العين (رمز الإمام الصامت عليّ)، و الميم (رمز النبيّ الناطق المعبّر عن الشريعة محمّد [صلّى الله عليه و آله]، و السين (تذكّر بسلمان الحجّة).

و قد سبقت الإشارة إلى أنّه حسب ترتيب المقامات التي نجعلها لكلٍّ من هذه الحروف يكون لدينا الترتيب

---

[1] -Teragramme اسم إليه اليهود و هو مركّب من أربعة حروف: الياء، الهاء، الواو، الهاء، و تركيبه يهوه (بسكون الهاء). بَيدَ أنّ هذا الاسم مقدّس ينبغي أن لا تلفظه الألسن. و يجب أن يحلّ محلّه «أدونا» و هو اسم الله أيضاً.

[2] -Livre du Coré

الرمزيّ المميّز للشيعة الاثني عشريّة و الإسماعيليّة الفاطميّة (ميم - عين - سين) أو للإسماعيليّة الاولى (و هم الذين تشير إليهم رسالة «امّ الكتاب» تحت فصل «معارك سلمان السبعة») أو إسماعيليّة ألموت (عين - سين - ميم): في هذه الحالة يكون المقام الأوّل لسلمان «الحجّة» على الميم. و يبرّر جابر هذا الترتيب المقاميّ بتطبيق دقيق للقيمة التي يكتشفها الميزان لكلّ من الحروف الثلاثة موضوع حديثنا. و بعد، فمن هو «السين» المجيد؟ لم يُشر جابر في أيّ من كتاباته إلى أنّه الإمام المنتظَر، الإكسير الذي يفيض من الروح الإلهيّ سوف يبدّل الامور في هذه الحياة الدنيا. (و هذه الفكرة تقابل علم المعاد في كلّ الفرق الشيعيّة، و التي حاول الشرّاح الغربيّون أن يسيّسوها).

كاذ وه ،ىوزنملا وهو ميتيلا وأ ،بيرغلا وهنيسلا درّجمب ،مامإلا عبتو ّيوسلا قيرطلا ىلإ ىدتها يذلا ّلكلم(امإلا)«نيعم» لا روذر هظيي ذلا كاذ .هرظنو هدهج و نادبلأا خسنيي ذلا صلاخلا رونلا كلذ ،هلاثمأ ءابرغلا

الأرواح في قانون العذاب الجهنّمي[1]. نزل قد انتقل في سلالة البشر منذ عهد شيث بن آدم إلى المسيح، ومنه انتقل إلى محمّد صلّى الله عليه وآله، ومن ثَمَّ انتقل إلى شخص سلمان.

ولكن كتاب المجد»نيصّ على أنّ فهم هذا الكتاب، وفهم الترتيب نفسه لكلّ المؤلّفات الجابريّة. يعني أن يكون المرء وكأنّه جابر نفسه.

---

[1] Jeremiah في العبريّة، ويأتي وهو في اصطلاح التوراة بمعنى جهنّم، مجازاً بمعنى العذاب الأليم. وكانت هذه الكلمة تُمثّل اسماً لمكان البيت المقدَّس، كان يستعمل كمحلٍّ لحرق الجيف والقاذورات، وكانت النار فيه مشتعلة دائماً. ثمّ اتّخذ المسيحيّون هذه الكلمة بمعناها المجازيّ كتعبير لجهنّم ومحلٍّ لحرق الروح والبدن.

و فيّ مكان آخر، و تحت تسارا للغة المحيمرية

إذا: «رأيته يعلّم الذي يقول لجابر الشيخ الماغوط:

فيرتبك أرقة فحينئذٍ تعرف فضل العلم و الطبيب[1]

هذا الشيخ و فضله أيّها القارئ و الله يعلم أنّك أنت هو».

إن شخصيّة جابر بن حيّان ليست اسطورة و لا خرافة، و لكنّ جابراً هو أكثر من شخصيّته التأريخيّة.

و إن كان هذا كثيراً[2] المثال و النموذج «المجدية» هو من المؤلّفات المنسوبة إلى جابر كان مجموع المصنّفات المتداولة تحت اسم جابر بن حيّان، على كلٍّ منهم أربعين دواة الكتابة تحت يد المؤثرة المثال الصعب.

الكيمياء في جهود هؤلاء العلماء

هذه المأثرة هي الكيمياء التي لا نقدّر أن نرسم لها طريقاً إلّا بذكر بعض الأسماء منها: مؤيّد الدين حسين الطغرائيّ، شاعر كبير و كاتب و كيميائيّ شهير من أصفهان. (اعدم سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م). و محيي الدين

1- Alchemie

2- Alchemie

أحمد البونيّ (المتوفّى سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) الذي درس نحواً من مائتي كتاب من مؤلّفات جابر. و الأمير المصريّ «أيدمور الجلدقيّ»[1] (توفّي سنة ٧٤٣ هـ/ ١٣٤٢ م، أو سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠ م) و هو يُحيل دائماً إلى كتب جابر. و بين كتبه العديدة واحد بعنوان كتاب «البرهان في أسرار الميزان» و هو مؤلّف من أربع مجلّدات ضخمة (و هذا المؤلّف يهتمّ بنوع خاصّ بالتحوّل الروحيّ و يماثله بالعمليّة الكيميائيّة).

ملحه هناوذعو«ركفلا جئاتنه باتكنمريخلأا لصفلا ريشيد[2]«نهاكلا

.ةمّماتلا هتعيبطبسمرهلاصّتا ىلإ

في إيران، و في القرن الخامس عشر علّق أحد شيوخ التصوّف في كرمان، و هو «شاه نعمة الله ولى»، علّق بخطّ يده على نسخة لديه من كتاب «نهاية الطالب» للجلدكيّ. و بين القرن الثامن عشر و التاسع عشر أعرب

---

[1] Adur-Ayadur.

[2] Sagdiet-Sogdien.

شيوخ النهضة الصوفيّة في إيران، بدورهم، عن مراحل الاتّصال الصوفيّ ببعض الإشارات و الملاحظات الكيميائيّة، نذكر منهم «نور على شاه» و «مظفّر على شاه». أمّا في المدرسة الشيخيّة فإنّ التصوّرات الكيميائيّة متعلّقة بالمذهب الحِكَميّ لجسد القيامة[1].

و في سنة ١٣٥٤ هـ نشرت مجلّة «خواندنيها» في سلسلة مقالات تستمرّ أعدادا كثيرة حول العلوم الباطنيّة التي اكتشفها الإمام جعفر الصادق عليه السلام. و، تلك العلوم التي لم تتحدّد في أيّ حقل من حقول العلم الحديث، لم يُعرف لها حلّ إلى عصرنا هذا. و كانت هذه المقالات في غاية الروعة، و لقيت ترحيباً واسعاً من القرّاء. و كانت مذكّرات الأمير أرشد أحد الذين اشتركوا في تلك الجلسات التي عقدت في باريس مع السيّد حسن البنّا المؤسّس الأوّل لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، و التي أشرف عليها

---

[1] حسن البنّا و مؤسّسة الإخوان المسلمين في سوريا، ص ٢٠٢ إلى ٢٠٩، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، حزيران ١٩٦٦ م.

المهندس سلّم و رقّمت بطبعها على شكل كرّاسات جيبيّة صغيرة و وزّعتها في أرجاء البلاد مجّاناً.

العقل المفكّر للعالم الشيعيّ، أو الإمام الصادق عليه السلام، كما

ذهبتُ ذات يوم من طهران إلى قم، و التقيت بالعلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه و جرى الحديث عن الكرّاسات المذكورة. فكان مسروراً ينظر بإعجاب و لم تفارق البشاشة و الابتسامة وجهه الصبيح حتى ساعة من

و كان يتنيّ على جهود المهندس سالور و الوقت. رغبته في هذه الامور. و لمّا عدتُ إلى طهران راسلتُ سالور على مدينة دورد، فبعث لي الجزءان ٢٢ و ٢٣ من الكرّاسات فوراً.[1]

و هذه المقالات و الكرّاسات مأخوذة من كتاب بعنوان «مغز متفكّر جهان شيعة» (=العقل المفكّر للعالم الشيعي) أو (=الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب) الذي ترجمه ذبيح الله منصوري إلى الفارسيّة.

قامت دار منشورات «جاويدان» بطبع الكتاب المذكور لأوّل مرّة سنة ١٣٩٥ هـ. و ذكر مترجمه في مقدّمته أنّه حصل عليه من مركز الدراسات الإسلاميّة في مدينة ستراسبورغ.[2] و لم يقتصر هذا المركز على

---

[1] لمّا زادت طلبات العلماء، و تعذّرت إعادة طبعها، لهذا جمعت الكرّاسات التسع عشرة الاولى في ثلاثة أجزاء جيبيّة و عُرضت للبيع. و هي بقلم السيّد محمّد صُحُفي و تحمل عنوان «تعاليم الإسلام السماويّة».

[2] و هي مدينة تقع في شرق فرنسا على الحدود الألمانيّة. جاء في مُعجم «دِهْخُدا» الفارسيّ: قاعدة الألزاس، مركز بارَن، و تبعد (٥٠٣) آلاف (گز) عن باريس. (الگز: مقياس طول يعادل (١٦) عقدة أو ذراع. (ج ٦، ص ٢١٤٧).

ملاعلا يف نايدلأا عيمجل وانتيلبقيملاسلإا تاساردلا
.ملاسلإا اهنمو ،ةساردلاب

الباحثون في المركز المذكور ليسوا من سكّان ستراسبورغ الدائميّين. فهم يعيشون في أقطار اخرى، ما عدا أساتذة جامعة ستراسبورغ (الأعضاء في المجمع المتخصّص بالبحث و الدراسة في أديان العالم). بَيدَ أنّهم يرسلون دراساتهم إلى أمانة المجمع الواقع في المركز. و يجتمعون أحياناً في ستراسبورغ مرّة في كلّ سنتين لتبادل الآراء، كما أخبرني أحد أساتذة اللغة الفارسيّة الذين يزاولون التدريس في جامعة ستراسبورغ.

وقد تناولت إحدى الدراسات التي قام بها العلماء في المجمع المذكور المذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري. وسماهم فيها خمسة وعشرون عالِماً من أعضاء المجمع. ونقلتُ قسماً من تلك الدراسة في كتاب «الإمام الحسين و إيران» كما أنّ قسماً آخر منها يترجم للإمام الساجد جعفر الصادق عليه السلام.

و يعدّ المترجم هذا أسماء العلماء الخمسة و العشرين، و أوّلهم (أمران بيل) أستاذ جامعتَي بركسل وغان، و آخرهم (هانس رومر) أستاذ جامعيّ في ألمانيا الغربيّة.

جميع الأسماء غير معروفة ما عدا (هنري كوربان) و هو أستاذ جامعيّ و مدير الدراسات المرتبطة بعلوم الأديان، و (توفيق فحل) و هو أستاذ في جامعة ستراسبورغ، و السيّد حسين نصر، و هو أستاذ في جامعة طهران، و السيّد موسى الصدر مدير المعهد العلميّ للدراسات الإسلاميّة في صور.

من الحريّ بالعلم و الاطّلاع أنّ أهمّيّة الكتاب تعود فقط إلى موقف أشخاص غير مسلمين و غير شيعة من العلوم اللدنيّة المتنوّعة للإمام جعفر الصادق عليه السلام، التي أفصحت عنها العلوم المعاصرة. كما تعود إلى اعترافهم بعظمته و ابّهته العلميّة من خلال ما بلغوه، و إن كان ذلك ضئيلًا قاصرًا بالنسبة إلينا نحن الشيعة الذين نعتقد بولايته و علومه الغيبيّة و أسراره الملكوتيّة عليه السلام.

وحدة الوجود في كلام الإمام الصادق عليه السلام

و من مباحث الكتاب المذكور مناظرات جابر بن حيّان المستغرقة في أربعة فصول منه بالتفصيل. و قد اخترنا منكّ فصل مطالب موجزة جدًّا. و هي كما يأتي:

قال جعفر الصادق: بلى يا جابر قلتُ هذا و هو رأيي.

فقال جابر: أنت تقول: الله موجود في كلّ مكان فلا بدّ أن تصدّق أنّه

موجود في كلّ شيء أيضاً.

فأجابه جعفر الصادق بالإيجاب.

قال الجابر: فقولك هذا يذهب إلى أنّ الخالق و المخلوق شيء واحد صحيح إذن. إذ لو قلنا: إنّ الله موجود في كلّ شيء فلا بدّ أن نؤمن بأنّ كلّ شيء هو الله حتى لو كان حجراً أو ماءً أو نباتاً.

قال جعفر الصادق: ليس كذلك و قد أخطأتَ. و الله موجود في الحجر و الماء و النبات، لكنّها ليست هي الله، كما أنّ الزيت موجود في السراج لكن السراج ليس زيتاً.

الله موجود في كلّ شيء، لكنّه يكون فيه من أجل أن يتحقّق وجود ذلك الشيء أوّلاً، و يواصل حياته الجماديّة أو النباتيّة أو الحيوانيّة و يبقى و لا يفنى ثانياً.

الأصل في نور السراج هو بقاء زيته و فتيلته، لكنّ السراج ليس زيتاً و فتيلة. فوجود الزيت و الفتيلة هو من أجل خلق النور في السراج. و ليس للسراج أن يزعم أنّه هو الزيت و الفتيلة لوجودهما فيه. و محال أن يكون المخلوق الذي أوجده الخالق خالقاً. و كلّ من كان يعتقد

بوحدة الخالق و المخلوق فيما مضى فهو مخدوع بالشكل الظاهري الستدلاله. و كانوا يقولون: لما كان الخالق موجوداً في كلّ ما وُجد في هذا العالم، فكلّ ما فيه هو الله.

و لو صحّت هذه العقيدة فلِكُلّ موجود من الموجودات في العالم قدرة إلهيّة كالله. لكن العالم يخلو من موجود له قدرة إلهيّة.

هل استطاع القائلون بهذا الرأي أن يوجدوا حُصَيَّةً واحدة؟! إذ إن ما تستلزمه وحدة الخالق و المخلوق هو أن يكون الإنسان إلهاً، و تستلزم إلهيّته أن يفعل ما يفعله الله، و يخلق الكون بكلمة «كُنْ» و يخلق الإنسان

من نطفة.

هل استطاع القائلون بوحدة الخالق و المخلوق الذين يرون أنفسهم آلهة أن يفعلوا ما يستبين أنّه صفات إلهيّة؟!

عند ما يقال لهؤلاء: أنتم تذهبون إلى أنّكم آلهة، فافعلوا واحداً من أفعال الله لنستيقن أنّكم هو، يقولون: نحن كذلك لكنّنا لا ندري أنّنا هو.

فهل يمكن أن نقرّ بهذا الكلام الفارغ الذي يُشبه كلام الأطفال؟![1]

إلى أن يقول: قال الإمام: لمّا كان الأصل في الحكمة، سواء في عصر الإغريق أم في عصرنا، أنّ الأشياء لا تفنى و إنّما تتغيّر أشكالها، فالإنسان لا يفنى أيضاً و يتغيّر شكله بعد الموت. و يتغيّر فكره كما يتغيّر هو ذاته،

---

[1] «مغز متفكّر جهان شيعه» (العقل المفكّر للعالَم الشيعي) أو (الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب) ص ٥١٥ إلى ٥١٧ الطبعة الاولى.
و لمزيد من الاطّلاع على كلام الإمام الصادق عليه السلام، فالكتيب الذي ورد فيه الكتاب المذكور، لذا اقتضى التنويه. (م)

و لا شكّ أنّه يبقى بشكل آخر. و ما يبقى من عوالمه و صفاته المعنويّة بعد الموت هو الروح.[1]

الدين هو غير الحكمة، و ليست الحكمة للعوامّ

إلى أن قال: اعلم يا جابر أنّ الدين هو غير الحكمة. فكلّ ما يقال في الحكمة يستند إلى الاستدلال ليقبله عقل السامع. و السامعُ قضيّة فلسفيّة لن يقبلها إلّا أن يثبت قائلها صحّتها بالدليل. لأنّ السامع حكيم كالقائل. و لو لم يكن حكيماً فلا يرغب أن يكن حكيماً فلا يرغب في الحكمة رغبة و إلّا فلا يرغب أن يسمع قضيّة فلسفيّة و يفهمها.

كلّ مسألة متعلّقة بالحكمة إذا قيلت للحكماء أو لمن كان لهم ذوق فلسفيّ ينبغي أن تتوكّأ على الدليل و يثبتها أصحابها كي يقبلها الحكماء.

---

[1]. «مغز متفکّر جهان شیعه» ص ۵۱۸.

لذا لا بدّ من الدليل أو الأدلّة في كلّ قضيّة فلسفيّة. و

أنّ لكلّ مسألة فلسفيّة ارتباطا بعقل الإنسان و ما لم يقبلها

العقل فلا تثبت صحّتها.[1]

إلى أن قال: لا فائدة في كلّ توضيحٍ مُقَدَّمٍ للعوامّ حول

المصلحة في حقائق الإسلام، إذ لا مَعْدِلَ للمرء عن طيّ

مقدّمات العلم من أجل أن يفهم الموضوع من الوجهة

العلميّة، و إلّا لن يفهم شيئاً، و أنّ سَبْرَ غور الحقائق

الدينيّة للعوامّ مع الدليل يعني تقديم التوضيح العلميّ لهم.

و لا يفهم التوضيح العلميّ إلّا من كان عالماً أو كان قد

طوى مقدّمات العلم. و تعلّم العلم يحتاج إلى إرادة، و

يجب أن تتوفّر هذه الإرادة عند الإنسان كي تحفّزه على

طلب العلم. و هي معدومة لدى العوامّ، و سبب ذلك أنّ

العاميّ يعلم أنّه إذا بدأ بطلب العلم فسوف تمرّ السنون بلا

فائدة يقطفها.

---

[1]. «معه نشيجها كفكفته» ص ٢٠، ٢٢.

بـيَدأنّه لو استبدل الزراعة أو تربية المواشي بطلب العلم فسوف يستفيد كثيراً، و لا يتسنّى استنباط النتائج المعنوية التي تعود على الإنسان بالنفع.

فالأفضل للعوام أن يكونوا من أولي الإيمان فحسب، و لا يفهموا من أصول الدين و فروعه إلّا ما يُستنبط من الظواهر.[1]

إلى أن قال: قال جابر: آسي على عوام الناس، لأنّهم لا يفهمون مصلحة أحكام الدين المبين و مفهوم كلام الله. و أحسب أنّهم لو فهموا ذلك لاتّسع دين الله أكثر مما نراه اليوم.

فأجاب جعفر الصادق أنّ الأقلّية وحدها في الأديان العالمية جميعها هي التي تفهم أحكام الدين جيّداً و تقف على مصلحة كلّ ما تقرّر فيه، فتلي قيادة الناس من الوجهة الدينية.

---

[1] المصدر السابق.

وهكذا الأمر في الإسلام، فكما أنّ الأقلّيّة اليوم تلي قيادة الناس دينيّاً، فالأقلّيّة من علماء المسلمين ستتقلّد زعامة الناس من الوجهة الدينيّة في المستقبل أيضاً، و اعلم أنّ هذا الوضع سيدوم ما دام العلم غير عامٍّ.[1]

٢ ـ سؤال جابر بن حيّان حول الآلهة الثلاثة للهنود

طرح جابر هذا أسئلة مفصّلة حول السبب الذي دعا إلى تغيير قبلة المسلمين، و واصل كلامه إلى أن قال: سمعتُ من التجّار الهنود الوافدين إلى جُدَّة[2] أنّ للهنود ثلاثة آلهة، فهل تعرف أسماءهم؟!

قال جعفر الصادق: أسماؤهم بالهندية **بَراما** (أو **بَرَهْما**) **وشيو ونْشَو**.

قال جابر: أعجب أنّهم لماذا يعبدون ثلاثة آلهة مكان التوحيد؟!

---

[1]. ص ٥٢٣ «مغز متفکّر جهان شیعه».

[2] ثلاثة قارّات عديدة من كتّة البحر الأحمر، في ميناء على ساحل الحبر (بضمّ الجيم) يسمّى جُدَّة (بالفتح) وهو عشر فرسخاً، و جَدَّة (بالفتح) وهو.

قال جعفر الصادق: لأنّهم لم يريدوا أن يقبلوا كلام الله الواحد الحقيقيّ، فاخترعوا ثلاثة آلهة من عند أنفسهم وعبدوهم. وهم يعتقدون أنّ برامًا، أو برهما هو الإله الذي خلق العالم، ويوردون شرحًا حول ذلك خلاصته: خلق برامًا العالَم من نفسه، وبعد خلقه تكفّل إليه آخر يُدعى ويشنو بحفظه، والإله الثالث هو شيوا، وهو إله الموت والفناء عند الهنود. وكلّما أوجده ويوجده الإله الأوّل برامًا يُفنيه الإله الثالث. ولا يستطيع الإله الثاني أن يحول دون عمل الإله الثالث المتمثّل بالإماتة والإفناء، مع أنّه حافظ العالم.[1]

نسبيّة الزمان في كلام الإمام الصادق عليه السلام

٣ - سؤال جابر بن حيّان حول الحياة بعد الموت

دار هذا بحث مفصّل حول علماء اليونان، إلى أن قال جعفر الصادق: هل كنتَ في بطن أمّك إنسانًا كاملًا، لكنّك صغير، أم لا؟!

قال جابر: نعم، كنتُ إنسانًا كاملًا.

---

[1] مغز متفکّر جهان شیعه، ص ٥٤٢ و ٥٤٣.

فسألهُ جعفر الصادق: هل تذكر أنّكَ كنتَ تفكّر بالموت في بطن أمّك أو لا؟!

قال جابر: لا أعلم هل كنت أفكّر به أو لا؟!

قال جعفر الصادق: دع ذكر الموت، ماذا كنت تتأمل في بطن أمّك؟!

قال جابر: لا أذكر شيئاً عن حياتي في بطن أمّي.

قال جعفر الصادق: مع أنّك لا تذكر شيئاً عنها، فهل ترى حياتك في هذا العالم أفضل أو حياتك في بطن أمّك؟!

قال جابر: كانت حياتي في بطن أمّي قصيرة لم تتجاوز تسعة أشهر.

قال جعفر الصادق: لعلّ التسعة الأشهر التي أمضيتها في بطن أمّك تبدو لك أطول من الثمانين أو التسعين سنة التي ستقضيها في هذه الدنيا.

ذلك أنّ الزمان ليس واحداً بالنسبة إلى جميع الأشخاص في كافّة الحالات، و كلّ إنسان أدرك هذا الموضوع في حياته بقدرٍ ما.

كل أنا على يقين أنّ عدداً من الساعات قد تمرّ عليك و أنا بسرعة و كأنّها ساعة واحدة، و قد تمرّ عليك ساعة منها تطول و تطول حتى تظنّها عدداً من الساعات.

إنما أقوله هو أنّ تلك الأشهر التسعة التي أمضيتها في بطن أمّك لعلّها أكثر من العمر الذي ستعيشه في هذا العالم!

قال المترجم المحترم في الهامش معلِّقاً: نلحظ أنّ الإمام السادس عليه السلام قد سبق بكل الفرنسيّ، و أينشتاين الألمانيّ، و هيتون

الإنجليزيّ بائنيّ عشر قرنًا في القول بنسبيّة الزمان، ونحن ندرك ذلك في حياتنا العاديّة بخاصّة في الأحلام، فقد نرى حلمًا يستغرق عددًا من السنين حين الرؤيا، وعندما نستيقظ ندرك أنّنا لم نَنَمْ أكثر من ساعة واحدة.

أجل، إذا تجاوزنا كلام المترجم، فإنّ الإمام عليه السلام يقول: يا جابر! كنتَ في بطن أمّك إنسانًا حيًّا كاملًا ذا شعور، ولعلّك كنتَ تأمل شيئًا بسبب هذا الشعور، وها أنت تعيش في هذا العالم ولم يبقَ في ذاكرتك أدنى شيء من حياتك في بطن أمّك.

ألا تفكّر أنّك عندما كنتَ في بطن أمّك، كنتَ تريد أن تبقى فيها ولا تخرج منها أبدًا، وتتصوّر عدم وجود عالم أفضل من بطن الأمّ وأكثر راحة منه؟ وغضبتَ بسبب الخروج الذي ربّما يعدّونه عندًا من الموت حتى أنّك كنت تصرخ حين دخلتَ في هذا العالم؟ لكنّك تصدّق اليوم أنّ الدنيا التي تعيش فيها أفضل من الدنيا التي كنتَ تعيشها في بطن أمّك!

قال جابر: مع أنّي لا أعلم كيف كانت حياتي في بطن أمّي، بيد أنّي أعتقد أنّ الدنيا التي أعيش فيها الآن أفضل من الدنيا التي كنت أعيشها في بطن أمّي![1]

بقاء الروح بعد الموت

و للإمام عليه السلام مناظرة طويلة مع جابر يثبت فيها بقاء الروح بعد الموت و تجرّدها. و واصل كلامه حتى قال: هل تشكّ في وجود الروح و حياتها المستقلّة حين الرؤيا (الحُلم) أو لا؟!

قال جابر: لا أشكّ في ذلك.

قال جعفر الصادق: هل تقرّ بأصل الحكمة القائلة بأنّ شيئاً إذا وُجِد لا يفنى؟!

---

1. ٥٥٧ إلى ٥٥٩ «مع زمتفكّر جهان ديگر».

قال جابر: نعم، اقترب لكي.

قال جعفر الصادق: فورك التي تجوُّلت، و لا تشكّ في وجودها لا تفنى بعد موتك. و لماذا كان ما تعرفه «الأنا» لماذا «الأنا» أيضاً ستعرف نفسك، لذا تبقى أنت و روحك بعد الموت.

قال جابر: لا أشكّ في وجود روحي حين الرؤيا (الحُلم). لكنّ هذا الوجود تبعيّ لا انفراديّ و مستقلّ. لأنّه لو لا جسمي لا أرى حُلماً، و لو لم أرَ حلماً فلا أشاهد روحي المجرّدة ذات الحياة المستقلّة.

قال جعفر الصادق: عندما تشرق عليك الشمس، و لا أو أي تبعيّ؟! يكون ظلّك في الأرض، فهل ذلك الظلّ تبعيّ؟!

قال جابر: هو تبعيّ.

فسأله جعفر الصادق: لأيّ شيءٍ تبعيّ؟!

أجاب جابر: تبعيّ شيئين: **الأوّل:** زوال الشمس، و **الثاني:** وجودي أنا. و بدونهما لا يوجد الظلّ.

قال جعفر الصادق: فقالاً لصل الحكمة فإنّ ظلّك الذي يسقط على الأرض ويزول في الظاهر بعد غروب

الشمس، لن يزول أبداً فضلاً عن روحك، و لو كانت ذات حياة تبعيّة.[1]

سبب سقوط الكواكب، و الحياة في العوالم الاخري

٤ - سؤال جابر بن حيّان حول النجوم

واصل جابر أسئلته بعد أن استفسر من الإمام عليه السلام عن سبب استمرار الكواكب السيّارة في الحركة، فقال: كيف تكون الكواكب في الفضاء؟!

[1]. ٥٦٤ و ٥٦٥ «مغز متفكّر جهان شيعه» ص

قال جعفر الصادق: بعض الكواكب السماويّة أجرام جامدة، و بعضها الآخر أجرام سائلة، و قسم منها وُجِد من الأبخرة.

فسأله جابر متعجّبًا: كيف يمكن أن نقبل وجود الكواكب السماويّة من الأبخرة؟!

و هل يتسنّى للبخار أن يتألّأ كما نشاهد الكواكب ليلًا؟!

قال جعفر الصادق: لم تتكوّن جميع النجوم من الأبخرة، لكنّ الكواكب التي تكوّنت من الأبخرة حارّة، و الحرارة الكثيرة تسبّب تألّؤ الكوكب كما تسبّب تألّؤ الشمس. و أرى أنّ الشمس من الأبخرة أيضاً.

قال جابر: ما بال حركة الكواكب لا تمنع من سقوطها؟!

قال جعفر الصادق: هل أدرتَ مقلاعاً فيه حجر حول رأسك؟!

أجاب جابر بالإيجاب.

قال جعفر الصادق: هل أوقفته فجأة عند التدوير؟!

قال جابر: لا، لم أوقفه!

قال جعفر الصادق: أوقفه مرّة عند تدويره لتعرف ماذا يحدث، وبعد توقيفه يسقط ويهوي الحجر الذي فيه إلى الأرض، وهذه قرينة على أنّ الكواكب تسقط إذا لم تكن في حركة دائميّة.

سأل جابر قائلًا: أنت قلتَ إن كلّ كوكب ذراه عالم بذاته.

فصدّقه جعفر الصادق.

سأل جابر: هل يعيش الإنسان في تلك العوالم كما يعيش في هذا العالم؟!

قال جعفر الصادق: لا أستطيع أن اجيبك حول الإنسان و أقول: هل يعيش الإنسان في العوالم الاخرى أو لا؟! ولكنّي لا أشكّ في أنّ كائنات

حيّة تعيش في العوالم الاخرى، وحنن لا نراها لبعد الكواكب عنّا.[1]

و يواصل جابر أسئلته إلى أن يقول: كنتُ أتحدّث سابقاً مع رجل يزعم أنّه مطّلع، فقال: يُؤاخَذُ بنو آدم جميعهم بذنب جدّهم. فسألته عن سبب ذلك، فقال: لا وجود للماضي و المستقبل عند الله، فكلّما هو موجود زمان حاضر بالنسبة إليه. و لمّا كان الآن هو الزمان الذي وجد فيه آدم عندهُ، فبنوه - و هم نحن - يؤاخذون بذنب آدم و حوّاء.

قال جعفر الصادق: غفل هذا الشخص عن أنّه لا وجود للزمان عند الله، فيشمله الزمان و لو كان حاضراً. و اشتمال الزمان من خصائص المخلوق لا الخالق.

لو كان هذا الرجل مسلماً لقلت له: إنّ الله حسب كلامه قد صرّح بأنّه يُدخل المطيعين الجنّة و يُدخل العاصين النار. و لكن لمّا كان غير مسلم (و إلّا لم يحدّثك بهذا الكلام) فينبغي إجابته بحكمة.

---

[1]. «مغز متفکر جهان شیعه» ص ۵۷۱ و ۵۷۲.

هذا الرجل فهم -من جهة- حقّاً وهو أنّ الله لا يشمله الماضي و المستقبل، لكن لا بمعنى عدم وجود الماضي و المستقبل بالنسبة إليه، أي: لا يستطيع أن يستنبط الماضي و المستقبل. و تشتّان بين من لا يشمله الماضي و المستقبل، و بين من لا يستطيع أن يفهم معنى الماضي و المستقبل! و أضرب مثالاً ليتيسّر فهم الموضوع:

إذا حرثت الأرض و زرعت فيها قمحاً فإنّك تعلم ما ذا سيكون القمح في المستقبل، لكنّك سوف لن يشملك مستقبل تلك الغلّة. و حبّات القمح التي بذرتها في الأرض، لا تعلم ما ذا سيكون مستقبلها، لكنّك تعلم ذلك أسبوعاً بعد أسبوع، و تعلم في كلّ أسبوع كيف يكون القمح، و درجة نموّه،

و قت حصاده.

القمح نفسه، بناءً على استنباطنا، لا يعلم عن ماضيه

و مستقبله شيئاً (أقول: بناءً على استنباطنا، لأنّ للقمح

شعوراً لكنّنا لا نعلم كيفيّته، و نعتقد بأنّ القمح لا يعلم عن

ماضيه و مستقبله شيئاً) لكنّك أنت زارعه تعلم عن

ماضيه و مستقبله جيّداً بدون أن يشمل ذلك الماضي و

المستقبل!

رّ تعالى غير مشمول بالتقدّم و التأخ

الله أيضاً لا يشمله ماضينا و مستقبلنا. و لا يشمله

ماضي هذا العالم و مستقبله، لكنّه يعلم ماضي و مستقبل

هذا العالم و كلّ موجود في هذه الدنيا.[1]

سأل جابر: هل يأتينا يوم نعرف فيه الوسائل التي

نصنعها العالم (أو الحياة)؟!

قال جعفر الصادق: نعم يا جابر! إذا إن ما أثبتته

التجربة حتى الآن هو أنّ للعلم فترات ركود و حركة. و

[1]. ٥٨٦ و ٥٨٧ «مغز متفكّر جهان شيعه» ص

لعلّ فترات حركة علميّة تظهر في المستقبل يفهم فيها الإنسان الوسائل التي تصنع بها العالم.

سأل جابر: ممّ تنشأ الشيخوخة؟!

قال جعفر الصادق: الأمراض التي تعتري الإنسان على نوعين: أمراض حادّة تعتريه فجأةً فيبرأ منها سريعاً أو تسبّب موته.

و أمراض مُزمنة و هي تدريجيّة و طويلة، و تبقى في جسم الإنسان مدّةً، و قد لا تُعالج حتى تهلكه، و الشيخوخة نوع من المرض لكنّه مزمن.

قال جابر: هذه أوّل مرّة أسمع فيها أنّ الشيخوخة مرض.

قال جعفر الصادق: يصل هذا المرض إلى بعض الأشخاص عاجلاً، و إلى بعضهم الآخر آجلاً. فالذين لا يتّبعون تعاليم الله و لا ينتهون عن

ذواهيه يشيخون عاجلًا، بيَدَ أنّ الذين يعملون بها يشيخون آجلًا.[1]

قال المترجم المحترم في الهامش: لاحظوا كيف ينطبق كلام الإمام عليه السلام مع النظرية العلمية الجديدة التي تذهب إلى أنّ الشيخوخة مرض. وقرأنا في مجلّة «علم و زندگی» (العِلم و الحياة) الصادرة بباريس أنّ الشيخوخة ناتجة عن فيروس. و يعيش فيروس الشيخوخة في دور المنوّ ثلاثين سنة بنحو متوسّط إلى أن يبلغ مرحلة الكمال. و إذا ما بلغها فإنّه يقتل الإنسان، و لو لا خشية الإطناب لنقلنا للقرّاء عمله كما جاء في المجلّة المذكورة.[2]

سأل جابر: هل يتسنّى لأحد الموجودات في الدنيا أن يشذّ عن القواعد التي وضعها الله للعالم، و يعصيها؟!

قال جعفر الصادق: يا جابر! محال أن يستطيع موجود الخروج على القواعد التي أقرّها الله لإدارة هذا

---

1. «مغز متفکّر جهان شیعه» ص ۵۹۳.

2. «مغز متفکّر جهان شیعه» ص ۵۹۴.

العالم ولو كانت ذملة أو أصغر منها وهي الذرّة، وما تسبيح الموجودات التي لا روح لها في رأينا لكن حركتها الحيويّة أكثر من (إلّا طاعة للقواعد التي أقرّها الله الإدارة العالم.

قال المترجم المحترم في الهامش: صرّح الفيزيائيّ الإنجليزيّ السير آرتور داينغتون المتوفّى سنة ١٩٤٤ م بأنّه إذا شذّت قطرة دم واحدة في جسم الإنسان أو أحد الأحياء الأخرى عن قانون الجاذبيّة العامّ فإنّ ردّ الفعل الناتج عن ذلك يدمّر كحدّ أدنى عالم الشمس التي نعرف بأنّها لا تشذّ عن القانون المذكور.

و إذا كان هذا القانون سائداً في العالم كلّه بالشكل الموجود في عالم

الشمس فسيُدمَّر العالم (و تدلّ الاكتشافات التي جرت في الربع الأخير من القرن الحالي أنّ هذا القانون سائد في مختلف أنحاء العالم أيضاً).

و يقول الفيزيائيّ الروسيّ: لو شذّت ذرّة واحدة في العالم عن قانون الجاذبيّة العامّ فسيُدمّر عالم الشمس، و يؤدّي إلى موتنا نحن المعدودين من كائنات هذا العالم.[1]

حول ساعات السعد و النحس

سؤال المُفَضَّل بن عَمْرو[2] حول ساعات السعد و النحس

كان المفضّل بن عمرو أحد تلاميذ جعفر الصادق، و خلّف آثاراً من دروس أستاذه.

سأله ذات يوم قائلاً: هل تصحّ ساعات السَّعد و النحس التي يعيّنها المنجّمون و أصحاب الطوالع؟!

---

[1]. «مغز متفکّر جهان شیعه» ص ۶۰۲.

[2] ذکر علماء الرجال أنّ اسمه عُمَر، و قال بعضهم عمرو أیضاً. و أوردنا هنا کما أورده صاحب النصّ من أجل أن لا نتصرّف فیه.

قال جعفر الصادق: كلّ ما كان من السِّحر باطل، و الله نهى عن السِّحر.

قال المفضّل بن عمرو: المنجّمون هم الذين يعيّنون ساعات السعد و النحس و هم ليسوا سَحَرَة.

قال جعفر الصادق: ما كان من علم النجوم معيِّن لساعات السعد و النحس فهو سِحر، و هو باطل كسائر أقسام السِّحر، و الله نهى عن كلّ نوع منه.

قال المفضّل بن عمرو: فجميع الذين كانوا يعتقدون بساعات السعد

و النحس هم على باطل.

قال جعفر الصادق: بلى يا مفضّل، و لكن في تلك الإنسان ساعات مسعدة و غير مسعدة.

قال المفضّل بن عمرو: لو كان الأمر كذلك فما ذا تختلف عن ساعات السعد و النحس التي يعيّنها المنجّمون؟!

أجاب جعفر الصادق: ساعات السعد و النحس التي يعيّنها المنجّمون تقوم على قواعد السِّحر. أمّا الساعات المسعدة و غير المسعدة الموجودة في الإنسان فهي مرتبطة بمزاج الإنسان و لا علاقة لها بالسِّحر.

يظهر الوضع المسعد أو غير المسعد عند كلّ أحد مرّةً في عدد من الأيّام، و أخرى في يوم واحد. و سببه هو أنّ الأخلاط ليست على حالة واحدة في وجود الإنسان دائماً، و تختلف في ساعات الليل و النهار، و تقوم بعض الأعضاء الباطنيّة في الجسم بأعمال لا تتشابه في الليل و النهار. و كانوا يعرفون هذا الموضوع في الأزمنة القديمة، و أحد الذين وقفوا عليه هو بُقراط

الطبيب، وهو القائل إن الكبد يقوم بعدد من الأعمال في البدن، لكنّه لا يقوم بها في لحظة واحدة، بل يجعل لكلّ واحد منها موعداً. وهذا الترتيب الذي يضعه الكبد للأعمال قد يؤثّر في وضعنا المزاجيّ أيّاماً وقد يؤثّر نهاراً وليلة.

وكذلك بشيءٍ لا يُبيّن لك كيف تكون ساعات السعد والنحس في وجودنا لا بالشكل الذي يذكره السَّحَرَة، فأقول قد تختلف غلظة دمنا في اليوم حتى الخُمس أو حتى الربع أحياناً. فعندما نستيقظ من النوم فجراً للصلاة فإنّ غلظة الدم تكون أقلّ ممّا هي عليه في الزمان الذي ننام فيه بعد الأعمال اليومية بخُمس أو حتى بربع.

هذا الموضوع يؤثّر في حالنا وقد يُحملنا وقد يجعل نشاطنا قليلاً.

ومن ثمّ فقد ننشط في يوم واحد عند ما تكون غلظة الدم قليلة، وقد نخمل حين تكون كثيرة.

فالمصابون بالربو إذا استعملوا دواءهم منتصف الليل فأثره أكثر مما لو استعملوه في النهار، إذ تتولّد عندهم حالة في الليل تضاعف أثر الدواء. فمنتصف الليل ساعة سعد لهؤلاء في استعمال الدواء، لأنّه يساعد في إزالة الانزعاج الناتج من الربو. ومع أنّ الربو لا يُعالَج باستعمال الدواء منتصف الليل، بَيْدَ أنّ الانزعاج يزول آنئذٍ فيستطيع المصاب أن ينام.

بعض الأطعمة التي نتناولها سعدٌ لنا وبعضها نحسٌ. فالأطعمة التي لا تثقلنا، ولا تحول دون قيامنا بأعمالنا، وتشعرنا بالقوّة والخفّة والنشاط إذا تناولناها سعد. يمكن أن نعبّر عنها أنّها

أمّا الأطعمة التي تثقلنا فلا نستطيع القيام بأعمالنا وتولّد فينا آثارًا سلبيّة نحسٌ إذ هي من جرّائها.

هذا هو السعد و النحس في حياتنا يا مفضّل، و لا وجود للسعد و النحس خارج المسائل المتعلّقة بمزاجنا.[1]

أجل، هذه المطالب المذكورة عزيزي القارئ من الكتاب الضخم ذي القطع الوزيري، البالغ عدد صفحاته (٦٢١) صفحة.

و أشعر هنا أنّي أضنّ على القرّاء إذا لم أتحفهم بذكر مقدار موجز آخر من هذا الكنز الذي راق أستاذنا العلّامة. و هو نُخبة من بعض محتويات الكتاب التي لا تتعلّق بجابر بن حيّان و المفضّل بن عمر. و تمثّل هذه النخبة عددين خاصّين من كرّاسات (دائرة انتشارات دروس، دفتر مذهبي سيمان و فارسيات) (=مركز «هُرُود» للنشر، مكتب «سيمان»

[1] إلى ٦١٧. «مغز متفكّر جهان شيعه» ص ٦١٥

و فارسيت» الدينيّ). و هاتان الكرّاستان هما اللتان و افتاني بريديّاً.

ةّيرشبلا ذقنملا وه هلآ و هيلع الله ىّلص دّمحم نيد

الكرّاسة الاولى و عددها (٢٢) تحمل عنوان «حقائق علميّة في الإسلام». و ننقلها فيما يأتي نصّاً لإيجازها و انتخابها، و نورد في الهامش المواضع المذكورة مطابقةً لأصل الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

كلّما تقدّم العلم البشريّ و خطا العلماء خطوات جديدة في اكتشاف أسرار الكون، بانت قيمة التعاليم الإسلاميّة و عظمة هدايتها أكثر فأكثر.

و لَعَلَّ إن القوانين التي وضعها خالق الإنسان و العالم بأسرار الخلقة و رموزها بارئ الموجودات و العالم بأسرار الطبيعة، و لن تبلى و تفقد شأنها و اعتبارها تنسجم مع الفطرة و تتجاوب معها أبداً.

الباحثون الواعون المنصفون الذين حصلوا على دراسة التعاليم الإسلاميّة أكبروا الدين و عبّروا عن احترامهم له و الثناء عليه بكلّ تواضع.

و اعتنق فريق منهم هذا الدين المقدّس و ألزموا أنفسهم باتّباعه حتى آخر أعمارهم.[1] و ذهب فريق آخر - بنظرته المنفتحة - إلى أنّ الإسلام دين العالم في المستقبل.

يقول الكاتب الإنجليزي الشهير برنارد شو (Bernard Shaw):

I have always held the religion of Muhammad in the highest esteem because of its wonderful vitality. It is the only religion which appears to possess assimilating...

و تعريبه: أنا أحترم دين محمّد غاية الاحترام دائماً لحيويّته العجيبة.

[1] انظر: كتاب «لماذا أسلمتُ؟ و كيف؟».

و هو الدين الوحيد الذي يبدو لي أنّه يستوعب بشتّى الظروف الحياتيّة المتغيّرة ....

هكذا أتوقّع و قد ظهرت آثاره منذ الآن، إذ ستقبل اوروبا دين محمّد في المستقبل. و كان رجال الدين في القرون الوسطى يقدّمون صورة مظلمة لدين محمّد نتيجة لجهلهم أو تعصّبهم. و كانوا يرونه ضدّ المسيح من المنطلق حقدهم و تعصّبهم. و لقد طالعتُ حول هذا الرجل المتفوّق و توصّلتُ إلى أنّه لم يكن ضدّ المسيح، بل ينبغي أن يُسمّى منقذ البشريّة.

و أحسب لو أنّ رجلًا مثله يقود العالم اليوم فسينجح في علاج مشاكله بنحوٍ يضمن فيه السلام و السعادة التي يتوق إليها جميع الناس.[1]

إنّ الآثار التي تركها الأئمّة الطاهرون عليهم السلام و علماء الإسلام الكبار قد أدهشت الباحثين و الدارسين.

نحن الذين نعتقد بأنّ قادة الإسلام هم صفوة الله و أحبّاؤه نحن الذين نعجب حين نقرأ علومهم المنبثقة من العلم الإلهيّ لا

[1]. ص ٢١ «ظاهرة الصحوة الإسلاميّة و الأفكار المعاصرة».

ريغ نيثحابلا نّأ َديَب ،ءاملعلا ءلاؤهل ةّيملعلا تاءوبنلا مولعلا راظنمن مءايشلأا ليلحتنو ديريذلا نيملسملا لا مهّنأ ىتح ةرجحلا و ةشهدلابنوباصُي ةّيدامل ةّيرشبلا .مهتريحو مهتشهدن امتكنو عيطتسي

قامت مجلّة «خواندنيها» قبل مدّة بترجمة كتابٍ بعنوان «مغز متفكّر جهان شيعه» و نشره. و الكتاب المذكور ألّفه لفيف من العلماء و الباحثين المسيحيّين (مركز الدراسات الإسلاميّة في استراسبورغ)[1] و لوانتي

دّمحمن بر فعجس دلسا مامل اةرايحر وكذلما بتاكلا .لليحتلا و ةسارد لبه مولعو مالسلا هيلع قداصلا مهنم فرعي فيصّصختين يذلا هوفّلؤم قبطّ تافاشتكلاا و مامل اتلكم ةّيملعلا عورفلا مع مولعلا :مهلحاد ن و لسا ن ورئاحم هّلكو ،ةثيدحلا

[1] -Strasbourg من مدن فرنسا، مركز ولاية الألزاس، على نهر الراين. نفوسها ١٩٥٠٠٠ نسمة، و فيها كنائس فخمة. («فرهنگ عميد»(= معجم عميد). معلومات عامّة) فارسيّ.

أيّ مصدر أخذ الإمام الصادق عليه السلام؟ وننقل فيما يأتي أقساماً من الكتاب المذكور كنماذج:

تدريس علم الطبّ

لدينا روايتان: إيجابيّة و سلبيّة حول تدريس علم الطبّ بين يدي محمّد الباقر عليه السلام. ويقول البعض إنّ الطبّ كان يُدرَّس هناك، في حين أنكر البعض الآخر ذلك. و لكن لا شكّ في أنّ جعفراً الصادق حين شرع بالتدريس فإنّه كان يدرّس علم الطبّ، وقد تركت آراؤه العلميّة في هذا المجال بصماتها على العلم المذكور. و كان الأطبّاء في القرنين الثاني و الثالث الهجريَين يستفيدون من آرائه الطبيّة.[1]

قلنا: إنّنا لا نعلم هل كان محمّد الباقر عليه السلام يدرّس الطبّ أو لا؟ وهل تعلّم ابنه ذلك العلم عليه أو لا؟ و لكن لا نشكّ أنّ جعفراً الصادق نفسه كان يدرّس علم الطبّ، وقد أتى فيه بأشياء لم يأتِ بها الأطبّاء في الشرق من قبله. و لا نريد من الشرق شبه الجزيرة العربيّة

[1]. مجلّة «خواندنيها» بالفارسيّة العدد ٣٧، السنة ٣٣.

لخلوّها من علم الطبّ، و إنّما وصل إليها الطبّ من منطق اخرى بعد الإسلام. و إذا سلّمنا أنّ الصادق عليه السلام تعلّم الطبّ من أبيه، فذلك يستلزم أخذ الأب علم الطبّ من مكان معيّن، و لا ندري من أين أخذه.[1]

و نحن نعلم أنّ جعفراً الصادق عليه السلام لم يزاول الطبّ فيستنبط تلك القواعد في سياق عمله. و إذا يبدو أنّه تعلّم تلك القواعد من أحدٍ، و إذا ما تعلّمها من أبيه، فمن أين تعلّمها الأب نفسه؟[2]

ً واحدا ً اراصعنلا سيلو بارتلا

- كان جعفر الصادق ذات يوم في درس أبيه الأستاذ - أي: الإمام محمّد الباقر عليه السلام - دار الحديث حول رأي أرسطو[3] في أصل الكون، و أنّه يتألّف من عناصر أربعة هي التراب، و الماء، و الهواء، و النار، فانتقد هذا الرأي و قال: أستغرب أنّ رجلاً مثل أرسطو لم ينتبه إلى

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. مجلّة خردنامه، الفرابي، العدد ٣٧، السنة ٣٣.

[3]- Aristoteles من حكماء اليونان الكبار، و هو الملقّب بالمعلّم الأوّل (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م).

أنّ العناصر الأربعة و منها التراب ليست عناصر بسيطة غير قابلة للتجزئة، و قال: إنّ التراب مركّب من أجزاء و عناصر كثيرة، و كلّ من الملزّات الموجودة في التراب عنصر مستقلّ.

و كان الاعتقاد بوجود عناصر أربعة سائداً من عصر أرسطو و إلى أيّام الإمام جعفر صادق عليه السلام، أي ما يقرب من ألف سنة. و الناس تذهب إلى ما ذهب إليه فلاسفة اليونان حول أصل الكون، و كانت العناصر الأربعة تعتبر ركناً هاماً في علم الأشياء، و لم يشكّك أحد في صحّة هذه النظريّة طوال هذه الفترة الممتدّة.

و بعد ألف سنة قال فتى لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره: إنّ التراب ليس عنصراً بسيطاً، بل هو مركّب من عناصر كثيرة.

و هذا الفتى نفسه بعد أن بدأ في التدريس خطّأ عنصراً آخر من حيث البساطة، و قال: الهواء ليس عنصراً بسيطاً، بل هو مركّب من عدّة عناصر.

و قد سبق جعفر الصادق عليه السلام علماء القرن الثامن عشر الميلادي في اوروبّا، الذين اكتشفوا أجزاء الهواء و حلّلوه، بألف و مائة سنة فقال: الهواء ليس عنصراً بسيطاً، بل هو مركّب من عناصر تشتّى.

إذا كان الجميع قد سلّموا بعد التفكّر و التعقّل أنّ التراب ليس عنصراً بسيطاً، بل عناصر عدّة، فلم يشكّ أحد في أنّ الهواء عنصر بسيط واحد.

لم يعلم أبرز علماء الفيزياء في العالم بعد أرسطو أنّ الهواء ليس عنصراً بسيطاً حتى في القرن الثامن عشر الميلادي الذي كان من قرون العلم الزاهرة إلى عصر لافوازييه[1] الفرنسيّ. و كان عدد من العلماء يرى أنّ الهواء عنصر بسيط، و لم يحسب أنّه مركّب من عدّة

[1] -Lawoisier كيميائيّ فرنسيّ يعدّ مؤسّس الكيمياء الحديثة (١٧٤٣ - ١٧٩٤ م).

عناصر. بعد أن استخرج لافوازييه الأكسجين وفصله عن سائر الغازات وبرهن على أثره الحيوي الفعّال في التنفّس وفي حياة الإنسان وعمليّات الاحتراق، سلّم جمهور العلماء أنّ الهواء ليس بسيطاً، بل هو مركّب من عدّة غازات. وفي يوم من أيّام سنة ١٧٩٤ م فُصل رأس لافوازييه عن بدنه بالمقصلة.[1] وانتهت حياة أبي الكيمياء الحديثة، الذي لو قُدّر له عمر طويل لحقّق إنجازات أخرى.

فلا بدّ إذن من الاعتراف بأنّ جعفراً الصادق، بذهابه إلى أنّ الهواء مركّب من عناصر مختلفة، قد سبق العلماء بألف ومائة سنة.

[1] المقصلة آلة استُعملت في فرنسا سنة ١٧٩٢ م لإعدام المحكومين وفصل رؤوسهم. Guillotine

و يذهب الشيعة إلى أنّه استنبط هذه الحقيقة العلميّة و غيرها من الحقائق بالعلم اللدنّيّ، أي: علم الإمامة.[1]

يظهر هذا الموضوع لنا عاديّاً اليوم، إذ نعلم أنّ في الكون مائة و عنصرين، أمّا في القرن السابع الميلادي و الأوّل الهجريّ فقد كانت نظريّة ثوريّة كبيرة. و لم تسلّم العقول البشريّة يومئذٍ بأنّ الهواء عنصر مركّب، و قول مرّة اخرى إنّه لم يسمع اوروبّا في ذلك العصر و الأعصار اللاحقة بعده حتى القرن الثامن عشر الميلادي أن تستوعب ذلك الرأي العلميّ الثوريّ و أشياء اخرى نطق بها جعفر الصادق عليه السلام و سنذكرها في الفصول القادمة ...[2].

رأي الإمام الصادق عليه السلام في احتراق الاوكسجين

الاوكسجين

قال في درسه: الهواء مركّب من عدّة أجزاء، و ينفذ أحد أجزائه في بعض الأجسام و يغيّرها، و هو الذي

---

[1] مجلة «خواندنيها» العدد ٣٩، السنة ٣٣؛ و «مغز متفكّر جهان شيعه» ص ٦٩ و ٧٠.

[2] مجلة «خواندنيها» العدد ٣٩، السنة ٣٣؛ و «مغز متفكّر جهان شيعه» ص ٧٢.

يساعد على الاحتراق، و لو لا مساعدته لا تحترق الأجسام القابلة للاحتراق.

و جعفر الصادق عليه السلام هو الذي وسّع هذه النظريّة، و هو القائل في دروسه أيضاً: إنّ الذي يساعد على احتراق الأجسام لو فُصل عن الهواء و تحصَّل بشكل خالص كان من فعله النفاذ في الأجسام و تذويب الحديد.

إذن، فقد سبق جعفر الصادق عليه السلام بريستلي[1] و لافوازييه بألف سنة في اكتشاف الأوكسجين، و إن كان لم يطلق عليه اسم الأوكسجين أو مُوَلِّد الحموضة.

و مع أنّ بريستلي قد اكتشف الأوكسجين لكنّه لم يمكنه أن يتوصّل إلى أنّه يُذيب الحديد. و مع أنّ لافوازييه قد استنبط أقساماً من خواصّ الأوكسجين بالتجربة بَيْدَ أنّه لم يوفّق إلى تجربة ذوبان الحديد بفعل الأوكسجين. أمّا جعفر الصادق عليه السلام فقد أدرك هذا الموضوع قبله بألف سنة. و نحن نعرف اليوم أنّه متى حُمّي الحديد

---

[1] -Priestely عالم إنجليزيّ اكتشف الأوزوت (١٧٣٣ - ١٨٠٤ م).

بالنار إلى درجة الاحمرار، ثمّ وُضع في اوكسجين خالص، اشتعل و انبعث منه شعلة مضيئة شبيهة بالفتيل الذي كان يغمس في الزيت في المصابيح القديمة. و يتسنّى صنعة مصباح فتيله من حديد و يغمس في اوكسجين سائل، و إذا اشتعل الفتيل إلى درجة الاحمرار فإنّه يضيء الليل بنور متألّلئ جدًّا.

و قد جاء في رواية أنّ الإمام محمّدًا الباقر عليه السلام قال في درسه: إن الماء الذي يطفئ النار يستطيع أن يوقدها بفضل العلم. فحسب البعض أنّ هذا القول ملقى على عواهنه، أو أنّه من قبيل الفكاهة أو خيالات الشعراء، ولكن الذي تحقّق فعلًا منذ القرن الثامن عشر أنّ الماء يزيد النار اشتعالًا، ويولّد قوّة محرقة أشدّ بكثير من نار الحطب، لأنّ غاز الهيدروجين، و هو أحد العنصرين المهمّين في تركيب الماء، قوّة إحراق إذا اضيفت إلى قوّة الاوكسجين بلغت درجة حرارتهما ٦٦٦٤ درجة. و يطلق على هذه العمليّة اسم العمليّة

الاوكسجينيّة الهيدروجينيّة، و هي تستخدم في لحام الحديد و الفولاذ، أو في تقطيع الفولاذ و تثقيبه.[1]

في مسألة دوران الأرض حول نفسها

كان هنري بوانكاره[2] الذي توفّي سنة ١٩١٢ م عن عمر ناهز السابعة و الخمسين يُعدّ أعلم علماء الرياضيّات في عصره. و يدلّ تأريخ وفاته على أنّه أدرك بداية القرن العشرين.

مع هذا كان يقول: إنّني غير متأكّد من أنّ الأرض تدور حول نفسها. فإن صحّ بأنّ عالماً كهنري بوانكاره شكّك في مطلع القرن العشرين بدوران الأرض حول نفسها، فمن السيء علينا أن ندرك ما اذا كان الناس يتصوّرون أو يقولون بشأن هذه النظريّة في النصف الأوّل من القرن الثاني الهجريّ.

---

[1]. ص ٧٤ «معجزة خواندنيها» العدد ٤٠، السنة ٣٣؛ و مغز متفكّر جهان شيء

[2]- Poincare فيلسوف و رياضيّ فرنسيّ معروف (١٨٥٤ - ١٩١٢ م).

دعب لّإ ًايلعي تبثي مل هاسفن لوحي ضرألا نارود و

ةركلا هاشد و ،رمقلا حطس ىلع هيمدق نانسإلا عضو ام

.كانذه نم ةضيرألا

و في نيسلا ىلولا نم غزو ءاضفلا لم ستطع

نيرواد ءاضفلا، إذل م نارود ضرألا نوحي لوّ

تكنل هم قاعد ةثابت ةيوذاك، و كانوا في مرا كب فضائيّة

تنطلق بسرعة فائقة و تدور حول الأرض مرّة في كلّ

تعين دقيقة أو أكثر، و لم تثبت أقدامهم في نقطة ما

ليشاهدوا منها حركة الأرض. و لكنّهم عند ما استقرّوا

على سطح القمر و وجّهوا أجهزة تصويرهم إلى

سطح القمر شاهدوا عند ئذٍ دوران الأرض حول نفسها

.... كذا ًآ يلعي لبطء، فثبت دورانها

ةركلا نّأ ًادّيجً أنّ غاليليو[1] كان يدرك أنّ حصي

ةضيرألا تدور حول الشمس كغيرها من كواكب

ةيسمشلا ةموظنملا، و لا يستبعد أبدا ًأن يكون قد انتهى

[1] -Galilee عالم و رياضيّ و منجّم إيطاليّ معروف اخترع المنظار الفلكيّ (١٥٦٥ - ١٦٢٢ م).

إلى أنّ الأرض تدور حول نفسها. و لكنّنا لا نجد في مؤلّفاته أثراً لهذا الكشف ... و لم يتحدّث في حياته عن دوران الأرض حول نفسها، كما لم يُلْحَظ في كتاباته شيء يدلّ على أنّه كان قد عرف ذلك.

و في القرن السادس عشر الميلادي كان عالم فلكيّ وآخر يعيش في الدانمارك و هو «تيخو براهة» يعتقد بدوران الأرض حول الشمس. و كان «براهة» يتنمي إلى طبقة الأشراف المترفة في بلاده على النقيض من «كوبرنيكوس البولونيّ»[1] الذي كان رقيق الحال لا يجد ما يسدّ به جوعه، في حين كان يتظاهر بالترف و يقيم في قصره المآدب الفخمة.

و قد مهّدت أبحاث تيخو براهة - الذي توفّي سنة ١٦٠١ م - في علم الفلك طريق الكشف أمام العالم الفلكيّ و الرياضيّ الألمانيّ كبلر،[2] فوضع هذا الأخير بفضله قوانين

---

[1] -Copernic عالم فلكيّ بولونيّ (١٤٧٣ - ١٥٤٣ م).

[2] -Kepler فلكيّ و رياضيّ ألمانيّ مشهور (١٥٧١ - ١٦٣٠ م).

الفلكيّة الثلاثة المشهورة الخاصّة بحركة السيّارات - و منها الكرة الأرضيّة - حول الشمس.

و لكن تيخو براهة لم يهتد بدوره إلى أنّ الأرض تدور حول نفسها. و لو اهتدى إلى هذه النتيجة لبادر إلى إعلانها، كما كان يدعم حركة الأرض حول الشمس علناً.

و ظلّت القوانين الثلاثة التي وضعها كبلر - المتوفّى سنة ١٦٣٠ - عن حركة السيّارات تنظر بإعجاب الأوساط العلميّة في ذلك الوقت إلى يومنا هذا. و ذلك العالم الكبير الذي أثبت للعالم نبوغه العلميّ باكتشافه القوانين الثلاثة لم يهتد إلى حركة الأرض.

و لكنّ جعفراً الصادق عليه السلام اكتشف هذه الحقيقة العلميّة قبله بثنيي عشر قرناً، و قال: إنّ الأرض تدور حول نفسها، و إنّ تعاقب الليل و النهار ليس سببه حركة الشمس حول الأرض (و كان يرى ذلك مستحيلاً عقلاً) و إنّ الليل و النهار ناشئان عن حركة الأرض حول نفسها، فيصبح

نصف الكرة الأرضيّة في نهار مشرق، و نصفها الآخر في ليل مظلم.

و القدماء الذين كانوا يعتقدون بكرويّة الأرض يعرفون أنّ نصف الكرة الأرضيّة ليل و نصفها الآخر نهار، بَيدَ أنّهم كانوا يرون أنّ الليل و النهار ناشئان عن حركة الشمس حول الكرة الأرضيّة.

فما الذي جعل الإمام جعفراً الصادق عليه السلام يكتشف أنّ الأرض تدور حول نفسها فيتعاقب الليل و النهار بسبب ذلك؟

في حين أنّ علماء القرنين الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين الذين ذُكرت أسماء بعضهم قد اهتدوا إلى قسم من القوانين الميكانيكيّة للنجوم دون أن يتوصّلوا إلى حقيقة دوران الأرض حول نفسها. بينما كان الإمام الصادق عليه السلام يعيش في منطقة -

المدينة - بعيدة كلّ البعد عن عواصم العلوم، فكيف اكتشف هذه الحقيقة؟[1]

نشأة الكون

قال جعفر الصادق بشأن نشأة الكون:

نشأ الكون من جرثومة، و هذه الجرثومة أصبحت قطبين متضادّين، و هذان القطبان المتضادّان سبّبا نشوء الذرّة، ثمّ نشأت المادّة، وتنوّعت، وتنوّعها ناشئ من قلّة ذرّاتها أو زيادتها.

و لا تختلف هذه النظريّة عن النظريّة العصريّة الخاصّة بالذرّة و أصل الكون. و قد أشار الإمام إلى وجود قطبين متضادّين، وهو ما يماثل القوّتَين الإيجابيّة و السلبيّة داخل الذرّة، و منهما تتألّف الذرّة نفسها، و تتولّد المادّة

---

[1] «معجزة خواندنيها» العددان ٤٧ و ٤٨، السنة ٣٣؛ و «مع مفكّر جهان شيعه» مجلّة خواندنيها، ص ١١٧ إلى ١٢٠.

(أي: الملاحظ بين المواد المتفاوتة من الذرّة، و العناصر)ناشئ من قلّة أو كثرة الأشياء التي تمثّل داخل الذرّة فيها العناصر الموجودة ....

و ترى الشيعة أنّ اهتداء الإمام إلى أسرار الكون و النجوم و علوم الفيزياء و الرياضيّات و ما إليها إنّما هو من خصائص الإمامة، أي: من مقتضيات العلم اللدنّيّ... و قد شرعنا القول في علم الإمام الصادق عليه السلام بالجغرافية و علم الهيئة و النجوم و الفيزياء في مبحث نشأة الكون، و ها نحن نواصل كلامنا في علم الإمام بالفيزياء، و سنصل بعده إلى مباحث اخرى، و نقول: تعرّض جعفر الصادق في مبحث الفيزياء لمسائل لم يتعرّض لها أحد، لا قبله و لا بعده إلى منتصف القرن الثامن عشر و إلى القرنين التاسع عشر و العشرين.[1]

---

[1] «مجلة خواندنيها» العددان ٤٧ و ٤٨، السنة ٣٣؛ و «مغز متفكّر جهان شيعه» ص ١٢٣ إلى ١٢٥. منتخب من

كان من رأي الإمام الصادق عليه السلام كغيره من المسلمين أنّ الإنسان خُلق من تراب، و لكن التوضيح الذي أتى به لم يقل به غيره من المسلمين لا قبله و لا بعده في العصور المتعاقبة. و لم يقم أحد بشرح أفكار الإمام الصادق عليه السلام بشأن الكيان البشري. فإن وجدنا شرحاً في العصور التالية للإمام فهو من صنع تلاميذه أو روّاد مدرسته.

يقول الإمام الصادق: إنّ جسم الإنسان يتألّف من نفس العناصر الموجودة في الأرض، و لكن بنسب متفاوتة، فهناك عناصر توجد في جسم الإنسان بنسبة أكبر من نسبة وجودها في الأرض، و هناك عناصر

اخرى توجد بنسبة أقلّ منها. كما كان يقول: إن هناك أربعة أشياء توجد في جسم الإنسان بصورة أكبر من سواها، كما أنّ هناك ثمانية أشياء تأتي في مرحلة ثانية، وثمانية أشياء هي أقلّ ممّا في القسمين الأوّلين.

و لا ريب في أنّ هذه النظريّة غريبة و بعيدة عن فهم الإنسان، و أنّ المرء ليتساءل تلقائيّاً: هل كان للإمام الصادق علم باطنيّ (غيبيّ) كما تقول الشيعة؟ و هل استنبط هذه النظريّة بعلم الإمام دون العلم البشريّ؟

و في رأينا أنّ من العسير التوصّل إلى مثل هذه الحقائق العلميّة دون مختبرات علميّة عصريّة، و لكن هذا هو ما تنتهي إلى علم الصادق قبل اثني عشر قرناً و نصف القرن ... .

إن جعفراً الصادق سواء كان له علم الإمامة باعتقاد الشيعة، أم انتفع بشعوره الباطنيّ حسب نظريّة القائلين بالشعور الباطنيّ غير المحدود، أم كان يتمتّع بالدفاعة

قويّة للحياة كما يراه برجسون،[1] قال شيئاً حول تركيب

جسم الإنسان أثبت أنّه لا نظير له في علم التشريح بين

معاصريه و من جاء بعدهم في العصور اللاحقة.

إذا برهن التمحيص العلميّ الدقيق لنظريّة الإمام

الصادق عليه السلام بعد اثني عشر قرناً و نصف قرن

على أنّها نظريّة صحيحة، حتى و إن كان الإمام لم يعط

أسماء معيّنة لأجزاء الجسم و المواد الّتي يحتويها.

و قد قال الصادق: إنّ العناصر الموجودة في

الأرض، و عددها مائة و اثنان، موجودة في جسم

الإنسان بدرجات متفاوتة. و إنّ بعضها يذهب من القلّة

المطلوبة بحيث لا يمكن تعيين مقداره و حجمه بالدقّة

هذا كما...

[1] -Bergson فيلسوف فرنسيّ معروف، حائز على جائزة نوبل ١٩٢٧ م (١٨٥٩ - ١٩٤١ م).

قلنا: تثبت هذه النظريّة اليوم.

إن العناصر الثمانية التي توجد في جسم الإنسان هي: المولبيدنوم - السلينيوم - الفلور - بمقدار ضئيل هي: المونغنيز - اليود - النحاس - الرصاص - الكوبلت.

و أمّا العناصر الثمانية التي توجد في جسم الإنسان بكمّيّة أكبر قليلًا فهي: المغنيسيوم - الصوديوم - البوتاسيوم - الكالسيوم - الفوسفور - الكلور - الكبريت - الحديد.

أمّا العناصر الأربعة التي توجد في جسم الإنسان بوفرة، فهي: الاوكسجين - الكربون - الهيدروجين - الأزوت (النتروجين).

لم يتسنّ للعلماء الاهتداء إلى هذه العناصر في جسم الإنسان في غضون يوم أو يومين. فقد بدأ هذا العمل عشر الثامن القرن بداية منذ دقيقة تشريح بعمليّات الميلادي، وكان فرنسا و النمسا دور رياديّ في اوروبّا في علم التشريح.

لم يزاوَل علم التشريح في البلدان الأخرى إلّا ذاداً. و لم يكن له وجود في الأقطار الشرقيّة، و في البلدان الأورو بيّة كانت الكنائس الأرثوذكسيّة و الكاثوليكيّة و البروتستانتيّة تخالف التشريح. أمّا في النمسا و فرنسا فقد كانت عمليّات التشريح تجري خفية خوفاً من معارضة الكنيسة.

مع هذا، لم يتّسع نطاق التشريح في فرنسا حتى عهد الطبيب الفرنسيّ (مارا). و كان يجري بخفاء تقريباً. و قام مارا بالاشتراك مع عدد من العلماء الفرنسيّين و منهم الوزير الشهير - الذي قطع رأسه بالمقصلة سنة ١٨٩٤ م - بتحليل الأنسجة و الخلايا في جسم الإنسان للوقوف على أسرارها و مكوّناتها.

وبعد وفاة مارا، استمرّت التجارب والتحاليل على جسم الإنسان يُجريها تلامذته والمتأثّرون به، وظلّت هذه التجارب تجري طوال القرن التاسع عشر وإلى مطلع القرن العشرين.

كان التشريح في بداية القرن الثامن عشر الميلادي مقتصراً على فرنسا والنمسا، ثمّ راج في سائر البلدان الأوروبيّة، وبلدان القارّات الأخرى. وأصبح اليوم متداولاً في كلّ مكان من العالم إلّا بعض البلدان التي ليس فيها كليّة الطبّ والجراحة.

أينما كان التشريح فإنّ التحقيق يجري حول العناصر التي يتألّف منها جسم الإنسان. وقد تختلف نتيجة التحقيق في الجزئيّات بين مركزين، أمّا في الأرقام الكبرى فلا اختلاف بينهما، والتناسب الذي ذكره جعفر الصادق محفوظ بشأن جميع الأشخاص السالمين في كافّة الأقطار.[1]

---

[1] ٢٦٢ ص «مجلة خواندنيها» العدد ٧١، السنة ٣٣؛ و «مغز متفكر جهان شيعه» ص ٢٧٠ إلى.

لم يتمثّل إعجاز جعفر الصادق في تحريك الجبل، بل يتمثّل في كشفه وجود الاكسجين في الهواء قبل اثني عشر قرناً ونصف القرن، وكذلك اهتدى آنذاك إلى أنّ في الماء شيئاً يحترق. من هنا ذكر أنّ الماء يتبدّل ناراً.

الذين يقولون: أبرز إعجاز ألحد الأنبياء كلامه، ينطقون بكلامٍ له أساسه القويّ كما يبدو ... إذ إنّنا عندما نسمع أنّ جعفراً الصادق اهتدى في النصف الأول من القرن الثاني الهجري إلى وجود الاكسجين

و الهيدروجين معاً في الماء) نصدّق في قلوبنا أنّه إعجاز ...

وذهل الإنسان في كيفيّة اهتداء جعفر الصادق أو أبوه (محمّد الباقر) إلى وجود غاز الهيدروجين الذي لا وجود لخالصه في الطبيعة، وليس له لون و رائحة و طعم؟!

جعفر الصادق أو أبوه لم يستطع أن يهتدي إلى وجود الهيدروجين إلّا في الماء، ولم يتسنّ له أن يعرف ذلك بلا تحليلٍ للماء.

إنّ تحليل الماء يستلزم استخدام التيّار الكهربائيّ، إذ لم يتيسّر تحليل الماء بشكل آخر. و هل استطاع أحد الاثنين أن يستخدم التيّار الكهربائيّ لتحليل الماء؟! و هو ما لا يقع موقع القبول.

إنّ أوّل من نجح في فصل الهيدروجين عن الماء في الأعصار الجديدة هو هنري كفنديش الإنجليزيّ الذي توفّي سنة ١٨١٠ م عن إحدى و ثمانين سنةً.

لقد جهد هذا العالم عدد سنين لتحليل الماء، و حصل بعد ذلك على الهيدروجين الذي سمّاه الهواء القابل للاحتراق، و كاد يحترق هو و بيته في أوّل مرّة أو قد فيها الهيدروجين ....

تمّ اكتشاف غاز الهيدروجين في وقت كان استخدام الطاقة الكهربائيّة قد تقدّم فيه بنحو تيسّر فيه تحليل الماء باستخدامها.

أمّا في عصر الإلهام الصادق فقد كان استخدام الطاقة الكهربائيّة في حدود استعمال القشّ و الكهرباء للهو و اللعب، و كانوا يدلكون قطعة من الكهرباء بقماش صوفيّ و يقرّبونها من القشّ فتجذب الكهرباء القشّ.

هل اهتدى جعفر الصادق أو أبوه محمّد الباقر إلى وسيلة لفصل الهيدروجين عن الماء، لم يطّلع عليها العلماء بعد؟ و هل استطاعا أن يفصلاه عن الماء بوسيلة غير التيّار الكهربائي؟

لم تُعرف وسيلة لفصل الهيدروجين عن الماء غير التيار الكهربائيّ منذ اليوم الذي نجح فيه كفنديش الأوّل مرّة في الحصول على الهيدروجين تحت يومنا هذا، ولم يستطع العلماء آنذاك أن يفصلوه عن الماء إلّا بهذه الوسيلة.[1]

تلوّث البيئة

لم يعرف عصر جعفر الصادق عليه السلام من الصناعات إلّا ما كان يدويًّا تقليديًّا، ولم تكن الصناعة الحديثة قد عرفت في ذلك الحين. وكانت عمليّة صهر الحديد والفولاذ تتمّ داخل أوانٍ كرويّة صغيرة على نار الحطب، وهذا لا يخلق مشكلة خاصّة بتلوّث البيئة.

وحتى لو استخدمت في صهر الحديد والفولاذ كمّيّات من الفحم الحجريّ بدلًا من الحطب، فإنّ حجم هذه العمليّة لم تكن بالقدر الذي يؤثّر في تلوّث البيئة. وعند ما شرعت ألمانيا الغربيّة وفرنسا وبريطانيا في

---

[1] مجلّة «خواندنيها» العدد ٧٥، السنة ٣٣؛ و «غزالي مفكّر جهان شيعه» ص ٩٣ و ٢٩٤.

إنتاج الحديد و الفولاذ في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، ثمّ تلتها دول اوروبيّة اخرى، لم تكن هناك شكوى من تلوّث البيئة بفعل هذه المصانع التي كانت تستخدم الفحم الحجريّ في صهر المعادن، و التي كان دخانها يتصاعد من المداخن طوال السنة دون توقّف.

فإذا كانت هذه الدول لم تشكُ من التلوّث، ولديها صناعة ضخمة للحديد و الفولاذ و قودها الفحم الحجريّ، فكيف و عصر الصادق عليه السلام الذي لم يعرف هذه المصانع الضخمة أصلًا و لم يعرف حتى الفحم الحجري؟

مع هذا قال جعفر الصادق، وكأنّه يرى العالم اليوم:

«إن على الإنسان ألّا يلوّث ما حوله» لكي لا يجعل الحياة شاقّة له ولغيره.

ولم يُعن العالم بموضوع تلوّث البيئة إلّا من نحو ثلاثين سنة عندما لفتت القنبلة الذرّية على اليابان و لوّث إشعاعها المنطقة المحيطة بمكان الإنفجار.

ولو اكتفوا بذلك الإنفجار لما تلوّثت البيئة، فقد واصلت البلدان الحائزة على السلاح النووي إجراء تجاربها على ذلك السلاح، وإلى جانب هذه التجارب تمّ تشغيل المصانع المولّدة للكهرباء بالطاقة الذرّية فازداد تلوّث الجوّ من النفايات السامّة.

وأدّت المصانع الضخمة في أوروبا وأميركا دوراً كبيراً آخر في تلوّث مياه الأنهار والبيئة، لأنّها كانت تلقي بنفاياتها في الأنهار الجارية، مثل نهر (الرون) في أوروبا الغربية، فقتلت الأسماك، وتعرّضت بحيرات المياه العذبة في أميركا الشمالية لمصير مماثل. وأخطر من تلوّث الجوّ تلوّث المحيطات، لأنّ العوالق البحرية

(البلانكتون) التي تعيش فيها معرّضة للفناء لا سيّما وهي تعيش قريباً من اليابسة. ومن فوائد هذه الأعوالق البحريّة أنّها تولّد حوالي ٩٠% من الأوكسجين المنتشر في الأرض، وإن فقدها التلوّث هبطت نسبة الأوكسجين إلى ١٠% وهو ما لا يفي بحاجات التنفّس للإنسان والحيوان والنبات، ممّا يهدّد الحياة نفسها، ويذر بانقراض نسل الحيوان والنبات. وهذه النتيجة ليست مجرّد نظريّة تحتمل الصدق والكذب، بل هي محاسبة علميّة. فبسبب تلوّث المحيطات يتناقص عدد الأعوالق البحريّة في كلّ سنة، وسينخفض عددها إلى النصف بعد خمسين سنة، مع ما يترتّب على ذلك من انخفاض الأوكسجين في الأرض بنسبة مماثلة.

و معنى هذا أنّ الطفل الذي يولد اليوم، و الذي تكتب له الحياة إلى أن يبلغ الخمسين من عمره ستتنفّس وقتذاك و كأنّه يتسلّق جبال الهملايا دون الاستعانة بجهاز الأكسجين.

و إذا استمرّ تلوّث مياه المحيطات فسيكون تنفّس الملايين من الإنسان و الحيوان بعد خمسين سنة كتنفّس المصابين بالاختناق.

و إذا رغب امرؤ بعد خمسين سنة في إشعال عود ثقاب أو موقد الطهي، لوجد صعوبة في ذلك لعدم توفّر القدر الكافي من الأكسجين في الهواء، هذه حقيقة و ليست خرافة ... .

وقوفاً على عدم الالتزام بوصيّة جعفر الصادق عليه السلام بأنّ يلوّث الإنسان ما حوله، و كيف يفضي هذا إلى تورّط شعب غنيّ بالمشاكل الناجمة عنه، نضرب مثالاً بالياباني و نقول:

ها نحن نرى اليابان متقدّمة في صناعات السيّارات، و الحاسوب الألكتروني، و الأقمشة

المصنوعة من الألياف الصناعيّة (السليلوز) و في صناعة السفن، و أجهزة المذياع و التلفاز، و أجهزة التصوير، و الدرّاجات النارية، و محرّكات، و لعلّها تحتلّ المنزلة الثانية بعد أميركا في هذه الصناعات.

إذا أردنا أن نعرف كيف استطاعت اليابان أن تصل إلى هذا المستوى الصناعيّ و التجاريّ خلال فترة قصيرة و هي التي بدأت من الصفر، خرجنا من نطاق بحثنا الذي يحوم حول تلوّث البيئة. و نقول بإيجاز: ثمّة عاملان أصليّان أوصلاها إلى هذا المستوى، و هما: الإدارة الجيّدة الكفوءة، و إخلاص العامل الياباني في عمله.

بَيْدَ أنّ هذا الشعب الغني العامل لم يتنبه إلى أن يمسك عن تلوّث البيئة، فإنّه الآن لم يُمْنَ بإشكال كبير فحسب، بل عرّض نفسه للخطر،

فظهرت في البابان أمراض لم يعهد تأريخ الطبّ مثلها بسبب تلوّث البيئة ...[1].

آلان أدرك الإنسان الأخطار الناجمة عن تلوّث البيئة، بخاصّة الأرض و الأنهار و البحار. أمّا أُولو الألباب الغابرون كجعفر الصادق عليه السلام فقد أدركوا ذلك قبل ألف و مائتي سنة فقالوا: إنّ على الإنسان أن يعيش بنحوٍ لا يلوّث فيه ما حوله.[2]

إنّ ما تقدّم كان نموذجاً آراء الباحثين في استراسبورغ حول أقسام من المعطيات العلميّة للإمام الصادق عليه السلام و قد نقلناها من مجلّة «خواندنيها» بيَدَ أنّ الباحثين المذكورين قد حصلوا على دراسة حياة إمامنا السادس بحسب أفصاحهم الذهول، فكيف بهم إذا قاموا بدراسة حياة سائر الأئمّة عليهم السلام؟ إذ لو ألقوا نظرة عليها الْفَهُم مستوعداً للعلوم الإلهيّة كالصادق عليه السلام.

---

[1]. ٣٨٧ إلى ٣٧٩ ص من «مقتطفات من كتاب «مغز متفكّر جهان شيعه»».

[2]. ٣٣ السنة، ٩١ إلى ٨٩ العدد لـ«مجلة خواندنيها».

و .يتصدّر القرآن الكريم العلوم و الآثار الإسلاميّة
هو زاخر بالمسائل العلميّة التي اهتدى العلماء
.المعاصرون إلى بعضها

الجاذبيّة العامّة

و ،يقولون: إن نيوتن[1] هو الذي اكتشف قوّة الجاذبيّة
الذي مهّد لهذا الاكتشاف هو سقوط تفّاحة من شجرة كان
جالساً تحتها فخمّن وجود

جاذبيّة دائمة بين الأجسام. و أيّدت التجارب التي
أجريت بعده صحّة هذه النظريّة. بَيْدَ أنّا لو رجعنا إلى
القرآن الكريم لوجدناه قد صرّح بوجود هذه القوّة في
العالم قبل أربعة عشر قرناً. قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ
.[2] ... السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا

نصّت هذه الآية على أنّ الكرات السماويّة ثابتة
بفضل أعمدة لا ترى، و هذه الأعمدة هي قوّة الجاذبيّة
.العامّة

---

[1] Issaac Newton- رياضيّ و فلكيّ إنجليزيّ مشهور، و هو واضع
نظريّة الضوء (١٦٤٢ - ١٧٢٧ م).

[2] .الرعد: ١٣، من الآية ٢

إن البحث في هذا المجال، و ذكر أدلّة اخرى يتطلّبان فرصة كبيرة. فعلى الراغبين مراجعة الكتب المفصّلة التي ألّفها العلماء في هذا المجال. علماً أنّنا سنتحدّث أيضاً عن هذه الامور في المستقبل بفضل الله تعالى -انتهى.[1]

العلوم التجريبيّة في كلمات المعصومين عليهم السلام

و ننقل فيما يأتي الكرّاسة الثانية المتمثّلة بالعدد ٢٣ من مجلّة «الحقائق العلميّة في الإسلام» على نفس النسق الذي نهجناه في العدد ٢٢ المار ذكره.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن المباحث الواردة في القرآن الكريم و سائر الآثار الإسلاميّة، التي هي بين أيدي العلماء، تشتمل على

[1] كرّاسة «حقائق علمي در اسلام»(= الحقائق العلميّة في الإسلام) العدد ٢٢، مركز نشر شركة الإسمنت المساهمة في فارس و خوزستان، درود، المكتب الدينيّ لمعامل «سيمان و فارسيت».

مسائل علمية عميقة و قد ظفر الباحثون الأوائل ببعضها و أدركوها.

لم تستخدم الاصطلاحات المعاصرة المتداولة في تلك الآثار، بيد أنّ

الباحثين على علمٍ بأنّ عدم استخدامها يعود إلى عدم استعداد الناس يومئذٍ و قد عرض أئمّة الإسلام و قادته المطالب العلميّة العميقة بنحوٍ يفهمه مجتمعهم نوعاً ما.

ففي عصرٍ لم يُصنع فيه المِرقَب (التلسكوب) و لم يُؤسَّس فيه المرصد، و لم يطّلع فيه أحد على الكون الفسيح. وفي عصر لم تُكتَشف فيه الجراثيم، و لم يُعرَف فيه المجهر، و لم يطّلع فيه أحد على الكائنات الدقيقة المجرّدة. و في عصر لم يسخّر فيه العلماء الطاقة الكهربائيّة، و لم تُطرح فيه الاكتشافات المتعلّقة بها، تكون الأرضيّة غير مساعدة لإبراز الحقائق العلميّة، و لا سبيل إلى تفهيمها و تبيانها إلّا الإشارة أو استعمال العبارات و المصطلحات المتداولة آنذاك.

من هذا، جاءت المسائل العلميّة جميعها في آثار أئمّة أهل البيت عليهم السلام بمستوى تفهم مجتمعاتهم و بألفاظٍ قابلة لإدراكهم.

نقلنا في البحث المتقدّم مقتطفات من كتاب «مغز متفكّر جهان شيعه» الذي يعرض قسماً من علوم الإمام

السادس جعفر الصادق عليه السلام. و لمّا كان لهذه البحوث التي كتبها من الباحثين و العلماء المحايدين أثرها المطلوب على القرّاء، ننقل فيما يأتي أقساماً من اخرى منها:

ذكرنا سابقاً أنّ مجلّة «خواندنيها» قامت بنشر الكتاب على شكل مقالات متسلسلة بعد أن ترجمه الأخ منصور إلى الفارسيّة.

و هذا الكتاب أعدّه لفيف من العلماء و الباحثين المسيحيّين في مركز الدراسات الإسلاميّة في استراسبورغ، و كلّ منهم متخصّص في فرع من العلوم المختلفة.

تأسّس المركز المذكور في مدينة استراسبورغ مركز مقاطعة الألزاس الفرنسيّة على ضفاف الرون. و يزاول عمله في تحقيق و دراسة المسائل و الآثار

و العلوم الإسلاميّة،[1] و يستأثر هذا الكتاب بدراسة آثار الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

النقطة التي ينبغي أن ننبّه عليها هي أنّنا لم نغيّر في عبارات الكتاب شيئاً مراعاةً لأمانة. و إذا ما ذُكر اسم الإمام السادس عليه السلام مجرّداً بلا تبجيل، فذلك يعود إلى أسلوب المؤلّفين المحترمين أنفسهم. و فيما يأتي أقساماً من الكتاب:

توصية الإمام الصادق بإرفاق الطفل في الجانب الأيسر من الأمّ

من مظاهر عبقريّة جعفر الصادق توصيته للأُمّهات بأن يرضعن أطفالهنّ و هم راقدون إلى الناحية اليُسرى منهنّ.

و ظلّت هذه التوصية طوال قرون ممتدّة كمزايدة لا لزوم له أو تدخّل فيما لا يعني و سبب ذلك أنّ أحداً لم يُدرك فائدتها. و لعلّ البعض كان يرى خطراً في تنفيذها

---

[1] ذكر المترجم المحترم في مقدّمة الكتاب أنّ هذه المؤسّسة متخصّصة للتحقيق في جميع الأديان و لا تقتصر على الدين الإسلاميّ وحده. أمّا تلك اللجنة المؤلّفة من خمسة و عشرين عالماً ذُكرت أسماؤهم. فإنّها تتخصّص في الدراسات المرتبطة بالمذهب الشيعيّ.

ويخال أنّ الطفل الرضيع ولو قد إلى الجانب الأيسر من

أمّه فبمّا تتحرّك الأمّ عند ذوقها وتختفه تحتها.

وعند ما سئل محمّد بن إدريس الشافعيّ -الذي وُلد

بعد وفاة جعفر الصادق بعامين (أي: في سنة ١٥٠ هـ) في

مدينة غزّة، وتوفّي في القاهرة في سنة ١٩٩ هـ عن

رضاعة الطفل، وهل الأسلم أن يرضع الطفل وهو

راقد إلى الجانب الأيمن من أمّه أو إلى جانبها الأيسر،

ردّ قائلًا: لا فرق بين الأيمن والأيسر، ولا لُأمّ أن تُرضع

طفلها كما تشاء وبالأسلوب الذي يشعره

بالراحة.

و رأى البعض أنّ كلام جعفر الصادق يغاير العقل السليم، و أنّه خالف ما جرت عليه الأمّهات من وضع الطفل في الحاضنة اليُمنى عند إرضاعه، و أنّ من الأكرم للأمّ و للطفل أن يكون في الحاضنة اليمنة عند الرضاع.

و هكذا خفيت الحكمة من هذه النظريّة في الشرق و في الغرب، و لم يُقم أحد فيهما وزناً لها، حتى في عصر النهضة و التجديد حيث يهتمّ العلماء بكلّ موضوع علميّ من منظار نقديّ. و لم يقع أحد على الفوائد المرتجاة من تطبيقها عمليّاً عند الرضاعة.

و مرّت القرون السادس عشر و السابع عشر و الثامن عشر الميلاديّ، و هي قرون التجديد، ثمّ حان القرن التاسع عشر فانشئت جامعة كورنيل في ولاية نيويورك و بدأت عملها في النصف الثاني من ذلك القرن.

يُعزى الفضل في تأسيس هذه الجامعة إلى عزرا كورنيل الذي عانى في صغره عناءً شديداً من مشكلات

الرضاعة ومتاعبها. ومن هنا اعتزم أن يلحق بالجامعة مستشفى، و أن يلحق بالمستشفى معهداً لدراسة مشكلات الرضاعة و الطفولة.

أنشأت جامعة كورنيل هذا المعهد في أوّل سنة دراسيّة. و التحق بكلّيّة الطبّ. وها هو يواصل عمله في دراسة كلّ ما يتعلّق بالطفولة و الرضاعة منذ ما يربو على قرن من الزمان.

وقلّ أن تجد موضوعاً يتعلّق بالطفل أو بالرضاعة إلاّ وفّاه هذا المعهد دراسةً و بحثاً و خرج فيه بأسلم النتائج العلميّة. و لا يفوقه مركز علميّ في العالم من حيث المعلومات المرتبطة بالرضّع.

ويستحيل أن تجد موضوعاً مرتبطاً بهم إلاّ وقد نال نصيبه من

الدراسة، حتى اللوحات الزيتيّة التي رسمها كبار الفنّانين للأطفال و التي تقتنيها المتاحف الرئيسة، و لوحظ أنّ معظم هذه الصور كانت تمثّل الأمّ حاملة طفلها من الناحية اليُسرى. ذلك أنّ عدد الصور التي دُرست كان ٤٦٦ صورة، تبيّن أنّ ٣٧٣ صورةً منها تمثّل أمّهات يحضنّ أطفالهنّ في الناحية اليُسرى، في حين أنّ ٩٣ صورة كان الطفل فيها محمولًا من الناحية اليمنى. أي: أنّ ٨٠% من الصور الموجودة في المتاحف المعروفة، و التي تمثّل الأمومة، قد أظهرت الطفل محمولًا من الناحية اليسرى.

و في ولاية نيويورك عدد من مستشفيات الولادة التابعة لمؤسّسة كورنيل الجامعيّة للأطفال. و الأطبّاء العاملون فيه يوافون المعهد العلميّ للجامعة بالتقارير و الملفّات الطبّيّة الخاصّة بالأطفال و الأمّهات لدراستها.

و يستشفّ من التقارير المرسلة إلى هذا المعهد العلميّ في فترة غير قصيرة أنّ الطفل في أيّامه الأولى يكون أهدأ و أقلّ بكاءً و نائمًا إلى الجانب الأيسر أكثر.

إنذام إلى الناحية اليمنى، فهو يستيقظ في فترات قصيرة متقطّعة ويجهش في البكاء.

ويلاحظ أنّ هذه الدراسة تناولت الأطفال البيض والسود دون تفرقة. وقد برهنت في جميع الحالات على أنّ الطفل، سواء كان أبيضاً أم أسوداً أم هندياً أحمر، يجد مزيداً من الراحة والهدوء إذا رقد إلى الجانب الأيسر لأُمّه. وقد أنفقت جامعة كورنيل وقتاً طويلاً متواصلاً في بحث هذا الموضوع. وتوفّر للأطبّاء في مركز البحوث على فحص بطن الحامل بأشعّة مجهولة حتى يروا الجنين فيها. لكنّ رؤيته لم تُضِف إلى معلوماتهم شيئاً إلى أن تمّ اختراع جهاز هولوجرافي.[1]

وبعد اختراع هولوجرافي حاول الأطبّاء تصوير الجنين في بطن أمّه في وقت كشفته الأشعّة المجهولة،

---

[1] وذو هولوجرافي بمعناه البسيط: تصوير الأشياء الدقيقة جداً، وهذا التصوير ثلاثة أبعاد. ولا يصوّرون به اليوم الأشياء الدقيقة فحسب، بل يصوّرون الصوت أيضاً. وتصل أمواج الصوت إلى العين على فيلم فوتوغرافيّ بشكل دوائر وأشكال بيضويّة منظّمة. وتبلغ قوّة الجهاز المذكور في تصوير الأشياء مبلغاً يُرى فيه الكريّة البيضاء أو الحمراء في الدم بحجم الفيل.

فتبيّن أنّ ضربات قلب الأمّ تُحدث أمواجاً تنتشر في جسمها وتصل إلى سمع الطفل. وبعد أن عرف الأطبّاء هذه الحقيقة، رغبوا في معرفة الآثار التي تظهر في الطفل عند توقّف ضربات قلب الأمّ. ولمّا لم يستطيعوا أن يوقفوا قلب الأمّ إذ يعني الموت للأمّ وللطفل معاً، فأجروا تجاربهم على الحيوانات المرضعة، فتبيّن لهم أنّ إيقاف نبضات قلب الحيوان الحامل ينعكس على جنينه فوراً. وهي نتيجة تحقّقت من التجارب التي أجريت على فصائل تشبّه من الحيوانات. وقطع الأطبّاء بأنّ توقّف قلب الأمّ يؤثّر تأثيراً مباشراً على الجنين، وبوفاة الأمّ يموت الجنين بدوره، لأنّ الجنين يتغذّى من الشريان الوريدي المتّصل بقلب الأمّ ويتأثّر بنبضات قلبها. ولو توقّف هذا النبض لانقطع الغذاء عن الجنين ومات في بطن أمّه.

وقد استنتج الأطبّاء من هذه التجارب أنّ الجنين لا يعتاد سماع ضربات قلب أمّه فحسب، بل إنّ حياته

ترتبط أيضاً بهذه الضربات. فإن توقّفت الضربات انقطع الغذاء عن الجنين وماتَ.

وقد اعتاد الجنين على سماع ضربات قلب أمّه بحنو وأنّه إذا لم يسمعها بعد ولادته فإنّه يشعر بالقلق. ويشخّص تلك الضربات جيّداً. وهذا هو السرّ في أنّ حمل الطفل منذ ليلة الأمّ يجعله أكثر اطمئناناً

وهدوءاً، وهو ما يفتقر إليه الجانب الأيمن للأمّ.

بحوث مؤسّسة كورنيل حول موضوع هذه التوصية

ولو لا جهود المعهد العلميّ الجامعيّ الذي أسّسته جامعة كورنيل في دراسة أوضاع الطفل ومشكلاته الصحّيّة والنفسيّة وأسباب الرعاية السليمة التي تتُاح له في أيّامه الأولى، لما عرفنا أهمّيّة النظريّة التي ساقها جعفر الصادق في هذا المقام، ومؤدّاها أنّ الرضاعة السليمة تقتضي من الأمّ توسيد طفلها إلى جانبها الأيسر لا الأيمن.

وقد ارتأى مركز الولادة ورعاية الطفل التابع لجامعة كورنيل تجهيز جميع فروعه وحداته بجهاز يوضع في غرفة الأطفال الحديثي العهد بالولادة، ومهمّته بثّ صوت شبيه بنبضات قلب الأمّ، وزوّدت أسِرَّة الأطفال بجهاز مهمّته نقل صوت هذه الضربات إليهم. ومعروف أنّ قلب الشخص البالغ السليم يدقّ عادةً ٧٢ مرّة في الدقيقة.

ومن التجارب التي اجريت على الأطفال زيادة عدد
نبضات القلب إلى ١١٠ أو ١٢٠ نبضة في الدقيقة، فكان
من أثر ذلك انزعاج الأطفال و ارتفاع أصواتهم بالبكاء.
فإن اعيدت النبضات إلى وضعها الطبيعيّ، و هو ٧٢
دقّة في الدقيقة كفّ الأطفال عن البكاء. و قد جُرِّبت هذه
التجربة و اعيدت في مراكز الرضاعة مرّات كثيرة
فكانت نتيجتها واحدة.

و هناك تجربة اخرى اجريت على الأطفال
الرضّع، فقد وُضعت مجموعة منهم في غرفة بها جهاز
يقلّد ضربات قلب الامّ بحيث لا يسمعه الأطفال، و
وُضعت مجموعة اخرى في غرفة بحيث يسمعون
ضربات قلبها، فاتّضح للأطبّاء أنّ الأطفال الذين
يسمعون صوت النبضات يزيد وزنهم بسرعة تفوق
سرعة الوزن لدى الذين لا يسمعون، في حين أنّ الغذاء
المقدّم للمجموعتين متشابه من حيث النوع.

لكن في الغرفة التي يسمع فيها الأطفال صوت
النبضات يأكلون

.هنوعمسيلا نيذلا ةيهشقوفتةيهشب

ّمالا بلقلّيعانطصلاا تصوتا يلصا ًفيضأ اوثحبو دهعملا ةدلاولا زكارم يف كلذ و ،هتّدشت ثيح نم اذإ تصوتا كلذّنأ اوفرعفلينروكةعماجيفتاساردلا هّنإفّمالا بلقا تاضبنلّيعيبطلا تصوتا نمّدشأ نكا ءاكبلا ىلإ مهعفديو لافطلأا قلقُي.

و قد قام الدكتور «لي سولك»، و هو طبيب متخصّص في طبّ الأطفال في معهد كورنيل الجامعيّ بجولة حول العالم لدراسة التقاليد التي تجري عليها الشعوب و الامم في إرضاع الطفل و رعاية الطفولة، و كتب في تقريره يقول إنّه رأى في مناطق شتّى من العالم امّهات يحتضنّ أطفالهنّ في الجانب الأيسر، و ذلك أثناء نهوضهنّ بأعمالهنّ أو عند عبور الطرق. كما لاحظ أنّ معظم الامّهات اللائي يحضنّ أطفالهنّ من الناحية اليمنى هنّ عسراوات (أي: يستخدمن أيديهنّ اليسرى). بخاصّة إذا حملن زنبيلًا فإنّهن يحتضنّ أطفالهنّ في

الجانب الأيمن بأيديهنّ حتى تستطيع الزنبيل بالأيسر.

و ممّا قاله الدكتور «سوك» في تقريره إنّه سأل عددًا من الأمّهات الخارجات من مركز الولادة عن سبب حملهنّ أطفالهنّ من الناحية اليسرى و إرضاعهنّ لهم في هذا الوضع، فلم تستطع الأمّهات تعليل ذلك و لا خطر ببال إحداهنّ أن تقول للدكتور «سوك» بأنّ الطفل يأنس بسماع صوت القلب عند ما تحمله أمّه من الناحية اليسرى. و الأمّهات يحضنّ أطفالهنّ في الجانب الأيسر بدون أن يعرفن سبب ذلك.

حتّى النساء الإفريقيّات السودانيات فإنّهنّ عند ما يحملن أطفالهنّ على ظهورهنّ يجعلنهم في الجانب الأيسر من أجسامهنّ. و في جميع الطوائف الإفريقيّة السوداء تعرف النساء أنّهنّ عند ما يضعن الطفل في

وحنب الجانب الأيسر من صدورهن فإنّه يرضع من الثدي الأيسر أكثر منها لأفضل. وشهيّته لالترتضاع من الثدي الأيسر أكثر من الثدي الأيمن لالترتضاع.

وسمع الدكتور «علي سولكي» من الأمّهات أنّ الطفل عند ما يجوع ليلًا فإنّه يهتدي إلى الثدي الأيسر في الظلام بسرعة محيّرة ويلتقم الثدي ويرضع بسرعة.

إنّهم يتعجّبون لسرعة الطفل في وضع فمه على الثدي بدون أن يكون مصباح مضيء يرى الطفل بواسطته ثدي أمّه.

ويوضّح الدكتور «علي سولكي» الأُمّهات أنّ دليل الطفل للرضاع من ثدي أمّه ضربات قلبها، وأنّه عند ما يسمعها يهتدي إلى ثديها الأيسر ويضعه في فمه بلا تردّد.[1]

---

[1] صحيفة «الوطن» السعودية، العدد ١٠٠، السنة ٣٣؛ ومجلة «خواطر» العدد ٤٦١، ص ٤٥٥ إلى ٤٥٦.

... و من النظريات التي قال بها جعفر الصادق و كشفت عن نبوغه العلميّ و إحاطته الواسعة بدقائق العلوم نظريّة المتعلّقة بانتقال بعض الأمراض من المريض إلى السليم عن طريق الضوء.

و ذكر جعفر الصادق أنّ أمراضاً ينبعث منها ضوء، فإذا أصاب الضوء أحداً اتابته العلّة.

و لا بدّ من ملاحظة أنّ هذا القول لا ينسحب على العدوى بطريق الهواء أو الميكروب (إذ لم تُكشف هذه الحقيقة في النصف الأوّل من القرن الثاني الهجريّ). و إنّما ينصبّ هذا القول على الضوء، و ليس كلّ ضوء، بل الضوء الذي يشعّه المريض، فإذا أصاب سليماً أمرضه.

و قد ذهب علماء الأحياء و الطبّ إلى أنّ هذه النظريّة ضرب من الخرافة، اعتقاداً منهم بأنّ العامل الرئيس في انتقال المرض هو الميكروب أو الفيروس الذي ينتقل بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الحشرات أو الماء أو الهواء الملوّث أو الاحتكاك المباشر بين المريض و السليم.

و كان الاعتقاد السائد قبل اكتشاف الميكروب و الفيروس أنّ الرائحة هي السبب الفعّال في انتقال المرض. و لهذا صرفوا اهتمامهم إلى الحيلولة دون انتقال الرائحة من المريض إلى السليم. أمّا ما ذهب إليه الصادق عليه السلام من أنّ الضوء المشعّ المنبعث من المريض هو الذي يتسبّب في نقل العدوى، فهو نظريّة لم يقل بها أحد في أيّ مرحلة من مراحل تأريخ الطبّ الطويل.

و ظلّت هذه النظريّة معدودة من الخرافات في رأي العلماء و الباحثين إلى أن جاءت التجارب العلميّة المعاصرة جعفر آراء معززةً لها و مُثبتة لصدق

الصادق، إذ إن بعض الأضواء إذا انتقلت من المريض إلى السليم فإنّها تُمرضه. و كشفت هذه الحقيقة لأوّل مرّة في الاتّحاد السوفييتيّ (السابق).

داحّتلاا يف ةعقاوللاكسريبيسب- وو- وونه ةنيدمي ففي ثوحبلا زكارم نم أهمّ مركز يبيسب اي

إجراء تجارب مهم كان على الخلايا الموجودة في:

اختار العلماء مجموعتين من الخلايا الموجودة في كائن حيّ، و فصلوها عن بعضها فرأوا أنّ تلك الخلايا تشعّ أنواعاً من الفوتون[1]... وبعد أن اختاروا تينك المجموعتين من الخلايا المتماثلة من كائن حيّ و المجموعتين من الخلايا المتماثلة من كائن حيّ آخر، وضعوها في قسمين منفصلين، أخذوا المرض على مجموعةٍ منها ليتابعوا تأثير إشعاعه، فوجدوا أنّ المرض يشعّ من الخلية المريضة أيضاً، و أنّ المرض الفوتون يمنع الخلية من الإشعاع.

ثمّ انتقل العلماء إلى المرحلة الثانية من التجارب، فوضعوا الخلايا السليمة في حافظتين إحداهما من «الكوارتز» و اسمها الآخر «السيليكا» و الأخرى من الزجاج.

و معروفٌ أنّ من خواصّ الكوارتز مقاومته للأشعة، فلا تخترقه إلّا الأشعة فوق البنفسجية، في حين

[1] الفوتون: جزيء الضوء؛ تسمّى أيضاً الكمّ.

أنّ من خواصّ الزجاج العادي أنّه توتون أنواع الأشعّة التي تخترقه عدا الأشعّة فوق البنفسجيّة.

وقد تبيّن للعلماء بعد انقضاء ساعات على الخلايا السليمة الموجودة في الحافظتين أمام الخليّة المريضة أنّ ما كان منها في حافظة الكوارتز أصيب بالمرض، أمّا الخلايا التي كانت في الحافظة الزجاجيّة فقد بقيت سالمة.

... وقد أعيدت هذه التجارب على أمراض مختلفة وعلى خلايا متشابهة أو مختلفة طوال عشرين سنة، وبلغ عدد التجارب التي أجريت خمسة آلاف، وذلك للتوصّل إلى رأي علميّ ثابت بالبرهان العلميّ المتكرّر وبدون أيّ تردّد في نتيجة التجارب. وقد تشابهت نتائج هذه

التجارب، و دلّت بصورة قاطعة على أنّ الخلايا المريضة تنبعث منها أشعة مختلفة، منها الأشعة فوق البنفسجيّة، و أنّ الخلايا السليمة إذا ما أصابتها أشعة فوق البنفسجيّة صادرة عن خليّة مريضة (لا أشعة فوق بنفسجيّة اخرى) انتقلت إليها فسعلّة الخليّة المريضة. و أنّ مرض تلك هو فس مرض الخلايا المريضة.

و لم يحدث في جميع التجارب التي استمرّت عشرين سنة أن تجاوزت الخلايا السليمة و الخلايا المريضة بحيث يقال إن عدوى الميكروب أو الفيروس انتقلت من هذه إلى تلك بالاحتكاك. فثبت للباحثين أنّ سبب انتقال العدوى هو الأشعة فوق البنفسجيّة المنبعثة من الخليّة المريضة ....

و ... يستشفّ من التجارب التي أجراها اولئك العلماء أنّ خلايا جسم الإنسان كمحطّة الإرسال و الاستقبال، تصدر عنها الأشعة، كما أنّها تستقبل هذه الأشعة و تستجلّها ....

هذه ... و لا ريب في أنّ النتائج التي أسفرت عنها التجارب قد فتحت أمام علماء الأحياء و الطبّ ميداناً جديداً لمعالجة الأمراض ... .

و قد أجريت تجارب علميّة مماثلة في الولايات ... المتّحدة الأميركيّة، و انتهى إليه مؤتمر الأبحاث السوفييتيّة. و نشرت المجلّات الطبّيّة و العلميّة نتائج هذه البحوث، كما وضع الدكتور «جون وات» كتاباً في هذا الموضوع.

و سنعرض هذا البحث لندلّ على أنّ العلم الحديث قد جاء مؤكّداً للنظريّة التي دعا إليها جعفر الصادق في منتصف القرن الثاني للهجرة و مؤدّاها أنّ الضوء المنبعث من مرضٍ ما يتسبّب في إصابة الغير بالمرض، و هي النظريّة التي اعتبرت يومها من الخرافات البعيدة عن الواقع. فقد أقام العلم

الحديث البرهان على أنّ الأشعّة فوق البنفسجيّة المنبعثة من الخلايا المريضة تتسبّب في قتل الأمراض المنبعثة من الخلايا السليمة. أمّا الأشعّة فوق البنفسجيّة المنبعثة من الشمس فهي لا تُصيب الإنسان أو الكائنات الحيّة بالمرض إلّا إذا وصلت إلى جسم الإنسان و الحيوان دون أن تمرّ من الهواء،[1] أي دون أن يفصل بينها و بين الكائن الحيّ عائق مثل طبقة الهواء. و لو لا هذه الطبقة الهوائيّة العازلة لهلكت الكائنات الحيّة. و لكن هذه الأشعّة نفسها، بعد أن تمرّ بطبقة الهواء و تصل إلى الأرض فإنّها لا تُمرض أيّ كائن حيّ.

و صفوة القول: أنّ التجارب البيولوجيّة و الطبّيّة و العلميّة الحديثة قد أثبتت صحّة نظريّة جعفر الصادق عليه السلام بعد ألف و مائتين و خمسين سنة.[2]

---

[1] تفاطقتم «معيشة» و «غم» و «تفكّر جهان شيعه» و «خواندنيها» العدد ٨٤، السنة ٣٣؛ من ص ٣٤٨ إلى ٣٥٣.

[2] «معيشة» و «غم» و «تفكّر جهان شيعه» و «خواندنيها» العدد ٨٥، السنة ٣٣؛ ص ٣٥٣.

من الأسئلة التي سئل بها جعفر الصادق سؤال مفاده: مَن نستطيع أن نعدّه عالماً مطلقاً؟ و متى يشعر الإنسان أنّه تعلّم كلّ شيء؟

قال جعفر الصادق للسائل: اجعل هذا السؤال قسمين و اسألني عن كلٍّ منهما على حدة!

لك أن تسأل في القسم الأوّل و هو: مَن نستطيع أن نعدّه عالماً مطلقاً؟

فأقول في جوابك: لا عالم مطلق إلّا الله. و محال أن يكون أحد أبناء البشر عالماً مطلقاً. إذ إن العلم واسع إلى درجةٍ لا يستطيع المرء أن يعلم كلّ شيء فيه و لو عمّر آلاف السنين و كان متفرّغاً لتعلّمه طول المدّة المذكورة. و لعلّه يقف على علوم هذا العالم كلّها بعد آلاف من السنين. و لكن هناك علوم اخرى ما وراء هذا العالم، و فيها علوم، فمن تعلّم كافّة العلوم في هذا العالم و دخل ذلك العوالم فهو جاهل. و ما عليه إلّا أن يبدأ بتعلّمها كي يقف عليها.

فلا وجود لعالمٍ مطلقٍ إلّا الله وحده. ذلك أنّ الإنسان لا يستطيع أن يلمّ بجميع العلوم أبداً.

و سأل طلّاب جعفر الصادق القسم الثاني من السؤال فقالوا: متى يغني الإنسان بالعلم؟

قال جعفر الصادق: أجبتُ عن سؤالكم في جوابي السابق و قلتُ: لو عمّر الإنسان آلاف السنين، و انهمك في تحصيل العلم، فلن يتسنّى له أن يتعلّم كافّة العلوم.

إذن، لن يأتي زمان يشعر فيه الإنسان أنّه غني بالعلم، و الذين يشعرون أنّهم استغنوا بالعلم هم جهلاء حقّاً، و الجاهل يرى نفسه مستغنياً عن العلم.

و سئل جعفر الصادق عن القصد من علم العوالم الاخرى، فقال: ثمّة عوالم غير عالمنا الذي نعيش فيه، و هي أكبر منه، و فيها علوم تختلف عن علومه.

و سئل عن عددها، فقال: لا يعلم ذلك إلّا الله. و سئل: كيف تختلف علم العوالم الاخرى و علم هذا العالم؟ أليس العلم قابلاً للتعلّم؟ و ما كان قابلاً للتعلّم كيف يمكن أن يُعدّ من علوم هذا العالم؟

قال جعفر الصادق: في العوالم الأخرى ضربان من العلم. أحدهما يُشبه علوم هذا العالم. وإذا ذهب إليها أحد فإنّه يستطيع أن يتعلّمها. أمّا بعض العوالم الأخرى ففيها علوم تعجز عقول الناس عن إدراكها. إذا لا يتسنّى فهمها بعقول الناس في هذا العالم.

كان كلام جعفر الصادق هذا لغزاً عند علماء الأجيال المتأخّرة. فبعضهم لم يره مقبولاً وذكر أنّ ما قاله في هذا المجال لا مسوّغ له.

ومن الذين امتروا فيه ابن الراوندي الأصفهاني، فقد قال: إنّ عقل الإنسان يستطيع أن يدرك كلّ شيء من العلم سواء علوم هذا العالم، أم علوم العوالم الأخرى.

وبَيْدَ أنّ تلاميذ جعفر الصادق قبلوا قول أستاذهم وذهبوا إلى أنّ في بعض العوالم الأخرى علوماً يعجز البشر عن تعلّمها، لأنّ فكره قاصر عن إدراكها.

و تيسّر اليوم فهم ما قاله جعفر الصادق في هذا الحقل بعد ما فتحت نظريّة أينشتَين النسبيّة في الفيزياء، و بعد ما تخطّت الأبحاث الذرّيّة حدوداً جديداً لا عهد للأذهان به

نظريّة وجود «مضادّ المادّة» حدودها النظريّة و دخلت مرحلة جديدة من العلم، و ثبت للعلماء وجود «مضادّ المادّة».

ذلك أنّ في العالم المضادّ للمادّة يناظر الإلكترون البوزيترون، و هي ذرّة «مضادّ الإلكترون» موجب، و نواة الذرّة «مضادّ البروتون» في عالمنا سالب. أمّا على العكس، إذ إنّ في عالمنا الإلكترون سالب، و البوزيترون «مضادّ البروتون» في نواة الذرّة موجب.

لا يعلم أحد النواة البوزيترونية السائدة في عالمنا هي مضادّ النيوترون

إلكترونات الذرّة موجباً، وشحن البروتونات سالباً.

في منطقنا و استدلالنا الكلّ أعلى من الجزء. أمّا في ذلك فعلّ الجزء أعلى من الكلّ، و فكرنا قاصر عن أن يفهم هذا الموضوع و يقبله.

عند ما نغمس جسماً ثقيلاً في الماء فإنّ داخل الماء يخفّ حسب القانون الذي اكتشفه أرخميدس. و لكن لو غمسنا في ذلك العالم في داخل الماء أو سائل آخر فعلّه يثقل.

و في هذا العالم عند ما نضغط على نقطة من سائل في إناء فإنّ هذا الضغط يصل إلى كافّة النقاط في ذلك السائل حسب قانون باسكال. و استُفيد من هذا القانون في صنع مكابح زيتيّة لوسائط النقل، بخاصّة للثقيلة منها. و إذا ما ضغط السائق بقدمه على دوّاسة المكبح التي تضغط على الزيت قليلاً، و بلغ الضغط جميع نقاط الزيت، فإنّها تضغط على عجلات الشاحنة ألف مرّة و توقفها في لحظة واحدة.

بيَدَ أنّ هذا القانون الفيزيائيّ لعلّه عديم الأثر في العالم المضادّ للماديّة، و لعلّ الضغط البالغ نقطة من السائل لا يصل إلى نقاطه الأخرى.

إذا دخل شخص من هذا العالم إلى العالم المضادّ للماديّة؛ فلعلّه ينسجم تدريجيًّا مع قوانينه الفيزيائيّة التي تبدو له عجيبة وغير عاديّة كما ينسجم روّاد الفضاء مع انعدام الوزن عند ما يدورون حول الأرض بسفنهم الفضائيّة أو يضعون أقدامهم على سطح القمر. ذلك أنّهم تمرّنوا على انعدام الوزن في الأرض قبل إرسالهم إلى الفضاء.

أمّا الذي لا يستطيع أن يقبله الإنسان في العالم المضادّ للماديّة فهو الأشياء المغايرة لقوانين منطقه و استدلاله.

فإذا رأى فيه أنّ الجزء أكبر من الكلّ، و الناس لا يراعون القواعد الأصليّة في العمليّات الحسابيّة الأربع: الجمع و الطرح و الضرب و التقسيم،

بـّبستة تدوربلا و املاء تمجّدته فيه ةرارحلا نّأ رعشو

كدرين أن نودب ريخبتلا ،ءلاخ نوكي أن نيطتسي لا هنّإف

.كلت ةيلقعلا رهاظلا

ٍموعد لئاقلا قداصلا رفعج ةيرظن ةدبتهذ

...1 .

ةذوخأملا ةجيتنلا ... يهّمدقتملا ثحبلا نم ةذمأ :لاوّأ :كان

ًاثالث :ًاينا و كان رفعج قداصلا رى أنّ ملعلا رغي دودحم.

ًلا يستطيع ىلإ أنّ في ملاوعلا رخالا ىلوعم ذهب

.هذا ملعلا هيلوعم كدري ذلا هبكر أن ديدرلا

،نَيَتشيلأ ةيبسنلا ةيرظنلا دعب ،مهذنأ انّيتسنلا موي و

تطّخت انّهأب انركذ تلا ّيذ ّدلل ّدامة ةيرظنلا ةضامل دعب و

ًارفعج نّأب ، ةيملع ةلحرم تلخد و ةيرظنلا دودحلا

---

1 ٢٤٥ ص«هعيشن ّرجهاكفتم ّزغهم» و ؛٣٣ ةنسلا ،٦٨ ددعلا«اهيندناوخ ةلجم

.٢٤٩ يلإ

الصادق قد عرض نظريّة صحيحة قبل اثني عشر قرناً و نصف القرن.[1]

إنّ النماذج المذكورة الدالّة على قطرة من بحر علوم أهل البيت عليهم السلام الالتماتات التي تبيّن لنا أنّ علومهم بعيدة من متناول الناس العاديّين، و لا يتيسّر الارتشاف منه إلّا عن طريقهم عليهم السلام.

و تعلّمنا أيضاً أنّنا ينبغي ألّا نقصّر في تطبيق التعاليم الإسلاميّة و المعمول بإرشادات الدين المنجية مهما كان الأمر، إذ إنّ لكلّ حكم حكمة و لكلّ أمرٍ فلسفة، و عصيانها يستتبع مضاعفات تصيبنا و ربّما لا تعوّض.

قد تنسف أساس سعادتنا.

نبتهل إلى الله تعالى في ختام البحث أن يوفّق عامّة المسلمين لاتّباع

---

[1]. ص ٢٥١ «مجلة ميقات حج» و ؛ السنة ٣٣، العدد ٦٨، «العلامة المجاهد الشيخ محمد رضا المظفر».

تعاليم القرآن الكريم بتوجيهات أهل بيت العصمة عليهم السلام، ويسدّد خطاهم - انتهى.[1]

جميع عناصر الهواء ضروريّة للتنفّس

قال جعفر الصادق: الهواء مركّب من عناصر، و عناصره ضروريّة للتنفّس.

و بعد أن فصل لافوازييه الاوكسجين عن الغازات الاخرى، و دلّ على أنّه سبب حياة الأحياء، ذهب العلماء إلى أنّ الغازات الاخرى في الهواء عديمة الفائدة في حفظ الحياة. و هذه النظريّة مخالفة لنظريّة جعفر الصادق الذي قال: إنّ جميع العناصر الموجودة في الهواء ضروريّة للتنفّس.

و في منتصف القرن التاسع عشر صحّح العلماء رأيهم في الاوكسجين بعد ما تبيّنوا أنّ هذا العنصر الهامّ اللازم لتنقية الدم و استمرار الحياة عند الإنسان ليس على هذه الدرجة من الفائدة و النفع للكائنات الاخرى، إذ

---

[1] العدد ٢٣ من كرّاسة «مركز النشر في شركة فارس» يقع على درب السلام، وخوزستان المساهمة، المكتب الديني للعلم لسميران وفارسيت.

تبيّن أنّ هناك كائنات حيّة لا تقوى على استنشاق الأوكسجين الخالص فترة طويلة، لأنّ خلايا أجهزتها التنفّسيّة تتأكسد وتتآكل بتفاعلها مع الأوكسجين، أي: أنّ هذه الخلايا تحترق بفعل الأوكسجين الخالص.

و الأوكسجين في حدّ ذاته لا يحترق و لكنّه يساعد على الاحتراق. فإذا تعرّض له جسم، و كان قابلًا للاحتراق، فإنّه يحترق. و إذا تنفّست الخلايا الموجودة داخل رئة الإنسان أو الحيوان الأوكسجين الخالص فترة طويلة، احترقت هذه الخلايا، و مات الإنسان أو الحيوان. و لهذا يوجد الأوكسجين في الهواء مختلطاً بغازات أخرى كفيلة بمنع أثره السيّئ و الضارّ و الحائل دون احتراق رئة الكائنات الحيّة نتيجة تنفّس الأوكسجين

الخالص. وبالوصول إلى هذه الحقيقة العلميّة صحّ ما ذهب إليه جعفر الصادق من أنّ الهواء مفيد للإنسان بمجموع أجزائه بما في ذلك أجزاؤه من الغازات الأخرى التي يوجد منها مقدار ضئيل فيه.

ومن قبيل المثال، نذكر أنّ غاز الأوزون خواصّاً كيميائيّة مشابهة لخواصّ الأوكسجين.[1] وقوام جزيء هذا الغاز ثلاث ذرّات أوكسجين. وإذا كان الظاهر أنّ غاز الأوزون لا يقوم بدور هامّ في التنفّس فواقع الأمر أنّ له أثراً فعّالاً في تثبيت الأوكسجين عند دخوله الدورة الدمويّة. أي: أنّه يحافظ على الأوكسجين في الدم و لا يدعه يذهب هباءً. و هذا يؤيّد ما ذهب إليه جعفر الصادق من أنّ الهواء -بكلّ أجزائه- ضروريّ للحياة. و

---

[1] قال المترجم: الجزيء (Molecule) هو أصغر وحدات العنصر أو المركّب و له جميع خواصّ العنصر. و لكنّه يفقد بعضاً من خواصّ المادّة متى قُسّم إلى أقسام أصغر. و تتجلّى في الجُزَيء الحالات الثلاث للمادّة، و هي الحالة الجامدة، و السائلة، و الغازيّة. فإذا اقتربت الجزيئات بعضها من بعض تكوّنت الحالة الجامدة. و إذا ابتعدت بفعل الحرارة تكوّنت الحالة السائلة. فإن ازداد ابتعادها تكوّنت الحالة الغازيّة أو البخار. و تذكّر بأنّ الجُزَيء هو غير الذرّة.

هي حقيقة اميط عنها اللثام منذ منتصف القرن التاسع عشر.

و من خواصّ الغازات الموجودة في الهواء أنّها تمنع الاوكسجين من التسرّب. و نحن نعلم أنّ الاوكسجين غير مركّب في الهواء، بل هو مختلط بالغازات الاخرى، و لمّا كان أثقل الغازات الموجودة في الهواء فلا بدّ أن يتسرّب حسب القاعدة. و هو أمر لو حدث لجعل الاوكسجين يملأ سطح الأرض إلى ارتفاع معيّن، و لاتّخذت الغازات الاخرى مكانها فوق الاوكسجين، و لأدّى هذا الخلل إلى احتراق جهاز التنفّس عند جميع الكائنات الحيّة، و لانقرضت هذه الكائنات.

و لَمّا نما نبات، لأنّ النبات يحتاج بدوره إلى الأكسجين و معه الكاربون كالكائن الحيّ. و لو حدث هذا الخلل لبات حياة النبات مهدّدة بأشدّ المخاطر. غير أنّ وجود غازات اخرى مختلطة بالأكسجين في الهواء يحول دون رسوبه، و يمدّ في حياة الإنسان و الحيوان النبات.

و قد كان جعفر الصادق أوّل من فنّد القول بأنّ هناك عناصر أربعة، فقوّض هذه النظريّة من أساسها بعد ما عاشت قرابة ألف سنة، و كان شاباً يافعاً آنذاك، بيَدَ أنّه ذكر النظريّة المتعلّقة بالهواء بعد بلوغه سنّ الرُّشد و شروعه بالتدريس.[1]

و من الأشياء التي ذكرها جعفر الصادق حول ظهور العالم نظريّة القطبين المتضادّين التي ظهرت أهمّيّتها بعد القرن السابع عشر الميلادي عند ما أثبت علم الفيزياء وجود هذين القطبين. و الذين عاصروا الإمام و من جاءوا بعده ظنّوه قائلاً بما قال به القدماء من

---

[1]. ص ٧١ و ٧٢ «مغزى تكريم الإسلام للمرأة».

قبله من أنّ الشيء يُعرف بضدّه. و لكن ثبوت وجود القطبين المتضادّين في الفيزياء و ما نعرفه اليوم من علوم الذرّة و الإلكترونيّات قد قطعا بسلامة هذه النظريّة.

لقد بدأنا الكلام بعلوم جعفر الصادق من الجغرافية و الهيئة و الفيزياء في مبحث نشأة الكون و العناصر. و نواصل كلامنا في مبحث الفيزياء و سنصل منه إلى مباحث اخرى، و نقول: إنّ جعفراً الصادق قد تعرّض في الفيزياء لمسائل لم يتعرّض لها أحد، لا قبله و لا بعده إلى منتصف القرن الثامن عشر، و القرن التاسع عشر، و القرن العشرين.

سبب شفّافيّة الأجسام أو كدورتها

و من ذلك مثلاً قانون الأجسام الصلبة. فقد صنّف تلك الأجسام إلى أجسام كدرة و اخرى مصقولة شفّافة، إذ قال: كلّ جسم صلب جامد يكون

كدراً، وكلّ جسم جامد دافع يكون لامعاً وشفّافاً.

قال في الردّ على سؤال: ما الذي يجذب؟ إن الحرارة هي التي تجذب.

وقد أصبحت هذه النظريّة في يومنا الحاضر قانوناً عاماً في الكهرباء والفيزياء. أفليس مما يُدهش أن يكون القائل بهذه النظريّة منتمياً إلى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، والنصف الأوّل من القرن الثاني الهجري؟

ولو سألنا في يومنا هذا مائة شخص كيف يكون من الأجسام الصلبة ما هو لامع وما هو كَدِر؟ لما استطاع أحدهم أن يجيب جواباً صحيحاً، أي: أن يقول لنا بسبب كون الحديد كدراً والبلّور لامعاً وشفّافاً.

يقول القانون الفيزيائيّ الحديث: إن كلّ جسم متصدر عنه أمواج وأشعّة حراريّة فيكون موصلاً جيّداً للحرارة (موصّل حراريّ) والأمواج الإلكترونيّة (موصّل

نعلم كمصدر لا محدود من الأمواج المغناطيسيّة[1] (أي: الكهربائيّة و الأمواج المغناطيسيّة) هو جسم لا تنفذ الحرارة بسهولة و إن الأجسام التي لا تنفذ منها الحرارة (أي: لا تنقل الأمواج الإلكترونيّة و لا تنقل الحرارة) هي أجسام شفّافة لأشعة غير الموصّلة للحرارة.

و لم يتحدّث جعفر الصادق عن أمواج كهرومغناطيسيّة (كهربائيّة مغناطيسيّة) و لكنّه تحدّث عن الحرارة فحسب. و جاءت أقوال مطابقة لقوانين الفيزياء الكهربائيّة: إن سبب دوران الفيزيائيّة في يومنا هذا. و تقول القوانين الفيزيائيّة:

[1] الأمواج الإلكترونيّة (الكهرومغناطيسيّة): هي الأمواج التي بواسطتها نسمع أصوات الإذاعة و نرى صور الإذاعة المرئيّة (التلفاز)، و العلامات الإذاعيّة للعوالم الاخرى (كما ذكرت ذلك المجلّات العلميّة الاوروبّيّة و الأميركيّة). و إذا قُدّر للبشر ذات يوم أن يتراسلوا و يتحادثوا مع سكّان الكواكب الاخرى فأكبر الاحتمالات أنّ ذلك سيتمّ عن طريق الموجات الكهرومغناطيسيّة. (م)

بعض الأجسام (كالحديد) هو أنّها تنقل الأمواج الكهرومغنطيسيّة. و بعبارة جامعة: أنّها مُوصِلة. في حين أنّ الأجسام التي لا توصل الحرارة أو توصلها ببطء و تحول دون انتقال الأمواج الكهرومغنطيسيّة تعتبر أجساماً عازلة، وتكون لامعة شفّافة.

جزء أسطع من الشمس

وتقوم نظريّة جعفر الصادق في كدورة الأجسام أو صفائها على أساس الجاذبيّة. ولما سئل عن سبب كدورة الأجسام أو صفائها قال: إن الجسم الممتصّ للحرارة كدر، و الأجسام التي لا تمتصّ الحرارة شفّافة على اختلاف مراتبها.

و لا تقلّ نظريّة الجاذبيّة عند جعفر الصادق في أهمّيّتها عن نظريّته القائلة بوجود قطبين متضادّين. و هي تطابق قوانين الفيزياء الحديثة من حيث تعليل أسباب كدورة الأجسام الصلبة أو صفائها.[1]

---

[1] «مغز متفکر جهان شیعه» ص ۱۲۵ و ۱۲۶.

ذكرنا فيما سبق أنّه قلّ أن يكون هناك موضوع علميّ وليس لجعفر الصادق رأي ذو وزن فيه. وتدلّ بعض نظريّاته على نبوغه العلميّ.

ومن ذلك ما قاله في ضوء النجوم. ومؤدّاها أنّ بين النجوم التي نراها في الليل ما هو أضخم من الشمس، وإنّ لها من الأشعّة ما تضؤل أمامه الشمس وأشعّتها.

إنّ المعلومات البشريّة المحدودة حول الكواكب تحول دون إدراك هذه الحقيقة في عصر جعفر الصادق وبعده إلى فترة أخيرة. وكان العلماء يظنّون أنّ ما قاله جعفر الصادق حول ضوء بعض النجوم بعيد عن العقل، ولا يمكن قبوله، ومحال أن تكون هذه النقاط الصغيرة المضيئة المعروفة بالنجوم شديدة الضياء بحيث يتضاءل أمامها ضوء الشمس.

و ثبت اليوم بعد مضيّ اثني عشر قرناً و نصف القرن على عصر جعفر الصادق صحّة ما قاله ذلك الرجل العظيم، إذ تبيّن للعلماء أنّ هذه مجموعات من النجوم السواطع تتضاءل تلقاء حجمها و ضيائها الشمس نفسها.

و يطلق على هذه النجوم المضيئة اسم (الكوزرز)[1] الواحدة منها كوازار. و بعضها يبعد عن الأرض بمقدار تسعة آلاف مليون (تسعة مليارات) سنة ضوئيّة. و ما يصل إلى المراقب الفلكيّة نهاراً و ليلاً من الأمواج الصادرة عن هذه المجموعات يقطع المسافة الشاسعة بين هذه المجموعات و بيننا في تسعة آلاف مليون سنة ضوئيّة.

قلنا (نهاراً و ليلاً). و لعلّ البعض يتصوّر أنّنا قد أخطأنا إذ لا يمكن رؤية النجوم نهاراً، بَيدَ أنّ عدم رؤيتها نهاراً يعود إلى فترة لم يكن فيها مرقب راديو تلسكوبيّ.

---

[1]: هذه الكلمة اختصار لعبارة إنجليزيّة هي: Quasi Stellar Radio Source وتعني حرفيّاً: شبيهة بالنجوم.

أمّا اليوم فإنّنا نشهد مراقب راديو تلسكوبيّة ضخمة ترصد النجوم و الأنوار الساطعة المنبعثة منها حتى في النهار، منها مرقب (آرسى بوئه) في جزيرة (بورتوريكو) و الذي يبلغ قطره ثلاثمائة متر.[1]

رزاوكلا هذه ضعبن م ثعبنملا ءوضلا يواسيو هيفس يلم قروه و .ةّرمرا يلمف لاآ ةرشعس مشلا ءوضـ .طططشو أ أطخ

كلفلا ءاملع ا هيلإ دنتسي يتلا ءوضلا س ايقة دحو و ءوضـ س ايق ي ف

[1] ةركة حاسلو طغ لبيل: لوقن، يّبوكسلتلا يوي رادلا ب قرملا ةمخضلً اديسجت فاعضأ ةثلاثة روكذملا ب قرملا دصر ةعسن وكت اذلو ً.ابيرقت رتم ةئام مدقلا (م). ةلسلا ةحاشملا إلي ه

روّص يتيأن للمرء .و سمشلا ءوض يه يجوتنلا
ةيهتنملا تاعومجملا ضعبل ةمخاضلا ةمظنملا نم ازرولكا
رايلم فلآ رشع ةرتع سمشلا ءوض لدعي اهءوض نيطحنت
ةرّمت .و كذه لوقن نأ ارغإلا لبق :سمشلا ءوض نإ
حبصيو اهمأ .و اذإ ارندأ ةرتعص ةعشم ءوضك حبصي
نأ سمشلا ءوض فعضتي تارايلم ةرشع دسجتس ،نوكتس
.ًارفص ةرشع ةتّسه اهمأ عضنو (١)

و رغبةً في رصد هذه المجرّات الضوئيّة الضخمة التي اكتشفت المجرّة الاولى منها في سنة ١٩٦٣ م (و هناك أكثر من مائتي مجرّة قد اكتشفت حتى الآن) فكّر العلماء في صنع مرقب فلكيّ سعة مرآته كسعة رصد ثلاثين ألف متر (ثلاثين كيلومتراً).

نقول: إنّ كسعة مرآة تلسكوب هذا المرقب يساوي ثلاثين ألف متر مربع. و بالنظر إلى صنع مرقب استثنائيّ كهذا فإنّ على العلماء أن يفكّروا في صنع مرآة (أو) مرايا تتألّف من قطع سداسيّة الشكل تشبه الخلايا في خلية النحل بحيث تكون المسافة بين كلّ رأس من رؤوس هذه

الحرف واحداً وعشرين كيلومتراً، وتتحرّك الهوائيّات بين المحاور الثلاثة ويتمّ التحكّم فيه إلكترونيّاً.

ويبلغ طول الهوائيّات الثلاثة (٢١) كيلومتراً، ولها قدرة على الرصد كما لو كانت سعة المرصد ثلاثين ألف متر، ويتمّ توجيه هذا الجهاز إلى الكواكب لمشاهدتها بمزيد من الدقّة.

وقد اعتاد الفلكيّون منذ القرن الثامن عشر الميلادي على اكتشاف كتل ضوئيّة في السماء. وكانت المسافة السحيقة التي تفصل هذه الأجرام المضيئة عنّا من الأمور المألوفة التي لا تثير دهشة العلماء آنذاك.

ولكن لمّا رأى علماء الفلك مجموعة الكواكب البعيدة في سنة ١٩٦٣ م مستعينين بمرقب (رايلي تلسكوب) آرسيبو في بورتوريكو، استولت

عليهم الدهشة، لأنّها تبعد عنّا بمقدار (٩) مليارات سنة ضوئيّة، في حين أنّ العالِم أينشتاين كان يعتقد بأنّ قطر العالَم ثلاثة مليارات سنة ضوئيّة. و لكي تستطيع الأذهان إدراك مدى ضخامة هذه المسافة الشاسعة نذكر أنّ الضوء يحتاج إلى سنة كاملة كي يقطع بسرعته الفائقة مسافة (٩٥٠٠) مليار كيلومتر. فإذا أردنا أن نعرف مقدار المسافة الحقيقيّة بين مجرّات الكواز و الأرض، نضرب (٩٥٠٠) مليار سنة في (٩٥٠٠) مليار كيلومتر.

و بغضّ النظر عن ضخامة هذه المسافة التي تتحدّى العلم و العقل تصوّرها، فإنّ ممّا يزيد في حيرة العلماء الفلك أنّ مجرّات الكواز تطلق ضوءاً ساطعاً يساوي ضوء الشمس عشرة آلاف مليار مرّة، و لم يكتشف العلماء حتى الآن كنه هذه الكواز و العناصر التي تتركّب منها و تمكّنها من توليد كلّ هذه الحرارة و الطاقة العجيبة.[1]

---

[1]. «معجزة القرآن العلمية» ص ٣٦٠ إلى ٣٦٣.

... قال جعفر الصادق: إن بعض النجوم ضوءا ًهو من الشدّة بحيث يتضاءل أمامه ضوء الشمس.

و هاهو العلم الحديث قد برهن على صدق نظريّة جعفر الصادق، و دلّ على أنّ بعض النجوم من الأشعّة ما تتضاءل أمامه الشمس و أشعتها. أفلا يُستخلص من ذلك أنّ رجلًا عاش في النصف الأوّل من القرن الثاني الهجريّ كان عبقريًّا في المباحث العلميّة، و أدرك حقيقةً إطّلعنا عليها اليوم؟

وجود عوالم اخرى

و ثمّة سؤال قد يعنّ للباحث هو: أين تقع مجرّات (الكوازر) التي يبعد بعضها عن الكرة الأرضيّة بمسافة تسعة آلاف مليون سنة ضوئيّة؟

هل تقع في مركز الكون أو في أيّ له أو في ذهايته؟[1]...

.

قال جعفر الصادق: إن الكون لا ينحصر في عالمنا وحده، و إنّما هناك عوالم اخرى. و ها قد جاء العلم الحديث ببرهان على هذه النظريّة، و أقام الأدلّة على أنّ هناك آلافاً من العوالم و المنظومات الشمسيّة، و أنّها تفنى و تزول ما عدا مجرّات الكوازر، فهي باقية على الدوام ... .[2]

و هذا يؤكّد ما قاله جعفر الصادق. و كلّما تقدّم علم الفلك عرف الفلكيّون أنّ عدد المجرّات و المنظومات الشمسيّة الموجودة في الكون هي أكثر ممّا كانوا يتصوّرون. حتى أنّ عدد المنظومات الشمسيّة فيه تفوق العدد الذي ذكره أخميدس لذرّات الكون قبل الميلاد بثلاثة قرون.

---

1. ص ٣٦٥ «معه نشهد رجل من الغرب».

2. ص ٣٦٦ «معه نشهد رجل من الغرب».

كان أخيرا سيقول: إن عدد الذرّات المبعثرة في العالم هو عشرة مضروبة في نفسها ٦٣ مرّة. و إن الذرّة هي أصغر أجزاء المادّة و لا تقبل التجزئة، و لهذا سمّيت بالجزء الذي لا يتجزّأ ...[1].

من هذا، فإنّ أكثر النظريّات منطقيّة حول عدد العوالم الكبيرة و الصغيرة هي نظريّة جعفر الصادق، إذ قال: إن العوالم الصغيرة و الكبيرة لا يعرف عددها إلّا الله، و المفهوم الآخر لهذه النظريّة هو أنّ الإنسان عاجز عن إحصائها.[2]

و لقد سئل جعفر الصادق: متى خُلق العالم؟ فكان ردّه: أنّ العالم خلقه الله، و لا سبيل إلى تحديد زمانه. و قيل له: أخبرنا تأريخ نشأته.

---

[1]. ٣٦٦ و ٣٦٧ ص «معه نشجرها كفتم زغ»

[2]. ٣٦٨ ص «معه نشجرها كفتم زغ»

فقال: لا سبيل إلى ذلك! ... .

... وجملة القول: أنّ الشيعة تعتقد بأنّ جعفر الصادق كان يعلم بتأريخ ذلك، لكنّه لم يُرد أن يخبر به لئلّا يضطرب الناس.

قال جعفر الصادق: إن سألتموني ما دمتُ حيّاً ذاك كان قبل هذا العالم؟ قلتُ: كان العالم موجوداً. وهذا يدلّ على أنّه كان يعتقد بأزليّة العالم.[1]

أجل، هذه العلوم المبتكرة هي التي دفعت مؤلّفي الكتاب المذكور إلى القول في فصل مستقلّ: إذا ادّعينا أنّ النهضة العلميّة الأخيرة أوجدها جعفر الصادق فقد أصبنا. وبه صرّح المستشار عبد الحليم الجندي المصري في كتابه «الإمام جعفر الصادق» وذكر الدليل عليه.

ذلك الإمام الذي دُهش المتقدّمون و المتأخّرون لمعرفته، و حاروا في ذلك، و ثمّ تواه منزلته الشامخة

---

[1]. ٣٦٩ و ٣٧٠ ص «شيعه» مغز متفکر جهان شيعه.

الرفيعة قلباً و فكراً و قولاً، و أقرّوا بإمامته المطلقة

كحامٍ لدين النبيّ، و سند رصين للكتاب السماويّ.

تعاقد أربعة من الزنادقة على معارضة القرآن

روى الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب

الطبرسيّ عن هشام بن الحكم أنّه قال: اجتمع ابن أبي

العوجاء، و أبو شاكر الديصانيّ الزنديق، و عبد الملك

البصريّ، و ابن المقفّع عند بيت الله الحرام، يستهزئون

بالحاجّ و يطعنون بالقرآن.

فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كلّ واحد منّا

ربع القرآن، و ميعادنا من قابل في هذا الموضع! فاجتمع

فيه و قد نقضنا القرآن كلّه. فإنّ في نقض القرآن إبطال

نبوّة محمّد، و في إبطال نبوّته إبطال الإسلام و إثبات ما

نحن فيه. فاتّفقوا على ذلك و افترقوا. فلمّا كان من قابل

اجتمعوا عند

بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمكّر منذ افترقنا في هذه الآية: فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا.[1] فما أقدر أن أضمّ إليها في فصاحتها و جميع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكّر فيما سواها.

فقال عبد الملك: و أنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ.[2] و لم أقدر على الإتيان بمثلها!

فقال أبو شاكر: و أنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا.[3] لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفّع: يا قوم! إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، و أنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: وَ قِيلَ

---

[1] يوسف: ١٢، من السورة ٨٠، الآية.

[2] الحجّ: ٢٢، من السورة ٧٣، الآية.

[3] الأنبياء: ٢١، من السورة ٢٢، الآية.

يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[1] لم أبلغ غاية المعرفة بها، و لم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مرّ بهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، فقال:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً.[2]

فنظر القوم بعضهم إلى بعض، و قالوا: لَئِن كانَ الإسلامِ حقيقةٌ لَما

---

1. هود: ١١، من السورة ٤٤، الآية.

2. الإسراء: ١٧، من السورة ٨٨، الآية.

وَ ،ٍدَّمَحُم نِبْ رَفْعَجَ ىلِإ لَّاإ ٍدَّمَحُم ِهَّيصِوَ رُمْأ تْهَتْنَا ّمثَ[1] ِإِهِتبْيَهِ لِاَنُدوُلُج تْرَّعَشْقَا وَ ُهاَنْيِه لَّاإ ٌّطَقُ هاَنْيأرَ ام ِالله زجعلابن يرّقم اوقّرفت.

و نقل الشيخ الراونديّ هذه الرواية باختصار في «الخرائج و الجرائح»، كما رواها عنه الملّا محسن الفيض الكاشانيّ في «الصافي»، و الملّا عبد على ابن جمعة في «نور الثقلين»، و المجلسيّ في «بحار الأنوار».[2]

الإمام الصادق عليه السلام مؤسّس علم العرفان

جاء في كتاب «مغز متفكّر» أيضاً: أنّ وجود العرفان في دروس جعفر الصادق يلفت نظرنا إلى كيانه

---

[1] الخرائج، طبعة الجنف، ١٤٣ و ١٤٢ ص ٢، ج «الاحتجاج»

[2] ج ١، ص ٢٤٢، الطبعة الرحليّة الحجريّة؛ و تفسير الصافي» ج «الخرائج» ص ٩٨٨ و ٩٨٩، طبعة إسلاميّة، في تفسير قوله: قل لئن اجتمعت؛ و تفسير «نور الثقلين» ج ٣، ص ٢٢٠ و ٢٢١؛ و في موضعين من «بحار الأنوار» ج ١٧، و ج ٤٧، ص ١١٧، الطبعة الكمبانيّة، و ج ٦، ص ٢٤٦، طبعة الكمبانيّ، و **الأوّل:** كتاب «معجزات القرآن» **الثاني:** كتاب «الإمام جعفر الصادق عليه السلام» ج ١١، ص ١٣٧ طبعة الكمبانيّة، و ج ٤٧، ص ٢١٣، الطبعة الحديثة، و الحديثة.

المعنوي أكثر فأكثر و يدلّ على أنّ لذوقه تجلّيات متنوّعة.

إن مبادئ العرفان منذ القرن الثاني الهجري الذي ظهر فيه العرفان لم تكن تزيد على سلوك العارف و قوّة تخيّله و تأمّله. و إذا كان من آثار العرفان على العارف تغيير اسلوب حياته و التأثير في خلقه و سلوكه و أدبه، فلسان شكّ في أنّ جعفراً الصادق كان بهذا رائداً و إماماً للغير. و لكن لا علاقة لهذا السلوك المعنوي بالعلوم التجريبيّة و المادّيّة في الإسلام.

و كان جعفر الصادق أوّل عالم و خبير في العلوم التجريبيّة في الإسلام. و هو أوّل عالم مجمع بين النظريّة العلميّة و التجربة العمليّة،

ولم يكن يقبل أو يؤيّد نظريّة في الفيزياء أو الكيمياء

إلّا بعد التحقّق منها بنفسه في التجربة العمليّة و الاختبار.

و عالم كهذا لا يهتمّ بعلوم نظريّة بحتة اهتمامه بالعلوم

التجريبيّة، إذ لا يمكن قياس العرفان بتجربة فيزيائيّة أو

كيميائيّة، و لا يتأتّى إلّا بعد مدّة طويلة من تروّض

النفس.

و في التأريخ الإسلامي أنّ جعفراً الصادق كان أوّل

عالم تحدّث عن الفيزياء و الكيمياء، فلا ينبغي أن يُبدي

رغبةً في العرفان حسب القاعدة، لكنّه في طليعة العرفاء

و الزهّاد، حتى أنّ الزمخشري المعروف، بعد ما أثنى

عليه ثناءً كريماً في كتابه «ربيع الأبرار» عدّه من طلائع

العرفاء و زعمائهم.

و كان العطّار النيسابوري صاحب «تذكرة الأولياء»

يرى أنّ الصادق رائد للعرفاء. و لكن تشتّ بين ما سجّله

الزمخشري، و بين ما أورده العطّار. فقيمة ما كتبه

الأوّل تفوق قيمة ما كتبه الثاني، إذ مضافاً إلى أنّ بعض

الروايات في «تذكرة الأولياء» غير منظّمة من حيث

تأريخ الوقوع،[1] إن الكاتب كان مغرماً متيّماً حين الكتابة، وكان عاشقاً للعرفان دون أن ينتبه إلى غلوّه في بعضها.

حضور تلامذة صابئة دروس الإمام الصادق عليه السلام

من هذا، نقول: إنّه لم ينتبه إلى غلوّه، ولو كان فطن له لما غالى، إذ كان يعلم أنّ المبالغة تقلّل من قيمة الكلام. و إذا وجدت المبالغة إلى التأريخ سبيلاً، فلا يتسنّى اعتباره تاريخاً. ويمكن القول: إن القلم في يد الزمخشريّ قلم مؤرّخ يتحكّم فيه العقل و الدقّة، أمّا القلم في يد العطّار فيتحكّم فيه الحبّ و العشق. و أيّاً كان الأمر، فالصادق يعدّ في تأريخ العلوم

---

[1] يسمّي تنظيم الوقائع من حيث تأريخ الوقوع بالإنكليزية (كرونولوجي) وهو أحد المعايير المهمّة لتحديد صحّة سرد الوقائع التأريخيّة وسقمها.

ءافرعلا نأ وأ دحأ سّسؤم نم ةيملاسلإا ةعماجلا سيردتلل ديفتسي و .يملاسلإا ملاعلا نم ًاضيأ نيملسملا ريغ نم ًادعدو ًافقد جاعف ةيلوه ىلع اوأرق و .ةيلاصلا نم ًارفن نيّذلا ةيلاصلا ةئفلا نيب طسو مهو ،ةيلاهلا و ةيحيسملا نيب ةيندلا مهئارآب و ،ًاكرشم ناك نم مهنم و .نيدّحوملا نم نوّدعي اوناك نيذلا نيدّحوملل ةيعرّضتلا ةيسمّوتلا مهفهأ» ىلع اوناك لا ،ًاذإ نيملسملا شيعتلا و نيملسملا نيب قرفلا ظاظتحا ىلع ةرطيسلا نكمتت يك ،ةيلاتوحيدلا بابلا» ىمسي ذأبب «باتكلا.

و كان مركزهم «حرّان» غرب بلاد ما بين النهرين (العراق). و كان هذا المركز يسمّى قديماً عند الاوروبّيّين بـ «كارْهْ» بسكون الحرفين الثالث و الرابع. و من عادات الذين كانوا يعبدون الله منهم تعميد الطفل (غسله) بعد ولادته و تسميته.

كانت[1] «تذكرة الأولياء» ... و يقول صاحب كتاب

جميع الفرق تحضر درس الصادق و تنهل من نميره.

و يقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني[2] لقد استفاد كلّ

من المسلم

و الكافر من فضل الصادق عليه السلام و علمه.

و لا ندري هل كان تسامح الصادق مع غير المسلم

راجعاً إلى عرفانه و زهده، أو أنّه كان ينظر إلى الامور

بمنظار شامل. و كان يريد الخير و العلم للجميع. و لهذا

---

[1] صاحب هذا الكتاب هو فريد الدين محمّد العطّار النيسابوري الذي اشتهر بالشيخ فريد الدين. ولد سنة ٥٤٠ هـ و استشهد في هجوم المغول على نيسابور سنة ٦١٨ هـ. و جميع كتبه منظومة مثل «منطق الطير» و «إلهي نامه» و «أسرار نامه» و غيرها. و له كتاب منثور واحد هو «تذكرة الأولياء» في ترجمة العرفاء و الصوفيّة العظام. (م)

[2] ولد الشيخ أبو الحسن الخرقاني في قرية خرقان من توابع بسطام سنة ٣٥٢ هـ. و أخذ الخرقة من الشيخ أبي العبّاس أحمد بن محمّد القصّاب الآملي. توفّي بخرقان و دفن بها سنة ٤٢٥ هـ. و له هذا الرباعي المشهور الذي يظنّ الناس أنّه لعمر الخيّام النيسابوري: اسرار ازل را ندهد هیچ خردمند و ندهد هیچ خردمند و ندهد هیچ خردمند و ندهد هیچ خردمند

معمّا نه توخوانی و نه من نه تو و نه چون پرده برافتد نه تو مانی و نه من

يقول: «لا أنا و لا أنت نعرف أسرار الأزل. و لا أنا و لا أنت نستطيع أن نقرأ هذا اللغز. حوار أنا و أنت خلف الستار، و إذا زيح الستار لا أنت تبقى و لا أنا».

فهو يسمح لمن حضر درسه بأن يستمع إليه و لو كان غير مسلم.

و من الثابت أنّ بين تلامذته من كان صابئيّاً. و ذهب بعض الباحثين الأوروبيّين - كما في «دائرة المعارف الإسلاميّة» إلى أنّ جابر بن حيّان - و هو من أشهر تلاميذ الصادق - كان من الصابئة أيضاً.

و كان الصابئة في درس الصادق أذكياء، و كانوا يبذلون قصارى جهدهم لاستيعاب الدروس و فهمها، و تقدّموا في العلم، و بهذا استطاعوا وضع أسس علميّة ثقافيّة للصابئة. و بموازنة ثقافة الصابئة قبل عهد الصادق و بعده نرى فرقاً شاسعاً كالفرق بين النور و الظلمة.

و كان الصابئة قبل الصادق فئة متخلّفة لا تتجاوز معلوماتها معلومات البدو، حتى الموحّدين منهم فإنّهم لم يكونوا يعرفون الكثير و لم يكن علمهم يتجاوز علم البدويّ من العرب. لكنّهم أصبحوا بعد الصادق أولي ثقافة، و اشتهر علماء منهم في «الطبّ»، و «الفيزياء»،

و «الكيمياء»، و «الهندسة». و نقرأ أسماءهم اليوم في دوريّات المعارف و المعاجم.

و إلى الصادق يُعزى الفضل في أنّ الصباغة الغارقة في القِدم و الجهل و الحرمان قد أصبحت طائفة متقدّمة متمدّنة، كما اشتهر كثير من أبنائها في ميادين العلوم المتباينة. و بفضل إشعاع مدرسته انتفع العالم بثقافتهم و علمهم. و كنايهم الخاصة بتلهؤلاء القوم شخصيّتهم الصادق المستقلّ.

و ًائيشم همسفنأ نعن وفرعي لا نيذلا موقلا مأ و لجار و مهزّيمتت ةفاقث مهل سيل و مهخيرأت نولهجي اوضرقنيأ دبلاف ،مهنولعين وزرابـ.

أمّا الذين لهم تأريخ و يعرفون عن أنفسهم الشيء الكثير و لهم رجال لامعون و ثقافة تميّزهم فإنّهم لا ينقرضون. كما أنّ الصابئة لم ينقرضوا، و لهم وجودهم اليوم، و إن قلّ عددهم عمّا كان عليه سابقاً. و ما زال البعض منهم يعيش في المنطقة نفسها «حرّان».

و ،هذا كإجماع بين الشيخ أبي الحسن الخرقاني، و من الطبيعي أنّ) الزمخشري، و العطّار النيسابوري(و العطّار كان بعد الخرقاني) على أنّ جعفراً الصادق هو أن ورغ لا و ،الإسلامي التأريخ في فرعالا ءاملع نم ةدوقو الدوّ. مالتحاو لالجإلا مظعبو هركذي

و يمكن أن نعدّ الشيخ أبا الحسن الخرقاني ًباحثا ًأيضا، تاريخيّ ًلأنّه تناول جذر العرفان في مباحثه و

الالتفات إلى أنّ العرفان كان موجوداً في الشرق قبل الإسلام.[1]

و بسبب اتّساع علوم الإمام و ضخامة مدرسته العلميّة وصفه الشيخ أبو زهرة المصريّ بأنّه أفضل من سقراط، و رآه وحيد عصره و ملجأ علماء زمانه في أنواع العلوم و أقسامها.

يقول الشيخ محمّد جواد مغنيّة: قال الشيخ أبو زهرة في كتاب «الإمام الصادق» نشأ جعفر في مهد العلم و معدنه. نشأ ببيت النبوّة الذي توارث علمها كابراً عن كابر. و عاش في مدينة جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله فتغذّى من ذلك الغرس الطاهر و أشرق في قلبه نور الحكمة بما درس، و ما تلقّى، و بما فحص و محّص.

---

[1]. ۸۳ إلى ۷۹ ص «مغز متفکّر جهان شیعه»

و كان قوّة فكريّة في عصره، فلم يكتف بالدراسات الإسلاميّة و علوم القرآن و السنّة و العقيدة، بل اتّجه إلى دراسة الكون و أسراره، ثمّ حلّق بعقله الجبّار في سماء الأفلاك، و مدار الشمس و القمر و النجوم، كما عني عناية كبرى بدراسة النفس الإنسانيّة. و إذا كان التأريخ يقرّر أنّ سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنسان، فإنّ الإمام الصادق قد درس السماء و الأرض و الإنسان و شرائع الأديان.

و كان في علم الإسلام كلّه الإمام الذي يُرجع إليه. فهو أعلم الناس باختلاف الفقهاء، و قوله الفصل و العدل. و قد اعتبره أبو حنيفة استاذه في الفقه.[1]

مراحل التشيّع و سبب التسمية بالمذهب الجعفري

ذكر الشيخ مغنية ثلاث مراحل للتشيّع و كيفيّة تبلوره و تمذهبه بالمذهب الجعفري.

الدور الأوّل:

---

[1] «الشيعة و التشيّع» ص ٢٥٢ و ٢٥٣، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت.

قال: و الخلاصة أنّه بعد وفاة النبيّ اجتمع الأنصار في سقيفتهم يتداولون فيما بينهم، لتكون الخلافة فيهم و لهم دون قريش. فقصدهم أبو بكر، و عمر، و أبو عبيدة الجرّاح، و تمكّنوا من صرف الخلافة عن الأنصار إلى أبي بكر. و كان بنو هاشم في شغل بمصيبتهم و تجهيز الرسول. و عارض قوم من الأصحاب العارفين لحقّ عليّ، و أصرّوا على أن تكون

الخلافة له، و لكن القوّة كانت ضدّهم. فكفّوا عن المعارضة و أمسكوا و أظهروا التسليم، و لكنّهم بثّوا الدعوة لعليّ بين الناس، و نقلوا إلى الأجيال ما سمعوه من نصّ النبيّ على عليّ.

فالدعوة إلى التشيّع في هذا القرن كانت بسيطة ساذجة تماماً كالدعوة الإسلاميّة في هذا العهد لا فلسفيّة فيها، و لا شيء سوى حجج القرآن و السنّة النبويّة التي قبلها المسلمون الأوّلون، و آمنوا بها بدون جدال و تعليل و تأويل، و لا تعمّق في الشروح و التفاصيل، و لم يكن في هذا الدور فقيه يعرف بفقه الشيعة، و آخر يعرف بفقه السنّة، و لذا لم يظهر أيّ فرق بين الشيعة و غيرهم إلّا في مسألة الخلافة، و إمارة المؤمنين. و كان الشيعة في هذا الدور يعرفون بالتقوى و الزهد، و مناهضة الظلم و الظالمين، و من هنا لقوا من حكّام الجور ألواناً من التقتيل و التنكيل.

الإمام الصادق عليه السلام يجيب عن الأسئلة العلميّة و الشبهات

الدور الثاني

يبدأ الدور الثاني بعصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، و نعني به آخر الدولة الأمويّة، حيث دبّ فيها الضعف، و أوّل دولة العبّاسيّين، حيث تنفّس الشيعة الصعداء بعد الأيّام السود التي عاشوها مع الأمويّين، و أصبحوا على شيء من الحرّيّة و الأمن على أرواحهم و أموالهم. و اتيح لأئمّة أهل البيت أن ينشروا تعاليمهم في هذه الفرصة و الفرجة. فرواها الأولف، و تقبّلها الملايين إلى أن قام المنصور، فوضع في طريقها العراقيل، و عاد الأمر أشدّ و أسوأ ممّا كان في عهد الأمويّين إبّان قوّتهم و عظمتهم.

ازدحم الرواة و العلماء - في هذه الفترة - حول الإمام الصادق، و قصده الناس من كلّ قطر ينهلون من معينه، ويأخذون عنه شتّى العلوم

و المعارف.

و نقل الشيخ مغنية هذا مطلب من «أعيان الشيعة» للسيّد محسن الأمين، و «تأريخ الشيعة» للمظفّر. أمّا مطلب «الأعيان» فقد أوردناها في سياق الحديث. و أمّا مطلب المظفّر فقد ذكرها كالآتي: أحسن أيّام مرّت على الشيعة هي الفترة التي امتزجت من اخريات دولة بني مروان، و اوليات دولة بني العبّاس، في اشتغال الأمويّين بقتل بعضهم البعض، و في انتقاض البلاد عليهم، و في اشتغال بني العبّاس بالحروب مع المرواني‌ّين تارة، و استتباب الأمن اخرى. فانتهز الشيعة هذه الفرصة للارتواء من منهل علم الإمام الصادق، فشدّوا الرحال إليه لأخذ أحكام الدين و المعارف عنه.

إتاحة الفرصة للإمام الصادق عليه السلام من أجل بثّ العلم

و لقد روي عنه في كلّ علم و فنّ، كما تشهد به كتب الشيعة، و لم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب، بل روت عنه سائر الفرق كما تفصح بذلك كتب الحديث و الرجال ....

و صارت الشيعة في غضون هذه الفترة تنشر الحديث، و تجهر بولاء أهل البيت. و رباعددهم في مختلف الجهات. و لما قامت دعائم السلطان للمنصور، ضيّق على الإمام الصادق، و أراد أن يقطع الأصل ليكون بهجافا لفرع.[1]

لقد وافق عصر الإمام الصادق حركة فكرية بلغت الغاية في نشاطها و انتشارها. و ظهرت مقالات غريبة، و تيّارات أجنبيّة عن الإسلام تفشّت بين المسلمين، و خاصّة بين شبابهم باللنظر لاتساع رقعة الإسلام، و كثرة

[1] إلى هنا كلام المظفّر الذي ذكره في «تاريخ الشيعة» ص ٤٣ إلى ٤٥، طبعة مكتبة بصيرتي في قم.

الفتوحات التي فتحها العرب، و اندماجهم بالأمم العديدة المتباينة في ثقافاتها و أديانها.

فكان الملحدون يلقون الشبهات، و المرجئة يساندون حكّام الجور، و الغالون يدعون مع الله إلهاً آخراً، و الخوارج يكفّرون المسلمين، و المتصوّفة يضلّلون و يراؤون، و المحدِّثون يضعون الأحاديث على رسول الله، و المؤمنون يريدون إيماناً واعياً. فكان على الشغل الشاغل لقادة الدين أن يدافعوا عنه و يثبتوا صحّة العقيدة، و يفنّدوا مزاعم المبطلين، و يزيّفوا أقوالهم.

و كانت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام أوّل من أشعر بهذا الخطر، و أسبق من عمل لدرئه و مناهضته، فأخذت على نفسها الذبّ عن الحقّ و أهله، و حملت لواء الشريعة الإسلاميّة أصولها و فروعها، و تصدّت لكلّ مهاجم و معاند، و أعلنت حرباً لا هوادة معها على الغلاة،[1] و ناضلت ضدّ المعتزلة، و المتصوّفة، و

---

[1] قال في الهامش: و لا أجاف الصواب إذا قلتُ: إنّ الإمام الصادق قرّب مسافة الخلف بين السنّة و الشيعة في محاربته الغلاة، و إبطال الكثير من أقوال المعتزلة.

المرجئة، و الخوارج، و الأشاعرة، و صحّحت لعلماء الكلام الذين حاولوا إثبات الدين كثيراً ممّا وقعوا فيه من الأخطاء.

و جرت بين هؤلاء من جهة، و بين الإمام الصادق و تلاميذه من جهة مناظرات و مجادلات كان الفوز و النصر فيها لمدرسة الإمام. فأثبت بالبرهان أنّ أقوالهم تبتعد عن الحقّ بمقدار صدودها عن الإسلام و تعاليمه.[1] لذا اتّجهت الأنظار إلى المعلّم الأكبر، و تشيّع له المفكّرون،

و حفظوا أقواله و دوّنوها، و اعتبروها الفصل بين الحقّ و الباطل، و بين الأصيل و الدخيل تماماً كأقوال جدّه الرسول صلّى الله عليه و آله.

و كان من نتيجة هذه الفترة و مرافقتها لتلك الحركات الفكريّة أن عرف المذهب صافياً على حقيقته في العقائد و التفسير، و الأخلاق و الفقه و اصوله، و أخذ

---

[1] تجد الكثير من هذه المناظرات في كتاب «الاحتجاج» للطبرسيّ، و «البحار» للمجلسيّ، و سائر كتب المناقب و الفضائل.

التشيّع معناه و مجراه في إطاره العلميّ أصولاً و فروعاً.

و قد كان المذهب في أشدّ الحاجة إلى هذا المتنفّس و المنطلق الذي صادف وجود الإمام، إذ لو أمكنت الفرصة و لم يوجد الإمام، أو وجد و لم تكن الفرصة ممكنة، أو تحقّق الأمران و لم تكن تلك الحركات الفكريّة، لم يكن لنا هذا التراث الضخم في شتّى العلوم الإسلاميّة، خصوصاً الفقه، بل لم يكن هذا التقارب بين الشيعة و السنّة في أصول الدين و مبادئ التشريع.

فالفضل في استقلال المذهب و تركيزه كما هو الآن يعود للإمام الصادق بعد أن أسعفته الظروف، و مهّدت له السبيل.

و من هذا أطلق على الشيعة لفظ الجعفريّين، و على فقههم الفقه الجعفريّ.

نحن نؤمن و ندين بأنّ كلّ إمام من الأئمّة الأثني عشر عنده علم الكتاب و سنّة الرسول بكاملهما. و أنّه أعلم أهل زمانه على الإطلاق. و لكن العلم ليس بالسبب الكافي لبثّه و نشره ما لم تواكبه عوامل أخرى. و قد

ساعد الإمام الصادق على بث علومه و معارفه العالم الحضاري من جهة، و فترة انتقال الحكم من الأمويّين إلى العبّاسيّين من جهة ثانية، و وجود رواة ثقات كثيرين يؤمنون بالصادق و يحسنون الأخذ عنه من جهة ثالثة، حتى ذهب بعض علماء الإماميّة إلى القول بتوثيق الأربعة آلاف راوٍ بدون استثناء. و قد يكون هناك عوامل اخرى خفيت علينا إلى جانب هذه العوامل التي استبانت لنا.

و على أيّة حال، فإنّ هذه الأسباب مجتمعة لم تتوفّر
لأحد من الأئمّة غير الإمام الصادق. فقد كان للإمام عليّ
الحواريّون و أصحاب خلّص كميثم التمّار، و كميل بن
زياد، و حجر بن عديّ، و محمّد بن أبي بكر و غيرهم،
و لكنّه لم يَفِ في خلافته بالحروب و الفتن الداخليّة. و لمّا
انتقل إلى جوار ربّه عمل معاوية على طمس آثاره، و
قتل رجاله، و القضاء على كلّ ما يمتّ إليه بسبب.

أمّا عهد الحسنين و الإمام السجّاد فهو عهد معاوية،
و ولده يزيد، و زياد، و ابنه عبيد الله، و عبد الملك و
شيطانه الحجّاج، عهد مذابح الشيعة و مجازرهم، و
استشهاد أئمّتهم، عهد سمّ الحسن، و مذبحة مرج عذراء،
و مأساة كربلاء، و وقعة الحَرَّة، و ما إليها.

أمّا الإمام الباقر فهو المؤسّس الأوّل لمدرسة ولده
الصادق. فقد كان له أصحاب و تلاميذ من كبار التابعين
و أعيان الفقهاء و المحدّثين يتحلّقون حوله للدرس في
مسجد جدّه الرسول، و لكنّ الله سبحانه قد اختاره إليه قبل
أن تبلغ هذه المدرسة الغاية في النموّ و الازدهار، فقبض

في خلافة هشام ابن عبد الملك، وهو ابن ٥٧ سنة، فخلفه ولده الإمام الصادق، وتوالت على مدرسته حظوظ و توفيقات تشتّى، حيث ربا عدد تلاميذها على ما كانوا أيّام أبيه، وأصبح الذين يفدون إليها، ويهتدون بهديها يعدّون بالآلاف.

وبعد الإمام الصادق عادت الظروف إلى قسوتها، و الحوادث إلى شدّتها على الأئمّة و شيعتهم، و لكن المذهب كان قد انتشر في كلّ قطر، وعرفت معالمه، و تركّزت أسسه، وحُفِظَ وُدُوِّنَ، وعمل الناس به منذ أيّام الصادق، حتى اليوم، وإلى آخر يوم.

وبالتالي، فإنّ مذهب أهل البيت تبلور و اتّخذ صورته واضحة جليّة، وثبتت أركانه و دعائمه في عهد الإمام الصادق، وأصبح للشيعة فقههم

و الملتقى، و علماؤهم و رواتهم المعروفون، و آراؤهم الخاصّة بالتوحيد و العدل و عصمة الأنبياء و الشفاعة، و بالجبر و الاختيار، و ما إلى ذلك. و تميّز مذهب الشيعة عن بقيّة المذاهب تميّزاً تاماً كما تميّز مذهب المعتزلة عن مذهب الأشاعرة. أمّا أقوال بقيّة الأئمّة الأطهار منذ الإمام الكاظم إلى نهاية الغيبة الصغرى فهي إمّا تأكيد لأقوال الصادق، و إمّا متمّمة لبعض أصول المذهب أو فروعه. أمّا رجالات الشيعة في عهد الإمام الصادق و بعده فكان همّهم و اهتمامهم حفظ تعاليمه، و تدوينها و الدفاع عنها.[1]

و اليوم لا يرتوي تفسير الشيعة الاثني عشريّة و علومهم فحسب من نمير الإمام الصادق عليه السلام، بل يرتوي منه أيضاً فقهه السبعيّة «الإسماعيليّة» و تفسيرهم و علومهم على كثرتهم و وفور عددهم. و ما كتاب «معالم الإسلام» للقاضي نعمان التميميّ المغربيّ إلّا نموذج

---

[1]. ١١٨ إلى ١١٣ ص «تشيّع و الشيعة»

لذلك الفقه على أساس روايات الإمام الصادق عليه السلام.

لذلك فالمذهب الجعفري مشترك بين الطائفة الشيعية الاثني عشرية الحقّة المحقّة و الطائفة السبعية الإسماعيلية التي أقامت مذهبها على العدد سبعة، إذ ذهبت إلى أنّ إسماعيل ابن الإمام الصادق، الذي توفّي في حياة أبيه، هو إمامها السابع.

لهذا تمييزاً بين هاتين الطائفتين أضاف العلماء الأعلام لفظ «الاثني عشرية» بعد «الجعفرية» و قالوا: الشيعة الجعفرية الاثنا عشرية.

معنى الإمام عند الشيعة و انحصاره بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام

إن المقصود من الاثني عشرية هم الذين يقرّون و يعترفون بإمامة اثني عشر شخصاً من أهل البيت عليهم السلام، و يجعلون ذلك ديناً لهم.

و يتواضعون أمام هؤلاء الأئمّة. و يرونهم اولي
مَلَكَة العصمة، و يذهبون إلى أنّهم عِدل القرآن الكريم:
كتاب الوحي السماويّ في حُجّيّة كلامهم. و في ضوء
حديث الثقلين فإنّ كلامهم معصوم ككتاب الله. و كذا
أفعالهم و أفكارهم. لا يصدر منهم خطأ، لأنّ جواز الخطأ
عليهم يلازم سقوط الحجّيّة عن أقوالهم. و وفقاً للحديث
المذكور الذي قرنهم بالكتاب الأبديّ الثابت الذي لا يقبل
الخطأ فإنّ عصمة كلامهم و فعلهم أمر لازم لا يقبل
الشبهة.

ذلك أنّا لو فرضنا جواز الخطأ عليهم، فإنّنا إمّا
نجيز هذا الخطأ على كتاب الله، و حينئذٍ يلازم ذلك
فرض الخطأ في الوحي الإلهيّ و أزليّته و أبديّته، و هذا
محال.

و إمّا أن نسلب احتمال الخطأ عن الإمام، و نراه
معصوماً ككتاب الله، و عندئذٍ تثبت استقامتهم و
عصمتهم في جميع مراحل حياتهم بدون أدنى خطأ أو
أقلّ شائبة سواء في الشؤون التبليغيّة و الإرشاديّة و

الإمارة و الرئاسة على المسلمين، أم في الشؤون الشخصيّة و الاجتماعيّة كالمعاملات، و المقايضات، و أمثال ذلك.

غير المعصوم لا يُسمّى إماماً عند الشيعة

هذا هو معنى الإمام في الاصطلاح الشيعيّ. أي: زعيم العالمين و مقتداهم في الشؤون الظاهريّة و الباطنيّة، و الاجتماعيّة و المعنويّة الروحانيّة، و الملكيّة و الملكوتيّة. وقد وهبه الله الحصانة و العصمة اصطفاءً من لدنه ليكون زعيماً مقدّماً في جميع الامور.

و هؤلاء الأئمّة ينحصرون في اثني عشر شخصاً: أوّلهم الإمام عليّ ابن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، و آخرهم الإمام الحجّة بقيّة الله: محمّد بن الحسن العسكريّ عجّل الله تعالى فَرَجَهُ المبارك.

و هو حيّ حسب عقيدة الشيعة الراسخة، و بيده ولاية الشؤون

المعنويّة و الملكوتيّة في العوالم، بيَدَ أنّه غائب عن الأنظار الآن بسبب غصب الغاصبين للخلافة و الإمامة، و يظلّ غائباً إلى أن يأذن الله تعالى بظهوره فيُقيل المتصدّين للسلطة على الناس باطلاً، و يتولّى حكومة الناس على أساس الطهارة السرّيّة و العصمة الإلهيّة و الولاية الحقّة الحقيقيّة الكبرى.

لهذا عدد هؤلاء الأئمّة اثنا عشر كنقباء بني إسرائيل، لا ينقص و لا يزيد. و العدد (١١) غلط، كمن يختم الإمامة مثلاً بالإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و العدد (١٣) غلط أيضاً، كمن يختار له إماماً غير الإمام المهديّ بقيّة الله أرواحنا فداه.

من الطبيعيّ أنّ هذا الموضوع يقوم على أساس معتقد الشيعة و مذهبهم و اصطلاحهم، لا كما ورد في اللغة و استعمال العامّة الذين يطلقونه على كلّ من كان زعيماً مقدّماً في أمر من الامور.

كما وردت في القرآن الكريم آيات بهذا اللفظ في المعنى المطلق للإمام و القدوة. كقوله تعالى:

وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً.[1]

لفظ الإمام في هذه الآية يعود إلى مطلق المراد منه هنا طبعاً مطلق الإمام الصالح.

و قوله تعالى: فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ.[2] و اللفظ هنا أيضاً يراد به مطلق الإمام، المقصود هنا مطلق أئمّة الكفر.

و قوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ.[3]

و لفظه في هذه الآية يرتبط بمطلق الإمام أيضاً، سواء كان إمام الفجّار الذي يسوق الآثمين إلى النار يوم القيامة، أم إمام الأبرار الذي يقود الصالحين إلى الجنّة يومئذٍ.

علماً أنّ لفظ الإمام قد ورد في القرآن الكريم بمعنى الإمام حسب مصطلح الشيعة الإماميّة أيضاً، كقوله

---

1. الآية ٧٤، من السورة ٢٥: الفرقان.
2. الآية ١٢، من السورة ٩: التوبة.
3. الآية ٧١، من السورة ١٧: الإسراء.

تعالى: وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ.[1]

المراد من لفظ الإمام هنا هو المعنى الأخصّ له. و لهذا لا ينال الظالمون هذا المقام، و إلّا فمن الواضح أنّهم لا يحرزون مقام الإمامة بمعناها المطلق أيضاً.

أجل، إن لفظ الإمام و الإماميّة في عرف الشيعة هو خصوص المعنى المعهود و المعروف، لا مطلقه، و إلّا فلا معنى لإطلاق الإماميّة على الشيعة الاثني عشريّة. و كلّ جماعة تتبع مقتداها تُدعى الإماميّة حتى الخوارج كالحنابلة، و الحنفيّة، و الوهّابيّين، إذ إن لكلّ فرقة من هؤلاء إماماً. و لمّا كان مقتدوهم أبا حنيفة، أو أحمد بن حنبل، أو محمّد بن عبد الوهّاب، فلا جرم أن يقال لهم: الإماميّة أيضاً، ويكون إطلاق هذا اللفظ عليهم صحيحاً، في حين ليس الأمر كذلك.

---

[1]. البقرة ٢: الآية ١٢٤، من السورة.

إن لفظ الإمامية يطلق على القائلين بولاية الأئمة الاثني عشر و إمارتهم. و يطلقه عليهم المعصومين المؤمنون بما فيهم من أوهام كأحمد أمين

المصريّ، و الشهرستانيّ، و فريد وجدي، و ابن خلدون،[1] و من شابههم. فإنّ هؤلاء يرون أنّ الإماميّة اصطلاح خاصّ لهذه الجماعة خاصّةً. و ذكر كلّ منهم فصلًا في كتابه حول الإماميّة. و عقّبوه بشرح مشبع يتناول مزايا المذهب الشيعيّ الإماميّ الاثني عشريّ، أو الإسماعيليّ و آثارهما و أخبارهما و خصائصهما.

و لهذا في ضوء عقيدة الشيعة الاثني عشريّة المؤمنة بحياة الحجّة عليه السلام و إمامته لا يمكن أن نطلق لقب «الإمام» على غيره.[2]

الألقاب المختلفة لمجتهدي الشيعة على مرّ التأريخ

و في عرف الشيعة يطلق على المجتهدين العظام و أولي الفقاهة و العدالة الجامعين للشرائط ألقاب نحو «نائب الإمام» و أمثاله. جاء في مجلّة «الحوزة»

---

[1] قال ابن خلدون في مقدّمته، ص ٢٠١: و أمّا الاثنا عشريّة فربّما خُصّوا باسم الإماميّة عند المتأخّرين منهم، فقالوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق لوفاة أخيه الأكبر إسماعيل الإمام في حياة أبيهما جعفر، فنصّ على إمامة موسى هذا، ثمّ ابنه عليّ الرضا الذي عهد إليه المأمون و مات قبله فلم يتمّ له أمر، ثمّ ابنه محمّد التقيّ، ثمّ ابنه عليّ الهاديّ، ثمّ ابنه الحسن العسكريّ، ثمّ ابنه محمّد المهديّ المنتظر الذي قدّمناه قبل.

[2] تحدّثنا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب عن هذا الموضوع، و ذلك في الدرس ١٢ إلى ١٤.

[كان المرحوم الكلنبوي «ملا إسماعيل» الذي كان من أكابر علماء الإسلام و أعاظم فقهاء الشيعة.

و كان كلٌّ من الميرزا حسين النوريّ، و الشيخ عبّاس القمّيّ يسمّى «المحدِّث»، و أطلقوا على المرحوم الصدوق «رئيس المحدِّثين». و دُعي المرحوم السيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ «بحر العلوم» لسعة علمه و غزارته. و اشتهر المرحوم الحسن بن يوسف الحلّيّ بـ «العلّامة» لجامعيّته في

الكمالات المختلفة و غزارة علمه في الفقه و الكلام.

كما عُرف المرحوم البرسيّ صاحب «مجمع البيان» بـ «أمين الإسلام» و المرحوم الأردبيليّ بـ «المقدّس» و المرحوم الشفتيّ بـ «حجّة الإسلام» و الشيخ الطوسيّ بـ «شيخ الطائفة» و صاحب «الكفاية» بـ «الآخوند» و أبو القاسم نجم الدين جعفر بن محمّد صاحب «شرائع الإسلام» بـ «المحقّق» بسبب دراساته العميقة و نفاذ بصره في المسائل الفقهيّة.

و حلّق العلماء الذين كانوا يدركون المستوى العلميّ و الإيمانيّ للمرحوم الميرزا الشيرازيّ أقلاباً و أوصافاً بسمه الشريف، بسبب ما اتّصف به من علم، و بصيرة، و تقوى، و ما عرف به من جهود سياسيّة. و يعبّر كلّ منها عن بُعد من أبعاد شخصيّته.

حجّة الإسلام - ١: كان المرحوم الملّا أسد الله البروجرديّ المتوفّى سنة ١٢٧٠ هـ، و الملّا محمّد النراقيّ، و المولى محمّد تقي المامقانيّ يتلقّبون بهذا

اللقب قبل المرحوم السيّد محمّد باقر الشفتيّ البيدآبادي أحد مراجع أصفهان الكبار]:[1]

يقلّب بقلب أيّاً من هؤلاء و أمثالهم لم يلحظ و لا خلاف عند الشيعة و «الإمامية» حتى الشيخ المفيد الذي له المكانة العلميّة و الكلاميّة في رئاسته، و زعامته الشريف المرتضى و الشريف الرضيّ مع زعامتهما الظاهريّة و منزلتهما عند السلاطين، و غزارة علومهما، و تقواهما الفريدة، و علوّ همّتهما و شهامتهما و مآثرهما التي استأثر بها.

---

[1] ٥١ و ٥٢ العددان ٢ و ٣، السنة الثامنة، سنة ١٣٧١ شمسيّ، و العددان ٥١ و ٥٢ من مجلّة «الحوزة» العددان الخاصّان بالذكرى المئويّة لوفاة العلّامة الشيرازيّ، ص ٣٦٧، يتناول العددان المجلّدان في جزء واحد ترجمة وافية لذلك الزعيم الكبير، بخاصّة فتواه الشهيرة بتحريم التبغ. وعندما وقفتُ على بعض أعداد المجلّة المذكورة وجدتها مجلّة مضرّة ملحدة لما يُلحظ فيها من موضوعات مضادّة للدين. فلهذا لا أقتنيها في مكتبتي. أمّا المجلّد المذكور فقد أهداني سماحة المعمّر السيّد محمّد سيادتي الموسوي حفظه الله. و ذكر أنّ فيه معلومات مفيدة حول المرحوم حجّة الإسلام الشيرازيّ قدّس سرّه. فرحّبت به و طالعته إلى آخره بدقّة. و الحقّ وجدتُه كما قال، إذ إن الموضوعات المذكورة تكاد تكون معلومة لكلّ من له اطّلاع على التاريخ و التعديل و التجريح و الكتب الأخرى، و قد أنصف في المجموعة فيما كتب و أجاد فيه أحسن الإجادة. و وفّى الموضوع حقّه.

و من المناسب أن نذكر القصّة الآتية عدماً للموضوع و تأكيداً له: الرسالة الآتية هي الرسالة التي أرسلها لي صديقي العزيز المرحوم حجّة الإسلام و المسلمين صاحب العلم و التقوى و الشخصيّة المميزة حسن النوري الهمدانيّ رحمه الله. و قد بعثها من قم إلى مشهد استجابة لطلبي، و و افتني في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٤١٠ هـ. علماً أنّه كان قد شافهني بمضمونها و محتواها بعد عودته من لندن التي أمضى فيها مدّة ممثّلاً للمرحوم آية الله العظمى السيّد محمّد رضا الگلپايگانيّ،[1] و كنتُ يومها في طهران

---

[1] توفّي سيّد الفقهاء و المجتهدين حجّة الإسلام و المسلمين آية الله تعالى في العالمين السيّد الگلپايگانيّ أسكنه الله بحبوحة جنّته، و كان من المبرّزين في العلم و التقوى، ذا نفس طيّبة لطيفة نقيّة من شوائب الهوى، و أحد مراجع الشيعة العظام الذي انحصرت المرجعيّة به تقريباً في الفترة الأخيرة. و كانت له معه سوابق لامعة. و قد توفّي بعد عكة دامت ثلاثة سنين و قد على أثرها في أحد مستشفيات طهران أيّاماً. و كانت وفاته في ليلة الجمعة عند أذان المغرب ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ. و هو ابن ست و تسعين سنة. و تمّ تشييعه من تلك المستشفى الواقعة في حي شميران إلى محطّة القطار لينقل إلى قم. ثمّ شُيّع في قم يوم السبت قبل الظهر بثلاث ساعات (و دُفن عصر ذلك اليوم بسبب كثرة المشيّعين و ازدحامهم العجيب) من مسجد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى صحن السيّدة فاطمة ابنة موسى الكاظم عليهما

ولم اغادرها إلى مشهد المقدّسة بعد. وطلبت منه أن يوافيني بها تحريرًا رغبة منّي في ضبط محتواها.

ولمّا كانت الثورة الإسلاميّة في إيران قد انتصرت في ربيع المولد سنة ١٣٩٩ هـ، وبعد سنة وشهرين غادرتُ طهران إلى مشهد، أي: في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٤٠٠ هـ، لهذا كانت هذه الواقعة الواردة في رسالته المرسلة في شهر رمضان قد حدثت في شهر رمضان من السنة الاولى للثورة، أي: سنة ١٣٩٩ هـ. و فيما يأتي نصّ الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا بقيّة الله أدْرِكنا

عند ما كنت في لندن جاء ذات يوم مستخدم البناية التي كنت أعيش فيها، وكان الوقت رمضان، ويبدو أنّه

السلام. و دفن جوار قبر استاذه المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اوّلًا بدار رُظَيْتَة مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا.(الآية ٢٣، من السورة ٣٣: الأحزاب).

اليوم السادس عشر منه، فقال لي: جاء ثلاثة أشخاص و هم يريدونك. فنزلت إلى الطابق الأرضي حيث صالة الاستقبال فرأيت ثلاثة فتيان، عمر أحدهم ٢٨ سنة تقريباً، وعمر الآخرين بين ٢٢ سنة و ٢٣ سنة.

جلسنا للحديث. و كانت آثار الصلاح بادية في سيماهم. قالوا: جئنا لنأخذ منك القرآن حتى نقرأه، إذ لا يتوفّر في مكتبات البيع و المطالعة في لندن. فقدّمت لهم ثلاثة مصاحف، ثمّ ودّعوني و ذهبوا. و ما إن غادروا المكان حتى رجع أكبرهم إلى الباب فقال: لنا لقاء بأبي عبد الله الحسين عليه السلام مساء غدٍ، فهل لك من حاجة أو تريد أن تسأل عن شيء؟!

قلتُ: كيف يمكن أن يتمّ هذا اللقاء؟!

قال: أنت تعلم. القيَ في روعنا أن نقول لك. و أراد أن يرجع، فقلتُ له: إذا رغبتَ فاسأله عن ثورة إيران (كانت الثورة في سنيها الاولى) و ماذا سيحدث؟!

قال: سألنا أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك في السبوع الماضي، فأسأل عن شيء آخر!

قلتُ: اسألوا عن الوقت الذي يظهر فيه وليّ العصر أرواحنا فداه فإذا سألتم فإنّي آخذ بعين الاعتبار موضوعاً أو موضوعين، فاسألوا عن جواب ذلك؟ ثمّ ذهبوا. و بعد أيّام جاءوا إلى ذلك المكان و كنت مشغولاً في محاضرةٍ فرأيتهم، و أنهيت محاضرتي بسرعةٍ، و أقبلتُ عليهم. فبدأ الحديث و سألتهم عن الأشياء التي كنت قد طلبتها منهم.

قالوا: أمّا مسألة الظهور، فكما جاء عنها في الأخبار و الأحاديث، و اختيار ذلك و علمه عند الله تعالى. و أمّا الأسئلة الاخرى التي كانت على بالي، فقد أتوني بأجوبة مساعدة عنها تقريباً.

و قالوا لي: و أوصاكم أن لا تسمّوا السيّد الخميني إماما، بل سمّوه نائب الإمام، هكذا كما يبدو. و أعطانا دعاءً موجزاً نقرأه، و ذكر لنا موضوعاً آخر و أوصانا أن نخبر كلّ من و لا نخبر به أحداً، و حكوه لي.

قلتُ: أنتم ذكرتم لي أنّكم كنتم قد سألتم أمير المؤمنين عليه السلام عن الثورة الإسلاميّة في إيران! فما ذا قال لكم؟!

قالوا: قال لنا: نحن رفعنا راية التوحيد أو راية لا إله إلّا الله (الشكّ منّي) في إيران، و سيمرّ الشعب الإيراني بمحنٍ و ابتلاءات، فكيف تجتازها؟

قلتُ: ما هي طبيعة اتّصالكم؟! و كيف تلتقون بالإمام؟!

قالوا: لنا أستاذ يرتّب لنا اللقاء، و يبلغنا بوقته. قلتُ: مثلًا كيف؟ و أين هو؟! فتلكّأوا و لم يتكلّموا أكثر من ذلك، أو قالوا: لا نستطيع أن نتكلّم.

و عندما أرادوا الذهاب، قلتُ: متى سيكون موعدنا القادم؟!

قالوا: لا ندري! فلسنا مخاتيرين. و لو قيل لنا: اذهبوا إلى فريقية السوداء، لتحرّكنا فورًا، كما أنّ قدومنا إلى لندن لم يكن باختيارنا.

و ودّعوني و ذهبوا و لم يرجعوا.

هذا ما أذكره من اللقاء. و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. علمًا أنّ أكبرهم سنًّا كان يتحدّث معي أكثر منهم. أمّا الآخران فقلّما كانا يتكلّمان.[1]

---

[1] كان المرحوم حجّة الإسلام و المسلمين الميرزا حسن نوري زاده الله رحمة و غفرانًا من أصدقائي و أعزّ أحبّتي و رفقائي. و كان مهذّبًا فاضلًا غيورًا محبًّا للدين. تمتدّ مودّتي له قرابة خمسين سنة. التحق بالرفيق الأعلى في حادثة اصطدام مؤسفة عندما كان متوجّهًا نحو سيرجان في أواخر شعبان المعظّم سنة ١٤١٢ هـ. و نقل جثمانه إلى موطنه الدائم قم، و دفن في إحدى الغرف الواقعة في الشمال الغربيّ من الصحن الكبير. رحمه الله رحمةً واسعةً.

أجل، لم نعهد أحداً من علماء الشيعة قد تلقّب بلقب الإمام إلّا المرحوم المغفور له سماحة آية الله **الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء** الذي كان من المعاصرين للطبقة التي سبقتني. و مع أنّي لم أدرس عنده في النجف الأشرف، بيد أنّه يعدّ في طبقة أساتذتي.

كان هذا الشيخ نسيج وحده في العربيّة و الأدب و الفقه و العرفان و الفلسفة و التفسير و التأريخ و الكلام، و بخاصّة في الدفاع عن حريم التشيّع. و كان ذا قلم قويّ و لسان بليغ في الخطابة و التدريس. و هو من أحفاد مالك الأشتر النخعيّ رضوان الله عليه صاحب أمير المؤمنين عليه

الاسلام.

و كانت له مدرسة مستقلّة في الجناف الأشرف، و تلقّى العلم في مدرسة النجف الأشرف، و كان من أبرز تلامذته المرجعيّة، إذ كان يتلقّى عنه الكثير من العرب و انتهت إليه المرجعيّة في القليل من العجم.

و كان مقدّماً على أترابه في الخطب من الدرجة الاولى و المجالس و المحافل الدوريّة للمسلمين، التي كانت تعقد تحت عنوان «الملتقي» أو «الندوة». و له مركز الصدارة فيها. و كان ذا كلام مؤثّر و خدمات جليلة يُحتفى بها.

و جملة القول، عند ما شارك في أحد المجالس و عمد منهم المصريّة لقّبه المصريّون بالإمام على علم و عظمته و عصمته عند الإماميّة. لكسر هيبة الإمام و المرجع التامّ لقّبوه بهذا اللقب إذ كان الشخص الأوّل و المرجع الأعلى لجميع العرب، و لغته الأمّ هي العربيّة. و احتفوا به أحسن احتفاوٍ و ذلوا قصارى جهدهم في وسائل الإعلام من أجل إسماع أهل مصر و سائر البلدان بخبر قدومه إلى مصر.

و قد انطلت عليه مكيدة علماء مصر إذ لم يقصدوا من تلقيبه بالإمام المعنى المطلق الذي يستعملونه في أكابرهم، بل أرادوا الحطّ من شأن الإمامية و الإمامة عبر تلقيبه بالإمام. وفي السنة التي تلتها -أو المرّة التي تلتها- إذ عُقد ذلك الملتقى بمصر، دعا المصريّون عالماً آخر مميّزاً من علماء النجف الأشرف و كان معروفاً بعمالته للنظام الحاكم يومئذٍ، وكان من طلّاب الدنيا ولم يتورّع عن الكذب، لكن معلوماته جيّدة نوعاً ما، و من أهل الحوار، وكان حسن اللسان، وكان أعجميّاً. دعوه بوصفه عالماً شيعيّاً. فلبّى الدعوة و توجّه تلقاء مصر، فلقّبوه بالإمام ككاشف الغطاء، و لم يدّخروا وسعاً في تكريمه بلفظ الإمام حتى انتهت مجالسهم و محافلهم.

و دلّ الجميع على أنّ هذا الرجل الذي لا حظّ له من العلم و العمل

و التقوى هو إمام الشيعة. لذلك فإنّ أئمّة الشيعة الوارد ذكرهم في التأريخ، و الذين يتبعهم جميع الشيعة بوصفهم المقتدين المعصومين، من أين نعرف أنّهم ليسوا كهؤلاء الأئمّة؟! كلّما في الأمر أنّهم اتّخذوا طابع الطهارة و النزاهة و العصمة بسبب بُعد الفترة الزمنيّة.

و على تعبير العامّة: لم يدخلوا الماء لكنّهم سبّاحون مؤهّلون.

و نحن نلحظ عين هذه التهم منسوبة إلى الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين في كلمات أحمد أمين المصري.

و علم العارفون أنّ المرحوم كاشف الغطاء قد أخطأ في هذا الأمر و باع رسالته بقوله لقب «الإمام» مع فهمه العميق و ذكائه و بصيرته النافذة. و أنّما كان يدافع عنه في كتبه قد ذهب أدراج الرياح بقوله إلصاق هذا اللقب

ـه. وجعل شخصيّة الإمام في خضمّ مضاهيه الشخصيّة

تيّار الآراء والأهواء الشيطانيّة المسرّة![1]

---

[1] نظم سيّد الفقهاء والمجتهدين ركن العرفاء والموحّدين آية الله العظمى السيّد علي القاضي الطباطبائيّ أعلى الله درجته السامية غديريّة عصماء سنة ١٣٥٦ هـ، ومطلعها:

خُذْ يا وَلِيَّ غَدَاةَ العِيدِ وَالطَّرَبِ ... هَدِيَّةً هِيَ لِلأَعْدَاءِ كَاللَّهَبِ

وشرحها نجل الأكبر سيّد الفضلاء العظام فخر السادات والعرفاء العظام السيّد محمّد حسن القاضي الطباطبائيّ. وهاهي قيد الطبع في جزءين: أحدهما في ترجمة الفقيد، والآخر في ترجمة تلامذته ومعاصريه وأقاربه.

وذُكرت هذه القصيدة في كتاب ديوان حوله. ولمّا بلغ الشاعر هذين البيتين:

أَلَا إِنَّ مِنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ عَمَّمُوا ... إِمَامَ الهُدَى سَيْفاً مُقِيمَ الرَّوَاتِبِ

إِنَّ مِنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ مُسِبَّلِ ... قِيعِ الإِمَامُ المُجْتَبَى فِي المَشَارِبِ

فإنّ الشارح مطلقاً في شرح السقيفة لفظ الإمام. ولمّا كان شرحه متضمّناً رحلة المرحوم آية الله آل كاشف الغطاء إلى مصر. وتلقيبه بلقب الإمام وكنّا قد أوردنا ذلك هناك فتكفي بلفظه العربيّ من غير ترجمة له: الإمام: كلّما جاء في كتب الشيعة لفظ الإمام فإنّهم يعنون به الأئمّة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام. وخَصَّتِ الشيعة هذا اللقب بهم وسمحت للآخرين أن يلقّبوا علماءهم بكلّ ما يريدون ... وما أكثر العلماء وأشدّ اختلاف الألقاب؟! حجّة الإسلام وآية الله وآية الحقّ، وثقة المسلمين، ومرجع الدين، وصدر الدين، وعلّامة، ونابغة، وأديب، وأستاذ، وشيخ، وسيّد، وفقيه، ومفتي، ومحدّث، ومؤرّخ، ومفسّر، ومتكلّم، وأصولي، ومجتهد، ومرجع التقليد، وشيخ الطائفة، وشيخ الإسلام، وآية الله العظمى، وحجّة الإسلام والمسلمين، وآية الله والحقّ، وثقة الإسلام والمسلمين، وحجّة الإسلام، وآية الله، وآية ال

و رأينا بعد كاشف الغطاء أيضاً أنّ بعض العلماء الذين تصدّوا للمرجعيّة، و شيّدوا مدارس، زيّنوا مدارسهم بلوحة كتب عليها «مدرسة الإمام». و هنا يكون ميدان المسابقة و المغالبة طبعاً، فإنّ بعضهم طبعوا

كما- يأتي في الأسلاميّة «تهتمّ أن تصبح مصر إلى فرنسة العالم الإسلامي العراق

ً عالما كان عن أن يسمّوها - و اجتمع هذا كبعلماء الأزهر الشريف و لم

يجعبهم أن يسمّوها و سرّ جذبيّة العلميّة و مركز ثقل عن علمائها عالمًا

قويّ العراضة سريع البديهة خطيبًا مفلقًا من علمائها العلميّة مع اختلاف

عريقة مثل لقب «الإمام» لقد صدرت الصحف المصريّة مع أحد

اتّجاهاتها و كثرة عددها تحمل أبلغ دور الشيخ إلى القاهرة و احتفاء الأزهر

الشريف به مع لقب «الإمام كاشف الغطاء» عاد الشيخ إلى النجف و كأنّه فرح

بهذا اللقب، و لم يمنع أحدًا، أو لم يتيسّر له أن يمنع الآخرين - على الأقل في

النجف - من تلقيبه بهذا اللقب مع علمه الأكيد بمحتوى اتّفاق الشيعة على

اللقب، غير أنّ أولئك الذين منحوه هذا اللقب أو خاطبوه هكذا في الصحف و

المجلّات يومذاك رأوه أكبر من اللقب الممنوح له، أو على الأقل يوازيه في

المرتبة و المكانة. و صادف أن سافر إليه شيخ آخر لم يكن في منزلته العلميّة

و عند «الإمام» لقبًا أيضاً منحوه بمراحل، و كان دونه بالسوابق و السرّ و

ذلك أدرك الشيخ رضا - رحمه الله و تغمّده برضوانه أنّ الغرض هو ضياع و إزال

لقب الإمام من المعنى و المرتبة الخاصّة به، لا المحافظة و الاحترام و الإكبار

و الإعظام للشيخ كاشف الغطاء.

رسائلهم مسبوقة بعبارة «الإمام الأكبر».

و العجيب أنّ لقب «علم الهدى» الذي عُرِف به الشريف المرتضى نجد أيّام الإمام المهديّ في المنام، و لقب «بحر العلوم» الذي اشتهر به السيّد مهدي الطباطبائيّ البروجرديّ نجد أيّام أعظم زمانه. و مع هذا لم يُلقَّب أيّ منهما بالإمام، مع أنّهما كانا بلا شكّ إمامين باللغويّ و لهما صدارة محافل العلم و مجالس التدريس.

اختصاص لقب «ولي الأمر» بالمعصومين عليهم السلام

إنّ إمامة الإمام حسب منطق الشيعة تثبت من آية أولي الأمر التي يستفاد منها العصمة حتماً، بيد أنّ السنّة يسمّون كلّ من تقلّد زمام الامور: وليّ الأمر، سواء كان معاوية، أم يزيد، أم مهدي، أم صدّام، أم الحسن الثاني، أم حسين الأردنيّ، و مهما كانت أفعالهم و اتجاهاتهم و مظالمهم. و يرونه واجب الإطاعة وفقاً لمفاد آية أولي الأمر. و لذا نلحظ ضرب المدارس التي حدثت و تحدث من هذا التفسير الخاطئ.

أمّا الشيعة فإنّهم يختصّون هذه الآية بأهل بيت العصمة باستدلال متين و برهان رصين و يقولون: محال على الله أن يأمر بطاعة الوليّ الجائر و الحاكم الظالم.

و يفرّق الشيعة بين ولاية النبيّ و الأئمّة الطاهرين عليهم السلام و بين ولاية الفقيه العادل الجامع للشرائط، و يستهدون بالقرآن و السنّة في تحديد معيار كلّ منهما و نطاقه.

إنّ منطق الشيعة هو أنّ في الآية المباركة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ،[1] طاعة الله هي طاعة كتابه و الأحكام العامّة التي أنزلها فيه كوجوب الصلاة. و طاعة الرسول هي أوّلاً: طاعته في الأحكام الجزئيّة التي يشرّعها مثل كيفيّة الصلاة و عدد ركعاتها و شرائطها و موانعها. ثانياً: طاعته في أوامره الولائيّة المتعلّقة بجماعة المسلمين و حكومتهم كالأمر بالجهاد.

---

[1] النساء: ٤، من السورة ٥٩، من الآية.

و لهذا لمّا كان رسول الله لا يشرّع الأحكام الكلّيّة، و كان ذلك مختصّاً بالله وحده فإنّ طاعة الله و طاعة رسوله المشرِّع للأحكام الجزئيّة قد وردت بتكرار لفظ الطاعة، إذ جاء فيها: أطيعوا الله، و أطيعوا الرسول! و أمّا طاعة اولي الأمر فتتمثّل في الشؤون الولائيّة و الاجتماعيّة للمسلمين، إذ ليس للأئمّة عليهم السلام حقّ التشريع حتّى في الامور الجزئيّة، لكنّهم لمّا كانوا يشتركون مع النبيّ صلّى الله عليه و آله في وجوب إطاعة الأوامر الولائيّة، فقد أوجب الله طاعتهم مع رسوله في سياق واحد بلا تكرار للفظ الإطاعة، و قال: وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

و هذا البحث يدور حول ولاية رسول الله و الأئمّة و حجمها.[1] أمّا بشأن ولاية الفقيه، فلا دليل لنا من الآية القرآنيّة. و ما ذُكر حولها فهو مأخوذ من الروايات. و ذلك كافٍ و وافٍ بحمد الله و منّه. و أهمّ هذه الروايات

[1] ذيل «الميزان» تفسير العلّامة الطباطبائيّ في تفسير هذه الآية الكريمة، ج ٤، ص ٤١٢، طبعة الآخوندي.

التي تعدّ أساساً و محوراً لسائر الروايات هي مقبولة عمر بن حنظلة التي يمكن الاستهداء بها في فصل الخصومة، بل في سائر الامور الولائيّة التي تقع على عاتق الحاكم، و يتسنّى لنا أن نستنبط منها أيضاً حُجّيّة أوامر الفقيه في باب القضاء و الحكومة و الجهاد.

بَيدَ أنّنا ننبّه على نقطتين جديرتين بالذكر: **الاولى:** حكومة الوليّ الفقيه ليست في درجة حكومة الإمام و ولايته، إذ إنّ هذا المنصب هو من

جانب الإمام، و المنصوب يخضع لولاية النائب حتماً.

قول الإمام الصادق عليه السلام في المقبولة المذكورة فإنّي جَعَلْتُهُ حاكِماً، يدلّ على أنّ الوليّ الفقيه منصوب من قبل الإمام المعصوم، و هو تحت ولايته.

الثانية: سعة الأوامر الولائيّة للوليّ الفقيه و إن كانت في نطاق الأوامر الولائيّة للإمام المعصوم و بمستواها، بَيْدَ أنّ الخطأ جائز في ولاية الوليّ الفقيه، إذ إنّه كغيره من عامّة الناس لا يتمتّع بملكة العصمة و الحصانة من الخطأ، فيجوز عليه الخطأ. و يمكن أن يُخطئ في الامور الولائيّة، أو القضائيّة، أو الاستفتاءات. بَيْدَ أنّ هذا الخطأ معفوّ عنه إن لم ينطلق عن عمدٍ أو تهاون. فلا هو يعذّب بعذاب الله، و لا الناس العاملون برأيه.

أمّا لو قصّر و أخطأ في مقدّمات استنتاج الفتوى فهو الذي يُعاقَب، لا الناس.

يقول الشيعة: إن الإمامة في عصر غيبة الإمام تختصّ به، و الوليّ الفقيه تحت ولايته، وليس له أن يقوم بعمل من عنده تشريعيّاً أو تكوينيّاً. كما ليس له أن يسمّي نفسه إماماً. و إذا ثبتت نيابته الخاصّة فهو نائب خاصّ، و إلّا فهو نائب عامّ.

الفقيه غير معصوم و رأيه ليس أبديّاً

إن جميع الفقهاء و المجتهدين العظام عند الشيعة يجوز عليهم الخطأ، أيّاً كان منهم: الشريف المرتضى و الشيخ المفيد، أو الشيخ الطوسيّ و العلّامة الحلّيّ، أو السيّد ابن طاووس و السيّد بحر العلوم.

و لمّا كانوا يجوز عليهم الخطأ، فحجّيّة كلامهم تنحصر في زمان حياتهم. و المجتهد و إن كان في ذروة العلم و التحقيق و الحكمة بإقرار جميع الحاضرين و الغائبين لكنّ كلامه يسقط من الحجّيّة بمجرّد موته، و بترك الناس تقليده. لأنّه يجوز عليه الخطأ. و لعلّ كلامه خاطئ، بَيدَ أنّ كلامه

الخاطئ هذا حجّة على الناس في حياته، ذلك أنّ الإمام المعصوم جعله حجّة في حياته. لكن لا ينبغي له من بعد الإمام بمجرّد موته، كما أنّ كلامه يزول بزوال حياته.

أمّا الإمام المعصوم فليس كذلك، إذ إنّ كلامه هو عين الحقّ و الواقع. لهذا يبقى حيّاً ذا حجّيّة بموته كالآيات القرآنيّة فإنّها حيّة دائماً و أبداً من حيث العصمة.

كلام النبيّ و الإمام حيّ و حجّة سواء كانا حيّين أم ميّتين. وكلام إمام الزمان حيّ وحجّة سواء كان حاضراً أم غائباً.

أمّا كلام آية الله الخميني قدّس سرّه و رأيه و أمره و فتواه فليس كذلك، إذ يفقد كلامه و فتاواه درجة الاعتبار بمجرّد موته. ويجب على عامّة الناس الرجوع فوراً إلى المجتهد الحيّ الأعلم الجامع للشرائط و أخذ الأحكام و المسائل منه، و الخضوع لأوامره الولائيّة.

وكما كان أمره في حياته بشأن الحرب و السلم تابعاً لذلك الزمان، فكذلك فتاواه و آراؤه. فهل من المعقول أن يقول أحد: لما كان السيّد الخميني شجاعاً بصيراً عارفاً بامور الناس و المسلمين، و أمر بالحرب، فعلى الناس أن يحاربوا بعد وفاته أيضاً؟!

أجل، ذلك الرجل العظيم الشأن ليس معصوماً عند الشيعة، ويجوز عليه الخطأ كغيره من المجتهدين. ولما كان مقرّاً و معترفاً بإمام العصر و الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف فهو مقرّ و معترف بوجود الإمام الذي هو حيّ و غائب الآن. و حينئذٍ كيف يرضى أن يتلقّب بلقب الإمام، ويتلقّى ذلك بقبول حسن، ويستسيغه منذ أوّل نشيد قُرئ عند استقباله في مطار مهرآباد بطهران (خميني أي إمام) (الخميني، أيّها الإمام!) حتى آخر لحظة من حياته؟!

هل كان ذلك بسبب تصدّيه لحكومة المسلمين، فهو إمام المسلمين؟ وهذا لا ينسجم مع منطق الشيعة وحياة إمام العصر و الزمان الذي له سيطرة و ولاية عليه و على الجميع.

هل كان ذلك لأنّ ولاية الفقيه عنده كولاية الإمام بعينها؟ و على فرض قبول هذه النقطة، فلا يتمّ رضاه بعنوان الإمام في مقابل إمام العصر و الزمان، و وجوده و الاستمداد من فيوضاته الظاهريّة و الباطنيّة. و ماذا يضرّ لو كانت ولاية الوليّ الفقيه كولاية الإمام في حجمها و سعتها و نطاق حكومة الوليّ المذكور، لكنّه مع ذلك يكون نائبه، لا هو بذاته؟! وهل من المحال أن تكون نيابة النائب بقدر سلطة المنوب عنه؟!

هل كان ذلك لأنّ المقصود من الإمام هو المعنى اللغوي و مطلق الزعيم، لا الإمام الأصل؟ وهذا يُستبعد من شخص خبير بصير فقيه حكيم متألّه مطّلع على جميع الامور و الأحداث. و هل كانت الألقاب الاخرى الدالّة على زعامته المطلقة **كقائد الثورة الإسلاميّة**

الكبير، و مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، و
أعلى مقام الاجتهاد و الولاية، و أمثال ذلك قليلة حتى
يُختار لقب الإمام من بين تلك الألقاب جميعها؟!

و صفوة القول أنّنا لم نقف لحدّ الآن على سرّ هذا
الأمر و حقيقته. لكنّا لمّا كنّا في صدد التعريف بالمدرسة
الشيعيّة، فلا يمكن أن نتجاوز هذا الموضوع و نهمله.

و لو تغاضينا عن إطلاق لفظ الإمام في حياة ذلك
المرحوم، لكنّا كيف نتغاضى عمّن يريد أن يستغلّ هذا
اللقب بعد مماته، و يُضفي على كلامه صبغة الأبديّة، و
يخلّد فتاواه و آراءه.

و هذا التوجّه خاطئ. أجل، إذا أرادوا أن يكتبوا و
يتحدّثوا عن جرأته و شجاعته و علوّ همّته و استقلاله
الفكريّ و تفانيه و نكران ذاته و بُعد نظره

و أمثال ذلك فليكتبوا و ليتحدّثوا ما شاءوا فهو قليل

ً أقّ بحقّه. فلقد كان رحمه الله قدوة و اسوة في هذه الامور حقيقة. إلّا أنّه لا يمكن إضفاء صبغة الأبديّة على فتاواه و كفتاواه في حلّيّة الشطرنج، و حرّيّة الموسيقى المبتذلة التي تُبثّ من الإذاعة و الإذاعة المرئيّة و غيرهما. فهذا سدٌّ لباب الاجتهاد. و نكون كالسنّة حتى يبلغ الأمر في آخر المطاف ما بلغ عند اليهوديّة. إن آية الله الخميني يجوز عليه الخطأ. و في فتاواه الصحيح و السقيم. و هو مأجور في صحيحه، و أمره إلى الله في سقيمه. و ليس لنا أن نضفي طابع الأبديّة على فتاواه، فنستند إليها إلى يوم القيامة كاستنادنا إلى رأي الإمام الصادق عليه السلام الذي هو عِدل الكتاب.

لقد كانت لي سوابق متألّقة مع ذلك المرحوم، و لم آل جهداً في إراءة الطريق و النصيحة له في حياته، كما أنّي أنظر إليه بنظرة الإعجاب في مماته، و أدعو له بالعفو و الغفران و الخير، و أقول في قنوتي:

وَ اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ.[1]

أنا لا أدّعي لنفسي الحقّ في إطلاق لقب الإمام على سماحته في المجالس و المحافل، تكبّراً على مقامه المنيع الرفيع، بل مراعاةً لآداب المذهب. لكنّي استعملتُ اللقب المذكور في ثلاث رسائل كتبتها إليه، و كانت مليئة بالألقاب التي تليق به، مع ذلك اخبرت أنّ الرسائل لا تُقبل إلّا بذكر كلمة الإمام، فألحقتها بها.[2]

رسالة التهنئة الكتابية «ظفيفة الفرد المسلم ...»

و منذ الأيّام الأولى للعزاء المعقود بعد وفاته تحدّثت الألسن بالمواقف الدينيّة الأعزّاء في مشهد عن رواسي

---

[1] الحشر: ٥٩، من الآية ١٠.

[2] الاولى تدور حول مسوّدة دستور الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة. و الثانية حول لزوم العمل بالتأريخ الهجريّ و الشهور و السنين القمريّة رسميّاً. و قد أرسلتها إليه ملحقة بـ «رساله نوين»(= الرسالة الجديدة) التي ألّفتها في هذا الباب. و الثالثة بعنوان «رسالة حول مسألة رؤية الهلال في لزوم اشتراك الآفاق في دخول الشهور القمريّة» و هي ملحقة بكتاب «رؤيت هلال». علماً أنّي أتّفق معه في هذا الموضوع. و يمكن أن تكون هذه الرسالة مؤيّدة لفتواه. و هي لزوم رؤية الهلال في كلّ مكان بالخصوص من أجل دخول الشهور القمريّة، و عدم كفاية الرؤية في الجملة في مكان من العالم، على عكس رأي المرحوم آية الله السيّد أبو القاسم الخوئيّ رحمه الله الذي كان يرى أنّ الرؤية في الجملة كافية. و كتبت الرسالة المذكورة للحؤول دون تطبيق تلك الفتوى.

الملهمة و الحساسة به في تأسيس الحكومة الإسلامية و ذلك على شكل دروس ألقيتها في ستّ جلسات. ثمّ صدرت هذه الدروس تحت عنوان ***«وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام»***.

و قد أثنيتُ في هذا الكتاب على مواقفه الحساسة غاية الثناء، و لم أذكر فيه لقب الإمام، بل أشرتُ إلى بعض أخطائه في هذا الطريق الذي كنّا فيه معاً منذ قديم الأيّام. علماً أنّي لم أقصد تبيان الخطأ، بل تبيان التأخير، إذ إن هذه الدروس قد ألقيت على شكل سردٍ تاريخيّ متسلسل. و من الطبيعيّ أنّ تبيان بعض الألفاظ كان يستلزم هذا المعنى.

و أرسلتُ نسخة من الكتاب المذكور إلى سماحة آية الله الخامنئيّ، لأنّي كنتُ قد سمعتُ أنّه ينتظر مطالعته، و كذلك أرسلتُ نسخاً متعدّدة منه للأصدقاء الذين إلى فهم الواجب بعد وفاة ذلك الرجل الكبير. علماً أنّهم كانوا من معارفي. كما أرسلتُ نسخة منه إلى أحد أرحامي القريبين الذي يتمتّع بمنزلة علميّة، و كان يتفانى معنا

بصدقٍ قبل الثورة من أجل تأسيس الحكومة الإسلامية.

وبعد الثورة كان سبّاقاً في وضع الحجر الأساس لها

و رفع الملحن عنها، و تصدّى لبعض المهامّ الرسميّة، و كان يُدَرِّس أحياناً، و هو الآن عضو في مجلس الشورى الإسلاميّ.

و لعلّ الكتاب المذكور غير صحيح عند البعض الذين ينظرون من زاوية واحدة و قد عاتبوني هاتفيّاً، بخاصّة اثنان من الأحبّة من علماء شيراز. و كان مثيراً للسؤال عند البعض إجمالاً، إذا ما هو البا عث على صدور الكتاب بعد وفاة ذلك القائد مباشرة؟ بَيْدَ أنّ من يعرفني و يفهم منهجي يعلم أنّ ذلك الكتاب لم يكن إلّا لتبيان التأريخ الصحيح، و بيان المهمّة الحاليّة التي تقع على عاتق عامّة الناس بعد تلك الحادثة المؤلمة و الكارثة المؤسفة.

و راسلني ذلك القريب المحترم سريعاً برسالة ذكر فيها ما وقف عليه من إشكالات و نقاط ضعف، علماً أنّه أثنى على أصل الكتاب، و أجبته في حينها.

و لمّا كانت الرسالة و جوابها ليسا خاصّين، بل هما عبارة عن إشكال و رفع لذلك الإشكال، لذا ينبغي

الاطّلاع عليهما ومطالعتهما كأصل لكتاب «وظيفة الفرد المسلم ...» وكنت قد اكتفيت برسالتي في جواب الهاتف الذي وافاني به ذاك العالمان الشيرازيّان، لذلك من المناسب أن أنقل فيما يأتي نصّ الرسالة وجوابها بلا أدنى تغيير:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلّامة المفكّر آية الله السيّد محمّد الحسيني الشيرازيّ دامت بركاته، الحاجّ السيّد ... الكريم

المكرّم سلام عليكم، سلام الله ورحمته وبركاته المتتابعة عليكم.

طالعتُ كتابكم الموسوم «وظيفة الفرد المسلم في الحياة الدنيا» وتغيير:

وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام» (=«وَ رُكْنُ الشُّكْرِ لِلْمُنْعِمِ وَاجِبٌ وَ السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

و بعد فهذا الكتاب أن يكون من أفضل وثائق الأرض. و حقيق بهذا الكتاب أن يكون من أفضل وثائق الثورة، فينوّر أفكار الجيل المعاصر و الأجيال القادمة الثورة. و يُطلعها على المشاقّ و المحن التي مرّت على الثورة.

و كان حريّاً بي أن لا ألتقط من قمته، و لا ألحظ فيه نقاطاً ذات بال، و لا أقف بها طويلاً، و لا أتحدث:

بالمؤلّف المحترم أن يتناولها بالحديث:

١ ـ أعتقد من وحي حبّي و ودّي القديم لكم أنّكم قد أصبتم في قولكم «يشهد الله أنّي ما كتبت شيئاً إلّا و هدفي المقدّس هو عظمة الإسلام و إحقاق الحقّ و الدفاع عن حقوق المظلوم و إبراز الحقيقة». (ص ١٥٥).

و تعتقدون بحقّ «أنّ لحاكم المسلمين مزايا و مواصفات. و بمجرّد وصف الشخص بأنّه حاكم إسلاميّ، تتغيّر المهمّة الإلهيّة، و تكون الدقّة في العمل، و ينبغي احترامه، و تجب طاعته و اتّباع أمره» (ص ١٧٠).

«أي: أمره أمر الله، و أمر رسول الله، و احترامه و إعزازه أيضاً احترام رسول الله و إعزازه، و لا يجوز التخلّف عن ذلك».

٢ - من هنا كان حقيقاً بكم في كتاباتكم عند ذكر المرجع الكبير آية الله العظمى و تبجيله و توقيره أن تذكروه بـ «سماحة» و «فضيلة» و «آية الله» و «حجة الإسلام» و «العلامة» و «الفقيه» و «المفكر» و «المؤرخ» و «الأديب» و «الشاعر» و «الكاتب» و «المحقق» و «المدقق» و «المؤلف» و «المترجم» و «المناضل» و «المجاهد» و «المقاوم» و «المرابط» و «المدافع» و «الحارس» و «الحامي» و «الراعي» و «الوفي» و «الأمين» و «الصادق» و «الزاهد» و «الورع» و «التقي» و «النقي» و «الصالح» و «المصلح» و «الشهيد» و «الحي» و «الخالد» و «الذكر» و «الأثر» و «الرمز» و «العلم» و «الشامخ» و «الباسق» و «الراسخ» و «الثابت» و «المتجذر» و «الأصيل» و «العريق» و «الفرع» و «الغصن» و «الورق» و «الثمر» و «الزهر» و «العبير» و «الأريج» و «الشذا» و «العرف» و «الطيب» و «النسيم» و «الهواء» و «الماء» و «الغيث» و «المطر» و «الرذاذ» و «الندى» و «الثلج» و «الجليد» و «الصقيع» و «الضباب» و «الغيم» و «السحاب» و «الرعد» و «البرق» و «الصاعقة» و «الزلزال» و «البركان» و «الإعصار» و «الطوفان» و «الفيضان» و «الجفاف» و «القحط» و «المجاعة» و «الوباء» و «الطاعون» و «الكوليرا» و «السل» و «الجذام» و «الإيدز» و «السرطان» و «الورم» و «الخبيث» و «الحميد» و «الأورام» و «الخلايا» و «الأنسجة» و «الأعضاء» و «الجسم» و «الروح» و «النفس» و «العقل» و «القلب» و «الكبد» و «الرئة» و «الكلية» و «المثانة» و «الأمعاء» و «الدماغ» و «الجمجمة» و «الوجه» و «الرأس» و «العين» و «الأذن» و «الأنف» و «الفم» و «اللسان» و «الأسنان» و «الشفاه» و «الخد» و «الذقن» و «الحنك» و «الحلق» و «الرقبة» و «الكتف» و «الذراع» و «اليد» و «الأصابع» و «الظفر» و «الإبهام» و «السبابة» و «الوسطى» و «البنصر» و «الخنصر» و «الكف» و «الراحة» و «الظهر» و «الصدر» و «البطن» و «الخاصرة» و «الفخذ» و «الركبة» و «الساق» و «القدم» و «الكعب» و «العقب» و «الأخمص

٣ - اعتراضه على الشاه المقبور بأنّه: لم يطلق عليه عبارة «حجّة الإسلام» و ... و لم يطلق عبارة «آية الله» على العلماء، بل أطلق عليهم عبارة «المعمّمين» و «رجال الدين» و «الأكليريكيين» و «الملالي» و «الآخوند» و «الشيخ» و «السيّد» و «الحاج» و «الحاج الشيخ» و «الحاج السيّد» و «الحاج آقا» و «الحاج الآقا» و «الحاج الشيخ آقا» و «الحاج السيّد آقا» و «الحاج الشيخ الآقا» و «الحاج السيّد الآقا» و «الحاج الشيخ السيّد الآقا» و «الحاج السيّد الشيخ الآقا» و «الحاج الشيخ السيّد آقا» و «الحاج السيّد الشيخ آقا» و «الحاج الشيخ السيّد» و «الحاج السيّد الشيخ

المتألّق مسّ للإسلام و المسلمين. لكنّكم عملتم خلاف عقيدتكم و رأيكم، و خلاف حرصكم على الكتمان مراعاةً لحرمة بعض الأشخاص. و لم تصرّحوا باسمه و قلتم: «أحد علماء طهران المعروفين» و «بعد اللّتيّا و التي» (ص ٨٩) ... و سردتم مسائلَ يُشمّ منها هتك لحرمة القائد و ولايته عمداً أو سهواً. (ص ٨٩). مثلًا قلتم: إنّه قال: «لقد زللنا في هذا الطريق». و قلتم في بياناته الاولى (ص ٩٣): «لكن وردت فيها موضوعات لا تخلو من إشكال» و نقاط اخرى غيرها ... (ص ٥٥). و من الطبيعيّ أنّ تبيان هذه المسائل و التذكير و النصيحة امور ضروريّة، بَيدَ أن نشرها في كتاب من قبل ثقةٍ أمثالكم - بعد تسنّمه القيادة - سيكون حربة بِيَدِ الأعداء، و سيستفيد منه أعداء الدين قبل أوليائه! أ ليست النصيحة أمام الملأ تقريعاً؟!

٦ - بشأن «طَيِّب» [اسم شخص] الذي غسل عاره و طهّر ماضيه بدم استشهاده و شهامته، لا يبدو مستحسناً أن تفضحوه و تكشفوا سوابقه بألفاظٍ من قبيل قولكم: «كان طيّب شرّير طهران الشاذّ (ص ٨٣)». و «كان طيّب الأوّل في كلّ سيّئة تتصوّرونها» ... (ص ٨٥).

و أنا أذكّركم أنّكم تتقدّمون على الملإ بطلب: إن الله يكتم الذنوب و يغفرها. و مضافاً إلى ذلك فلا يعلم بها على وجه التحديد عدد حسنة طيّبة!؟ أنّى لنا أن نعلم بأنّ «طيّب» كان الأوّل في كلّ سيّئة!؟

٧ - تتحدّثون عن آية الله الخامنئيّ بدرجة قداسة و تأييد، الذي شهد خبراء الأمّة باجتهاده. و أيّدتم ما عليكم من الإشارات بضرورة اتّباع الوليّ الفقيه من خلال تلك الموجزة المعبّرة، و أحسنتم و أجدتم في ذلك.

لكن لمّا كانت ولاية الفقيه و الوليّ الفقيه ركن الحكومة الإسلاميّة و محورها و كان إعزاز الوليّ الفقيه و إكرامه و إعزاز الأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب و إكرامه و إعزاز الإمام الحسن و الحسين - عليهم السلام و إكرامهم، فمن المناسب أن تذكروا اسمه

وهو المتولّي لشؤون القيادة -بتشريف وتفخيم أكثر، و تستندوا إلى كلمات فقيدنا الإمام الراحل لحقّه.

٨ -يتسنّى لنا أن نقول بكلّ ثقة و اطمئنان: إنّ هذا الكتاب من أفضل وثائق الثورة الإسلامية بعد تدارك الملاحظات السابقة و أمثالها. وبعد هذا التلاقي يمكن أن يكون مشعلًا وهّاجًا ينير الطريق للمسلمين ليقيموا حكومة إسلامية من خلال جهودهم المتواصلة.

٩ -لقد عرضتم هذه الأمور استنارةً بحديث شريف ذكرتَه في آخر الكتاب و هو يُلزم باللنصيحة لأئمّة المسلمين.

في الختام أدعو الله تعالى لكم بدوام التوفيق و مزيد العزّة و الكرامة

فيي الدنيا و الآخرة إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.[1]

التوقيع بالاسم المعروف

التوقيع بالاسم الموجود في الجنسيّة

١٦ رمضان المبارك سنة ١٤١٠ هـ. ق.

الردّ على الانتقاد

و أمّا الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلّى الله على سيّدنا محمّد و آله الطيّبين الطاهرين، و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

جناب المكرّم المبجّل سيّد الفضلاء العِظام فخر العشيرة الفخام ... دامت معاليه.

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

---

[1] (م) قَرِيبٌ مُجِيبٌ. من السورة ١١ هود: إِنَّ رَبِّي في الآية ٦١،

أدام الله سبحانه توفيقكم و تسديدكم و أنعم عليكم بطيّ مراقي العلم و العمل و الارتواء من منهل العلم و العرفان كما ترومون. و افتني رسالتكم الكريمة و اطّلعتُ على ما فيها. و كانت نقداً و تحليلًا لكتاب «وظيفه فرد مسلمان در احياي حكومت اسلام» (= «وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام»). الذي أهدينا كموه و طالعتموه.

و مجملها تشهبات:

في وقاحة ديقفلاً ايفاوً اميركتر وكذلك ياتكنّ مضتدقل معتسأ مل يّنأ يَلُع مكباتع و .هرّ سسّدقّ ينيمخلا الله ةيآ ةحيحصر يغ ةملك يه و «ةمّلا ام» و أ «مامإلا» ةملك.

إذا جاز استعمال كلمة «الإمام» لغويّاً، فهي عند الشيعة منحصرة اصطلاحاً بالأئمّة الاثني عشر الوليّ المعصمة المنصوبين بالنصّ النبويّ. فلهذا تسمّى هذه الطائفة من الشيعة بالإماميّة، و إلّا فإنّ إطلاق الإماميّة عليهم كان لغواً. و ينبغي أن يكون كلّ طائفة إماميّة لوجود الإمام فيها.

و قد اعترف بهذا مخالفونا كأحمد أمين المصريّ الذي ذكره في كتبه. و اطلق لفظ «الإمام» في الروايات المأثورة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام على الأئمّة الاثني عشر فحسب على عكس الإمام المضاف مثل إمام الجماعة، و إمام الجيش، و هو بمعناه اللغويّ لا الاصطلاحيّ.

و لدينا ألفاظ كثيرة عدلت في الاصطلاح عن معناها اللغويّ و حُرِّم استعمالها في غير معناها الاصطلاحيّ كلفظ «أمير المؤمنين» الذي يمكن إطلاقه لغة على كلّ من كانت له إمارة على المؤمنين، أمّا اصطلاحاً (و واضعه رسول الله نفسه) فيحرم إطلاقه حتى على الأئمّة

الطاهرين بما فيهم بقيّة الله في الأرضين (الإمام المهديّ عليه السلام) إذ هو من الألقاب الخاصّة بعليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة و السلام. و كذلك لفظ «بقيّة الله» و «المهديّ» و «صاحب الزمان» فلا يحظر إطلاقها على المتّصف بها، أمّا في اصطلاح الإماميّة و الشيعة الذين أخذوا مذهبهم من الأئمّة فلا يجوز إطلاقها إلّا على الإمام المهديّ عليه السلام.

و تحدّثتُ عن هذا الموضوع في أجزاء من كتابي «معرفة الإمام» بخاصّة في الجزء الأوّل موجزاً، و في الجزء الرابع عشر مفصّلاً.

عليّ لا سمح الله أن نضحّي بالحقائق في سبيل أهوائنا و نزواتنا و إلّا فقد خسرنا بلا مبرّر، و بعنا رسالتنا بلا عوض. **كُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ عَنْ حَدِّهِ انْعَكَسَ إِلَى ضِدِّهِ.**

و يرى المذهب الشيعيّ الإماميّ الاثني عشريّ أنّ الإمام العصر و الزمان

إمام و هو حيّ يُرزق. و لا يجتمع سيفان في غمدٍ واحدٍ و سنخجل أمام الإمام الحيّ الذي ذراه إماماً منذ عصر النبيّ إلى الآن لكنّا نعرض عنه و ندعه جانباً لا سمح الله في العمل، و نلصق بأنفسنا عنوانه الخاصّ به.

و جاء إتباع لفظ الإمارة للإمامة في كلامي الدائر حول لزوم البيعة، في بحث إمامة الإمام المعصوم - و الإمارة شرط للإمامة طبعاً - لا في بحث ولاية الوليّ الفقيه و حكومته. و صِدْقُ عنوان الحكومة و الإمارة هناك لا يستلزم صِدق عنوان الإمامة. و إلّا فلا معنى لفصل البحث تارةً بوصفه بيعة الإمام، و اخرى بوصفه بيعة الوليّ الفقيه، و يُتمكّن في لزوم بيعة حاكم الشرع.

و تحدّث الدكتور حسن روحاني مرّةً في مجلس فاتحة اقيم بمناسبة استشهاد المرحوم السيّد مصطفى الخميني زاده الله علوّاً و مرتبة فاستدلّ بالآية الكريمة وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدي

الظّالِمِينَ،[1] الّتي تفيد أنّ الله أعطى إبراهيم عليه السلام منصب الإمامة بعد ابتلائه بذبح ولده إسماعيل، فدعا إلى إطلاق كلمة «الإمام» على السيّد الخميني بسبب استشهاد نجله السيّد مصطفى.

و لا يتمّ هذا الاستدلال، إذ إنّ الله تعالى هو الذي منح إبراهيم ذلك العنوان و أدّاه بقوله: إِنِّي جاعِلُكَ. و الله سبحانه الذي ترك الإمام المهديّ حيّاً و جعله ملجأً و ملاذاً و موئلاً و منجياً، لا يجعل إماماً آخراً إلّا على سبيل النيابة. لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا إِنْ كُنّا فاعِلِينَ.[2]

و نلحظ في الكتب المدرسيّة اليوم أنّ الطلّاب يكتبون - من جهةٍ - الأئمّة اثنا عشر، و ثاني عشرهم حيّ غائب عن الأنظار، و من جهة اخرى يكتبون عبارة «الإمام الخميني» كذا و كذا. و سألني هؤلاء الطلّاب

---

[1] البقرة: ٢ من السورة، ١٢٤ الآية.

[2] الأنبياء: ٢١ من السورة، ١٧ الآية.

مرارًا: أليس من الخطأ أن نقول: الأئمّة اثنا عشر، وهم ثلاثة عشر. فلم أحِرْ جوابًا عن سؤالهم حقّاً.

لقد شيّدوا قبر آية الله الخميني المقدّس سرّه بما نلحظه من تنظيم وحصن وأروقة ومسجد ومكتبة وغيرها. وليس مهمًّا مقلقًا إذا كتبوا له لا سمح الله زيارة مفصّلة ونصبوها على قبره كإمام أو كإمام الأئمّة، فيكون في مصاف الإمام الرضا عليه السلام. وهذا ما يبدّل تأريخ التشيّع للجيل القادم.

كانت في شخصيّة الفقيد السعيد آية الله الخميني قدّس سرّه ملامح متألّقة ساطعة إلى درجة أنّ الإنسان إذا أراد أن يقوم بدراستها دراسة وافية، فإنّها ستكون كافية لهذا الجيل والأجيال القادمة، وهي في غنى عن هذه الأمور الاعتباريّة الموضوعة غير الحقيقيّة.

أمّا «طيّب» فإنّي عند ما ذكرته أردتُ أن أبيّن للمتقدّسين المزيّفين أنّ هذا الرجل الذي كان لا يرعوي عن كلّ إثم قال من وحي غيرته الفطريّة الوجدانيّة: «أنا

لا أتّهم السيّد». و يتعذّر الكلام عنه إجمالًا بلا ذكر لسوابقه.

وًاناعلهبكترينكاي تلا هماثآبحيرصتلا وأ حيملتلاف ةّيبعشلا ءايحلأاكه ىلمحت تناك تلا يطانملا اهبدهشت هتماهشديزي امّنإ ،نارساخ عراشو حمقلا نزخمو هتعاجشذإ ،نانزلا عنجميعلا مانصب ،ولم أقصدلا .ءوسبىتوملا ركذو ءاشحفلا ّثبالله حمسد

نحن نتوقّع من الجمهوريّة الإسلاميّة أن تنوّه باسمه كما تنوّه باسم «تختي». و كنتُ أوّل من زار قبره بعد إعدامه رمياً بالرصاص، إذ ذهبتُ إليه

و استمددتُ من روحه الرفيعة و استقامته و استشفعتُ إلى الله كي يختم عاقبتنا بخير و يصوننا من الهواجس النفسانيّة و الهزاهز الخادعة الّتي تغرّ المرءَ سالماً بنحو من الأنحاء، و يؤتينا كتابنا بيميننا صحيحاً سالماً. و الآن كلّما أتشرّف بزيارة السيّد العظيم الحسنيّ عبد العظيم أزور قبره أيضاً رحمة الله عليه رحمة واسعة.

وَ نِعْمَ الْمُقَبُوناَنِ بِالْإِيمَانِ وَ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْخُلُودِ فِي الْجِنَانِ وَ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَ لَهُمْ إِنَّهُ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.[1]

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا و إيّاكم لما يُحبّ و يرضى، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

٧ شوّال ١٤٠٢[2]

السيّد محمّد الحسينيّ الطهرانيّ

---

[1] الحشر: ٥٩، من الآية ١٠.

[2] الحشر: ٥٩، من الآية ١٠.

أجل، كيفما كان كتاب «وظيفة ...» فهو هو. وقد تكفّل بسرد سلسلة من الوقائع التأريخيّة بدون أدنى تزويق. و دلّ على هويّة الثورة، و استبان واجب كلّ شخص كما هو حقّه. و إن أقلّ تغيير فيه يسقطه من بساطته و صفائه و نقائه و يجعل تاريخاً صحيحاً يفلت من يد مؤرّخ محايد.

أ لم نعلم أنّ الحكومة الإسلاميّة تقوم على أساس حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. و قواعدها هي عين الاستقامة و الصدق. و لو خرجت من هذا المحور فهي ليست حكومة عليّ. و ينبغي أن نُعْرَفَ داخليّاً و خارجيّاً كما نحن عليه. و الزيادة و النقصان يخزياننا و يشوّهان سمعتنا. ناشدتكم الله هلمّوا لا نتحمّس على الإسلام و المسلمين

أكثر من الحدّ المطلوب، فنتحمّس لصيانته و حفظه من خلال إشاعات كاذبة. و إلّا خسرنا في هذه المعركة، ذلك أنّ أعداءنا أشطن منّا و أمكر في الشيطنة. و لو أردنا إسقاطهم بالكذب و الشيطنة لخاطرنا بأنفسنا، إذ على فرض تفوّق شيطنتهم فإنّهم سيوقعون بنا.

إنّ سبيل تصدير الثورة هو الصدق و الصدق وحده بلا بثٍّ للدعايات، و هو الذي يُخضع الأجانب حتى اليهود و النصارى و سائر الحكومات الكافرة، و يستقطب الشعوب، لأنّهم يلمسون حقّانيّة الإسلام و نبيّه عمليّاً في وجودنا. بيَدَ أنّا إذا أردنا أن نخضعهم بغير الصدق فلن يتيسّر ذلك أبداً، لأنّهم يعرفون أساليب الخداع و غير الصدق أفضل منّا، بل يظفرون بمعلومات جديدة حول كذبنا.

جاء في التأريخ أنّ الإنجليز لمّا اقترحوا على أحمد شاه قاجار مدّ سكّة الحديد من الجنوب حتى ميناء گز (= جز)؛ فإنّ السلطان أحمد شاه ذكّر بمثال بهذا السكّة، و قال: إنّ مصلحة السكك الحديديّة في إيران تستلزم مدّ

السكّة من الشرق إلى الغرب، و إن تجارة الهند سوف تساعد إيران و صادراتها. بَيدَ أنّ سكّة الحديد التي تصل الجنوب بالشمال ذات بُعدٍ عسكريّ استراتيجيّ و ليست في مصلحة الشعب الإيرانيّ. و أنا لا أستطيع أن آخذ مال الشعب أو أستلف من الأجانب فأنفق على سكّة حديد يستفيد منها الإنجليز عسكريًّا فحسب.

فقال الوزير الذي أتى بالرسالة إلى السلطان: لا يمكن أن نجيب الوزير المفوّض للإنجليز بهذه الصراحة و نميت أملهم! فليكن جوابنا أكثر مرونة من هذا و ألين منه.

تأمّل السلطان قليلًا، ثمّ قال: إنهم لا يعرفوننا أنا و إيّاك و غيرنا أفضل ممّا نعرف أنفسنا. و لو أجبناهم بغير هذا الجواب لعرفوا أنّنا

هذه بهبيجذ نأ لضفلأاف ًابذاكً ًابواجم هاهنبأ

ًادبأ مهتّطخ ىلعاوفاق لا يّنأ اوملعيلو ةحارصلا[1].

سّدقّي نيمخلا الله ةيآ بيقلتلو حملاكلا راد ،لجأ

هانعمبلمعتسيمل بلقللا اذهّنأ حضّتا و ،ةمّهملا امإبرّسه

اذ املف لّإ و «مامإلا» يّحلاطصلاا هانعمبل بـ ،يّوغللا

يّئنمانخلا الله ةيآ ةحامسي لاحلا ةروثلا دئاق بّقلي لا

!؟ادئاقو ًاميعزن كيملأ ؟مامإلاب

إن الذين لقّبوا آية الله الخمينيّ بالإمام أرادوا أن يُضفوا عليه صبغة الإمامة، و يختاروا له لفظ «الإمام» أو «إمام الامّة». و هل هناك فرق بين لفظ «إمام الامّة» و لفظ «إمام الزمان»؟ لكن لمّا كان لفظ «إمام الزمان» ينقدح في الأذهان و يُراد منه إمام العصر و الزمان، فقد استبدلوا به لفظ «إمام الامّة».[2]

---

[1] (هاش دمحأ نأ لاسلسلا يّسايسلا خيرأتلا) هاش دمحأ نأ لاسلسلا يّسايسلا خيرات، ص ٢٨٤، ةعبطلا ةيناثلا.

[2] باتكلا هذه في الله ةيآ الله دهتجملا دّدجملا خيشلا دّمحم رضا لملظفّرحم الله دهتجملا ةيامإلا «ةقاد ئاقلا» ةعبط ةنجلا فرشلأا، ةنس ١٣٨٨: ص ٣٧،

و من الأخطاء الاخرى لهذه الحكومة استعمال التأريخ المجوسيّ الشمسيّ و الشهور الاوستائيّة

و عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط أنّه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، و هو الحاكم و الرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا و الحكومة بين الناس، و الردّ عليه ردّ على الإمام و الردّ على الإمام ردّ على الله تعالى، و هو على حدّ الشرك بالله كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت عليهم السلام. فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعاً في الفتيا فقط، بل له الولاية العامّة، فيُرجَع إليه في الحكم و الفصل و القضاء، و ذلك من مختصّاته لا يجوز لأحدٍ أن يتولّاها دونه إلّا بإذنه، كما لا تجوز إقامة الحدود و التعزيرات إلّا بأمره و حكمه. و يُرجَعُ إليه أيضاً في الأموال التي هي من حقوق الإمام و مختصّاته. و هذه المنزلة أو الرئاسة العامّة أعطاها الإمام عليه السلام للمجتهد الجامع للشرائط ليكون نائباً عنه في حال الغيبة، و لذلك يسمّى «نائب الإمام».

و لا فرق في هذه الرئاسة العامّة بين أن يسمّى «نائب الإمام» أو «ولي الفقيه» أو «الحاكم الشرعي» أو «الفقيه الحاكم» أو «الفقيه الوالي» أو «الفقيه السلطان» أو «الفقيه الرئيس» أو «الفقيه الزعيم» أو «الفقيه القائد» أو «الفقيه الرئيس المطلق» أو «الفقيه الحاكم المطلق» أو «الفقيه الوالي المطلق» أو «الفقيه السلطان المطلق» أو «الفقيه الزعيم المطلق» أو «الفقيه القائد المطلق

كارْديبهشت، و شَهْريوَر، و امرداد، و إسفند. و قد ألّفنا رسالة في هذا الموضوع بعنوان «رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمريّة». و كانت رسالة مدعومة بالدليل و البرهان و لا تقبل الإنكار و التخطئة. و بعثنا نسخة مخطوطة منها إلى قائد الثورة الكبير (السيّد الخمينيّ). و بعد طبعها أهديناه أوّل نسخة منها، مع ذلك لم يُعِر اهتماماً لهذا الموضوع.

و من الخطأ الهائل الذي وقع فيه الملبرنر، إذ يقول في مقدّمة كتابه الموسوم بـ «الأساطير و الخرافات في تاريخ الإسلام» ما يلي:

«لا يمكن أن نعتبر الإسلام ديناً جديداً، بل هو مزيج من الأفكار اليهودية و المسيحية و الوثنية العربية». و هو (بالطبع) مجنون من مجانين

[1]، فيخو سّي وق ليتسنّى حمله للخطيب في صلاة الجمعة و العيد إذا اقيمت في الصحراء أحياناً. و لهذا جاء في السنّة أن يحمل المنبر من داخل مسجد المدينة في صلاة عيدَي الفطر و الأضحى التي يجب أن تقام خارج المدينة في القاع (أرض مكشوفة). و لا يقفِ الإمام أو نائبه على شيء آخر غير المنبر ليخطب في الناس. و عليه أن يقف على مرقاته الاولى و لا يجلس.

أمّا في سائر الأوقات، فيجلس المدرّس الخطيب و ينبغي أن يفسّر و يحكم و يلقي دروسه على المنبر. و من آداب زيارة مسجد النبيّ تكون للمنبر ثلاث مرّات، لأنّ منبر النبيّ صلّى الله عليه و آله كان كذلك، و في طرفه من الأعلى رمّانتان تعرفان برمّاني المنبر.

---

[1] قال الشيخ محمود أبو ريّة في هامش ص ٢٧٢ من كتابه «أضواء... المطبعة الثالثة: أبو رافع مولى رسول الله و اسمه أسلم، و كان للعبّاس بن عبد المطّلب أسلم أبو رافع و كانت زوجة سلمى مولاة رسول الله، و هو الذي عمل منبر رسول الله من أثل الغابة، و هو أبو رافع كاتب رسول الله دعا له النبيّ أن يدخل الجنّة، و قد ذكره ابن سعد في «طبقاته» و ابن عبد البرّ في «استيعابه» و ابن الأثير في «أسد الغابة» و ابن حجر في «الإصابة

في المدينة تقبيل رمّاتي منبره و مسح العين بهما للاستشفاء، لأنّهما الموضعان اللذان كان رسول الله يضع يديه الشريفتين عليهما.

وفي بعض المساجد المكتظّة تصنع لمنابرها خمس أو سبع مرقاة بسبب الازدحام على ما يرى أصحابها.

و أوّل من قام بتكبير المنبر هو معاوية، إذ خرّب منبر النبيّ و خلط بعيدانه عيدانًا جديدة و صنع له منبرًا كبيرًا.

و نقلنا في الجزءين ١٦ و ١٧ من كتابنا هذا «معرفة الإمام» عن ابن قتيبة الدينوري أنّ هارون الرشيد لمّا قدم المدينة قال للمالكيّ أنس: ما تقول

فيه هذا المنبر؟ فإنّي اريد أن أنزع ما زاد فيه معاوية
بن أبي سفيان، و أردّه إلى الثلاث درجات التي كانت
بعهد رسول الله صلّى الله عليه [و آله] وسلّم!

فقال له مالك: لا تفعل يا أمير المؤمنين! فإنّما هو من
عود ضعيف قد تخرّمته المسامير. فإن نقضته تفكّك و
ذهب أكثره ... إلى آخر الحديث![1]

أجل، إن «المنبر» و «المحراب» من شعائر الاسلام و
لهما أحكام خاصّة و لا ينبغي رفع اليد عنهما. و لا يرتقي
المنبر إلّا العالم بالشريعة و القرآن، المتولّي تربية الناس
روحيّاً، المنزّه التقيّ العالم المعلّم المربّي للخاصّة و
العامّة، و بيده الخلافة المعنويّة عن الرسول الأكرم
صلّى الله عليه و آله.

المنصّة موضع الخطاب المورد غالباً من تستون، ذلك
السياسيّ المدوي السفّاح عدوّ الإسلام الذي قام بتنشيط

---

[1] و «الإمامة» و «معرفة الإمام» ج ١٦ و ١٧، الدرس ٢٤١ إلى ٢٥٥، عن كتاب «السياسة» ج ٢، ص ١٢٦ إلى ١٥٤، مطبعة الأمّة، مصر، سنة ١٣٣٨، و يفصّل الكلام هنا عن مجمع أعمالها و رونق المدينة.

الاستعمار الإنجليزيّ ضدّ القرآن و الإسلام و نبيّه. و خطبهما زالت في متناول الأيدي.

و المنصّة موضع خطاب الدورد كُرزن وزير خارجيّة المستعمرات الإنجليزيّة الذي انتهج سياسة مشؤومة في أواخر العصر القاجاريّ للإطاحة بالأسرة القاجاريّة و تسليط الأسرة البهلويّة من خلال مؤامرة السيّد ضياء الطباطبائيّ، و بذل الأموال، و تسليم المخطّط المرسوم لندن الوزير الإنجليزيّ المفوّض في طهران فوضع غبار الذلّ على ناصية الشعب الإيرانيّ المسلم الشيعيّ المشرّد.

ماذا رأيتم من منبر النبيّ و أمير المؤمنين و الإمام الصادق و علماء الدين الأبرار حتى تستبدلوا المنصّة بها؟!

كان أوّل من وضع المنصّة في المسجد هو المرحوم «هدايت» السيّد محمود الطالقانيّ. فقد وضعها في مسجد «سلامبول» و لعلّه فعل ذلك بتشجيع من الواقع في شارع بعض الدكاترة و المهندسين الذين كانوا يريدون أن يتحدّثوا لمناسبة المبعث النبويّ الشريف. فلا معنى لارتقائهم المنبر، لذلك تركوه و وضعوا المنصّة مكانه. و بعد ذلك لم تُرَ منصّة في مسجد من مساجد طهران حتى اقيمت أوّل صلاة جمعة في جامعة طهران، و هو الذي أقامها، فخطب خلف المنصّة و اهمل المنبر.

إن الشخص الذي يريد أن يدرّس ساعات كثيرة، أو يتحدّث و يحاور أشخاصاً معيّنين كقاضي المحكمة، و المفتي، و المتصدّي لشؤون الناس كالحاكم، فعليه أن يجلس حتى يستقرّ جسمه و يفرغ باله. و الوقوف المتّصل يضرّ الجسم، و يسبّب أمراضاً في الأوعية

الشعيرة للرجل، و نزف الدم في العروق يؤدّي إلى تمزّقها و يفضي إلى توسّع الأوردة (Varicosity) وهو ما يتعذّر علاجه.

كما يضرّ الوقوف المتّصل الفكر، إذ يُرهقه و يجعل قوّة التفكير عاجزة، على عكس حركة الإنسان و تشغيله فلا يقف في سكون دائم. من هنا فإنّ تغيير الحالة يرفع مثل هذه الأضرار.

و كان النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله يجلس و يتحدّث إلى الناس. و في الخطب القصيرة يقف و يتوكّأ على عمود الحنّانة و يخطب. و لو قُدِّر الاكتفاء بالوقوف وحده فلا ضرورة لصنع المنبر حينئذٍ

و علينا أن نتّبع ذلك النبيّ العظيم دائماً لنضمن سلامة روحنا و جسمنا و ظاهرنا و باطننا. و لا ننسَ قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

رَ وَ ذَكَرَ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُواللّٰهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ

اللّٰهَ كَثيراً،[1] و لا نقاض أنفسنا و رسالتنا بالتنميقات الخادعة و العسل المُدافِ بالسمّ.

كم هو شاذّ في الأسماع عند ما يعلن المُوَقِّتُ أنّ أذان الظهر يوم الجمعة يُبْثّ من خلف منصّة مسجد گوهرشاد!! لاحظوا فقد حلّت المنصّة محلّ المئذنة لا لفظاً فحسب، بل حقيقة و واقعاً.

يذكر الدكتور علي شريعتي في رسالة «حركت تاريخ» مطالب معيّنة على أساس الهجوم و الدفاع إلى أن يقول: هذا هو الخطر. الخطر الذي تتحدّث عنه دائماً هو أنّنا عند ما نضع حقيقة خالدة في وعاء متغيّر يبلى فإنّ ملازمتها للوعاء تجعلها تقليداً و سنّة موروثة على تواتر الأيّام فلا تستطيع الأجيال القادمة أن تميّز بين المحتوى - العقيدة و الرسالة و الإيمان - و بين الوعاء - اللغة، و البيان، و المنطق، و العلوم، و السنّة، و الاستدلال.

---

[1] الآية ٢١، من السورة ٣٣: الأحزاب.

و لا بدّ أن ترى الاثنين لازماً و ملزوماً خطأ، و لماذا كانت هذه الأوعية لا يمكن أن تبقى في جميع العصور، وتبلى حتماً، فإنّها تذهب وتتقهقر. وهي غير قابلة للبقاء و الاستعمال ذاتياً. و إذا قصّر الجيل الواعي المعتقد العارف بهذا المحتوى - الإسلام و الدين - في إحيائها و استخراجها، و لم يجدّدها في أوعية بيانيّة و علميّة مناسبة لعصرها فقد بلي الوعاء وما فيه.

على سبيل المثال لو اكتفينا بمنبر النبيّ صلّى الله عليه و آله ذي المراقي الثلاث. بعد بثّ الأصوات و الألحان و الأشعار و المحاضرات و ضرب الموسيقى على الأمواج الطويلة و القصيرة في أرجاء العالم، و انفعال منطقة واسعة من الكرة الأرضيّة بالبثّ الإذاعيّ و التلفزيونيّ،

و الصحف و المجلّات و مكبّرات الصوت و الأفلام فكريّاً، فإنّ أفضل و أعلى الكلام الذي نطرحه يظلّ في نطاق ضيّق و لن يبلغ أسماع الناس في العالم.[1]

نلحظ في هذا الاستدلال مغالطة واضحة. فشتّان بين أن نقول: ليبقى المنبر، و لا تبقى معه هذه الوسائل الإعلاميّة المكثّفة، و أن نقول: يلغي المنبر و تحلّ المنصّة مكانه، و تستتبعها جميع الوسائل المذكورة. و لم يقل أحد: ليبقى المنبر و لا تبقى معه الوسائل. و قال كبارنا: ليبقى المنبر و يتحقّق كلّ ضرب من ضروب الإعلام من عليه. و هذا أمر في غاية البساطة. و لا ملازمة بين ذهاب المنبر و ظهور الحضارة. و لا نقلق إلّا على ذهاب المنبر و استعمال المنصّة، فتحلّ حضارتهم محلّ الحضارة الإسلاميّة.

---

[1] ص ٢١ و ٢٢ من كتاب «حركت تاريخ» (حركة التأريخ) المطبوع مع مجموعتين اخريين باسم «روحانيت با علماى اسلام» (علماء الدين أو علماء الإسلام) و «اجتهاد و نظريه انقلاب دائمى» (الاجتهاد و نظرية الثورة الدائمة) في مجلّد واحد.

حافظوا على المنبر، و بثّوا ثقافتكم على البسيطة، بل إلى الأجرام السماويّة من عليه. لا تفرّوا من حجر المكّم فتكونون بلا امّ. حجر الامّ دافئ و ثير مأمون. و حجر الضَّرّة و المنصّة ذعر و خشونة و خطر.

لزوم لعن أعداء محمّد و آل محمّد صلوات الله عليهم في الخطب

و من الأخطاء الاخرى إسقاط لعن أعداء محمّد و آل محمّد الذي كان متداولًا ثابتًا ملازمًا للصلوات على النبيّ و آله في الخطب و المحاضرات و الكتب و المجلّات. و هاهم اليوم يكتفون بالصلوات في كلّ مكان بذريعة الوحدة بين الشيعة و السنّة، غافلين عن أنّ ما يخالف الوحدة هو لعن بعض الأشخاص المعيّنين. أمّا لعن أعداء آل محمّد بنحوٍ عام فقد اتّفق جميع العامّة و الخاصّة على جوازه أو رجحانه. و إذا سألتم أبا بكر، و عمر، و عثمان

عنه الأجابوا بأنّه حَسَنٌ جدّاً، بَيدَ أنّهم يرون أنّ أعداء آل محمّد هم غيرهم، زاعمين الولاء لهم. حتى أنّ معاوية الذي كان يلعن عليّاً وحسناً وحسيناً وعبد الله بن عبّاس وقيس بن سعد بن عبادة وأمثالهم من الصالحين بزعم أنّهم ليسوا أهل بيت النبيّ، بل إنّ أهل بيته زوجاتُه كعائشة وحفصة واختها المحبوبة، وحينئذٍ لا محذور في لعن أعداء آل محمّد.

و من الأخطاء الاخرى حذف كلمة «السيّد» و «الشيخ» و «الميرزا» إذا لا تُستعمل هذه الكلمات في الصحف و المجلّات و الكتب و وسائل الإعلام و بثّ الأخبار أبداً.

و لعلّ الباعث على ذلك هو أنّ هذه الكلمات عربيّة، و العربيّة لغة أجنبيّة، و نحن فُرس علينا أن نعود إلى اصولنا و لا نستخدم هذه الألفاظ!

و هذه ذريعة لا غير. فالحقّ أنّهم يتهرّبون من روح السيّد المرتضى، و السيّد الرضيّ، و السيّد ابن طاووس، و السيّد محمّد باقر الشفتيّ، و سائر السادات،

و يتهرّبون أيضاً من روح الشيخ المفيد، و الشيخ الصدوق، و الشيخ الطوسيّ، و الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ، و الميرزا محمّد تقي الشيرازيّ، و الميرزا محمّد حسين النائينيّ، و أمثالهم؛ و يخشون ذكر أسمائهم و ألقابهم كنماذج للعلم و الأدب البارزة للرئاسة في التشيّع و الإسلام.

و إلّا فإنّ عناوين «الدكتور» و «البروفيسور» يكثر في كلماتهم و تواقيعهم. إنّهم يعدون اللغة العربيّة خاصّة، لأنّها لغة القرآن الكريم، و لغة «نهج البلاغة» و الروايات و الفقه و التفسير، و لا شغل لهم بمطلق اللغة الأجنبيّة، و إلّا فلاحظوا هذه المفردات التي يستعملها العالِم و العامّيّ في المحادثة اليوميّة نحو «پاركينگ» (=موقف السيّارات) و «پلاك» (=رقم المبنى) و «فاميل» (=القرب) و «پيده» (=الفكرة أو العقيدة) و نظائرها.

فإنّها تفوق الإحصاء.

إنّهم يقولون في الأخبار: آية الله عبد الكريم الحائري [إشارة إلى هذا العالم الذي أسّس الحوزة العلميّة في قم المقدّسة] ويُسقطون لفظ (الشيخ) منه وهو وثيقة عظمته و علمه و زعامته العلميّة. لكنّهم من المستحيل أن يسقطوا لفظ «الدكتور» و يقولون: السيّد محمّد حسين البهشتي، بل لا بدّ أن يقولوا: الدكتور البهشتي، و الدكتور مفتّح. و لا نتحدّث في هذا المجال عن الأطبّاء الذين استأثروا بلقب «الدكتور» منذ البداية و استعملوه بدل لقب «الحكيم» بل عن الأخصّائيّين في الآداب أو الفلسفة الإسلاميّة إذ استبدلوا لفظ «المجتهد» الذي كان يعدّ مفخرة لهم سابقاً بلفظ «الدكتور» حتى نجدهم يوقّعون بهذا اللفظ.

و «الشيخ» و «السيّد» أجل، يحوم كلاهما حول كلمة «الميرزا» التي تعتبر من مزايا الإسلام و الألقاب الخاصّة الدالّة على الرسالة الإسلاميّة، و التي لم تكن لتوجد لولا الجهود المضنية التي بذلها شهداء الإسلام و التشيّع

علماؤها على امتداد أربعة عشر قرناً. ويا للخسارة أن نفقدها سدى!

إن رسالة التشيّع و الإمام الثاني عشر الغائب من أسمى الرسالات و أرفعها و أبلغها واقعيّة و أكثرها إمداداً بالحياة. وهي التي تعالج مشاكل البشريّة ليس في زمن الظهور فحسب، بل في زمن الانتظار و الفرج أيضاً، و تنقذها من المآزق التي لا محيد عنها و تأخذ بأيديها إلى الصراط المستقيم بفكر هادئ و بالٍ رخيّ و قلب مطمئن، و ترشدها إلى الهدف الأعلى الذي تنشده الإنسانيّة.

لما ذا ننسى إمام العصر و الزمان، و نكتفي بلفظ مجرّد له من خلال تبديلنا بعض الاصطلاحات؟! إن رسالتنا زاخرة بالحياة، وهي نعم الدواء المهدِّئ الناجع للبشريّة. هذا الدواء الذي يعدو المرء خلفه و يجدّ في

استقصائه من كلّ جانب.

البروفيسور هنري كوربان يكتب: ما هي بشارة المذهب الشيعيّ للبشريّة؟!

كتب هذا الأستاذ الفرنسيّ المختصّ بالشؤون الشيعيّة موضوعات رائعة تحت هذا العنوان، و هي تدور حول موقف التشيّع من العالم المعاصر. و أثبت فيها أنّ العقيدة المهدويّة التي يستند إليها الشيعة صحيحة كعقيدة النصارى بروح الله الضامن الحافظ للدين المسيحيّ. و هي حافظة لقوام الوجود البشريّ. و لا علاج لسنّة العالم جميعهم، بل للفَرَق بأسرها إلّا بالاستناد إليها. و على الناس قاطبة أن يرحّبوا بدخول هذه العقيدة في دينهم من أجل خلاصهم و نجاتهم.

حوار هنري كوربان مع أردنيّ مشغوف بالغرب

و كان هذا الرجل قد أجرى مقابلة مع أحد المسئولين الكبار في الأردن قبل أربعين سنة تقريباً. و أعرب في حديث موجز له أن سبيل نجاته و هدوء باله يتحقّق بالرجوع إلى المذهب الشيعيّ و قبول فكرة «الإمام الحيّ الغائب». و تحدّث له باستدلال في رسالة تدور حول هذا الموضوع.

و لمّا كانت هذه الرسالة الموجزة حاوية على ملاحظات دقيقة و عميقة، فمن المناسب - و قد سبق حديثنا إلى أفضل هديّة شيعيّة للعالَم برمّته - أن ننقل ذات عبارته كي يظلّ طريق التأمّل و الإمعان في هذه المطالب المستدلّ عليها مفتوحاً لأُولي البصائر و الألباب، يقول:

إن الموضوعات التي تحدّثنا عنها في الجلسة الماضية (٢٧ تشرين الأوّل ١٩٥٩ م) قد الهمتُها في مقابلة كانت قد جرت مع أحد الشخصيّات الأردنيّة البارزة.

و كانت هذه المقابلة ذات أبعاد سياسيّة أساساً، لكن لا ضرورة

لاشغالنا بها. فالذي يهمّنا هو الوضع المعنويّ و الديني.

إنما ينبغي أن نهتمّ بعامّة، حسب رأيي هو ما يأتي:

لا يتمثّل الموضوع في دراسة الإسلام مقايساً بما يُسمّى اليوم «التقدّميّة» بنظرة متفائلة أو متشائمة. فالتقدّميّة لم تسلم من شكّ كثير من الغربيّين منذ مدّة.

لا ضرورة أن نسأل أنفسنا: كيف يمكن الانسجام مع سِبق التقدّميّة المفروضة؟ بل نسأل أنفسنا: كيف يتسنّى لنا أن نواجه الكارثة المعنويّة العظمى التي عمّت قسماً كبيراً من البشريّة كما يبدو، وعرّضت الباقين للخطر؟

إنما يدعو إلى الحديث حول شخصيّة أرندت هو أنّها نموذج بارز لشخصيّة شرقيّة ظهرت فيها خلال بضع سنين كارثة قد ظهرت في الغرب تدريجيّاً خلال عدّة قرون.

هذه الأزمة العامّة في الجانب المعنويّ نتيجة لأسلوب جسّد فيه الغربيّون الحقائق المعنويّة وعلاقاتها

بأنفسهم. فتستخير قوى الطبيعة يمكن أن يقترن بزيادة القوى المعنويّة جيّداً.

إن سيطرة الإنسان على الطبيعة، و إنجازاته المضادّة لعالم الروح -حتى أزالت مفهوم من الوجود- تثير السؤال الآتي: هل نعدّ هذا الأمر تحتيّاً لا بدّ منه، أو نواجهه مستعينين بالقوى المعنويّة المتفوّقة؟

و هذا سؤال يُسأل الجانب المعنويّ في الإسلام و خاصّة في التشيّع عنه. و إذا استطعنا أن نطرح هذا السؤال و نُجيبه، فإنّنا نتمكّن كثيراً من التفوّق على القوى المجهود التي يعتقد بها بعض المنتقدين للإسلام في مقابل «الرقيّ» و «التطوّر» في الغرب.

١ - **المفهومان النموذجيّان: «الحلول» و «الرقيّ».** يذكر الأردنيّ

المشار إليه آنفاً قائلاً: بوصفي مسلماً تابعاً مؤمناً إيماناً عميقاً بسنّة تحلّ في «السلطان» بيد أنّي لمّا كنتُ أعيش في عصري، وتشأتُ على تعليم الوربّيّ فإنّي أعتقد أنّ الرُّقيّ لا يتحقّق إلّا خارج السنّة الدينيّة! نلحظ هنا أنّ «التغرّب» ملحوظ تماماً في كلامه، إذ ينبهر بأفكار الغربيّين إلى درجة أنّه أخذ منهم جميع اصطلاحاتهم.

أ- يثار هذا السؤال: ما معنى «الحلول» من منظاره؟

لا شكّ أنّ معناه هو ما نجده عند الغربيّين. ذلك أنّه أدرك نتيجة حيرته الإرادة التي تفصل التمثيلات المشهودة عن العلاقات التي تربطنا بالماضي.

إنّه يقايس التحمّس الذي كان عليه قتلة «السارة» الهاشميّة «بثمالة القتلة غير المتديّنين للـ-قساوسة» الذين كانوا من الجمهوريّين المتطرّفين، أي: الذين قتلوا لويس السادس عشر إبّان الثورة الفرنسا.

لا شكّ أنّ معنى الإمبراطور في فرنسا قد وُضع منذ القديم على مفهوم «الحلول». أي: كان الإمبراطور

مقدّساً، و في شخصه يتحقّق حلول الالوهيّة في المجتمع الإنسانيّ.

فيلاحظ كيف «سنت سجستا Sanjista» أن نقرأ رسائل حسبنا أن هذا كان أعضاء المؤتمر الوطنيّ الفرنسيّ يعرفون هذا الأمر تماماً. و كان موت الإمبراطور يُعدّ انقطاعاً لحلول الالوهيّة في المجتمع. لكن لا يمكن التفكير بهذا الحلول الالوهيّة في المجتمع المذبّق التعاريف الرسميّة للمجالس الدينيّة المسيحيّة بعد القرن الرابع، التي كانت ترى أنّ «الناسوت» و «اللاهوت» شيء واحد في شخص الإنسان الالوهيّ أو السيّد المسيح عليه السلام.

و هذا السلوب قاعرة الإسلام و يقاعرة دائماً. و إذا تنبّى لنا أن نبيّن كيف تؤدّي ديونيّة المفهوم الدينيّ إلى كارثة عظيمة، أمكننا أن نسأل: هل كان هذا الخطر خلو من مفهوم الوجود في نفسه منذ البداية؟ **ثانياً:** إن

- هل عليهم الذين لم يعتقدوا بهذا المفهوم منذ البدء، و الذين يواجهون، على عكس ما يتوقّع - أن يخضعوا له أو يناضلوا ضدّه؟

نقول بإيجاز بعد سرد هذا الموضوع: إنّ معرفة الإمام عند الشيعة يمكن أن تنال نصيبها من التفكّر و التعمّق هذا، إذ ألا يكون رأي الشيعة صراطاً مستقيماً بين «الوحدة الانتزاعيّة للإسلام السنّي» و «الحلوليّة الكنائس المسيحيّة الرسميّة»؟

يمكن أن نقترح على علماء الشيعة الشباب في وقتنا هذا مجالاً مثمراً للبحث: مطالعة ما كتبه الغربيّون حول تأريخ العقائد الكنسيّة، و الذهاب إلى أنّ «معرفة الإمام» واجهت نفس المسائل التي وجدتها المسيحيّة أمامها. بَيْدَ أنّنا نعالج هذه المسائل بنحو يعارض الأسلوب الرسميّ للكنيسة تماماً، و على العكس، يماثل الأسلوب العرفائيّ المرتبط بالمسيحيّة.

و خلاصة الموضوع: أنّ جميع أهل الغرب قد تلمّسوا الاتّصال بالله في واقعة تأريخيّة يفهمونها بشكل

اذه يتطلّب الشيعيّ الإسلام في حين أنّ الحلول، الاتّصال في تجلّي الحقّ وظهوره ومظهره «الخالف» الملوليّين تصوّر.

فإذا كان لهذه العقيدة - الحلول - دور في أزمة الضمير الحالية لسكّان الغرب، فهل يخلو التشيّع من موضوعات جديدة يثبّتها في هذا المجال؟ وهي موضوعات تغاير أفكار الإسلام السنّيّ. و التشيّع بلا موضوعات «معرفة الإمام» لا يمكن تصوّره كالمسيحيّة بدون المسيح.

و إذا ترك الغربيّون المسيحيّة فالتقصير في منهج معرفتهم للمسيح (أو أنّهم لم يسلكوا سبيل الأشخاص الذين كانوا يعتقدون - على مرّ القرون - بحلول معنويّ شديد القرب للتجلّي).

و إذا تأثّر المسلم السنّيّ بأفكار الغربيّين فلفقدانه معرفة الإمام، إذ إن هذا

و الله بين العلاقة التصوّر الذي يعود إلى المنهج الصائب

الإنسان، وهو منهج صحيح لمواجهة الألدريّين.

«يعيش معاصرو الذكي ألبرت أينشتاين» (أو أنّهم يعتصرون!) فيا أسفا أنّ هذه الاصطلاح من أكثر الاصطلاحات تداولًا و أشدّها حمقًا في الغرب.

فالشخصيّة القويّة غير مجبورة أن تعيش مع عصرها، بل يجب أن تكون هي العصر نفسه.

و من البديهيّ أنّ هذا الموضوع يقدّم قضيّة الزمان و معناه و التأريخ. و هذه موضوعات قد طُرحت في الغرب سابقًا. و أنّ أشدّ المنتقدين لـ «التطوّر» و «فلسفة التأريخ» و «فلسفة الاجتماعيّات» قد انطلقوا من هذا المنطلق.

و نريد من مدرسة «فلسفة التأريخ» تلك المدرسة التي تعتقد أنّ جميع فلسفة الإلهيّات ينبغي أن تُبيَّن بواسطة اللحظة التي ظهرت في تقويم التأريخ. و في مثل هذا البيان لا يبقى شيء إلّا الماضي. و نريد من مدرسة «فلسفة الاجتماعيّات» تلك المدرسة التي تتكفّل

بتبيان الفلسفة كلّها بواسطة الكيان الاجتماعيّ الذي ظهرت هذه الفلسفة في أحضانه.

إذا كانت الصورة المعنويّة المُبتغاة فوق اللحظة التأريخيّة و عند فهم قيمة المؤسّسة الاجتماعيّة فحسب فلا يصبح الحال الا الأدرّيين.

أرغب أن أذكّر بواسطة هذا البحث بأنّي نشرتُ على صفحات المجلّة المسمّاة «يتضمّن التقاط الزمن» و الزمن الذي يميّز بين الزمن الأفسيّ و الزمن المسمّى إلى التمييز بين الزمن الآفاقيّ في ضوء الآية الكريمة «سَنُرِيهِمْ آياتِنا ...»[1].

إذا اتّبعنا إشارات مشابهة لكلام هذا العارف الكبير و استفدنا منها، استطعنا أن نواجه السفسطة التي تذهب إلى وجود التضادّ و التعارض بين «الرقيّ» و «السنّة الدينيّة».

و لذلك أنّ هذه السفسطة غيّرت هذين المفهومين و اجتاحت بالمرتبط بهما في مستوًى واحد، فجعلتهما

[1] فصّلت: ٤١ من الآية ٥٣.

«ةيندلا ةنسلا» مهافم دحأ نأ في كشي لا نكلو .ةفلتخم دحاوً ىوتسم يف امهلعجن علو وسم.

***

١ - الارتكابية المعتمدة. لا شكّ أنّ الذنوب التي يرتكبها المرء تسبب ذعراً في نفسه تجاه الله تؤدي إلى اضطراب داخلي.

يقول: «عندما أفكّر كغيري من إخوتي العرب و المسلمين جميعهم أرى أنّنا نعيش في أجواء قصّة ظالمة قاسية. و حينما نحاول فصل الدين عن نظم اجتماعيّ يسوده الرقيّ الفنيّ العلميّ الجديد، أ لا يمكن لنا أن ننكر وجود الله؟ الدين و الاجتماع في الإسلام متمازجان، و وجود أحدهما يستلزم وجود الآخر. و لهما وجودهما بواسطة الاتّحاد الذي لا يقبل الفصل، فهل يسعنا أن نحسبنا متجدّدين دون أن نلعن أنفسنا؟».

أرحت قائلا:

أ - العجيب أنّ الإنسان المسلم يشعر أنّه معرّض لخطر الأفكار التي تمثّل صيحة «نيتشة» في القرن

الماضي. أي: «الله ميّت». و لعلّ هذه الصيحة قد انعكست بين سكّان الغرب بأسرهم! و أنّ الحديث عن التمييز بين باطن هذا الموضوع و ظاهره: أي «علم الظواهر» (La phenomenologie) أطول من أن نستطيع طرحه في هذا الوقت، بَيدَ أنّ رأي «نيتشة» هو نتيجة للاعتقاد بالحلول كما تمّ الاعتراف به في الكنائس (أي: اتّحاد أقانيم الإنسان و الالوهيّة) حيث

لا حلول لا تجسّد، بل هو التجسّد يسوع كلّ مكان.

كيف يمكن «بداية الله»؟ لا نعني بهذه الجملة عند العارف بالمسيحيّ، بل أنّ هذا الرجل الأرثوذكسيّ لم يدرك شيئاً من العرفان قطّ.

ب - الجانب الآخر. إنّ تجانس اللاهوت و الناسوت في الكنيسة الكاثوليكيّة قد انتقل إلى التسلسل الهرميّ المؤسّس للكنيسة، أي: البابا و الأساقفة. و ينبغي أن نطالع حادثة التحقيق الموسّع للمحكمة الروحانيّة في كتاب (God Inquisitor) لمؤلِّفة إخوان كارامازوف دستويفسكي (Fyodor Dostoevsky) مرّة أخرى لإدراك معنى هذا الموضوع.

و أصبحت للدين وصفة الكنيسة سلطة معيّنة و أخذ رؤساء الكنيسة مقام الإلهام السماويّ، و سجنوا روح الأشخاص في سلطتهم.

إذا لم يعرف الإنسان الظاهرة و الكنيسة، فلن يفهم ظاهرة «المجتمعات الدكتاتوريّة» المعاصرة. و هذه المجتمعات تمثّل الجانب الدنيويّ و العرفيّ للتنظيم

الكنسيّ، بَيدَ أنّ لغتيهما تتشابهان تشابهاً عجيباً، و هذا هو ما نقصده من كلامنا حين نقول: استبدل «الحلول الاجتماعيّ» بـ «الحلول الالوهيّ».

أ لا نجد تشابهاً بين هذه الظاهرة التي ترى أنّ الدين و الكنيسة شيء واحد و بين الإسلام؟ - كما تصوّره الأردنيّ المذكور أنّه يعني «تمازج الدين و المجتمع» -.

هل يمكن أن نرى أنفسنا متجدّدين بدون أن نعلن أنفسنا؟ و إذا نظرنا إلى هذا الموضوع في ضوء المسيحيّة المعنويّة للغرب المخالفة لمسيحيّة الكنائس، المعتقدة بالاجتماعيّة الدينيّة «وهمة» و «خطر مولوار» و «ستانير»[1] نستنتج أنّنا نقول: إنّ «سوبدبورغ» و «موت الله» و «اللعنة»

و «الشهادة الاجتماعيّة» و «التحدّث الكاثوليكيّ» كلّ شيء نتاجاً من عدم التفريق بين الدين و المجتمع و اعتبارهما شيئاً واحداً، لا من التفريق بينهما.

و نشهد في الغرب اليوم إصراراً متزايداً على أهمّيّة

---

[1] - ١ - Jacques Ellul, Les Nouveaux Possédés, Fayard, 1973.

عن الإيمان بالكنيسة، و يحسبون الوعي الديني هو السياسة الكنسية. و أرى أنّ هذا التمازج أكبر خيانة و غدر بالجانب المعنوي. و الكنيسة لا تهب الإيمان و الحياة الأبدية مهما كان نوعها و انتماؤها.

و عندما يتحدّث هذا الرجل الأردني عن التركيب المتنع، يمكن أن نقول له: نعم، هذا التركيب متعذّر. لكن الأمر ليس هكذا، و لا ينبغي أن نحاول القيام به.

***

الرسالة الجديدة للجانب المعنوي في التشيّع

٣ ـ حول الرسالة الجديدة للجانب المعنوي للتشيّع.

أرى أنّ هذا الفكر يستقي مما مضى. و يمكننا أن نحاول تلمّس مشاهد واضحة و منهج معنوي في موضوعات الفكر الشيعي من أجل مواجهة المفاهيم التي تمّ تحليلها سابقاً، و استطعنا أن نشهد ظهورها نوعاً ما. تلك المشاهد التي تتفوّق على اليأس المعاصر للبشرية و تُزيله.

أ ـ معرفة النبيّ و معرفة الإمام. إن ما بيّنه التشيّع حول شخصيّة «الأئمّة الاثني عشر» (الأئمّة الأطهار) لا هو «حلول» يتضمّن «هبوط الله» في التأريخ التجريبيّ، و لا عقائد لاأدريّة تجعل الإنسان يواجه عالماً تركه الله، و لا «وحدة انتزاعيّة للإسلام السنّيّ» التي توجد بعد اللانهاية بين الله و الإنسان. و الوضع الحاليّ للعالم يدفعنا إلى التفكير مرّة اخرى في «الصراط المستقيم» بين «التشبيه» و «التعطيل».

و هكذا نعرض مسائل الحقيقة و المفاهيم البسيطة المتعالية عرضاً بكراً قبل أن تقع في طرق وجهات ذكرناها سابقاً. ذلك أنّ تلك الحقائق البسيطة المتعالية قد أدّت بعد الانحرافات المذكورة إلى تدمير الجانب الروحيّ في الناس المعاصرين، وهم نحن.

أنت تعرف و تدرك النون الأوليّة التي استرسم فيها الوجه الحقيقيّ و المعنويّ للرسول الأكرم و الأئمّة الأطهار أفضل تحيّاتي. إنّها تجربة روحيّة جديدة عميقة لك الآن إذا كنتَ مستعداً أن تنظر في تلك الوجوه الأوليّة البكر من خلال إدراك الفكر الغربيّ و المسائل التي تُطرح له في هذا الباب. بخاصّة أنّ هذا الفكر الغربيّ يصطحب تلك الصور المعنويّة في كلّ مكان تحتى البلاد الشرقيّة و الروح الشرقيّة التي تعتبر منبعه.

بَيدَ أنّ المسئولين عن «فلسفة الإسلام الإلهيّة» إذا حبسوا أنفسهم في سجن الأفكار المتعصّبة المتحجّرة و أغلالها، و أبوا طرح المسائل الجديدة، و لم يريدوا في أن يتسجموا مع تلميذ الفلسفة الغربيّة الذي يتطلّع إليهم

لا أ ٍذئنيحف ،تلاكشملا كلتج لاع لمأي و ،غلابق وشب
؟مهّقحبردصيّذاشسٍاقمكّحلكنوّقحتسي

ب ـ مفهوم الغيبة. لم تنل حقيقة «الغيبة» نصيبها من التفكير العميق في إطار المتطلّبات التي يقتضيها عالم اليوم قطّ. و من المناسب حقّاً أن تنال اهتماماً خاصّاً بالنظر إلى نقطةٍ صرّح بها «المفضّل» قائلًا: «ظلّ الباب الثاني عشر مستوراً في حجاب الغيب و الخفاء إثر غيبة الإمام الثاني عشر». و معنى هذا باعتقادي مصدر أبديّ لا متناه من المعاني و الحقائق، و هو في الحقيقة الترياق القاطع أمام كلّ نوع من أنواع السموم (سوسياليزاسيون) (= الاشتراكيّة) و (ماترياليزاسيون) (= المادّيّة)، و كلّ ما تستحسنه العامّة من الأصل و الحقيقة المعنويّة، و كذلك هو الترياق ضدّ ما أبديناه في صدر

.ةلاقملا

ةليصأ ةينبو سساسأ - يأرلا يف - ةبيغلا ةقيقحلا نإ ةدعاقكاهيلإ رَظنُيأ يغبني وّيملاسلإا عمتجملا ميظنتل نم بضرب مكنم ةنوصمو ّلظتو ،ةيبيغ ةيونعم و ةيّدام لاكشأب دّسجتلا و لوّحتلا و لديبتلا بورضو ةيعامتجا تاموظنم يف ةيعامتجا.

و كما أنّ الحقيقة المذكورة تُعدّ ترياق الظاهرة الكنسيّة (الروحانيّة) في الغرب، و يمكن تحقّق ميلها من حيث التظاهر و التجسّد الاجتماعيّ للحقيقة الإلهيّة في المجتمع و كافّة النتائج التي يتضمّنها هذا اللون من التفكير، فإنّها يمكن أن ترفع التشويش و القلق اللذين يعاني منهما زميلنا و صديقنا الأردنيّ، و تعالج مشكلته، ذلك أنّه حسب الإسلام خليطاً غامضاً من «الدين و المجتمع».

نم غلبتلا و ضومغلا اذهل ثمل بقتلا اهّنأ ةجرد حوضولا

اذه لثمل هيحولا جلاعلا أن تعدّ ميكنهما و، الفكريّ
.هورهما و شيوتلا للبلبلة عذدظه

و في رأيي أنّ الجانب المعنويّ لإلسلام باقل للحلاة
اذه دمصي و، بحسف عّيشتلابا طشانلا و ةموميدلا و
نيذلا رييغتلا و لوّحتلا نم نوكّلد أماعلا ىنعملا
.ةيملاسلإا تاعمتجملا بهذا بصتا

ةيّونعملا ةايحلاب رصعلا مامإلا ةيّقيقحلا ةقلاعلا

ج - «إمام الزمان». مفهوم أعلى يكمل مفهوم الغيبة، بَيدَ أنّه يرتبط بشخصيّة الإمام الغائب ارتباطاً تامّاً. و أنا أشعر و أدرك مفهوم «الإمام الغائب» بنحو جديد و بكر بما أحمله من روح غربيّة. و القي في روعي أنّ علاقته الحقيقيّة ترتبط بالحياة المعنويّة للبشر. و كأنّ هذه العلاقة أخذت مكانها الحقيقيّ في خاطري كمنهج عمل باطنيّ معنويّ يرى كلَّ مؤمن بنفسه قريناً و مرافقاً لشخصيّة الإمام، و يستعيد سلسلة من فتيان المعنويّة

و شعيرة الفاتحة الضائعة، على شرط أن نكيّف الحقيقة الأخيرة مع الظروف و الإمكانيّات الروحيّة المعاصرة.

و بنظري أنّ هذه العلاقة الخاصّة للأرواح بالإمام الغائب هي التي تريق الوحيد ضدّ خلط حقيقة الدين. و أنّ كرامة الإمام و إقراره هما ذوا صبغة معنويّة كأصالة حياته.

وهكذا التفاتنا و اهتمامنا بتعليم الأئمّة الذين ظهروا ويعيشون الآن في عالم المعنى.

إنّ المستشرقين الذين اعتقدوا بأنّ المذهب الشيعيّ بمنزلة مذهب مستبدّ ضلّوا و وقعوا في خطأ فادح، و قد تسرّبت هذه الفكرة إلى أذهانهم من المفهوم الكنسيّ بقرينة فكريّة معيّنة.

إنّ ما يلفت الأنظار أكثر من كلّ شيء عند عرفاء الشيعة كحيدر الآمليّ هو التشبيه الذي أقيم بين الإمام الغائب و «الخضر» واستشهاده بإنجيل يوحنّا (الإنجيل

الرابع}. و لا عهد للأذهان بهذا الالتقاء الفكريّ و المعنويّ بما عليه من وضوح.

١ - ينبغي أن اصرّح بأنّ مفهوم البارقليط Paraclete بمعنى المنقذ خاصّ بالعقائد المسيحيّة التي نشطت على هامش الكنيسة و الروحانيّة.

٢ - المفهوم المذكور يسود مشهداً من معرفة المعاد المشتركة بين المسيحيّين المعنويّين و المعتقدين المخلَصين بالمذهب الشيعيّ. و لا نقصد هذا الحوادث الواقعة على امتداد القرون و الأعصار، بل نقصد مرحلة من فراق دنيا عمياء البصيرة يملأها الرياء. و مفهوم معرفة المعاد عامل يقطع في كلّ لحظة الجهة التي يطلق عليها الجهة التأريخيّة. و في اعتقادي أنّ المعنى الحيّ لحضور الإمام الغائب هو الاتّجاه المعنويّ و الصعوديّ لدنا في النفي المطلق المواجه لجميع مظاهر الرياء و عمى البصيرة و نسخ الحقيقة

المعنويّة عند البشر.

٣ - أرى من المناسب للمتعلّمين و الطلّاب الشباب المنتمين إلى المذهب الشيعيّ أن يطالعوا الدراسات حول التيارات المعنويّة للغرب منذ القرون الوسطى حتى الآن، أي: الكتابات و الحقائق التي عُرفت بعنوان Esoterism عامّة و المذهب الباطنيّ خاصّة.

و أعتقد أنّ من المناسب و المفيد أن نقوم في مناظراتنا القادمة بدراسة القصد من معرفة المعاد و نتدقّق التفكير النظري فيه.

و لا مراء في أنّ الرموز و الكنايات و الإشارات التي تستعمل في الأدب العرفانيّ لتبيان الحقائق المعنويّة قد مُنيت بالبِلى و سقوط قوّة التبيين. بَيدَ أنّ مهمّة إحيائها المتواصل تقع على عاتق المؤمن و المسلم الحقيقيّين.

و الموضوع هو أنّ الذي يشيخ و يبلى هو أرواح الآدميّين لا أصل الرموز و الكنايات و الإشارات التي تبيّن الحقيقة و تبشّر بها.

***

هذه الأفكار هي أفكار رجل غربي، بَيْدَ أنّها لمّا أفرزها ذهنه بسبب تماسّه مع الحقائق الشيعيّة -بخاصّة أنّها صدرت عن شخص مشتاق وباحث غربي استهوته الحقائق المعنويّة الشيعيّة و بشائر التشيّع فأدخلها في بوتقة ذوقه و فلسفته- فإنّها يمكن أن تكون دليلاً آمناً مضموناً على الإمكانيّات و الممكنات الحيّة للمذهب الشيعيّ.

و الآن أستأذنكم بطرح السؤال الآتي و أسترشدكم:

في رأيكم، أيضمّ مذهب الشيعة الإماميّة بشارةً وحقيقة لإنقاذ البشريّة في عالم اليوم أم لا؟

اسمحوا لي في هذا المجال أن أضيف متسائلاً: أ يمتزج اجتهاد

سٍ كاناس المعنويّ بتكليفنا العلوم كباحثين في العلوم المطلقين، و لا يفترقان؟

البروفيسور هنري كوربان

طهران ٨ تشرين الثاني ١٩٦٠ م[1]

أجل، لقد طالما تحدثنا عن علوم الشيعة، و جهودهم في تأسيس المعارف المختلفة، و العلوم الخاصّة للإمام السادس مظهر الحقائق و مُظهر العجائب، و سبب تسمية المذهب الشيعيّ بالمذهب الجعفريّ، و تسمية الشيعة بالإماميّة، و حاجة الناس الماسّة في العالم إلى وجود الإمام الثاني عشر. و من المناسب أن يكون ممسك الختام إحدى وصايا الإمام الصادق لولده الإمام الكاظم عليهما السلام رغبة منّا في مضاعفة الخير و البركة لهذه المجموعة و لقرّائنا الكرام.

---

[1] «رسالت تشيّع در ديناي امروز» (=«رسالة التشيّع في العالم المعاصر»)، مجموعة آثار ٢، دفتر نشر ميراث اسلامي، ص ٢١ إلى ٣٥، الطبعة الاولى ١٣٧٠ هـ. ش.

و يقول في البيت الشعريّ: «لا فرق بين الخانقاه و الخَربة في العشق، فحيثما كان فهو نور وجه الحبيب».

قال الحافظ أبو نعيم الأصفهانيّ: حدّثنا أحمد بن محمّد بن مقسم، حدّثني أبو الحسن عليّ بن حسين الكاتب، حدّثني أبي، حدّثني الهيثم، حدّثني بعض أصحاب جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، قال: دخلتُ على جعفر، وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصيّة. فكان ممّا حفظت منها أن قال: يا بنيّ! اقْبَلْ وَصِيَّتي، وَ احْفَظْ مَقالَتي، فَإنَّكَ إن حَفِظْتَها

تَعَيِّشُ سَعِيداً وَ تَمُوتُ حَمِيداً!

يَا بَنِي! مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِّمَ لَهُ اسْتَغْنَى، وَ مَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيراً، وَ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ قَسَمَهُ فِي قَضَائِهِ، وَ مَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، وَ مَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غَيْرِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ!

يَا بَنِي! مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَ مَنْ سَيَّسَ الْبَغْيَ قُتِلَ بِهِ، وَ مَنِ احْتَفَرَ لأَخِيهِ بِئْراً سَقَطَ فِيهَا، وَ مَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءَ حُقِّرَ، وَ مَنْ خَالَطَ السَّوَادَ اتُّهِمَ!

يَا بَنِي! إِيَّاكَ أَنْ تَزْرِيَ بِالرِّجَالِ فَيُزْرَى بِكَ، وَ إِيَّاكَ وَ الدُّخُولَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ فَتَذِلَّ لِذِلَّكَ!

يَا بَنِي! قُلِ الْحَقَّ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ تُسْتَشَانُ مِنْ بَيْنَ أَقْرَانِكَ!

يَا بَنِي! كُنْ لِكِتَابِ اللهِ تَالِياً، وَ لِلإِسْلَامِ[1] فَاشِياً، وَ بِالْمَعْرُوفِ آمِراً، وَ عَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِياً، وَ لِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلاً، وَ لِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِياً، وَ لِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئاً، وَ لِمَنْ

---

[1] في الهامش: كذا، و لعلّه: للإسلام فاشياً.

وَ إِيَّاكَ وَ النَّمِيمَةَ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّحْنَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ،

وَ إِيَّاكَ وَ التَّعَرُّضَ لِعُيُوبِ النَّاسِ فَمَنْزِلَةُ التَّعَرُّضِ لِعُيُوبِ

النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ!

يَا بُنَيَّ! إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ، فَإِنَّ لِلْجُودِ

مَعَادِنَ، وَ لِلْمَعَادِنِ أُصُولًا، وَ لِلْأُصُولِ فُرُوعًا، وَ

لِلْفُرُوعِ ثَمَرًا، وَ لَا يُطِيبُ الثَّمَرُ إِلَّا بِأُصُولٍ، وَ لَا أَصْلٌ

ثَابِتٌ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ!

يَا بُنَيَّ! إِنْ زُرْتَ فَزُرِ الْأَخْيَارَ، وَ لَا تَزُرِ الْفُجَّارَ،

فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَاؤُهَا، وَ شَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُّ

وَرَقُهَا، وَ أَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا!

قَالَ عَلِيّ بْنُ موسى عَلَيْهِما السَّلَامُ: فَمَا تَرَكَ هَذِهِ الوَصِيَّةَ إِلى أَنْ تُوُفّيَ.[1]

قصيدة المرحوم الكمپانيّ في مدح الإمام الصادق عليه السلام

[1] حلية الأولياء و طبقات الأصفياء» ج ٣، ص ١٩٥، و ذكرها الشيخ مؤمن الشبلنجيّ في «نور الأبصار» ص ١٦٣، و كذلك أوردها الشيخ محمّد حسين المظفّر في كتاب «الإمام الصادق» ج ٢، ص ٣٦ و ٣٧، و قال في ذيلها: و قد جاء بعض هذه الفقرات في «نهج البلاغة» و لا بدع فإنّ علمهم بعضه من بعض. و علّل الصادق عليه السلام ذكرها استشهاداً و اقتباساً. و رواها أيضاً محمّد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤول» ص ٨٢.

قصيدة في المدح للزاهي و آخرى للنوري في قافية الإمام عليه السلام

هَرُيطِمَ

و قال العونيّ في وفاة الإمام عليه السلام و دفنه في بقيع الغرقد مهدياً إليه التحيّة:

الدَّرْسُ السَّادِسُ و السِّتُّونَ: بَعْدَ المائَتَيْنِ إلى السَّبْعِينَ بَعْدَ المائَتَيْنِ: إرْجاعُ مُعاوِيَةَ مَسارَ التَّوَجُّهِ العادِلَةِ إلى الطّاغُوتِيَّةِ

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و صلّى الله على محمّد و آله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم

الدين

و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ، يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ.[1]

[1] إبراهيم: ١٤ من السورة، ٢٧ و ٢٦ من الآيتان.

قال سماحة استاذنا الأعظم آية الله العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ تغمّده الله أعلى درجات جنانه في تفسيره المبارك ما نصّه:

جُثَّتُهُ و اجْتَثَثْتُهُ أي: الاجتثاث الاقتلاع، يقال: **جُثَّتُهُ، وَ اقْتَلَعْتُهُ** ضرب من الأرض ما ارتفع من الأكمة، كالشخص من الناس. و جُثَّةُ الشيء خصه في المفردات».

جذور الخلاف بين بني اميّة و بني هاشم

و الكلمة الخبيثة ما يقابل الكلمة الطيّبة، و اذا اختلفوا فيها فقال كلّ قوم فيها ما يقابل ما قاله في الكلمة الطيّبة. و كذا اختلفوا في المراد بالشجرة الخبيثة فقيل: هي الحنظلة، و قيل: الكَشُوث، و هو نبت يلتفّ على الشوك

و الشجر لا أصل له في الأرض و لا ورق عليه، و قيل: شجرة الثوم، و قيل: شجرة الشوك، و قيل: الحطب، و قيل: الكمأة، و قيل: كل شجرة لا تطيب لها ثمرة.

و قد عرفت حال هذه الاختلافات في الآية السابقة، و عرفت أيضاً ما يعطيه التدبّر في معنى الكلمة الطيّبة و ما مثّلت به و يجري ما يقابله في الكلمة الخبيثة و ما مثّلت به حرفاً بحرف. فإنّما هي كلمة الشرك مثّلت بشجرة خبيثة مفروضة اقتلعت من فوق الأرض ليس لها أصل ثابت و ما لها من قرار، و إذ كانت خبيثة فلا أثر لها إلّا الضرّ و الشرّ.

قوله تعالى: يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ إلى آخر الآية. الظاهر أنّ «بالقول» متعلّق بقوله يُثَبِّتُ لا بقوله: **آمَنُوا** و الباء للآلة أو السببيّة لا للتعدية، و أنّ قوله: فِي الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ فِي الْآخِرَةِ متعلّق أيضاً بقوله: الثَّابِتِ لا بقوله: يُثَبِّتُ.

فيعود المعنى إلى أنّ الذين آمنوا إذا ثبتوا على إيمانهم و استقاموا ثبّتهم الله عليه في الدنيا و الآخرة. و

لو لا تثبيته تعالى لهم لم ينفعهم الاثبات من أنفسهم شيئاً و لم يستفيدوا شيئاً من فوائده، فإليه تعالى يرجع الأمر كلّه.

ففي باب التَّثبيت في قوله تعالى: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ[1]، و في باب الإضلال قوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، و في باب الهداية يوازن قوله:

غير أنّ بين البابين فرقاً و هو أنّ الهدى يبتدئ من الله سبحانه و يترتّب عليه اهتداء العبد. و الضلال يبتدئ من العبد بسوء اختياره فيُجازيه الله بالضلال على الضلال، كما قال: وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ.[2] و قد تكاثرت الآيات القرآنيّة أنّ الهداية من الله سبحانه ليس لغيره فيها صنع.[3]

لأجل، إنّ أحد المصاديق الكبرى للشجرة الخبيثة هم بنو اميّة الذين عبّر عنهم القرآن الكريم أيضاً بالشجرة الملعونة. قال الشيخ محمود أبو رَيَّة في هذا المجال:

---

[1]. الصّف: ٦١، من السورة ٥، من الآية.

[2]. البقرة: ٢، من السورة ٢٦، من الآية.

[3]. «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٢، ص ٥١ و ٥٢.

أمّا ما كان بين بني اميّة و بين بني هاشم في الجاهليّة فإنّا ندع القول فيه للمؤرّخ الكبير المقريزيّ فقد سجّله في كتابه «النزاع و التخاصم فيما بين بني اميّة و بني هاشم». و إليك بعض ما قاله في ذلك:

إنّي كثيراً ما كنت أتعجّب من تطاول بني اميّة إلى ،بني هاشم، و قرب بني هاشم من رسول الله، و قد علمت ما كان بين الفريقين من العداوة و الخلاف، و أقول: كيف تنتهي أو يأنف بنو اميّة من أن يكونوا تحت أيدي بني هاشم في الحديث مع أنّ الحكم لهم و الخليفة منهم و السيف بأيديهم و الأمر نافذ فيهم كما يريدون؟! ثمّ إنّ عداوة بني اميّة لرسول الله، و جهادهم إيّاه، و تمالئهم على تكذيبه فيما جاء به من الدين الحقّ، إلى أن فتح مكّة، و بعثه الله عزّ و جلّ بالهدى و دين الحقّ، إلى أن دخل من دخل منهم في الإسلام! شرّفها الله تعالى فخلت من أن يكون بين بني اميّة و بين هذا الأمر معلم أبداً ممّا كان بين بني اميّة و بين

و لا بينهم و الأمر، إذ ليس لبني اميّة سبب إلى الخلافة، بينهما نسب.[1]

وقد كانت المنافرة لا تزال بين بني هاشم، وبين عبد شمس بحيث إنّه يقال: إن هاشماً و عبد شمس ولدا توأمين، فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم و قد التصقت إصبع أحدهما بجبهة الآخر. فلمّا نزعت دمي المكان

[1] وردت هذه الفقرة في الصفحة الاولى من كتاب «النزاع و الاختصام فيما بين بني اميّة و بني هاشم» طبعة الجنف، سنة ١٣٨٦ هـ.

فقيل: سيكون بينهما أو بين أولادهما دمٌ، فكان كذلك.

وقيل: إن جبابهما كانت ملتصقة بعضها ببعض، فأخذ السيف ففرّق بين جبابهما.[1]

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصي، وبين ابن أخيه **أمية بن عبد شمس بن عبد مناف**.[2]

قال المقريزيّ: ثمّ تمادت العداوة بين البيتين حتى قام **أبو القاسم محمّد بن عبد الله** بمكّة يدعو سيّد بني هاشم وقريشاً إلى توحيد الله تعالى، وترك ما كانت تعبد من دون الله، فانتدب لعداوته جماعة من بني أميّة منهم: **أبو لهب**، **عُتْبَة** و**عُتَيْبَة** ابنا **أبي مُعَيْط**، **وأبو سفيان** ابنا **الحارث بن عبد المطّلب**، **والحكم بن أبي العاص بن أميّة**[3]، **وعقبة بن أبي مُعَيْط**، **وأحيحة سعيد بن العاص بن أميّة**. وكان مؤذياً لرسول الله **والحكم بن أبي العاص بن أميّة**.

---

[1] ذكر المقريزيّ هذا الموضوع في ص ٢ من كتابه، وقال في آخره: فقال بعض العرب: ألا فرّقوا بينهم وفي أولادهم! فإنّه لا يزال السيف إلى الأبد.

[2] قال أبو ريّة: من أراد أن يتعرّف على هذه المنافرة فليتلمّسها في كتاب المقريزيّ.

[3] قال المقريزيّ في ص ١١: حتى هلك على كفره بالله في أوّل سنة من الهجرة، أو في سنة اثنين وهو يحادّ الله و رسوله.

يطّلع عليه و هو في حجرات نسائه. و قد قال فيه النبيّ:

مَنْ عُذِيرِي مِنْ هَذَا الوَزَغِ إِلَّا وَأَدْرَكْتُهُ لَفَقَأْتُ عَيْنَهُ.

ثمّ لعنه و ما ولد، و غرّبه عن المدينة. فلم يزل خارجاً عنها بقيّة حياة رسول الله و خلافة أبي بكر و عمر. فلمّا استخلف عثمان ردّه إلى المدينة و ولده مروان، و لمّا مات تضرّب على قبره فُسطاطاً.

و منهم: **عُتْبَة** بن أبي ربيعة بن عبد شمس، و هو أبو هند[1] التي لاكت كبد حمزة بن عبد المطّلب.

و منهم: **الوليد** بن عُتْبَة بن أبي ربيعة. و الوليد هذا هو خال معاوية.

و منهم: **شَيْبَة** بن ربيعة بن عبد شمس عمّ هند.

نفاق أبي سفيان في تعامله مع المسلمين

و منهم **أبو سفيان** صَخْر بن حَرْب بن أميّة[2] قائد الأحزاب، الذي قاتل رسول الله يوم أحُد. و قُتل من خيار

---

[1] هند هذه هي زوج أبي سفيان و أمّ معاوية.

[2] قال المقريزيّ في ص ٢: فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته للنبيّ صلّى الله عليه [و آله] وسلّم، وفي محاربته وفي إجلابه عليه، وغزوه إيّاه. وعرفنا إسلامه كيف أسلم، وخلاصه كيف خلص. على أنّه إنّما أسلم على يد العبّاس. و العبّاس هو الذي منع الناس من قتله و جاء به رديفاً إلى النبيّ صلّى

أصحابه سبعون من بين مهاجريّ و أنصاريّ، بينهم أسد الله حمزة عمّ النبيّ، و قاتل رسول الله يوم الخندق. و لم يزل يحادّ الله و رسوله حتى سار رسول الله لفتح مكّة، فأتى به العبّاس ابن عبد المطّلب رسول الله، و قد أردفه - و كان صديقه و نديمه في الجاهليّة - فلمّا دخل به على رسول الله، سأله أن يؤمنه، فلمّا رآه رسول الله قال له: وَيْلَكَ يا أبا سُفْيانَ! أَ لَمْ يأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا الله؟!

الله عليه [و آله] وسلّم، وسأله أن يشرّفه و أن يكرمه و ينوّه به. و تلك بيضاء، و نعمة غرّاء، و مقام مشهور، و خبر غير منكور. فكان جزاء ذلك من نبيه أن حاربوا عليّاً، و سمّوا الحسن، و قتلوا الحسين، و حملوا النساء على الأقتاب حواسر، و كشفوا عورة علي بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يُصنع بذراري المشركين إذا دُخلت ديارهم عنوة. و قال في ص ٣ و ٤: و أكلت هند كبد حمزة، فمنهم آكلة الأكباد، و منهم كهف النافق؛ و نقروا بالقضيب بين ثنيتَي الحسين، و نبشوا زيداً و صلبوه، و ألقوا رأسه في عرصة الدار تطؤه الأقدام، و تنقر دماغه الدجاج، حتى قال القرشيّ: اطرد وا الديك عن ذُؤابة زيدٍ** طالما كان لا تطأه الدجاجُ و قال شاعر بني اميّة: صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ** و لم نَرَ مهديّاً على الجذع يُصلَبُ و قتلوا يحيى بن زيد و سمّوا قاتله «شائر مروان» و «ناصر الدين» و ضربوا عليّ بن عبد الله بن عبّاس بالسياط مرّتين على أن تزوّج ابنة عمّه الجعفريّة التي كانت عند عبد الملك ابن مروان.

وَ أجْمَلَكَ وَ أصْلَحَكَ، مَا أوْصَانِي أبِي بِكَ وَ أمِّي،

فقال له: أنْتَ وَ اللهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ غَيْرُهُ

لَأغْنَى عَنِّي شَيْئاً! وَ اللهِ لَقَدْ أكْرَمَكَ!

فقال: يَا أبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأنِ لَكَ أنْ تَعْلَمَ أنِّي رَسُولُ

اللهِ؟!

فقال: أمَّا هَذِهِ فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ!

فقال له العباس: ويلك! اشهد بشهادة الحق قبل أن

تضرب عنقك! فشهد و أسلم.

وقد اختلف في حسن إسلامه فقيل: إنّه شهد حنينا معه يُستقسم بها،[1] وكان كافرا مع رسول الله وكانت الأزلام معه كفارا للمنافقين في الجاهليّة.[2]

وفي خبر لعبد الله بن الزبير أنّه رآه يوم اليرموك وقال: فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان: إيه بني الأصفر! فإذا كشفهم المسلمون قال:

---

[1] الاستقسام بالأزلام نوع من القمار الذي كان يتعاطى في العصر الجاهلي، الاستقسام بالأزلام في الآية ٣، من السورة ٥: المائدة: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنزِيرِ وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ إلى آخر الآية ... و المراد من الاستقسام بالأزلام على ما جاء في تفسير البيضاوي المطبوع في دار الطباعة العامرة بجزئين، ج ١، ص ٣٢٣ هو قوله: وَ أَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ. أي: و حرّم عليكم الاستقسام بالأقداح. و ذلك أنّهم إذا قصدوا فعلًا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها: أَمَرَنِي رَبِّي. و على الآخر: نَهَانِي رَبِّي. و على الثالث: غُفْلٌ فإن خرج الأمر مضوا على ذلك. و إن خرج النهي تجنّبوه. و إن خرج الغفل أجالوها ثانيا. فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالأزلام. و قيل: هو استقسام الجزور بالأقداح على النُّصُبِ المعلومة. و واحد الأزلام زَلَم، و زُلَم كصُرَد.

[2] لما انهزم المسلمون يوم حُنين قال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. وقال فيه حافظ المغرب ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٢، ص ٧٠٩ و ٧١٠: إنّه كان كافرا للمنافقين منذ أسلم، و كان في الجاهليّة يُنسب إلى الزندقة، و إن له أخبارا رديئة، و إن إسلامه لم يكن سالما.

و ممّن حاربوا النبيّ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن اميّة. وهو الذي جدع أنف حمزة ومثّل به. و معاوية هذا هو أبو عائشة امّ عبد الملك ابن مروان. وعبد الملك هذا أعرق الناس في الكفر، لأنّ أحد أبويه الحكم ابن أبي العاص لعين رسول الله و طريده، و الآخر معاوية بن المغيرة.[1]

و منهم حَمَّالَةُ الحَطَبِ و اسمها امّ جميل ابنة حَرْب بن اميّة، و إيّاها عنى الله تعالى بقوله في سورة تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ... إلى آخر السورة.

و قال المقريزيّ: و ما من أحد من هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم إلّا و قد بذل جهده في عداوة رسول الله و بالغ في أذى من اتّبعه و آمن به، و ذاقوا منهم من التشتّم و أنواع العذاب ما تفرّ منهم مهاجرون إلى بلاد الحبشة، ثمّ إلى المدينة، و أغلقت أبواب مكّة، فباع أبو سفيان بعض دورهم و قضى من ثمنها ديناً عليه. و همّوا بقتل رسول

[1] قال المقريزيّ في ص ٤: قتله عليّ و عمّار صبرا.

وأ كمّة مزّرة، وتنظروا في أمره ليُخرجوه من مكّة الله غير ذلك في كلّ منهم يقيّدوه ويحبسوه حتى يهلك. وبالغ رسول الله صلى الله عليه وآله وعشيرته، ونصب بنفسه وماله وأهله الحبائل بكلّ طريق سرّاً وجهراً ليقتله.[1]

ما قاله الجاحظ في ذلك

قال الشيخ محمود أبو ريّة: وندرف ما قاله الجاحظ في المقريزيّ بصفحتين من رسالة بليغة كتبها الجاحظ في معنى ما نحن بصدده، لتكونا دليلاً آخر على تصوير موقف الأمويّين من البيّ ومن عليّ وبنيه.

---

[1] المطالب المذكورة ملخّصة من ص ١٠ إلي ٣٤ من كتاب «النزاع و التخاصم».

قال الجاحظ وهو يتحدث عن أمر قتل عثمان وما جرى على المسلمين من بلايا ومحن: ثمّ ما زالت الفتن متّصلة، والحروب مترادفة، كحرب الجمل وكوقائع صفّين، ويوم النهروان ... إلى أن قتل أشقاها عليّا بن أبي طالب رضوان الله عليه ... إلى أن كان اعتزال الحسن عليه السلام الحرب وتخلية الأمور، عند انتشار أصحابه وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه وكثرة تلوّنهم عليه.

فعندها استوى معاوية على الملك. واستبدّ على بقيّة الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه عام الجماعة! وما كان عام جماعة! بل كان عام فرقة وقهر وجبريّة وغلبة! والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسرويّاً، والخلافة غصباً قيصريّاً ....

ثمّ ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، و على منازلها رتّبنا،[1] حتى ردّ قضيّة رسول الله ردّاً مكشوفاً ظاهراً، في ولد الفراش و ما يجب و يحد حكمه جداً ظاهراً، مع اجتماع الأمّة أنّ سمية لم تكن لأبي سفيان فراشاً، و أنّه إنّما كان بها عاهراً، فخرج بذلك من الفجّار إلى حكم الكفّار.[2]

و ليس قتل حجر بن عديّ، و إطعام عمرو بن العاص خراج مصر، و بيعة يزيد الخليع،[3] و الاستئثار بالفيء، و اختيار الولاة على الهوى، و تعطيل الحدود بالشفاعة و القرابة من جنس حجد الأحكام المنصوصة،

---

[1] قال المقريزي في ص ٣: و بعث معاوية بن أبي سفيان إلى الميمنة بسر بن أرطاة، فقتل ابنَي عبيد الله بن العبّاس و هما غلامان لم يبلغا الحلم. فقالت أمّهما عائشة ابنة عبد الله بن عبد المدان بن الديّان ترثيهما: يَا مَنْ أَحَسَّ بابْنَيِّ اللَّذَيْنِ هُمَا ... كالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّى عَنْهُمَا الصَّدَفُ أَحْنَى عَلَى وَجَيِ طِفْلَيِّ مُرْهَفَةً ... مِنْ بَطْنِهَا وَ عَظِيمُ الإِثْمِ مُقْتَرِفُ قَتَلُوا الصَّبِيَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ... تِسْعَةً، وَ الصَّبِيُّ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ تِسْعَةً، لِذَلِكَ قَالَتْ نَائِحَتُهُمْ ... عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ مُنْسَكِبِ قَدْ أَصَابُوا مِنْ آلِ الرَّسُولِ تِسْعَةً ... مِنْهُمُ الصَّبِيُّ عَلِيٌّ وَ ابْنُهُ الصَّبِيُّ وَ تِسْعَةٌ لِعَقِيلٍ

[2] يشير إلى استلحاق معاوية لزياد و جعله ابناً لأبي سفيان.

[3] وصف يزيد هذا بأوصاف كثيرة شنيعة أتينا على بعضها عند الكلام عنه.

و الشرائع المشهورة، و السنن المنصوبة. و سواء في باب ما يستحقّ من الكفّار حدّ الكتاب و ردّ السنّة، إذ كانت السنّة في شهرة الكتاب و ظهوره، إلّا أنّ أحدهما أعظم و عقاب الآخرة عليه أشدّ.

فهذه أول كفرة كانت من الامّة، ثمّ لم تكن إلّا فيمن يدّعي إمامتها و الخلافة عليها، على أنّ كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بتركه إكفاره، و قد أربت عليهم نابتة عصرنا و مبتدعة دهرنا، فقالت لا تسبّوه فإنّ له صحبة، و سبّ معاوية بدعة، و من يبغضه فقد خالف السنّة! فزعمت أنّ من السنّة ترك البراءة ممن حدّ السنّة.

جرائم يزيد الرجس

ما كان من يزيد

ثمّ الذي كان من يزيد ابنه و من عماله و أهل نصرته، ثمّ غزو مكّة و رمي الكعبة و استباحة المدينة، و قتل الحسين عليه السلام في أكثر أهل بيته، مصابيح الظلام، و أوتاد السلام، بعد الذي أعطى من نفسه، من

تفريق أتباعه، و الرجوع إلى داره و حرمه، أو الذهاب في الأرض حتى لا يحسّ به، أو المقام حيث أمر به، فأبوا إلّا قتله و النزول على حكمهم.

إلى أن قال الجاحظ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِنَقْرِ القَضِيبِ بَيْنَ ثَنِيَّيِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ حَمْلِ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ حَوَاسِرَ عَلَى الأَقْتَابِ العَارِيَةِ وَ الإِبِلِ الصِّعَابِ، وَ الكَشْفِ عَنْ عَوْرَةِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عِنْدَ الشَّكِّ فِي بُلُوغِهِ عَلَى

تَبْتَ أنَّهُمْ إن وَجَدُوهُ وَ قَدْ أنْبَتَ قَتَلُوهُ، وَ إن لَمْ يَكُنْ أنْبَتَ حَمَلُوهُ، كما يَصْنَعُ أمِيرُ جَيْشِ المُسْلِمِينَ بِذَرَارِيِ المُشْرِكِينَ.[1]

و كيف تقول في قول عبيد الله بن زياد لإخوته و خاصّته: دَعُونِي أقْتُلْهُ فَإنَّهُ بَقِيَّةُ هَذَا النَّسْلِ، فَأحْسِمُ بِهِ هَذَا القَرْنَ، وَ امِيتُ بِهِ هَذَا الدَّاءَ، وَ أقْطَعُ بِهِ هَذِهِ المَادَّةَ!

خبّرونا على ما تدلّ هذه القسوة و هذه الغلظة بعد أن تشفوا بقتلهم، و نالوا ما أحبّوا فيهم؟! أ تدلّ على نصب و سوء رأي و حقد و بغضاء و نفاق و على يقين دخول و إيمان معيوب أم تدلّ على الإخلاص و حبّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و المحافظة عليه و على براءة الساحة و صحّة السريرة؟!

فإن كان على ما وصفناه لا يعدو الفسق و الضلال، و ذلك أدنى منازله. فالفاسق ملعون. و من نهى عن لعن الملعون ملعون. و زعمت نابتة عصرنا و مبتدعة دهرنا

---

[1] قال أبو ريّة في الهامش: سيأتيك شيء من تفصيل هذه الجريمة الكبرى التي لم يقع مثلها في التأريخ الإسلامي على مدّ عصوره.

أنّ سبّ و لاة السوء فتنة و لعن الجورة بدعة ... و النابتة

فيه اذا الوجه أكفر من يزيد و أبيه، و ابن زياد و أبيه.[1]

ً انا عل أنّهم مجمعون على أنّه ملعون من قتل مؤمنا

ً أو متأوّلا. فإذا كان القاتل سلطانا ً جائرا، و أميرا

متعمّدا ً، لم يستحلّوا سبّه، و لا خلعه و لا نفيه و لا عيبه،

---

[1] في كلّ عصر نابتة سوء مبغضة عُرفت بالنصب، و في هذا العصر من هذه السلسلة قوم فضحوا أنفسهم بنصبهم. (محمود أبو ريّة).
و أقول: هاهي مخمسة عشرة مئة تمرّ على انتصار الثورة الإيرانية الإسلامية، مع ذلك و قد بذلت الحكومة قصارى جهدها من أجل حفظ الوحدة الإسلامية، لم يقتنع المناوئون الذين في قلوبهم مرض فأصدروا الكتب و المجلّات العديدة بلغات مختلفة لتبيّن بها أباطيلهم و أراجيفهم من منطلق النعرة العربية القومية، و لنشر و اخر افاتهم القديمة البالية كقضية عبد الله بن سبأ، و احداث القومية الفارسية المجوسية و أمثال هذه التّرهات التي أزكمت الأنوف. هؤلاء المساكين لا يعلمون أنّ أحداً لا يقيم لأكاذيبهم وزناً الآن، و قد اقتضحوا بذكر المستشرقين في كتبهم. و بنات تحقّ النبيّ و صيّه خزوا و اف

و إن أخاف الصلحاء، و قتل الفقهاء، و أجاع الفقير، و ظلم الضعيف، و عطّل الحدود و الثغور، و شرب الخمور، و أظهر الفجور. ثمّ ما زال الناس يتسكّعون مرّةً، ويداهنونهم مرّة، ويقاربونهم مرّة، ويشاركونهم مرّة، إلّا بقيّة ممّن عصمه الله تعالى ذكره!

ثمّ أخذ الجاحظ يبيِّن ما وقع ممّن جاء بعد يزيد من الفظائع التي تقشعرّ منها الأبدان، ولم يسمع بمثلها في أيّ زمان.

و لو أنّ المقام يحتمل ما في رسالة الجاحظ مما ارتكب بنو أميّة من الظلم و البغي و القهر لجئنا به كاملًا، فليرجع إلى هذه الرسالة القيّمة - و هي مطبوعة - من يريد.

قال الشاعر و صدق:

و ابن حرب هو أبو سفيان بن اميّة بن عبد شمس. كان رأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله، و من الذين أجمعوا على منابذته، و ممّن حضروا دار الندوة ليتشاوروا في قتله، و تعاقدوا على القضاء عليه، كما ذكر المقريزيّ من قبل. ثمّ كان على رأس المحرّضين على محاربة النبيّ في موقعة بدر.[1] و في هذه الغزوة قُتِل من قُتِل من سادات قريش و منهم: الوليد بن عقبة خال معاوية و والد هند.

---

[1] قال الشيخ محمود أبو ريّة في الهامش: زعم الواقديّ أنّ معاوية كان في عمرة القضاء مسلماً فردّ عليه ابن حجر العسقلانيّ في «الإصابة» بقوله: هذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقّاص أنّه قال في العمرة في الحجّ: فعلناها و هذا يومئذٍ كافر، يعني معاوية. و زعم الواقديّ كذلك أنّ معاوية شهد حُنيناً فأعطاه النبيّ من الغنائم مائة من الإبل و أربعين أوقيةً. و ردّ الذهبيّ على ذلك فقال: الواقديّ لا يعني ما يقول فإن كان معاوية قديماً في الإسلام فلما ذا يتألّفه النبيّ صلّى الله عليه و آله و لو كان أعطاه لما قال عند ما خطب فاطمة ابنة قيس: أمّا معاوية فصعلوك لا مال له.

و بعد هذه الغزوة التي نجا منها أبو سفيان، أصبح سيّد مكّة بلا منازع و زعيم قريش في حربها و سلمها. و هو الذي قاد قريشاً يوم احد و الخندق. و ألّب العرب على النبيّ و أصحابه، و أغرى اليهود حتى نقضوا عهدهم مع النبيّ و أصحابه. و هو الذي ظلّ يدبّر مقاومة قريش للنبيّ و كيدها له، و مكرها به.[1] و استمرّ على ذلك حوالي عشرين سنة من أوّل قيام الدعوة

حتّى كان يوم فتح مكّة فأسلم مُرغماً.

و كان قد نذر أن لا يمسّ رأسه ماءٌ من جنابة حتى يغزو محمّداً.

---

[1] قال آية الله السيّد شرف الدين في رسالته «إلى المجمع العلميّ العربيّ بدمشق» ص ١١٧ و ١١٨: لكن بنته امّ حبيبة و اسمها رملة أسلمت و حَسُن إسلامها قبل الهجرة، و هاجرت مع المهاجرين إلى الحبشة هرباً من أبيها و قومها، فبعث رسول الله صلّى الله عليه و آله بعض أصحابه إلى النجاشيّ فخطب عليه امّ حبيبة. فزوّجه إيّاها و أصدقها النجاشيّ من ماله عن رسول الله صلّى الله عليه و آله اربعمائة دينار، و أبوها إذ ذاك ممعن في عداوة الله و رسوله. و قدم بعد ذلك على المدينة ليزيد في هدنة الحديبيّة، فدخل على بنته امّ حبيبة، و حين أراد أن يجلس طوت الفراش دونه. فقال: يا بنيّة! أ رغبتِ به عنّي؟ فقالت: هو فراش رسول الله صلّى الله عليه و آله و أنت امرؤ نجس مشرك! فقال: لقد أصابك يا بنيّة بعدي شرٌّ! (نصّ على هذا كلّه أثبات الامّة من حفظة السنن و الآثار).

و قد بيّنّا لك من قبل قصّة إسلامه، عند ما احتيط به عليّ ما رواه المقريزيّ آنفاً و كان معه ابنه معاوية و سائر أولاده و من أسلم من قومه،

و كان و قال لهم النبيّ يومئذٍ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ. و كذلك هو و أولاده من المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، و هم قوم من كبار العرب كانوا يُعْطَوْن من الصدقات مالًا، إمّا دفعاً لأذاهم، و إمّا طمعاً في إسلامهم، و إمّا تثبيتاً في الإسلام.[1]

و كان أبو سفيان و أولاده من الذين كان يعطيهم النبيّ دفعاً لأذاهم، لأنّ إسلامهم كما بيّنّا لم يكن صحيحاً، فلمّا تولّى عمر حرمهم ذلك، و قال: التَقَطَتِ الرُّشَا، لأنّ المسلمين قد كثروا.

و المُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ ناسٌ من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاماً ضعيفاً. و الطلقاء جمع طليق و هو مَن حصل المنّ عليه يوم فتح مكّة من قريش، و من هؤلاء: أبو

[1] ظلّ المؤلّفة قلوبهم يأخذون من مال الأمّة حتى تولّى عمر و قال: لقد اعتزّ الإسلام و لم تعد حاجةٌ لإعطائهم.

سفيان، وسهل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزّى، و

معاوية ويزيد ابنا أبي سفيان.

وكان الطلقاء يقولون في محمّد صلّى الله عليه وآله:

وَعَدُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنْ غَلَبَهُمْ خَذَلْنَاهُ فِي دِينِهِ، وَإِنْ غَلَبُوهُ كَفَوْنَاهُ أَمْرَهُ!

و قال ابن عبّاس: إنّ قوماً كانوا يأتون النبيّ فإذا أعطاهم مدحوا الإسلام، و إذا منعهم ذمّوا و عابوا، و كان من هؤلاء أبو سفيان و عُيينة بن حصن، و كانوا إذا ذكروا أبا سفيان ذكروا معه ابنه معاوية.[1]

و ذكر أبو ريّة موضوعاً حول أبي هريرة قبل هذه الموضوعات قال فيه: ممّا لا ريب فيه أنّ أبا هريرة قد اتّصل بدولة بني اميّة و بني أبي معيط اتّصالاً وثيقاً، فتشيّع لها، و حطب في حبلها، و استظلّ بظلّها، و ناصرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، و من أجل ذلك ظفر بمكانة عظيمة لديها فغمرته بأعطياتها، و ملئوا يديه من نوالها. و جدير بنا قبل أن نعرض لهذا الاتّصال أن نوطّئ بصدرٍ من القول نبيّن فيه حقيقة هذه الدولة، و كيف قامت، و ما إذا كان من أمر زعمائها من النبيّ من

---

[1]. «شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ١٤٢ إلى ١٤٩، الطبعة الثانية.

أوّل يوم قام فيه بدعوته، و قعودهم له كلّ مرصد، و إمعانهم في أذاه! و شنّ الحرب عليه. إلى أن قال:

كان أبو سفيان يتربّص الدوائر بالنبيّ أبداً

إن قيام الدولة الأمويّة له جذور عميقة تضرب في أحشاء الزمن البعيد في الجاهليّة، يجب على كلّ من يتصدّى لتأريخ هذه الفترة من الزمن أن ينفذ إليها و يتعمّقها، و أن يصوّرها تصويراً صادقاً، ثمّ يعرض صورتها جليّةً على الناس. و هذه الجذور ترجع إلى ما كان من شنآن متأصّل في صدر بني اميّة لبني هاشم قبل الإسلام. و ظلّ هذا الشنآن يؤجّ بينهما على مدّ الزمن ناراً و سعيراً، حتى إذا ظهر النبيّ صلّى الله عليه و آله بدعوته، كان هؤلاء القوم أسرع الناس إلى معارضته، و التصدّي لدعوته، فعاجلوه بالمعارضة، و تولّوه بالأذى حسداً من عند أنفسهم، و لم يذروه ينشر

دعوته، و يبلّغ رسالته، بل أضرموا عليه حرباً ضروساً، اتّصلت بينهم و بينه حوالي عشرين سنة إلى أن فتحت مكّة بنصر الله وَ اَنْقَلَبُوا هُنالِكَ وَ اَنْقَلَبُوا صاغِرِينَ.[1]

و لم يجد أبو سفيان الذي كانت له الزعامة في قريش بعد أن قتل صناديدهم في وقعة بدر مناصاً من أن يستسلم و أن يسلم مرغماً هو و أولاده، و منهم معاوية.

---

[1] الآية ١١٩، من السورة ٧: الأعراف.

قال السيّد محمّد باقر الخوانساري في «روضات الجنّات» ج ٧، ص ٢٥٦، طبعة إسماعيليان، في ختام ترجمة محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بعد ذكر حكاية: هذا و قد مضى في ذيل ترجمة شريك المذكور ما هو أملح من هذه الحكاية و أدعى إلى سبيل ولاية أهل بيت الرسالة و الدراية و الحمد لله على نعمة الهداية. و من جملة ما لم نذكره هناك من أخبار الرجل و هو أيضاً من ملح الآثار و نوادر الأخبار، أنّه سئل يوماً أن يذكر شيئاً من مناقب معاوية بن أبي سفيان، فقال: نعم إن من مناقبه أنّ أباه قاتل النبيّ صلّى الله عليه و آله، و هو قاتل الوصي، و أمّه أكلت كبد عمّ النبيّ صلّى الله عليه و آله حمزة رضي الله عنه و ابنه حزّ رأس ابن النبيّ صلّى الله عليه و آله فأيّ منقبة تريد أعظم من هذا؟! ثمّ إن من جملة طرائف أخبار ابن أبي ليلى برواية شيخنا الصدوق في «الفقيه» أنّه سئل مولانا الصادق عليه السلام، فقال: أي شيء أحلى مما خلق الله؟ فقال: الولد الشابّ. فقال: أي شيء أمرّ مما خلق الله؟ فقال: فقده. فقال ابن أبي ليلى: أشهد أنّكم حجج الله على خلقه.

و لمّا كان إسلامهم هذا ظاهراً لم يجاوز حناجرهم، و لمّا يدخل الإيمان في قلوبهم، فقد ظلّوا على ما بأنفسهم، مضمرين بغضهم القديم، و مقتهم الموروث، و ما أبرى عليه من حقد جديد يأكل صدورهم أن تظهر النبوّة في بني هاشم أعدائهم و إن أيقنوا أنّ دعوة هذا النبيّ ستقضي إلى الأبد على نفوذهم بمكّة التي كانت يومئذٍ خالصة لهم، و تمحو سيطرتهم على أهلها، و لبثوا من أجل ذلك كلّه يتربّصون بالنبيّ الدوائر، و يترقبون أن

تتاح لهم فرصة فيعيدوا الكرّة كي يستعيدوا مجدهم

الذاهب، و يستردّوا نفوذهم الضائع.

و ما إن لحق النبيّ بالرفيق الأعلى حتى أسرعوا إلى

إشعال نار الفتنة ليعيدوها جذعة، و لكنّهم خابوا فيما

كانوا يبتغون، و حاق بهم ما كانوا يمكرون، إذ لم يدعْ

لهم أبو بكر و عمر و عليّ أيّ منفذ إليه ينفذون،[1] إلى أن

قُتل عمر بمؤامرة أثيمة،[2] و هنالك أماطوا عن وجوههم

أقنعة النفاق، و أخذوا يسعون بكلّ ما استطاعوا في سبيل

قيام دولة منهم بعد أن طال ارتقابهم، و اشتدّ من عزمهم

أن استُخلِف عثمانُ بعد عمر في ظروف لا تتوسّع

بتفصيلها - و كان أمويّاً منهم فما لبث أن وطّأ لهم و لبني

---

[1] كان عمر هو الذي مهّد الخلافة لبني أميّة، ذلك أنّه ولّى معاوية الشام في أيّام خلافته. («تاريخ اليعقوبيّ» ج ٢، ص ١٥٠) (النقل بالمضمون لا النصّ).

[2] قطع الشيخ محمود أبو ريّة بأنّ مقتل عمر كان بمؤامرة كعب الأحبار. (أضواء على السنّة المحمّديّة» ص ١٥٠ إلى ١٥٥، الطبعة الثالثة، وفيه أنّ إسلام كعب كان إسلام خدعة و بعد كلامه بحول كيفيّة استحواذ بني إسرائيل و أحبار اليهود كعب بن الله بن سلام، و هو حبر يهودي. و له حديث وافٍ في كتاب «أضواء على السنّة المحمّديّة» ص ١٥٠ إلى ١٥٥، الطبعة الثالثة، وفيه أنّ إسلام كعب كان إسلام خدعة و بعد كلامه بحول كيفيّة استحواذ بني إسرائيل و أحبار اليهود كعب بن الله بن سلام، و هو حبر يهودي، و كعب الأحبار، و تردّد كعب على عمر، أثبت أدلّة بنمنبّه الإسرائيليّ

أبي معيط من رقاب المسلمين و خالف بذلك وصيّة عمر.[1]

وقال أبو ريّة في كتابه النفيس الآخر متحدّثاً عن هذا الموضوع و ذاكراً مطالب ودروحولها الحديث: إن الذي يريد أن يدرس تأريخ الإسلام على حقّه إنّما يجب عليه أن يحيط علماً بما كان عليه العرب قبل

[1] شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ١٤٠ إلى ١٤٢، الطبعة الثانية.

الإسلام عامّة، و بخاصّة بين بني هاشم و بين بني أميّة في الجاهليّة،[1] ثمّ في الإسلام. و بما شَجَرَ بين الصحابة منذ عهد عثمان و الحروب التي وقعت بين عليّ رضي الله عنه و بين معاوية، و جنودهما أكثرهما من الصحابة. و ما كان بعد ذلك بين الأمويّين و العبّاسيّين، و كذلك ما كان بين النبيّ صلّى الله عليه و آله و بين اليهود، و ما تكنّه قلوب أهل الأديان و الأمم الأخرى للإسلام من بغض و شنآن.

حقّاً يجب على كلّ من يريد أن يقف على تأريخ الإسلام الصحيح أن يحيط بذلك كلّه علماً فتنكشف أمامه آفاق بعيدة ينبعث منها نور قويّ يهدي إلى تحليل الحوادث تحليلاً صحيحاً. فإنّ كلّ هذه الأمور كان لها و لا ريب أثر بعيد في تكوين التأريخ الإسلاميّ، و فيما

---

[1] «ارجع إلى كتاب «النزاع و التخاصم فيما بين بني أميّة و بني هاشم» للمقريزيّ، و إلى كتابنا «شيخ المضيرة» كي تعرف كيف قامت دولة بني أميّة!

تدسّس إلى تفسير القرآن من أساطير، و ما نُسب إلى النبيّ -كذباً- من أحاديث.

و إن التأريخ ليُنبئك أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله ما كاد ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى بدا ما كان يكنّه بنو اميّة من الموجدة لبني هاشم ممّا كان قد استتر بغطاء الإسلام حيناً، فحاولوا إغراء بني هاشم بالمطالبة بالخلافة لكي تقع الفتنة، و لكن يقظة عليّ أحبطت كيدهم فسكنوا و طووا على ما يبنجوانحهم حتى يهيّئوا فرصةً تسنح لهم إلى أن تهيأت في خلافة عثمان.

ذلك بأنّه ما كاد يتولّى الأمر حتى كشف الأمويّون عمّا كانت تخفي صدورهم - و كان أمويّاً - و أخذوا ينفّذون خطّتهم بدقّة و مهارة حتى أصبح الأمر كلّه في عهدهم. و انقلب نظام الحكم كلّه في السنين الأخيرة من

حكم عثمان من خلافةٍ عادلة[1] إلى ملكٍ تتعاوره الأهواء، وتتداوله الأغراض.

وضع الأحاديث سلاح غلبة بني اميّة

ولمّا انشقّت العصا بعد وفاة عثمان واستعرت نار الفتنة، وانشعب الناس إلى شعب متعدّدة، أخذ كلّ فريق

---

[1] هذا هو لفظ أبو ريّة إذ يرى أنّ حكومة عثمان عادلة. وهذا رأيه كعالمٍ سنّيّ، بيد أنّ الشيعة تذهب إلى أنّ حكومته جائرة منذ البداية. فقد شهد التأريخ بأنّه كان رجلًا ظالمًا. وقد أدرك الشيخ أبو ريّة السنّيّ -بما كان عليه من فكرٍ وقّاد وتقويمٍ منصف وما امتاز به من دراساتٍ عميقة- أنّ في فقه العامّة خللًا و في صحاحهم بخاصّة «صحيح البخاري» روايات باطلة كثيرة تخالف العقل و التأريخ. ولذا ألّف كتابيه الثمينين: «الأضواء ...» و «شيخ المضيرة» للردّ على فقه العامّة المتوكّئ على أحاديث رواها رجال كذّابون متّهمون كأبي هريرة. وكان سماحة العلّامة السيّد مرتضى العسكريّ أمدّ الله في عمره الشريف و هو سبط خال والدي (المرحوم المحدّث العظيم آية الله الميرزا محمّد الطهرانيّ العسكريّ الذي كان يقيم في مدينة سامرّاء) -يقول: أرسلت كتابين من كتبي وهما: «عبد الله بن سبأ» و الجزء الأوّل من كتاب «أحاديث أمّ المؤمنين عائشة» إلى الشيخ أبو ريّة في مصر فاستحسنهما كثيرًا. وعندما ذهبت إلى مصر عدته في المستشفى إذ كان راقدًا فيها لمرضٍ ألمّ به و أدّى إلى وفاته. و قد سررنا أنا و إيّاه باللقاء كثيرًا و كان يرى أنّ عائشة إمرأة فظّة محرقة للتأريخ و عدوّة لأمير المؤمنين و فاطمة الزهراء عليهما السلام، و كان يبغضها كثيرًا، و لعنها عدّة مرّات و هو على سريره. كما كان يتبرّأ من عثمان. وسألته عن رأيه بالشيخين، فقال: إنّه توصّل إلى موضوعاتٍ كثيرة بشأنهما، و كان يذمّهما لكنّه لم يبلغ مرحلة لعنهما و البراءة منهما حتّى وافاه الأجل. و مرّ على وفاته حتّى الآن قرابة ثلاثين سنة. **اللّهُمَّ احْشُرْهُ مَعَ مَنْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ وَ يُبْغِضُهُ! يَتَوَلَّاهُ وَ يُحِبُّهُ وَ أَبْعِدْهُ مِمَّنْ**

و يؤيّد حزبه بكلّ ما يستطيع من وسائل التأييد المادّيّة و المعنويّة و القوليّة، فهذا يشايع الهاشميّين، و ذاك ينصر الأمويّين، و هكذا. و قد رأوا أنّ أقوى أسلحة الغلب أن يستعين كلّ فريق بأدلّة مأثورة عن النبيّ تشدّ أزر فرقته و تقوّي دعوتها، من أجل ذلك أخذوا يجمعون ما يروى من أحاديث ينسبونها إلى الرسول صلّى الله عليه و آله،

و بخاصّة في الفضائل، كما رأيت ذلك في أسباب وضع الحديث من قبل!

و إنّهم لم يفعلوا ذلك إلّا لأنّهم وجدوا أنّ شخص الرسول صلّى الله عليه و آله مما تعنو له الهام و أنّ مقامه بينهم جميعاً فوق كلّ مقام، و لكن الغلب كتب لبني اميّة على بني هاشم بما كان لهم من قوّة و مكر، و ما كان في أيديهم من مالٍ و سلطانٍ و قهرٍ.

و ثمّة ناحية اخرى كان لها حظّ كبير - في العبث بالرواية - و كان عمل أصحابها دينياً خفياً، و غايتها التي تسعى إليها أن تفسد عقائد الدين النقيّة، بأن تدخل فيها ما ليس منها و تدسّ إليها من التعاليم الزائفة ما يشوّه جمالها، اولئك هم أهل الكتاب من اليهود و النصارى الذين أظهروا الإسلام خدعة، ثمّ أقبلوا ما شاء لهم الكيد و الهوى من الإسرائيليّات و المسيحيّات و الأكاذيب في دين العرب الجديد - كما مرّ بك - و من هذا و من أسباب كثيرة بيّنّاها من قبل، أخذ الوضع و الكذب يفشوان بين

النّاس، و استجرت الرّواية عن رسول الله **حتّى ركب النّاس في ذلك** -كما قال ابن عبّاس- **الصّعب و الذّلول**.[1]

أي: التقوا بكلّ حديثٍ صحيحٍ و سقيم، و سمعوا كلّ كلامٍ حقٍّ و باطل منسوباً إلى النّبيّ صلّى الله عليه و آله.

الإسلام الظّاهريّ للبعض من أجل ترويج كتبهم

و كان الشّيخ محمّد عبده يرى أنّ وضع الأحاديث بخاصّةٍ في زمن الأمويّين من أعظم المصائب الّتي نزلت بالإسلام.

قال أبو ريّة تحت عنوان **أعظم ما رُزِئ به الإسلام**:

قال الأستاذ الإمام محمّد عبده:

---

[1]. «ضوء على السنّة المحمّديّة، أو دفاع عن الحديث» ص ٢٦٩ إلى ٢٧١، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.

لم يُرزأ الإسلام بأعظم ممّا ابتدعه المنتسبون إليه، و ما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه، فذلك ممّا جلب الفساد على عقول المسلمين، و أساء ظنون غيرهم فيما بني عليه الدين. و قد فشت الكذب فاشية على الدين المحمّدي في قرونه الاولى حتى عرف ذلك في عهد الصحابة رضي الله عنهم، بل عهد الكذب على النبيّ صلّى الله عليه و آله في حياته ... .

إلّا أنّ عموم البلوى بالأكاذيب حقّ على الناس بلاؤه في دولة الأمويّين فكثر القائلون و قلّ الصادقون و امتنع كثير من أجلّة الصحابة عن التحديث إلّا لمن يثقون بحفظه خوفاً من التحريف فيما يؤخذ عنهم ... .

و روى الإمام مسلم في مقدّمة صحيحه قال: **مَا رَأَيْتُ** أَهْلَ الخَيْرِ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الحَدِيثِ[1]

ثمّ تنسّع شرّ الافتراء، و تفاقم خطب الاختلاق، و تمادّ بتمادّيات الزمان، و من راجع مقدّمة الإمام مسلم،

---

[1] روي مسلم هذه العبارة في مقدّمة صحيحه عن يحيى بن سعيد القطّان بهذا اللفظ، و بلفظ «الصالحين» بدل «أهل الخير».

علم ما لحقه من التعب و العناء في تصنيف صحيحه، و الطّلع على ما أدخله الدخلاء في الدين و ليس منه في شيء.

لم يخف على أهل النظر في التأريخ أنّ الدين الإسلاميّ غشي أبصار العالم بلامع القوّة، و علا رؤوس الامم بسلطان السطوة، و فاض في الناس فيضان السيول المنحدرة، و لاحت لهم فيه رغبات، و تمثّلت لهم منه مرهبات، و قامت لأُولي الألباب عليه آيات بيّنات، فكان الداخلون في الدين على هذه الأقسام:

قوم اعتقدوا به إذعاناً لحجّته و استضاءة بنوره و اولَئِكَ الصَّادِقُونَ.

وقوم من الملل المختلفة انتحلوا الكفر و اتّسموا بسمته، إمّا لرغبةٍ في مغانمه أو لرهبةٍ من سطوات أهله، أو التعزّز بالانتساب إليه فتدثّروا بدثاره، لكنّهم لم يستشعروا بشعاره، لبسوا الإسلام على ظواهر أحوالهم، إلّا أنّه لم يمسّ أعشار قلوبهم، فهم كانوا على أديانهم في بواطنهم، و يضارعون المسلمين في ظواهرهم.

وقد قال الله في قوم من أشباههم: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ.[1]

فمن هؤلاء مَن كان يبالغ في الرياء حتى يظنّ الناس أنّه من الأتقياء، فإذا أحسّ من قوم ثقة بقوله أخذ يروي لهم أحاديث دينه القديم مسنداً لها إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله أو بعض أصحابه.

---

[1] الحجرات: ٤٩ من السورة، الآية ١٤.

و لهذا تری جمیع الإسرائیلیّات و ما حوته شروح التوراة قد نقل إلی الکتب الإسلامیّة علی أنّه أحادیث نبویّة.[1]

و منهم مَن تعمّد وضع الأحادیث التي لو رسخت معانیها في العقول أفسدت الأخلاق و حملت علی التهاون بالأعمال الشرعیّة و فتّرت الهمم عن الانتصار للحقّ، کالأحادیث الدالّة علی انقضاء عُمر الإسلام و العیاذ باللّه، أو المُطمِعة في عفو اللّه مع الانحراف عن شرعه، أو الحاملة علی التسلیم للقَدَر بترک العقل فیما یُصلح الدین و الدنیا.

کذلک یضعه الواضعون قصداً لإفساد المسلمین و تحویلهم عن اصول دینهم. لیتخذ مظاهمهم و یضعف حولهم.

و مِن الکاذبین قوم ظنّوا أنّ التزیّد في الأخبار و الإکثار من القول،

---

[1]. راجع فصل الإسرائیلیّات من هذا الکتاب.

يرفع من شأن الدين، فهذروا بما شاءوا، يبتغون بذلك الأجر و الثواب، و لن ينالهم إلّا الوزر و العقاب، و هم الذين قال فيهم مسلم في صحيحه: **ما رَأَيْتُ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الحَدِيثِ لِلصَّالِحِينَ**[1] و يريد بـ «الصالحين» أولئك الذين يطيلون سبالهم و يسوّدون سربالهم و يطأطئون رؤوسهم و يخفتون من أصواتهم، و يغدون و يروحون إلى المساجد بأشباحهم، و هم أبعد الناس عنها بأرواحهم، يحرّكون بالذكر شفاههم و يلحقون بها في الحركة سُبُخهم.[2] و لكنّهم كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

---

[1]. ٣٨ ص «الأضواء» مكتبة من) الصالحون يلعن ما باب (مسلم صحيح راجع

[2] تسد زحمة في يكبّرون الذين عجب يثير وزارة دون الخلق إزاء تقف بلائية كوكبة هذه: مهرجان في العوراء القول أشاع ما
تدوس راخ به سوراخ گريز خلق الزي وتقف الخبث تلك أيها الزاهد إذن فتحرّك الملمسة: له فيقول أعلاه، في أنت أيّها
الزاهد! الجزّار يد من يفرّ أن غرو لا الأمانة من دينك و تخلف في تثقب و تخرج من آخر. الناس منك يفرّ أن و
هم يئنون، لكنّي لم أجد حَمَلًا

جعلوا الدّين من أفاضل البصيرة و معاليق العقل، فهم أغرار[1] محمومون، يسيئون و يحسنون ...

.

فهؤلاء قد يخيّل لهم الظّلم عدلا، و الغدر فضلا، فيزيد بعضهم أنّ نسبة ما يظنّون إلى أصحاب النّبيّ مما يزري في فضلهم، و يعلي في النّفوس متزلتهم، فيصحّ فيهم ما قيل: عدوّ عاقل خير من صديق جاهل.[2]

اختصار.

يواصل أبو ريّة كلامه في باب الرواية في الإسلام و كيفيّتها في عصر الخلفاء إلى أن يقول: و كان أكثر الصحابة رواية أبو هريرة، و قد صحب ثلاث سنين،[3] و عمّر بعده صلّى الله عليه [و آله] و سلّم نحو ًا من خمسين

---

[1] و الغِرُّ: الشابّ لا تجربة له، و الشابّة كذلك، يقال: شابّ غِرٌّ و شابّة غِرّة. و جمعه: أغْرار.

[2] «أضواء على السنّة المحمّديّة» ص ٣٨٩ إلى ٣٩١، الطبعة الثالثة. و نقل هذه المطالب عن الشيخ محمّد عبده في كتابه «تاريخ الإسناد» ج ٢، ص ٣٤٧ إلى ٣٤٩.

[3] الصحيح أنّه صحب النبيّ عاماً و تسعة أشهر كما حقّقناه في كتابنا «الشيخ المضيرة» فيُرجع إليه. (الشيخ أبو ريّة).

سنة،[1] و لهذا كان عمر و عثمان و عائشة ينكرون عليه و يتّهمونه. و هو أوّل راويةٍ اتُّهم في الإسلام. و كانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه لتطاول الأيّام بها و به، إذ توفّيت قبله بسنةٍ....

ثمّ كانت الفتنة أيّام عثمان و اضطرب من بعدها حبل الكلام في الخلافة، و خاض الناس في ضروب من الشكّ و الحيرة و القلق فكان فيهم من لا يتوقّى و لا يتثبّت، و ألف كثيرٌ من الناس أمر هؤلاء فلم يبالوا أن يتبيّنوا فيرجعوا في الرواية إلى شهادة قاطعةٍ أو دلالة قائمةٍ....

(إلى أن يقول:) غير أنّ الأعلام كانت يومئذٍ لا تزال قائمةً، و الفروع لا تزال بالسقة، فكان الخطب لم يستفحل حتى إذا خرجت الخوارج، و تحزّب الناس فرقاً، و جعلوا أهلها شيعاً.

ثلاث طوائف في الإسلام وضعت الحديث

(من هذه الطوائف التي وضعت الحديث ثلاث)

---

[1] توفّي أبو هريرة سنة ٥٩ هجريّة.

بدءوا يتّخذون من الحديث صنعة فيضعون و يصنعون و يصفون الكذب. ثمّ ظهر القصّاص و الزنادقة، و أهل الأخبار المتقادمة،[1] ممّا يشبه أحاديث خرافة. فوقع الشوب و الفساد في الحديث من كلّ هذه الوجوه في عصور مختلفة.

و أمّا القصّاص فإنّهم كانوا يُميلون وجوه القوم إليهم و يستدرّون ما عندهم بالمنكير و الغرائب و الأكاذيب من الأحاديث. و من شأن العوامّ القعود عند القاصّ ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن قطر المعقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب و يستغزر العيون. و للقوم في هذه الفنون الأكاذيب العريضة و الأخبار المستفيضة.

و أمّا الزنادقة فقد جعلوا يحتالون للإسلام و يهجنونه بدسّ الأحاديث المستشنعة و المستحيلة ممّا يشبه خرافات اليونان و الرومان و أساطير الهنود و الفرس ليشنّعوا بذلك على أهل السنّة في رواياتهم ما لا يصحّ في العقول و لا يستقيم على النظر.

---

[1] كأخبار اليهود و من إليهم.

و أمّا أهل الأخبار المتقادمة فقد قصدوا من ذلك إلى إثبات الخرافات الجاهليّة و جعلها سبيل من الصحّة للاستعانة بها على التفسير و ما إليه. و أمثلة ذلك كلّه فاشية.[1]

و يعتقد العلّامة المحلّيّ رحمه الله أنّ معاوية أسلم إسلاماً ظاهرياً قبل وفاة النبيّ صلّى الله عليه و آله بستّة أشهر. و قال رادّاً على عمل العامّة و عقودهم الموضوعة:

و سمّوها (عائشة) امّ المؤمنين، و لم يسمّوا غيرها بذلك، و لم يسمّوا أخاها محمّد بن أبي بكر -مع عظم شأنه و قرب منزلته من أبيه و اخته عائشة امّ المؤمنين- خال المؤمنين، و سمّوا معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، لأنّ اخته امّ حبيبة ابنة أبي سفيان بعض زوجات الرسول

[1] المطبعة الثالثة، ١١٤ و ١١٣ ص «... ءاوضة»

صلّى الله عليه و آله، و اخت محمّد بن أبي بكر و أبوه أعظم من اخت معاوية و من أبيها.

مع أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله لَعَنَ مُعاوِيَةَ الطَّلِيقَ ابْنَ الطَّلِيقِ اللَّعِينَ ابْنَ اللَّعِينِ. و قال: إِذَا رَأَيْتُمْ مُعاوِيَةَ عَلى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ!

و كان من المُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ. و قاتل عليّاً عليه السلام و هو عندهم رابع الخلفاء إمام حقّ. و كلّ من حارب إماماً حقّ فهو باغٍ ظالمٌ.

و سبب ذلك محبّة محمّد بن أبي بكر لعليّ عليه السلام و مفارقته لأبيه و بغض معاوية لعليّ عليه السلام و محاربته له.

لم يكن معاوية من كتّاب الوحي

و سمّوه كاتب الوحي و لم يكتب كلمةً واحدةً من الوحي، بل يكتب له صلّى الله عليه و آله رسائل، و قد كان بين يدي النبيّ صلّى الله عليه و آله أربعة عشر نفساً يكتبون الوحي، أوّلهم و أخصّهم به و أقربهم إليه صلّى الله عليه و آله علي بن أبي طالب عليهما السلام، مع أنّ

معاوية لم يزل مشركاً في مدّة كون النبيّ صلّى الله عليه و آله مبعوثاً يكذّب بالوحي و يهزأ بالشرع، و كان بالمين يوم الفتح يطعن على رسول الله صلّى الله عليه و آله، و يكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه، و يقول:

أصَبَوْتَ إلى دِينِ مُحَمَّدٍ

و كتب إليه:

و الفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبيّ صلّى الله عليه و آله المدينة و معاوية حينئذٍ مقيمٌ على شركه، هارب من النبيّ صلّى الله عليه و آله، لأنّه كان قد أهدر دمه فهرب إلى مكّة، فلمّا لم يجد له مأوى صار إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله مضطرّاً، فأظهر الإسلام، و كان إسلامه قبل موت النبيّ صلّى الله عليه و آله بخمسة أشهر، و طرح نفسه على العبّاس، فسأل فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله فعفا عنه، ثمّ شفع إليه أن يشرّفه و يُضيفه إلى جملة الكتّاب، فأجابه و جعله واحداً

من أربعة عشر، فكم كان يخصّه من الكتّاب في هذه المدّة لو سلّمنا أنّه كان كاتب الوحي حتى استحقّ أن يوصف بذلك دون غيره؟!

مع أنّ الزمخشري - من مشايخ الحنفيّة - ذكر في كتاب «ربيع الأبرار» أنّه: ادّعى بنوّته أربعة نفر.

على أنّ من جملة كتبة الوحي ابن أبي سرح و ارتدّ مشركاً، و فيه نزل: وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّٰهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ.[1]

وقد روى عبد الله بن عمر قال: أتيتُ النبيّ صلّى الله عليه و آله، فسمعته يقول: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَمُوتُ عَلى غَيْرِ سُنَّتي فَطَلَعَ مُعاوِيَةُ.[2]

---

[1] النصف الثاني من الآية ١٠٦، من السورة ١٦: النحل، و صدقها الأوّل: مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ اُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ.

[2] «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» ص ٢٧ إلى ٢٩، الطبعة الحجريّة، بخطّ عبد الرحيم.

لم يدّخر معاوية وسعاً ولم يألُ جهداً في الاستفادة من وُضّاع الحديث مثل كَعْب الأحبار، وأبي هريرة، وعبيد الله بن عمرو بن العاص،

و سمرة بن جُنْدَب. **أوّلًا:** لفتهم إلى الشام، و أبان العامّة الناس أنّها مقرّ النور و الرحمة و نزول البركات السماويّة و ذلك بواسطة هؤلاء الوضّاع. **ثانيًا:** زهّدهم عن العراق و عليّ و أصحابه بزعمه أنّ العراق مركز الغلظة و الخشونة و المحنة و البعد عن النور و الرحمة.

و ظهر أشخاص كانت لهم اليد الطولى في وضع الحديث، و حافزهم على ذلك انحراف المذهب و تحريف عقائد المسلمين الثابتة، و استعان معاوية بهم و بتلاميذهم من أجل إعلاء شأنه و الحطّ من شأن أمير المؤمنين عليه السلام. و كان كعب الأحبار، و عبد الله بن سلام، و وهب بن منبّه -كما سنرى لاحقًا- ثلاثة من أعلام اليهود و أعيانهم و أحبارهم و علمائهم لم يُسلموا قبل الهجرة و بعدها. و حين رأوا الغلبة السياسيّة للنبيّ و نفوذ كلمته، و رأوا أنفسهم متخلّفين عن الركب أسلموا إسلامًا ظاهريًّا ليُصيبوا حظًّا من المزايا الظاهريّة للإسلام، و ليحقّقوا مآربهم الخبيثة و يوجّهوا ضرباتهم

القاصمة لإلسلام أألصيل بوضع أألحاديث المحرّفة، عن التوراة، و االفتراء على رسول الله صلّى الله عليه و آله لما كانوا عليه من اطّلاعٍ كافٍ على التوراة و كتب أألنبياء السابقين.

لقد كانوا ممّن تصرّم شطر من أعمارهم، و كان لهم شأنهم و وجاهتهم في المجتمع، و كانوا ملمّين باللغة العبريّة (لغة التوراة) التي لم يعرف العرب عنها شيئاً، لذا كان الطريق مفتوحاً أمامهم لوضع أألخبار و تزويرها أيّاً كانت.

كانوا يقرأون على الناس أخباراً من التوراة في عظمة النبيّ أألكرم صلّى الله عليه و آله و منزلته إرضاءً للمسلمين السذّج البسطاء، و لفتاً ألنظار عامّة الناس إليهم بوصفهم اولي أسرارٍ إلهيّة و رموز ربّانيّة من كتب أألنبياء الماضين، كما فعلوا ذلك ليسمعهم الناس و يُنصتوا إليهم و يثمّنوا كلامهم.

و من الطبيعيّ أنّ الناس الحديثي العهد بالإسلام كانوا يلتفّون حولهم، و يقبلون كلامهم تماماً مهما كان بوصفه يحمل أخباراً غيبيّة عن الأنبياء السابقين، و ذلك لتطيب قلوبهم بنبوّة نبيّهم صلّى الله عليه و آله. فكانوا يضعون في تضاعيف تلك الأخبار أحاديث كاذبة مخالفة للعقل و الوجدان و الشرع و ينسبونها إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله ليُظهروا الأحاديث النبويّة للناس بمظهر السنن القبيحة و الممارسات الشاذّة. و برواية هذه الأحاديث لم يدخل في دين الله أحد من الناس، و ليس هذا فحسب، بل إن عقيدة المسلمين السابقين قد ضعفت شيئاً فشيئاً حتى دخلت في قلوب أبنائهم مشوّهة مقدوحاً فيها، و من ثمّ لن يكتب لها الثبات و الاستمرار.

لاحظوا أنّ هذه الحالة تُشبه حالة الشيعة اليوم تماماً إذ بمجرّد أن تطرأ واقعة جديدة، يتساءلون: هل هذه من علامات الظهور في الأخبار و الأحاديث؟! و حينئذٍ لو وُجد شخص غير صالح لا سمح الله فإنّه يبدأ بطرح موضوعات لا سنداً شرعياً لها و لا دليلاً عقلياً عليها

اجتذاباً لقلوب العامّة من الناس و إشغالًا لهم. و عند ذاك يلحظ هبوط في درجة اعتقادهم عن المعرفة الحقيقيّة للإمام في حين لا يُنتظَر من المذهب الشيعيّ المرصين المشفوع كلامه بالدليل العقليّ و البرهان أن تُحاكي حوله الحكايات و القصص الخياليّة و الأساطير الشبيهة بمنسوجات الأحلام و أن تُسْتَخْدَمَ فيه المطالب التي يأباها العقل.

الجزيرة الخضراء حكاية خياليّة

و من الموضوعات الخياليّة و الأساطير المزيّفة حول وجود قائم آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه الشريف قصّة البحر الأبيض، و الجزيرة الخضراء، و مثلّث برمودا، التي تتداولها الألسن، و تُطرح حولها مطالب على المنابر بلا سندٍ معتبر، حتى ذكر بعض الكتب مسائل كلّها خالية من الحقيقة.

إن الجزيرة الخضراء كانت في غرب الأندلس مركزاً للمهديّ خليفة الفاطميّين، و هي الآن مغمورة بالماء.

كانت هذه الجزيرة مركزاً للمهديّ الذي اضيفت إليه كلمة القائم فصارت مركزاً للمهديّ القائم، ثمّ قالوا بعد ذلك: لا بدّ للمهديّ من زوجة إذ لا يمكن أن لا يعمل إمام الزمان بسُنّة النبيّ، و له أولاد و أحفاد وَهَلُمَّ جَرّاً.

كما أنّ مثلّث برمودا خليج تحته مغناطيس متحرّك يجذب كلّ باخرة و أحياناً كلّ طائرة تمرّ من هناك. مَن الذي قال: إن تلك الجزيرة هي محلّ إقامة الإمام عليه السلام؟! و اليوم يصوّرون كلّ نقطة من الأرض بالأقمار الصناعيّة حتى قالوا: إن في إيران عدداً من البحيرات غير موجودة على الخارطة، و قال البعض: يمكن أن تكون سدوداً انشئت حديثاً ثمّ اتّخذت شكل البحيرات.

لما ذا تُسقط الجزيرة الخضراء في مثلّث برمودا الطائرات و تُغرق البواخر حتى لو كان جميع ركّابها

مشركين!؟ أليس إمام العصر و الزمان مركزاً للعدل و موئلاً للرحمة!؟ إنّه لا يقتل أحداً حتى الكفّار المحاربيّين فضلاً عن المستضعفين ما لم يُلقِ الحجّة و يُقِم البرهان!

أ لم يقرأ الإمام قوله تعالى: وَ ما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً.[1]

يخاف الكثير و هذا اليوم من ظهور الإمام. يقولون: إذا ظهر فإنّه يقتلنا. و هذه العقيدة الخرافيّة باطلة. فهو لا يقتل أحداً ما لم يلق عليه الحجّة. إنّه لا يقتل أهل الدين، بل يقتل المنكرين و المعاندين و الأعداء. فلماذا نفرّ من ظهوره؟! نحن ننتظر الفَرَج لينظر إلينا بعين الرحمة و يُحيي أرواحنا و نفوسنا و يملأها سروراً و نضارة و عشقاً إلهيّاً!

[1]. الإسراء: ١٧، من الآية ١٥.

و لم يذكر المجلسيّ في «بحار الأنوار» قصّة الجزيرة الخضراء ضمن الأصول المعتبرة و الروايات الواردة عنها، بل يصرّح أنّه لم يجد سنداً يدلّ على صحّتها، لذا أفرد لها باباً مستقلًّا تحت عنوان أشياء موجودة بلا سند. و أورد أنّه وجد هذه الرسالة المشتهرة بقصّة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض و أحبّ ذكرها. و بلغ كلام صاحب الرسالة (وهو مجهول) بقوله:

فقد وجدتُ في خزانة أمير المؤمنين عليه السلام و سيّد الوصيّين و حجّة ربّ العالمين و إمام المتّقين علي بن أبي طالب عليه السلام بخطّ الشيخ الفاضل و العالم العامل الفضل بن يحيى بن علي الطَيِّبي الكوفي قدّس الله روحه ما هذا صورته ....

و ذكر المحدّث النوري رحمه الله هذه القصّة في كتاب «النجم الثاقب» مفصّلًا، و قال في آخرها: نقل العلّامة المجلسيّ في «البحار» و الفاضل الخبير الميرزا عبد الله الأصفهانيّ في «رياض العلماء» عن رسالة الجزيرة الخضراء أنّ صاحب الرسالة قال: فقد وجدتُ

بخطّ الشيخ الفاضل -إلى آخر الموضوع، ولم يشر إلى اسم الواجد و اكتفى بهذا القدر في الاعتبار. و لكنّ الفاضل الصالح آغا خوند ملّا كاظم هزار جريبي، تلميذ الأستاذ الأكبر العلّامة البهبهاني، قال في مناقبه: إنّ هذه الحكاية منقولة عن خطّ الشيخ الأجلّ الأفضل ... محمّد بن مكّي المشهور بالشهيد كما نقل جمع من المؤمنين التقاة الثقات المعتمدين بلفظ عربيّ.[1]

إلى أن قال: و أمّا الفضل بن يحيى راوي أصل الحكاية بعده فهو من العلماء المعروفين. قال الشيخ الحرّ: هو فاضل عالم جليل، روى «كشف الغمّة» عن مؤلّفه عليّ بن عيسى الإربليّ و كتبه بخطّه، و له إجازة منه. سنة

[1]. «النجم الثاقب» ص ٦٦، الطبعة الحجرية الرحلية.

سنة مائة و إحدى و تسعين - إلى آخر الكلام.[1]

و أنا أقول: **أوّلاً:** إنّ جلالة الفضل بن يحيى و علمه و فضله كلّ ذلك لا يُضفي على الرسالة اعتباراً، لأنّ الرجل الراوي عنه مجهول لا هو نفسه مجهول. و الوضّاع يختلقون الحديث على لسان رجل مشهور و معتمد، لا على لسان كلّ أحد.

ثانياً: لا جَرَمَ أنّ نقل آغا خوند ملّا كاظم هزار جريبي عن جمع من المؤمنين الثقاة الثقات الذين رووا رسالة الشهيد غير صحيح، لأنّ الشهيد وُلد سنة ٧٣٤ و استُشهد سنة ٧٨٦، و هو في الثانية و الخمسين من عمره،[2] و ذكر منشئ الرسالة أنّه أنشأها سنة ٦٩٩. فالشهيد وُلد بعد حكاية الجزيرة الخضراء بخمس و ثلاثين سنة، فكيف يمكن أن يكون راوياً للرسالة؟!

---

[1]. «النجم الثاقب» ص ٦٧.

[2]. «هدية الأحباب» للمحدّث القمّي، ص ١٦٦ و ١٦٧.

تاعوضوم ةلاسرلا هذه نمضتت يتلا ةيبيتكلا تاقيقحتلا فلاخت ىلإ فاضيإ ذلك أنّنا نجد في نصّ الرسالة موضوعات تختلف الحقيقة.[1]

قال المرحوم المحدّث النوري رحمه الله: نقل في مستدرك الوسائل و السماء المجلّد من «كتاب الحجّة» عن «بحار الأنوار» للمجلسي الثاني قدّس سرّه: «ذكر الدجّال و الأرض التي لا يطأ عقبه منها إلّا المهديّ عليه السلام و هي أربع: مكّة و المدينة و بيت المقدس و الكوفة».

---

[1] راجع الأقوال و الحقيقة لتلك التناقضات الواردة في هذه الرسالة و لمزيد من التوضيح إليك الملاحظات التالية:

الأوّل: يسأل السائل رجلًا من داخل الجزيرة الخضراء فيقول: كيف دخل مذهب الشيعة إليكم؟! و يجيب: دخل عن طريق أبي ذرّ الغفاريّ عند ما نفاه عثمان إلى الشام و نفاه معاويةٍ إلى منطقتنا. في حين نحن نعلم أنّ معاوية نفى أبا ذرّ إلى أطراف الشام و فلسطين، أي: إلى منطقة جبل عامل، لا إلى الأندلس. و الأندلس لم تفتح في عهد معاوية بعد، و بينها و بين جبل عامل آلاف الكيلومترات («بحار الأنوار» ج ٥٢، ص ١٧٣).

الثاني: تُصرِّح الرسالة بوضوح أنّ في القرآن الكريم تحريفاً لفظيّاً، و هذا خلاف الحقيقة.(= «بحار الأنوار» ج ٥٢، ص ١٧٠).

الثالث: من مواضيع الرسالة الأولى صخشلا اذهنّأ ١٦٢ ص ةلاسرلا ىلإ رفاسملا ةريزجلا.

ص ١٧٢. في هذا من العجب كلّ العجب، بزعم و هو قشمد في سردين كاو ةديدجً ةّمأ مهنع تبغ و لايَع وذ كَّنإ :هل ةريزجلا بحاصل وقيا هيفف مهنع فُلختلا زوجي اذهنم رثكأ!

الرابع: أنَّ عدد امراء الجيش الذي كان يتحرَّك وسط الشهر في يوم الجمعة و يُثير الفوضى على ما قال صاحب الجزيرة ثلاثمائة شخص فيحتاج إلى ثلاثة عشر شخصاً حتى يظهر الإمام. (ص ١٧١). و لمّا كانت هذه القضيّة وقعت سنة ٦٩٩ (ص ١٥٩) فالآن نحن في سنة ١٤١٤، و قد مرَّ عليها ٧١٥ سنة، فكيف لم يكتمل العدد؟! إذا كان اولئك الثلاثمائة شخص كأمثلة لا كأشخاص بأعيانهم، فلما ذا ظهر ثلاثمائة فقط خلال ٤٠٠ سنة مرّت على غيبة الإمام و لم يلتحق بهم ثلاثة عشر خلال ٧١٥ سنة؟! و إذا كانوا أشخاصاً بأعيانهم، فلا بدّ أن يضاف إليهم ثلاثة عشر في تلك السنوات بسرعةٍ و يظهر الإمام!

حسنٌ ومحكم، بناه المهديّ الفاطميّ وجعل له قلعة، كما جعل له أبوابا ًمن حديد يزيد حديد كلّ باب على مائة قنطار. و لمّا بناه و أحكمه قال: الآن اطمأننتُ على الفاطميّين.[1]

قال المعلّق على هذا الجزء من كتاب «بحار الأنوار» للمجلسيّ: العالم المتضلّع الخبير الشيخ محمّد باقر البهبوديّ في تعليقه على هذا القسم من الكتاب:

هذه قصّة مصنوعة تخيليّة قد سردها كاتبها على رسم القصّاصين. و هذا الرسم معهود في هذا الزمان أيضا ًيسمّونه (رمانتيك) و له تأثير عظيم في نفوس القارئين لاذجاب النفوس إليه، فلا بأس به إذا عرف الناس أنّها قصّة تخيليّة![2]

---

[1] «بحار الأنوار» ج ١٣، ص ١٤٣ إلى ١٤٧، طبعة الكمپانيّ، و في الطبعة الحديثة: ج ٥٢، ص ١٥٩ إلى ١٧٤. و ذكر الشيخ البهبوديّ هذا الهامش في ص ١٥٩ من الطبعة الجديدة.

[2] «النجم الثاقب» ص ٦٨.

و مرّ آية الله المحقّق الخبير الميرزا أبو الحسن الشعراني على هذا الموضوع مشيراً إشارة عابرة إلى أنّه وهم، و ذكره آية الله الشيخ حسن حسن زاده الآملي.[1]

حياة الإمام المهدي و إماته أظهر من الشمس

أجل، إن وجود الإمام المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشريف مطلب برهاني بدليل العقل من الأحاديث المتواترة المستفيضة الثابتة بإجماع الأمّة. فما حاجة الشيعة إلى نقل أدلّة و موضوعات ضعيفة لا شأن لها في كتبهم؟!

و هل لهذا الضرب من الروايات، التي تدور حول الجزيرة الخضراء و هي مخالفة للواقع و الحقيقة، إلّا استهزاء المعاندين و الأعداء و سخريتهم بنا؟!

و عند ما يهتدي الأستاذ الفرنسي البروفيسور هنري كوربان المتخصّص في الشؤون الشيعيّة إلى المذهب الشيعي بسبب اعتقاده بوجود إمام العصر و

---

[1] مجلة «نور علم» (نور العلم) العددان ٥٠ و ٥١، الذكرى العشرون لوفاة العلّامة الشعراني، ص ١٨ و ١٩.

الزمان الحيّ فحسب، ويعدّ المذهب المذكور من أكثر المذاهب أصالةً في العالم، ويقيم الدليل العقليّ على ذلك الأساس، فليس لنا أن نتجاوز الاصول العقليّة الثابتة المعتبرة و النقليّة الصحيحة و نُشغل أنفسنا بكلمات مُريبة وحكايات خياليّة.

كان سماحة العلّامة استاذنا الأكرم الطباطبائيّ رضوان الله عليه يقول: كان كوربان يعتقد أنّ المذهب الوحيد الذي ظلّ حيّاً أصيلًا لميت في العالم هو المذهب الشيعيّ لقوله بوجود الإمام الحيّ، وجعله أساس

اعتقاده على هذه الدعامة. فهو حيّ دائماً و أبداً

الاتّكائه على المهديّ قائم آل محمّد: محمّد بن الحسن

العسكريّ.

ذلك أنّ دين اليهود قد مات بموت موسى و دين

النصارى قد مات بعروج عيسى. و سائر مذاهب

المسلمين بوفاة النبيّ. بَيدَ أنّ الشيعة تذهب إلى أنّ إمامها

و صاحب ولايتها المتّصل بعالم المعنى و الإلهامات

و السماويّة حيّ يُرزق. فما هو إلّا مذهب الشيعة فقط حيّ

خالد.

كان كوربان قريباً جدّاً إلى التشيّع. و غالباً ما كان

يقرأ دعية «الصحيفة المهدويّة» و يبكي.[1]

أجل، ذكرنا هذا الموضوع كدليل على ما نقول حتى

تتبيّن مسؤوليّة الأمّة عامّة حيال وُضّاع الحديث.

رواج سوق الوضّاعين في عصر معاوية

استفاد معاوية كثيراً من كعب الأحبار اليهوديّ

المنافق المكّار المحتال، و من تلميذه أبي هريرة - و قد

---

[1] «مهر تابان» (= الشمس الساطعة). في ذكرى العلّامة الربّانيّ السيّد العالم محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ و حوار التلميذ معه، ص ٤٦ و ٤٧.

اختلق هذان و أمثالهم مئات الأحاديث في إعلاء شأن معاوية، و الحطّ من منزلة أمير المؤمنين عليه السلام.

يقول أبو ريّة: لم يكن ما قدّم أبو هريرة إلى آل أبي العاص عامّة، و سائر بني اميّة و معاوية خاصّة، جهاداً بسيفه أو بماله، و إنّما كان كما قلنا أحاديث ينشرها بين الناس، يطعن فيها على عليّ رضي الله عنه و يخذّل بها أنصاره، و يجعل الناس يتبرّؤون منه، أو يُشيد بفضل عثمان و معاوية![1]

و قد بلغ من شدّة إخلاص أبي هريرة لمعاوية أنّه كان يتمنّى لو يكون من أبطال الحرب في مواقع صفّين ضدّ عليّ رضي الله عنه.

فقد روى العتكيّ قال: كان أبو هريرة مع معاوية في صفّين، و كان يقول: لأن أرمي فيهم بسهم (يعني أهل العراق) أحبّ إلى من حُمْرِ النَّعَم.[2]

---

[1] «شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسيّ» ص ٢٠٦، الطبعة الثانية، عن كتاب «عبول الأخبار و معرفة الرجال» لأبي القاسم البلخيّ، ص ٥٩.

[2] «شيخ المضيرة» ص ٢١٠.

و في كلام ابن الصلاح و غيره في باب «رواية الأكابر عن الأصاغر» أنّ ابن عبّاس و العبادلة الثلاثة و أبا هريرة و غيرهم قد رووا عن كعب الأحبار اليهوديّ الذي أسلم خداعاً في عهد عمر و عدّوه من كبار التابعين، ثمّ سوّدوه بعد ذلك على المسلمين.[1]

راجت سوق الوضّاعين في عهد معاوية كثيراً، إذ كان فيها رضاه وَ عَدَتُهُ، و من الطبيعيّ أنّ في مثل هذه الامور يشتدّ كلّ أمر و تترسّخ التهم و الافتراءات.

ذكر آية الله الشيخ حسين على المنتظريّ أنّ المرحوم الميرزا على آغائي الشيرازيّ رحمه الله أحد علماء أصفهان كان يقول: كان أحد العلماء جالساً في مجلس عزاء. و كان الخطيب يُطريه على المنبر! فقال له: يا ولدي! أنا أعلم أنّك تكذب و تتملّق، لكن قل ما تشاء فإنّه يروقني![2]

---

[1]. «فيض الله في ترجمة الشيخ المحدّث القمّي» ص ٧٢، الطبعة الثالثة.

[2]. «شرح عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر» ص ٣٠٢.

تدلّ هذه الحكاية على أنّ للإطراء تأثيراً في النفوس حتى لو كان العلماء الذين وكان كذباً، لذا لا بدّ من الحذر دونه وقطعه من دابره.

يذكر أبو ريّة قصّةً عجيبةً ذات سماعٍ في هذا الموضوع، فيقول: وإليك مثالًا واحداً من أمثلة الوضع للتقرّب من الملوك والأمراء:

كان الرشيد يُعجبه الحَمامُ و اللهو به، فاهدي إليه حمام و عنده أبو البختريّ القاضي،[1] فقال: روى أبو هُريرة عن النبيّ أنّه قال: لَا سَبَقَ[2] إلّا في خُفٍّ أوْ حافِرٍ أوْ جَناحٍ. فزاد جناح، و هي لفظة وضعها للرشيد، فأعطاه جائزة سنيّة. و لمّا خرج قال الرشيد: و الله لقد علمتُ أنّه كذّاب. و أمر بالحمام أن يُذبح، فقيل: و ما ذنب الحمام؟! قال: من أجله كُذب على رسول الله![3]

نلحظ هنا أنّ هارون أهدى أبا البختريّ جائزة سنيّة لوضعه هذا الحديث الذي يدعم لهوه بالحمام مع علمه بأنّه كذب بإضافة كلمة جناح.

كان معاوية هو الذي هدم مبدأ الخلافة في الإسلام فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة، و قد اتّخذ دمشق

---

[1] كان أبو البختريّ قاضي مدينة النبيّ بعد بكّار بن عبد الله، ثمّ ولّي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، توفّي سنة ٢٠٠ هـ في خلافة المأمون. («تفسير القرطبيّ» ج ١، ص ٦٩).

[2] سَبَقَ يمكن أن تكون بسكون الباء بمعنى المسابقة، و يمكن أن تكون سَبْقَ بفتحها بمعنى ما يتراهن عليه المتسابقون.

[3] «فضاء على السنّة المحمّديّة» ص ١٢٦.

حاضرة ًلملكه. و إليك بعض ما وضعوه من الأحاديث في فضله:

أخرج الترمذيّ أنّ النبيّ قال لمعاوية: اللهُمَّ اجْعَلْهُ هادِيًا مَهْدِيًّا.[1]

و في حديث آخر أنّ النبيّ قال: اللهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتابَ وَ الحِسابَ، وَ قِهِ العَذابَ! و هناك زيادة في هذا الحديث تقول: وَ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ.[2]

و روى البيهقيّ في «الدلائل» عن أبي هريرة مرفوعا ً: الخِلافَةُ

[1] «فيض القدير» ص ١٢٨.

[2] «فيض القدير» ص ١٢٩.

بِالمَدِينَةِ وَ المُلْكُ بِالشَّامِ. و عن كعب الأحبار: أَهْلُ الشَّامِ سَيْفُ مَنْ سُيُوفِ اللهِ يَنْتَقِمُ اللهُ بِهِمْ مِمَّنْ عَصَاهُ.

و من حديث: سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمُ الشَّامُ. فَإِذَا خَيَّرْتُمُ المَنَازِلَ وَ هِيَ حَاضِرَةُ فِيهَا فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: «دِمَشْقُ» - فَإِنَّهَا مَعْقِلُ المُسْلِمِينَ فِي المَلَاحِمِ، وَفُسْطَاطُهَا مِنْهَا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الغُوطَةُ.[1]

و قد صنّف طائفة من الناس مصنّفات في فضائل بيت المقدس و غيره من البقاع التي بالشام، و ذكروا فيها من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب و عمّن أخذ عنهم ما لا يحلّ للمسلمين أن ينبنوا عليه ديانتهم، و أمثل من نقل عنه تلك الإسرائيليّات كعب الأحبار، و كان الشاميّون قد أخذوا عنه كثيراً من الإسرائيليّات.

معاوية يرى نفسه أمين وحي الله

أصل قرية الأبدال

كان ممّا خصّ به الشام دون سائر البلاد من الفضل - و أن جعلها منه أو وصفها بما وصفوا - أن

---

[1] «فضائل القدس» ص ١٢٩.

«الأبدال». و قد كانت هذه العقيدة من عوامل هدم الإسلام إذ اتّخذها الصوفيّة أصلًا لطريقتهم، و بنوا عليها ما بنوا من أوهامهم و خرافاتهم.

روى الدقاقي[1] أنّ معاوية لما عاد من العراق إلى الشام بعد تعيين الحسن (سنة ٤١ هـ) خطب فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُنْتُ أَتَمَنَّى عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ عَلَيَّ ضَالَّتَهُمْ فَأَهْدِيَهَا إِلَيْهِمْ، وَ أَنْ يَكْفِيَهُمْ عَدُوَّهُمْ فَلَا يَقْتُلَ مِنْهُمْ قَتِيلًا، وَ أَنْ يُصْلِحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ فَلَا يَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

---

[1] تحفة الطالبين، ص ٣٦١، ج ١، «شرح نهج البلاغة».

-أي عليّ بن أبي طالب-:

فلما كان من الغد كتب كتابا ثم جمعهم فقرأه عليهم و

فيه:

هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحي

الله الذي بعث محمدا نبيا و كان أميا لا يقرأ و لا يكتب،

فصار الوحي منه أمينا كاتبا وزيرا من أهله.

نيْزِلُ على محمَّدٍ وَ أنا أكْتُبُهُ وَهُوَ لا يَعْلَمُ ما أكْتُبُ! فَلَمْ يَكُنْ

بَيْني وَبَيْنَ اللهِ أحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ،[1] فَقالَ الحاضِرُونَ: صَدَقْتَ![2]

كلام ابن خلدون في طريقة دسّ الإسرائيليّات في التفاسير

قال ابن خلدون في وضع الإسرائيليّات المدسوسة في تفسير القرآن

---

[1] هذه المصائب التي حلّت كلّها بالإسلام تقوم على أساس عداوة جميع الصحابة. وهي النظريّة التي تجعل معاوية و أضرابه عدوًّا غير مذنبين و إن بلغ بغيهم ما بلغ. «وَ مِنْ أهْلِ الْمَدينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» (التوبة: ٩ السورة من ١٠١، الآية).
فكيف يكون جميع الصحابة الذين كانوا بالمدينة عدوًّا معصومين مع صراحة هذه الآية الكريمة؟! قال المرحوم السيّد شرف الدين العاملي في رسالته «إلى المجمع العلمي العربي بدمشق» ص ٨٨: و القرآن الكريم يثبت كثرة المنافقين على عهد النبيّ، و إخواننا يوافقوننا على ذلك، لكنّهم يقولون: إن الصحابة بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله بأجمعهم عدول، حتى كأنّ وجود النبيّ صلّى الله عليه و آله بين ظهرانيهم كان موجبا لنفاق المنافقين منهم. فلمّا لحق بالرفيق الأعلى، و انقطع الوحي، سَنُحَ إسلام المنافقين، و تمّ إيمانهم، فإذا هم أجمعون أكتعون أبصعون أبتعات عدول مجتهدون لا يُسأل عمّا يفعلون، و إن خالفوا النصوص، و نقضوا محكماتها - انتهى.

و أنا أقول: في ضوء هذا المنطق يكون النبيّ عذابا لله على العالمين، و لا رحمة للعالمين، لأنّ وجوده كان سببا للنفاق، و بموته زالت الرحمة و أصبح المنافقون بزمّتهم مسلمين معصومين عدولا موثّقين مجتهدين في أمور الدين تلقائيّا بلا توبة منهم و لا تغيير في أنفسهم.

[2] «وضوء على السنّة المحمّدية» ص ١٣٠، و قال أبو ريّة في الهامش: لم يكن معاوية من كتّاب الوحي و لا خطّ بقلمه لفظة واحدة من القرآن.

الكريم: ثمّ صارت علوم اللسان صنعيّة من الكلام في موضوعات اللغة و أحكام الإعراب و البلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل و لا كتاب فتنوسي ذلك و صارت تتُلَقّى من كتب أهل اللسان فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن لأنّه بلسان العرب و على منهاج بلاغتهم و صار التفسير على صنفين: تفسير نقليٍ مسندٍ إلى الآثار المنقولة عن السلف و هي معرفة الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول و مقاصد الآي و كلّ ذلك لا يُعرَف إلّا بالنقل عن الصحابة و التابعين، و قد جمع المتقدّمون في ذلك و أوعوا إلّا أنّ كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغثّ و السمين و المقبول و المردود، و السبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب و لا علم و إنّما غلبت عليهم البداوة و الأمّيّة و إذا تشوّقوا إلى معرفة شيءٍ ممّا تتشوّق إليه النفوس البشريّة في أسباب الكوّنات و بدء الخليقة و أسرار الوجود فإنّما يسألون

عند أهل الكتاب قبلهم و يستفيدونه منهم[1] و هم أهل

التوراة من اليهود و من تبعيدهم من النصارى و أهل

التوراة الذين بين العرب يومئذٍ بادية ثمّ لا يعرفون

من ذلك إلّا ما تعرفه العامّة من أهل الكتاب و معظمهم

من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية فلمّا أسلموا بقوا

على ما كان عندهم ممّا لا تعلّق له بالأحكام الشرعيّة

التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة و ما يرجع إلى

الحدثان و الملاحم و أمثال ذلك و هؤلاء مثل كعب

الأحبار و وهب بن منبّه و عبد الله بن سلام و أمثالهم

فأمثال هذه التأفيسر من المنقولات عندهم في

الأغراض رُموقوفة عليهم و ليست ممّا يرجع إلى

الأحكام الشرعيّة

مثل التي يجب بها العمل و تستهل المفسّرون في

ذلك و ملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات.[2]

---

[1] و كان (ابن إسحاق) يحمل عن اليهود و النصاري، و يسمّيهم في كتبه: أهل العلم الأوّل. («معجم الادباء» ج ١٨، ص ٨).

[2] ٤٣٩ ص«نودلخن با تمّدقم»

و قال ابن خلدون أيضاً في بداية مقدّمته حول فضل علم التأريخ و تحقيق مذاهبه: ... و كثيراً ما وقع للمؤرّخين و المفسّرين و أئمّة النقل من المغالط في الحكايات و الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثّاً و سميناً و لم يعرضوها على اصولها و لا قاسوها و أشبهاها و لا سبروها بمعيار الحكمة و الوقوف على طبائع الكائنات و تحكيم النظر و البصيرة في الأخبار فضلّوا عن الحقّ و تاهوا في بيداء الوهم و الغلط.[1]

إن ابن خلدون مع غزارة معلوماته و سعة دراساته و تدقيقاته، رجل متردّد لا يروقه اسلوب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و ينحاز إلى معاوية عليه اللعن و الهاوية و يُخفي جرائمه و يؤوّلها و يُوجّهها، و يراه مجتهداً يخطئ في اجتهاده أحياناً.

انحياز ابن خلدون إلى سلطة معاوية

يواصل المؤرّخ المذكور كلامه فيتحدّث بدهاء و براعة عن تبدّل الخلافة إلى ملك و سلطنة على يد

---

[1]. مقدّمة ابن خلدون، ص ٩ و ١٠.

معاوية و ذلك في مقدّمات مفصّلة حتى يظنّ الإنسان غير المطّلع على حقائق التأريخ أنّ هذا التبدّل كان أمراً بسيطاً ضرورياً حتمياً قد حدث. فهو يقول بعد مقدّمة و تفصيل في هذا المجال:

و لمّا لقي معاوية عُمر بن الخطّاب عند قدومه إلى الشام في ابَّهة الملك و زِيِّه من العديد و العدّة استنكر ذلك و قال: أكِسرَويَّةٌ يا معاوية؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنا في ثَغْرٍ تجاه العدوّ و بنا إلى مُباهاتهم بزينة الحرب و الجهاد حاجة فسكت و لم يُخطِّئه لِمَا احتجّ عليه بمقصد من مقاصد

الحقّ و الدين. فلو كان القصد رفض الملك من أصله، لم يقنعه الجواب في تلك الكسرويّة و انتحالها بل كان يحرّض على خروجه عنها بالجملة. و إنّما أراد عمر بالكسرويّة ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من اكتساب الباطل و الظلم و البغي و سلوك سبله و الغفلة عن الله و أجابه معاوية بأنّ القصد بذلك ليس كسرويّة فارس و باطلهم و إنّما قصده بها وجه الله، فسكت.

و يواصل ابن خلدون كلامه إلى أن يقول: فلمّا تدرّجت البداوة و الغضاضة إلى نهايتها و جاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبيّة كما قلناه و حصل الملك التغلّب و القهر كان حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الزَّفَر و الاستكثار من الأموال فلم يصرفوا ذلك التغلّب في باطل و لا خرجوا به عن مقاصد الديانة و مذاهب الحقّ.

و لمّا وقعت الفتنة بين عليّ و معاوية و هي مقتضى العصبيّة كان طريقهم فيها الحقّ و الاجتهاد. و لم يكونوا

وأ لإثارة باطل أو في محاربتهم لغرض ديني أو لاستشعار عقدة كما قد يتوهّمه متوهّم ويزعم إليه ملحد.[1]

و إنّما اختلف اجتهادهم (عليّ و معاوية) في الحقّ و اتّفقتا على كلّ واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحقّ فاقتتلوا

---

[1] نقل الشيخ محمّد جواد مغنية في كتاب «الشيعة في الميزان» ص ٢٨٥ و ٢٨٦، موضوعاً عن الدكتور طه حسين يدلّ على إنصاف الدكتور و استقصائه في البحث حقّاً. و لمّا كان يقف من حيث الفكر و الرأي في النقطة المقابلة لفكر ابن خلدون و رأيه، لذا من المناسب أن ننقله هذا أيضاً. يقول الشيخ مغنية: أخرج الدكتور المجلّد الثاني من كتابه الكبير «الفتنة الكبرى» و موضوع هذا المجلّد «عليّ و بنوه» ابتدأه بخلافة الإمام عليّ، و ختمه بمقتل ولده الحسين، ذكر ما قاله الرسول و أصحاب الرسول في مدح عليّ، و أنّه كان أهلاً لتلك الفضائل، و لأكثر منها، و أنّه على الرغم من الخطوب و المحن التي توالت عليه من كلّ جانب كان يمضي على الحقّ لا يلوي على شيء مهما تكن العاقبة. أمّا أخصام الإمام كعائشة، و معاوية، و ابن العاص، و طلحة، و الزبير، و غيرهم فقد عارضوه و خاصموه ليصرفوا الأمر عنه إلى أهوائهم و أغراضهم. - و هذه الحقيقة أثبتها الدكتور بالوقائع و الأرقام - و إليك هذا المثال على أسلوبه في إثبات الحقائق، قال: «من الممكن أن يقال: إن معاوية اجتهد للناس فأخطأ أو أصاب، لكنّه قاتل علياً على دم عثمان من نحية، و على أن يرد الخلافة شورى بين المسلمين من نحية أخرى. فلمّا استقام له السلطان نسي ما قاتل عليه، أو أعرض عمّا قاتل عليه» أي: بعد أن أصبح معاوية ملكاً متغلّباً قتل عثمان، و جعل الخلافة كسروية و قيصرية، فنقلها إلى ولده الطاغية يزيد بالقهر عن المسلمين. بهذا المنطق السليم حاكم الدكتور جميع القضايا التي تعرّض لها في كتابه. أمّا النتيجة التي انتهى إليها فهي أنّ الذين حاربوا علياً، و كادوا له، و عارضوه فيما كانوا يرونه من حقّ، هم وحدهم السبب في محنة الإسلام من ذلك العهد حتى آخر يوم، و هم وحدهم الذين أورثوا المسلمين عناءً و خلافاً لم ينقضيا إلى أن يشاء الله.

عليه، و إن كان المُصيب عليًا فلم يكن معاوية قائمًا فيها بقصد الباطل،[1] إنّما قصد الحقّ و أخطأ، و الكلّ كانوا في مقاصدهم على حقٍّ. ثمّ اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد و استئثار الواحد به. و لم يكن لمعاوية أن يدفع عن نفسه و قومه، فهو أمر طبيعيّ ساقته العصبيّة بطبيعتها، و استشعرته بنو اميّة و من لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحقّ من أتباعهم فاعدصوصبوا عليه و استماتوا دونه و لو حملهم معاوية على غير ذلك و خالفهم في الانفراد بالأمر لوقعوا في افتراق الطريقة و خلافهم في الانفراد بالأمر

---

[1] تُرجمت «مقدّمة ابن خلدون» إلى الفارسيّة، و قال مترجمها السيّد محمّد بروين الگنابادي في الجزء الأوّل، ص ٤٠٥ معترضًا على ابن خلدون و رادًّا عليه في هامشٍ له بما نصّه: إنّ الشعوب الكثيرة التي آمنت بالإسلام إيمانًا تامًّا، و لا يمكن اعتبار عقيدتها توهّمًا أو الذهاب إلى أنّها تنزع إلى الإلحاد، أدركت هذه الحقيقة، و هي أنّ عداء معاوية لآل عليّ عليه السلام ينطلق من حبّ الرئاسة و الجاه و العلوّ في الأرض حسب. و هذه حقيقة استوعبها حتى الملحدون و الاوروبيّون. و هو ما نلحظه عند مترجم «المقدّمة» إلى الفرنسيّة، فإنّه لم يسكت عنها، فنسب في هامش ص ٤١٨، من الجزء الأوّل رأي ابن خلدون هذا إلى عقائد السنّة و قال: ألا نجد في كلام ابن خلدون اعترافًا مضمرًا بأنّ معاوية كان في عدائه لعليّ رجلًا محبًّا للشهرة و الجاه، و أنّه كان يسوق الإسلام نحو حكومة استقراطيّة [حكومة إثرافيّة]؟! لكن لمّا كانت عصبيّة ابن خلدون متوكّئة على حكومة الاستقراطيّين و النبلاء فإنّه استساغ منهج معاوية، و آثر رأيه على حساب الحقّ محضيًا بالحقّ دعاة رأيه المتعصّب.

الكلمة التي كان جمعها، و تأليفها أهمّ عليه من أمرٍ ليس وراءه كبير مخالفة.

إلى أن يقول: و هذا كلّه إنّما حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبيّة. فالملك إذا حصل، و فرضنا أنّ الواحد انفرد به و صرفه في مذاهب الحقّ و وجوهه لم يكن في ذلك كبير عليه ... [1].

---

[1] يرفض الدكتور أحمد أمين المصري في كتاب «يوم الإسلام» ص ٦٥ إلى ٦٧ بشدّة الاستبداد بالخلافة و جعلها ملكاً و تبديلها إلى إمارة وراثيّة مستبدّة على هوى معاوية. و له حديث طويل حول كيفيّة افتراق الحكومة الإسلاميّة بلغ به إلى قوله: ... لا سيّما بعد أن قالوا بحرمة الاجتهاد و وقفوا عند حدٍّ محدود من الفروع. و هذا ما جعل ذلك الضعف الكامن فيها يتمكّن و يجسم الأمّة منذ وقت مبكّر، و تأنس بحياة السكون و الاستسلام، و تعطي أزمّتها إلى الأمراء و الحكّام حتّى في عصر زال فيه الاعتقاد بوجوب الطاعة العمياء للأمراء وجوباً دينيّاً. و مع هذا الخلاف الشديد بين المسلمين فقد استطاع معاوية و أهل بيته من الأمويّين أن يقضوا على هذه الخلافات بتشتّى الوسائل و يؤسّسوا إمبراطوريّة من أوسع الإمبراطوريّات تعلو فيها مآذن المساجد في الهواء، و يؤذّن المؤذّنون فيها لأوّل الفجر بأذانهم و بذلك اتّسعت رقعة العالم الإسلامي فاستولوا على أكثر الأندلس و فتحوا عدداً من المدن في جنوبي فرنسا. و في تمام المائة سنة بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه و آله كان العرب يحكمون مملكةً واسعة أكبر من المملكة الرومانيّة تمتدّ من حدود الصين إلى شلّالات النيل السفلي، و من الجنوب الغربي في أوروبا حتّى غربي آسيا و أواسطها. و عاصمة هذه المملكة دمشق كما استطاعوا أن يغيّروا أكبر مظهرين من مظاهر المملكة و هما: تحويل الدواوين إلى عربيّة و تخلّصهم من الدخلاء الذين كانوا يضطرّون إليهم في تدوين الدواوين. و الثاني: صكّ النقود. و قد ظلّوا طوال هذه العهود يتعاملون بالنقود الرومانيّة و الفارسيّة. فلمّا اطمأنّوا و اتّسع ملكهم بدءوا يصكّون نقودهم بأنفسهم. و بذلك أصبحت هذه المملكة

و كذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت تبنو اميّة لم يرضوا تسليم الأمر إلى ما سواهم. فلو كان قد عهد إلى غيره لاختلفوا عليه، مع أنّ ظنّهم كان به صالحاً و لا يرتاب أحدٌ في ذلك و لا يُظَنّ بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد إليه و هو يعتقد ما كان عليه من الفسق. حاشا الله لمعاوية من ذلك![1]

لقد دار ابن خلدون هنا مائة و ثمانين درجة تماماً، و قلب الحقائق و جعل مدار الحقيقة و الحقّ العصبيّة التي تقتضيها طبيعة البشر. و مفاد استدلاله البقاء على

اذا سعته مملكة بمعنى الكلمة. و قد بلغت هذه المملكة أقصى سعتها في هذا العصر الأموي ثمّ أخذت تنشقّ قليلاً قليلاً في العصر العبّاسي و فيما بعد ذلك من عصور. و بمعاوية انتقل الأمر من خلافة إلى ملك عضوض. و الفرق بينهما أنّ الخلافة أساسها اقتفاء أثر الرسول صلّى الله عليه و آله و الاعتماد في حلّ المشاكل على شورى أهل الحلّ و العقد و اختيار الخليفة منهم بحسب ما يرون أنّه الأصلح. أمّا الملك فيشبه الملوك الأقدمين من فرس و روم، و اوتوا بالرأي و قصر الخلافة على الأبناء أو الأقرباء و لو لم يكونوا صالحين لذلك. و هذا كلّه ما فعله معاوية. و نموذج الخلافة ما قاله الأعرابي لعمر: **لَوْ رَأَيْنَاكَ فِيكُمْ اعْوِجَاجاً قَوَّمْنَاهُ بِسُيُوفِنَا.** و نموذج الملك ما قاله عبد الملك بن مروان: **مَنْ قَالَ لِي اتَّقِ اللهَ أَضْرَبْتُ عُنُقَهُ!** و الحقّ أنّ معاوية ساد الناس بالغلبة لا بالاختيار، ثمّ استبدّ بتسيير الأمور.

[1]. ٢٠٦ إلى ٢٠٢، ص ٢٨، الفصل «مقدّمة ابن خلدون».

الهمجيّة و البربريّة و الحيوانيّة لأنّها من لوازم الغرائز البشريّة. وكأنّه لا يدري أنّ الدين و النبيّ و القرآن جاءوا ليديروا الحكومة من مدار العصبيّة و يجعلوها على محور الحقّ و الواقعيّة و يستبدلوا المدينة الإنسانيّة بالمدينة الحيوانيّة.

إنّ كلمات ابن خلدون و أضرابه في هذا المقام تتعارض مع موضوعات الأجزاء الثمانية عشر من كتاب هذا معرفة الإمام» كما يتسنّى لنا أن نعدّ الأجزاء المذكورة ردّاً على كلامه بإيجاز.

لقد جاء الإسلام و جميع الأديان و الأنبياء من أجل تربية الناس، و جعل المحور الأصلي عليّ على مركز الحقّ و الصدق، و البعد عن العصبيّة و حميّة الجاهليّة. و قالت كلماتها و بلّغت و حاربت لإعلاء الحقّ. و نلحظ أنّ ابن خلدون باستدلاله الماكر قد غيّر مسار دعوة الأنبياء. و غطّى على أعمال الجبابرة الطواغيت من أمثال فرعون، و النمرود، و أبي سفيان، و معاوية، و يزيد، و أوّلها تأويلًا متعسّفًا أنزل الله به من سلطان.

هذا الكلام كثير هنا، و لنا أن نُدرك عن طريق الاستدلال للبّ الأدلّة التي يعرضها السنّة و السلوب في التغطية على حكوماتهم الجائرة. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.[1] و هذا ينبغي الخضوع و التسليم أمام عظمة الله و التجلّيات الجلاليّة و القهريّة و الغضبيّة التي صاغت أمثال هؤلاء الأشخاص، و النظر إلى هذه الحجب العميقة -مع سعة العلم و الفهم عند ابن خلدون و

---

[1] النور: ٢٤، من السورة ٤٠ الآية.

أضرابه -على أنّها ناتجة من عظمة جلاله، في مقابل عظمة الجمال المتجلّي عند المؤمنين و الصادقين.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ ، أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها

وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.[1]

تسرّب الإسرائيليّات بواسطة أحبار اليهود الحديثي العهد بالإسلام

قال أبو ريّة: و قال الدكتور أحمد أمين:

«اتّصل بعض الصحابة بوهب بن منبّه، و كعب الأحبار، و عبد الله بن سلام، و اتّصل التابعون بابن جريج، و هؤلاء كانت لهم معلومات يروونها عن التوراة و الإنجيل و شروحهما و حواشيهما، فلم ير المسلمون بأساً من أن يقصّوها بجانب آيات القرآن. فكانت منبعاً من منابع التضخّم» انتهى.[2]

من أجل ذلك كلّه أخذ أولئك الأحبار يبثّون في الدين الإسلامي أكاذيب و ترّهات. يزعمون مرّةً أنّها في كتابهم أو من مكنون علمهم، و يدّعون اخرى أنّها ممّا سمعوه من النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، و هي في الحقيقة من مفترياتهم.

---

[1] النور: ٢٤ من الآية ٣٩ و ٤٠.

[2] «ضحى الإسلام» ج ٢، ص ١٣٩. و كنّا قد ذكرنا هذا الكلام في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا «معرفة الإمام» الدرس ٢٠١ إلى ٢١٠.

بالكذب و أنّي للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب و من أقوالهم و هم من ذاك لا يعرفون العبرانيّة[1] التي هي لغة كتبهم، و من ذاك أخرى كانوا أقلّ منهم دهاءً و أضعف مكراً، و بذلك جازت تدليساتهم و سوق هذه الأكاذيب على الصحابة و من بعدهم كلّ من يلقيه هؤلاء الدهاة و تلقّي الصحابة و من بعدهم كلّ ما يلقيه هؤلاء الدهاة بغير تدقيق و تمحيص، معتبرين أنّه صحيح لا ريب فيه.

و قبل أن نعرض لبيان بعض الإسرائيليّات التي تسرّبت إلى كتب التفسير و الحديث و التأريخ، نذكر هنا أسماء هؤلاء الأحبار: كعب، و وهب، و عبد الله بن سلام.

[1] روي البخاريّ عن أبي هريرة: أنّ أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة بالعبرانيّة، و يفسّرونها بالعربيّة لأهل الإسلام (ج ٢، ص ٢٨٥).

كعب الأحبار[1]

هو كعب بن ماتع الحِمْيَريّ من آل ذي رعين، و قيل من ذي الكلاع، و يكنّى أبا إسحاق من كبار أحبار اليهود، و عُرف بكعب الأحبار و أسلم في عهد عمر على التحقيق و سكن المدينة في خلافته، و كان معه في فتح القدس، ثمّ تحوّل إلى الشام في زمن عثمان فاستصفاه معاوية و جعله من مستشاريه لكثرة علمه.[2]

و هو الذي أمره أن يقصّ في بلاد الشام[3] و بذلك أصبح أقدم الأخباريّين في موضوع الأحاديث اليهوديّة و الإسلاميّة» و بواسطة كعب و ابن منبّه و سواهما من

---

[1] كان الاستاذ سعيد الأفغانيّ قد نشر بمجلّة «الرسالة» مقالة ذكر فيها أنّ الصهيونيّ الأوّل هو عبد الله بن سبأ، فرددنا عليه بمقالٍ مفصّل أثبتنا فيه أنّ الصهيونيّ الأوّل هو كعب الأحبار، و نشر هذا الردّ بالعدد ٦٥٦ من «الرسالة».

[2] «الإسلام و الحضارة العربيّة» ص ١٦٤. و كيف لا يوصف كعب بكثرة العلم و قد قال لقيس بن خرشة القيسيّ: ما من شبر في الأرض إلّا و هو مكتوب فيه التوراة التي أنزل على نبيّه موسى عليه السلام -ما يكون عليه و ما يخرج منه إلى يوم القيامة؟ رواه الطبريّ، و البيهقيّ في «دلائل النبوّة» و «الاستيعاب» لابن عبد البرّ، ج ٢، ص ٥٣٣.

[3] «الإصابة» ج ٥، ص ٣٢٣.

اليهود الذين أسلموا تسرّبت إلى الحديث طائفةٌ من الإسرائيليّات - و هي ما ثبت هذه أقاصيص التلمود - و ما ثبت هذه الروايات أن أصبحت جزءاً من الأخبار الدينيّة و التأريخيّة. و قال عنه الذهبي في «تذكرة الحفّاظ»: «إنّه قدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة و غيرهم، و روى عنه جماعة من التابعين مراسيل. مات بحِمْص[1] في سنة ٣٢ أو ٣٣ أو ٣٨ بعد ما أسلم الشام و غيرها من البلاد

الإسلاميّة بروايته اليهوديّة و قصصه المستمدّة من الأخبار، كما فعل تميم الداري في الأخبار النصرانيّة.[2]

---

[1] على أنّ كعباً قد مات بحمص و دُفن بها فأنّهم في مصر قد جعلوا له قبراً أقاموا عليه قبّة عالية يزورها الناس و يتبرّكون بها، و هذه القبّة قائمة بمسجدٍ كبير في شارع الناصريّة في القاهرة تتفوّق عليه وزارة الأوقاف من أموالها. و حمص التي دفن فيها كعب ليست كغيرها من بلدان المسلمين فقد روى فيها حديثاً رفعوه إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله هذا لفظه: «يبعث الله تعالى من مدينة بالشام يقال لها «حِمْص» سبعين ألفاً يوم القيامة، لا حساب عليهم و لا عذاب» و لا ريب أنّ هذا كلّه من بركات تجشّمان سيّدنا كعب ... و من حقّه على الله! و من العجيب أنّهم أسندوا هذا الحديث إلى عمر!! (راجع الجزء الثاني من «الجامع الصغير» للسيوطي) و ذكر ابن حبير في رحلته أنّ بالجزيرة قبراً يقال أنّه لكعب الأحبار، ص ٢٥.

[2] «ضحى الإسلام» ج ٢، ص ٩٧.

سبب إسلامه

ذكر هذا الكاهن لإسلامه سبباً عجيباً ليتسلّل به إلى عقول المسلمين و قلوبهم. فقد أخرج ابن سعد بسندٍ صحيح عن سعيد بن المسيّب قال: قال العبّاس لكعب: ما منعك أن تسلم في عهد النبيّ و أبي بكر؟! فقال: إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة، فقال أعجل به! و ختم على سائر كتبه، و أخذ عَلَيّ بحقّ الوالد على الولد - ألّا أفضّ الختم عنها. فلمّا رأيت ظهور الإسلام، قلت لعلّ أبي غيّب عنّي علماً! ففتحتها فإذا صفة محمّد و امّته! فجئت الآن مسلماً!

وهب بن منبّه

ذكر المؤرّخون أنّه فارسيّ الأصل جاء جدّه إلى اليمن في جملة مَن بعثهم كسرى لنجدة اليمن على الحبشة، فأقاموا هناك و تناسلوا و صاروا يعرفون بين العرب بالأبناء أي أبناء الفرس، و منهم **طاووس بن كيسان**

التابعيّ المشهور.

وكان آباء هب على دين الفرس - المجوسيّة أو الزردشتيّة - فلمّا أقاموا بين اليهود باليمن، أخذوا عنهم آداب اليهود وتقاليدهم فتعلّموا شيئاً من النصرانيّة.

وكان يعرف اليونانيّة وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، ولكن ضعّفه الفلّاس.[1]

أدرك عدّة من الصحابة وروى عنهم، وكذلك روى عنه كثير من الصحابة منهم أبو هريرة، وعبد الله بن عمر وابن عبّاس وغيرهم وكان للعرب ثقة به.

وذكر الإمام أحمد منبّهاً أنّ والده فارسيّ أخرجه كسرى إلى اليمن فأسلم، وأنّ ابنه وهباً كان يختلف من بعده إلى بلاده بعد فتحها. ومن أقواله:

إنّي قرأتُ من كتب الله ٧٢ كتاباً.

---

[1] مقدّمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٧١.

وقال الذهبيّ في «تذكرة الحفّاظ»: إنّه عالم أهل اليمن ولد سنة ٣٤ هـ، وتُوفّي بصنعاء سنة ١١٠ هـ. وبعد ذلك بسنة أو أكثر، وقيل: إنّه تُوفّي سنة ١١٦ هـ.[1]

عبد الله بن سلام

هو أبو الحارث الإسرائيليّ، أسلم بعد أن قدم النبيّ صلّى الله عليه وآله المدينة، وهو من أحبار اليهود، حدّث عنه أبو هريرة وأنس بن مالك، وجماعة، وقال فيه وهب بن منبّه الإسرائيليّ: كان أعلم أهل زمانه،

[1] المصدر السابق.

وكعب أعلم أهل زمانه، وقد مات سنة ٤٠ هـ.[1]

في حين أنّنا نجد أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله منع امّته منعاً شديداً من مراجعة علماء اليهود و أخذ أخبارهم و آثارهم.

الأحاديث في فضيلة بيت المقدس موضوعة

قصّة صخرة بيت المقدس بين عمر و كعب الأحبار

لمّا افتُتِحت إيليا و أرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ١٦ هـ و دخل عمر بيت المقدس، دعا كعب الأحبار و قال له: أين ترى أن نجعل المُصلّى؟! فقال كعب الأحبار: إلى الصخرة![2] فقال له عمر: ضاهيتَ و الله اليهوديّة![3] يا كعب. و في رواية: يا ابن اليهوديّة! خالطتك يهوديّة، أبنيه في صدر المسجد؟! فإنّ لنا صدر المساجد. و قد رأيتك و خلعك نعليك! فقال: أحببتُ أن أباشره بقدمي!

---

[1] «أضواء على السنّة المحمّدية» ص ١٤٦ إلى ١٥٠، الطبعة الثالثة.

[2] وفي رواية: إن أخذت عن صلّيت خلف الصخرة، أي: أن تكون الصخرة قبلة.

[3] مضاهاة اليهودية مشابهتها في استقبال الصخرة لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية.

و لمّا أخذ في تنظيف بيت المقدس من الكناسة الّتي كانت الرّوم قد دفنتها به[1] -مسمع الكثير من خلفه- و كان يكره سوء العرفة في كلّ شيء. فقال: ما هذا؟! فقالوا: كبّر كعب و كبّر النّاس بتكبيره. فقال: عُدَّ به! فقال: يا أمير المؤمنين! إنّه قد تنبّأ على ما صنعت اليوم نبيّ منذ خمسمائة سنة!! قال: و كيف؟! قال: إنّ الرّوم أغاروا على بني إسرائيل فأذلّوا عليهم فدفنوه. إلى أن ولّيت فبعث اللّه نبيّاً على الكناسة. فقال: أبشري يا رُوقُ فَقَدْ أَتَاكِ الطَّعِينُ الْمُجْدِي وَ يُدْرِكُ الطَّلِبَةَ بِكِ الْأَشْهَلِيُّ[2] و في رواية: أتاكِ الطّعين المجدي في دُنْجُ وَ يُدْرِكُ الطَّلِبَةَ بِكِ الْأَشْهَلِيُّ مِنَ الرُّومِ. إلى آخر هذه الخرافات الّتي افتجرها هذا الدجّال الأفّاك.

و قد ظلّت الصخرة مكشوفةً في خلافة عمر و عثمان مع حكمهما على الشام، و كذلك في خلافة عليّ

---

[1] كان نصارى الرّوم قد ألقوا هذه الكناسة معاندة لليهود الّذين يعظّمون الصخرة، ويصلّون إليها.

[2] الخبر انظر هذه الكلمة من تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٦٠.

رضي الله عنه و إن كان لم يحكم عليها. ثمّ كذلك في إمارة معاوية و ابنه و ابن ابنه. فلمّا كان في زمن عبد الملك و جرى بينه و بين ابن الزبير من الفتنة ما جرى كان هو الذي بنى القبّة على الصخرة،[1] و عظّم عبد الملك شأن الصخرة بما بناه عليها و جعل عليها من الكسوة في الشتاء و الصيف، ليكثر قصد الناس للبيت المقدس **وَ النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ**- فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير.

و ظهر من ذلك القوت من تعظيم الصخرة ما لم يكن يعرفونه المسلمون، و صار بعض الناس ينقل الإسرائيليّات في تعظيمها، حتى روى بعضهم عن كعب

---

[1] على ذكر عبد الملك بن مروان الذي بنى الصخرة نورد ما رواه عنه ابن الأثير في الصفحة ١٩٠ من الجزء الرابع، قال: حجّ عبد الملك بن مروان بالناس سنة ٧٥ فخطب الناس بالمدينة فقال: أمّا بعد، فإنّي لستُ بالخليفة المستضعف، و لا الخليفة المداهن، و لا الخليفة المأفون. **ألا و أنّي لا أداوي هذه الأمّة إلّا بالسيف. ألا و إنّكم لا تعملون مثل أعمال المهاجرين الأوّلين و لا تلقون مثل ما لقوا. و إنّكم تأمرونني بتقوى الله و لا أرى أحدٌ يتّقي الله و أنتم تسوقون أنفسكم. و إنّكم تأمرونني بتقوى الله و أضرب عنقه. و الله لا يأمرني أحدٌ بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه.**

الأحبار عند عبد الملك بن مروان - و عروة بن الزبير

حاضر - أنّ الله قال للصخرة: **أنْتِ عَرْشِيَ الأدْنَى!**

و قد صنّف طائفة من الناس مصنّفات في فضائل بيت المقدس و غيره

من البقاع التي بالشام، و ذكروا من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب و عمّن أخذ عنهم ما لا يحلّ للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم. و أمثل من ينقل عنه تلك الإسرائيليّات كعب الأحبار. و كان الشاميّون قد أخذوا عنه كثيراً من الإسرائيليّات.

و في «مرآة الزمان» لسبط بن الجوزيّ: توقّفهم فيما رواه كعب الأحبار عن الرسول صلّى الله عليه و آله، لأنّه أسلم على يد الفاروق، و كان يضربه بالدرّة و يقول له: عَدْ عَنّا مِنْ يَهُودِيَّتِكَ![1]

الأحاديث الموضوعة في تفضيل بيت المقدس على الكعبة

و قال اليعقوبيّ في تاريخه: و منع عبد الملك أهل الشام من الحجّ، و ذلك أنّ ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة. فلمّا رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكّة فضجّ الناس و قالوا: تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام و هو فرض من الله علينا! فقال لهم: هذا ابن

[1] «مرآة الزمان» ج ١، ص ٣٥، و مصدر تمام الكلام هو: «أضواء على السنّة المحمّدية» مختارات من ص ١٤٦ إلى ١٦٧، الطبعة الثالثة.

لُ الرِّحَالُ: لَا تُشَدُّ الزهري يحدّثكم أنّ رسول الله قال: شهاب

إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَ مَسْجِدِي، وَ

مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَ هُوَ وَقِيلُ لَهُمْ مَقَامَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وَ هَذِهِ الصَّخْرَةُ الَّتِي يُزْعَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ وَضَعَ قَدَمَهُ

عَلَيْهَا لَمَّا صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، تَقُولُ لَهُمْ مَقَامَ الْكَعْبَةِ!

فبنى (عبد الملك) على الصخرة قبّة، علّق عليها

ستور الديباج، و أقام لها سدنة و أخذ الناس بأن يطوفوا

حولها كما يطوفون حول الكعبة. و أقام بذلك أيّام بني

اميّة.[1]

و تبنّى هذا الرأي جولدتسيهر. و قد نقله الاستاذ

الدكتور مصطفى السباعيّ في كتابه «السنّة و مكانتها في

التشريع الإسلاميّ» عن مسودة الاُستاذ الدكتور على

حسن عبد القادر كما ألقاها على طلّابه في الدرس، و لا

تزال المسودة بخطّ الدكتور عبد القادر محفوظة عند

[1] تاريخ اليعقوبيّ» لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب

العبّاسيّ، ج ٢، ص ٢٦١، طبعة بيروت، سنة ١٣٧٩ هـ.

الاستاذ الدكتور السباعي. وفيما يأتي بعض ما جاء في مسوّدة الدكتور عبد القادر من رأي جولدتسيهر، قال:

إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحجّ أيّام فتنة ابن الزبير، وبنى قبّة الصخرة في المسجد الأقصى ليحجّ الناس إليها ويطوفون حولها بدلًا من الكعبة. ثمّ أراد أن يحمل الناسَ على الحجّ إليها بعقيدة دينيّة، فوجد الزهريّ - وهو ذائع الصيت في الأمّة الإسلاميّة - مستعدًّا أن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ومنها حديث: الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ فيما سِوَاهُ. وأمثال هذين الحديثين. والدليل على أنّ الزهريّ هو واضع هذه الأحاديث أنّه كان صديقًا لعبد الملك، وكان يتردّد عليه، وأنّ الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مرويّةً من طريق الزهريّ فقط ...[1].

[1] «السنّة ومكانتها من التشريع الإسلامي» ص ٣٦٩.

نعم، جاء في كتاب «الحيوان» للدميري نقلًا عن ابن خلّكان أنّ عبد الملك هو الذي بنى القبة وعبارته هكذا:

وَكَانَ النَّاسُ يَقِفُونَ عِنْدَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ.

ورجّح سائر المستشرقين، ما عدا جولدتسيهر، الرأي القائل بأنّ عبد الملك هو الذي بنى القبة، لكنّهم لم يذهبوا إلى ما ذهب إليه

(جولدتسيهر) من أمر الناس الطواف حولها، و إن كان أكثرهم يعتقد سوءاً في بني اميّة.

و كي يزيد المستشرق يوليوس فلهوزن: «لقيت الخلافة بني اميّة في حجاز كفّة الشام من الناحية السياسيّة الدينيّة فيما حاولوا قل مركز الشعائر الدينيّة إلى الشام. و كان من أنّ ابن الزبير ظلّ المستجب لذلك تحت الحرام في مكّة قرابة من عشر سنين، فلم يكن أهل الشام يستطيعون الحجّ ما داموا على ولائهم بمشقّة الرسلة الأمويّة إلّا.

و قد استغلّ عبد الملك ذلك لمنع رعاياه من الحجّ إلى مكّة، و حضّهم على أن يحجّوا إلى بيت المقدس بدلًا من أن يحجّوا إلى مكّة. و هذا ما يحكيه (أوتيخيوس) على الأقلّ في كتابه «التاريخ». أمّا الذي لا شكّ فيه فهو أنّ عبد الملك جهد في أن يجعل لبيت المقدس - باعتباره مكاناً مقدّساً في نظر الإسلام - مظهراً أروع ممّا كان له. و ذلك أنّ الدليل على صدق الرواية القائلة بأنّه هو الذي

بني قبّة الصخرة موجود في النقش الذي لا يزال باقياً في الجزء القديم من هذا البناء.

أمّا النقش الحالي فيُذكر فيه اسم المأمون الخليفة العبّاسيّ، على أنّه هو الباني، و لكن (دي فوجي) اكتشف أنّ اسم المأمون إنّما ادخل في النقش الأصليّ من طريق تصحيحٍ لكتابة سابقة. و قد فات على المصحّحين أن يصحّحوا التأريخ القديم الذي يُبيّن السنة التي كان فيه البناء. و يمكن على هذا أن يكون النصّ الأصليّ على القطع هكذا: «بني هذا القبّة في سنة ٧٢ هـ عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين».[1]

دوجوب ةسوسدم اهّلك ماشلا لضف يف تاياورلا نيّيوملأا

---

[1] ٢٠٦ ص«ةيوملأا ةلودلا ةياهنى إلا ملاسلإا روهظن مةيبرعلا لودلا خيرات» و ٢٠٧.

إلى ٥٠٣ ص من تُافطقتسا رهيستدلوج عن اذه ا نلقلا تي تُالموعلا و ب. ٥٠٧ من الطبعة الخامسة لكتاب «لسنّة قبل التدوين» لمحمّد عجّاج الخطيب.

و، دقل حاول هذا الكاتب تفصيل ذكر تبرئة ساحة الملك عبد العزيز آل سعود من هذه التهمة و دحضها و أنّي له ذلك و الله خير الشاهدين. و لكن هل ستقرّ عين المسلم و تهدأ نفسه إذا علم أنّ هذا الموضوع، و هو مهم جدّاً، مكون في إطار الثلاثة عن جرائم الأمويّين؟!

الذين كانوا قد اتّخذوها عاصمة لملكهم

قال أبو هريرة: قال كعب: إن الله نظر إلى الأرض فقال:

إنّي واطئ على بعضك فاستقبلته الجبال، و تضعضعت الصخرة، فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه.

و قال: إن العرض و الحساب من بيت المقدس، و مقبور بيت المقدس لا يعذّب.

و قال: هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا، و هي أرض المحشر و المنشر.

و قال: لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام بيت المقدس، فينقادان جميعا إلى الجنّة و فيهما أهلوهما.

و قال: إن في التوراة إنّه يقول لصخرة بيت المقدس: أنت عرشي الأدنى و منك ارتفعت إلى السماء، و من تحتك بسطت الأرض و كلّ ما يسيل من ذروة الجبال، من ما تحتك كأنّما ما تحت في السماء ... إلى آخره.

و عن أبي هريرة - تلميذ كعب الأحبار - أنّ النبيّ قال:

الأذهار كلّها و السحاب و الجبار و الرياح تحت الصخرة بيت المقدس.

وقال كعب: قال الله عزّ وجلّ لبيت المقدس: أنْتِ جَنَّتي وَقُدْسي

وَصَفْوَتِي مِنْ بِلَادِي! مَنْ سَكَنَ كِفَ بِرَحْمَةٍ مِنِّي، وَمَنْ خَرَجَ مِنْكِ فَبِسَخَطٍ مِنِّي عَلَيْهِ!

و عن كعب: اليوم في بيت المقدس كألف يوم، و الشهر كألف شهر، و السنة فيه كألف سنةٍ، و مَن مات فيه فكأنّما مات في السماء، و من مات حوله فكأنّما مات فيه.[1]

و عن وهب بن منبّه قال: أهل بيت المقدس جيران الله و حقّ الله عزّ و جلّ ألّا يعذّب جيرانه، و من دُفن في بيت المقدس نجا من فتنة القبر و ضيقه.

و في حديث: إِنَّ الطَّائِفَةَ مِنْ أُمَّتِي الظَّاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ وَ الَّذِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، إِنَّهُمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ أَكْنَافِهِ.

و قال العلّامة الاستاذ نعمة الله الجلوقيّ رئيس فخر المدارس بهرات من بلاد أفغانستان و هو يقرظ

[1] انظر هذه الأخبار في الإرشاد للديلميّ، ج ١، ص ٣٣٢ و ما بعدها و تعجب منها.

كتابنا «أضواءٌ على السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّة» في كتابٍ قيّم بعث به إلينا:

أمّا الأحاديث المرويّة في فضل الشام فنحن نعترف بأنّ أكثرها دسائس إسرائيليّة. وفي ذلك ما رُوي في بعض الكتب:

مَنْ أهَلَّ مِنَ المَسْجِدِ الأقْصَى لِحَجٍّ غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ.

فهذه الرواية مع ما تدلّ على أفضليّة المسجد الأقصى تؤدّي إلى الإلحاد وعدم المبالاة بإرتكاب المعاصي وتفتح أبواب الفسوق.

ومن الخرافات التي دسّها اليهود و ادرجت في كتب السير و بعض التفاسير: أنّ السماوات بعضها من الفضّة و بعضها من الزبرجد، و أنّ السيّارات مركوزة في السماوات على الترتيب المذكور في كتب اليونان، مثل أنّ القمر مركوز بسماء الدنيا، و العُطارِد بالثانية، و هكذا إلى السابعة.

و هكذا أنّ السماوات موضوعة على رأس جبل محيط بالأرض يقال له: قاف. و أنّ الأرض موضوعة على قرن ثور قائم فوق ظهر حوت يسبح في الماء.

كلّ ذلك من غفلة العلماء، و عدم مبالاتهم بوخامة عاقبة ما دسّ أعداء الدين بين المسلمين.[1]

---

[1] وأبو رية في هذه الصفحة أيضاً: كانت الأحاديث الصحيحة أوّل الأمر في فضل المسجد الحرام و مسجد رسول الله و لكن بعد بناء قبّة الصخرة ظهرت أحاديث في فضلها ... إلى أن قال:

و عن ابن عبّاس: إنّ امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجنّ فلأصلّينّ في بيت المقدس، فبرئت ثمّ تجهّزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبيّ تسلّم عليها فأخبرتها بذلك، فقالت: اجلسي، فكلي ما صنعت و صلّي في مسجد رسول الله، فإنّي سمعت رسول الله يقول: صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ

اليد اليهوديّة في تفضيل الشام

و قال أبو ريّة أيضاً: إنّ إشادة كهنة اليهود إلى أنّ ملك البنيّ سيكون بالشام إنّما هو لأمرٍ خُبِّئَ في أنفسهم. و نبيّن هنا أنّ الشام ما كان لينال من الإشادة بذكره، و الثناء عليه، إلّا لقيام دولة بني اميّة فيه، تلك الدولة التي

من أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا مَسْجِدَ الكَعْبَةِ. و لو أنّ المسجد الأقصى كان قد ورد فيه تلك الأحاديث، لما منعت ميمونة هذه المرأة من أن تفي بنذرها.

قلبت الحكم من خلافة عادلة إلى ملك عضوض، و

التي تحتكنفها وفي أيّامها نشأت الفرق الإسلاميّة التي

فتّت في عضد الدولة الإسلاميّة و مزّقتها تمزيقاً و

استفاض فيها وضع الحديث. فكان جديراً بكهنة اليهود

أن ينتهزوا هذه الفرصة و ينفخوا في نار الفتنة، و

يمدّوها بجيوش الأكاذيب و الكيد. و كان من هذه

الأكاذيب أن بالغوا في مدح الشام و أهله، و أنّ الخير كلّ

الخير فيه، و الشرّ كلّ الشرّ في غيره.

و على أنّه قد مرّ بك ذر ومما قالوه هؤلاء الكهنة في

أنّ ملك البنيّ سيكون بالشام، و أنّ معاوية قد زعم أنّ

الرسول قد قال له: إنّه سيلي الخلافة من بعده. و طلب منه

أن يختار الأرض المقدّسة التي فيها الأبدال، فإنّا نكشف

هنا عن جانب آخر من كيد الدهاء اليهودي للمسلمين و

دينهم و ملكهم، ذلك أنّهم لم يكتفوا بما قالوه في الشام مما

أتينا على بعضه من قبل، بل زادوا على ذلك بأن جعلوا

الطائفة الظاهرة على الحقّ تكون في الشام كذلك، و

حتى نزول عيسى الذي قالوا عنه سيكون بأرضه ....

وفي كشف الخفاء «لأن كعب الأحبار قال: أهل الشام

سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم من العصاة.[1]

ولعلّ العصاة هنا هم الذين لا ينضوون تحت لواء

معاوية ويتّبعون غيره، وغيره هو عليّ رضي الله عنه

... .

---

[1] ، راجع كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني، ص ٢٦١. الطبعة الثالثة، سنة ١٣٥١ هـ. ولفظه:

الحديث ٨٠٧ - أهل الشام سَوْطُ اللهِ تعالى في الأرض، ينتقم بهم ممّن يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، وحرامٌ على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، وأن يموتوا إلّا همّاً وغمّاً وغيظاً وحزناً. لعلّ المراد من المنافقين هنا هم عليّ عليه السلام وأصحابه، والمراد من المؤمنين هم معاوية وشرذمته!

وعن نافع، عن ابن عمر، عن كعب قال: تَخْرُجُ نَارٌ

تَحْشِرُ النَّاسَ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهَا فَاخْرُجُوا إِلَى الشَّامِ.[1] وابن

عمر هو أحد تلاميذ كعب.

ومن أحاديث «الجامع الصغير» للسيوطي التي أشَّر

عليها بالصحّة:

الشَّامُ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ بِلَادِهِ، إِلَيْهَا يَجْتَبِي صَفْوَتَهُ مِنْ

عِبَادِهِ، فَمَنْ خَرَجَ مِنَ الشَّامِ إِلَى غَيْرِهَا فَبِسَخَطِهِ، وَمَنْ

دَخَلَهَا فَبِرَحْمَتِهِ. طُوبَى لِلشَّامِ، إِنَّ الرَّحْمَنَ بَاسِطٌ رَحْمَتَهُ

عَلَيْهِ.

نَبَعْثَنَّ اللهُ مِنْ مَدِينَةٍ بِالشَّامِ يُقَالُ لَهَا «حِمْصُ» سَبْعِينَ

أَلْفًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ. يَبْعَثُهُمْ فِي

يَنْ الزَّيْتُونِ وَالحَائِطِ... . إلى آخره.

مدينة حِمْص هذه يجب أن يكون لها هذا الشأن

العظيم حتى في الآخرة بحيث لا يُذاينها في ذلك مدينة

خرى حتى مدينة النبي! ... وذلك لأنّ الكاهن اليهودي -

الذي يعدّه كثير من شيوخ المسلمين أنّه من كبار التابعين

[1] فتح الباري» ج ١٣، ص ٦٩.

قد اتّخذها مقاماً له، ثمّ ضمّت رفاته بعد موته. و لا نطيل بإيراد كلّ ما لدينا من هذه الأخبار لأنّ ما جئنا به فيه الكفاية.

ثمّ ذكر أبو ريّة مفصّلاً انتقادات ابن تيميّة، و ابن كثير، و ابن خلدون لكعب و إسرائيليّاته، و قال بعد ذلك:

و لم نجد في هذا العصر، بل في العصور الأخيرة من فطن لدهاء كعب و وهب و كيدهما، مثل الفقيه المحدّث السيّد محمّد رشيد رضا رحمه الله. و إنّي نقل هذا بعض ما قاله في كعب خاصّة. و فيه و في زميله وهب عامّة.

قال في كعب رادّاً على من وصفوه بأنّه كان من أوعية العلم ما يلي:[1]

إن ثبوت العلم الكثير لا يقتضي في الكذب. و كان جُلّ علمه عندهم ما يرويه عن التوراة لِيُقْبَل، و غيرها من كتب قومه و ينسبه إليها لِيُقْبَل. و لا شكّ أنّه كان من

[1] مجلّة «المنار» ص ٥٤١ و ما بعدها، العدد ٢٧.

أذكى علماء اليهود قبل إسلامه و أقدرهم على غشّ المسلمين بروايته بعده.

الصحابة غير معصومين في معرفة الأشخاص

و قال عنه: إنّه كان من زنادقة اليهود الذين أظهروا الإسلام و العبادة لِتُقبل أقوالهم في الدين. و قد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة و رووا عنه، و صار وا يتناقلون قوله بدون إسناد إليه، حتى ظنّ بعض التابعين و من بعدهم أنّها ممّا سمعوه عن النبيّ.

و أدخلها بعض المؤلّفين في الموقوفات التي لها حكم المرفوع كما قال الحافظ ابن كثير في مواضع من تفسيره.[1]

و قال عنه: إنّه كان بُركان الخرافات و أجزم بكذبه، بل لا أثق بإيمانه.[2]

و قال فيهما معاً - أي كعب و وهب:[3]

---

1. مجلّة «المنار» ج ٢٧، ص ٧٥٢.
2. مجلّة «المنار» ج ٢٧، ص ٦٩٧.
3. مجلّة «المنار» ج ٢٧، ص ٧٨٣.

و ً تسييسا أو أشدّهم إسرائيليّات، هذه رواة أشرّ إن
خداعا ً للمسلمين هذان الرجلان. فلا تجد خُرافة دخلت
في كتب التفسير و التأريخ الإسلامي ّفي امور الخلق و
التكوين و الأنبياء و أقوامهم، و الفتن و الساعة و
آثرٌ الآخرة، إلّا و هي منهم مضرب المثل في كلّ وادٍ
من ثعلبة، و لا يهولنّ أحدا ً انخداع ُبعض الصحابة و
التابعين بما بثّه و غيرهما من هذه الأخبار، فإنّ تصديق
الكاذب لا يسلم منه أحد البشر و لا المعصومين من
الرُّسل.

فإنّ العصمة إنّما تتعلّق بتبليغ الرسالة و العمل بها، فالرسل معصومون من الكذب و من الخطأ في التبليغ و من العمل بما ينافي ما جاءوا به من التشريع، لأنّ هذا ينافي القدوة و يُخلّ بإقامة الحجّة. و لكن الرسول إذا صدّق الكاذب في أمر يتعلّق به و بعمله، أو بمصلحة الامّة، فإنّ الله تعالى يبيّن له ذلك و منه ما كان، من بعض أزواجه، الذي نزل فيه أوّل سورة التحريم، و علم من قوله تعالى فيها: قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.[1]

أي: أنّه لم يعلم الملكية بملكة العصمة، بل بوحي الله تعالى بعد وقوعها. و منه قوله تعالى فيما كان كذب عليه بعض المنافقين الذين اعتذروا عن الخروج معه صلّى الله عليه و آله إلى تبوك: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكاذِبِينَ ... .[2]

---

[1]. التحريم: ٦٦، من السورة ٣، من الآية.

[2]. التوبة: ٩، من السورة ٤٣، من الآية.

وقاله رحمه الله:[1] وإنّا بعد اختبار نا ثلاثة قرن قضيناها في معالجة الشبهات و مناظرة الملاحدة و أمثالهم من خصوم الإسلام و الردّ عليهم قولًا و كتابةً، قد ثبت عندنا أنّ روايات كعب، و وهب في كتب التفسير و القصص و التأريخ، كانت شبهات كثيرة للمؤمنين، لا للملاحدة و المارقين وحدهم. و أنّ المستقلّين في الرأي لا يقبلون ما قاله: إنّ كلّ من قال جمهور رجال الجرح و التعديل بعدالته فهو عدل، و إن ظهر لمن بعدهم فيه من أسباب الجرح ما لم يظهر لهم.

و قال رحمه الله: رأينا الشيء الكثير في رواياتهما ممّا نقطع بكذبه،

[1]. المنار، ج ٢٧، ص ٥٣٩.

المخالفة ما رويناه ممّا كانا يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الأنبياء، فجزمنا بكذبهما وهو ممّا لم يكن يعلمه المتقدّمون، لأنّهم لم يطّلعوا على كتب أهل الكتاب.

وقد اعترف في رواياتهما بدفع شبهات كثيرة عن كتب الله المحشوّة بالخرافات.

وقال كذلك عن رواياتهما: إنّ أكثرها خرافات وإسرائيليّة شوّهت كتب التفسير وغيرها من الكتب، وكانت شبهاً على الإسلام يحتجّ بها أعداؤه الملحدة أنّه كغيره دين خرافات وأوهام، وما كان فيها غير خرافة فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالذي ذكره كعب من صفة النبيّ في التوراة.[1]

وعلى أنّ الأئمّة المحقّقين قد طعنوا في رواية هذين الكاهِنَين، ولا يزال يوجد بيننا - وآسفاه - مَن يثق بهما، ويصدّق ما يرويانه، ولا يقبل أيّ كلام فيهما.[2]

---

[1]. مجلّة «المنار» ج ٢٧، ص ٦١٨.

[2]. «أضواء على السنّة المحمّدية» ص ١٧٠ إلى ١٧٦، الطبعة الثالثة.

و قال أبو ريّة أيضاً: و إليك مثالًا من هذا الكيد في أمر خطير تحوّل به التأريخ الإسلاميّ عن مجراه:

كعب الأحبار و معاوية

و ذكر أبو ريّة هنا قتل عمر الذي كان لكعب دور فيه بعد أن فصّل الكلام في نهي عمر كعب الأحبار عن الحديث سواء كان عن التوراة أم عن رسول الله، و قال: و لمّا خلا له الجوّ بقتله، و أمِنَ من خوفه، أطلق العنان لنفسه كي يبثّ ما شاء الكيد اليهوديّ أن يبثّ من الخرافات

و الإسرائيليّات التي تشوّه بهاء الدين، يعاونه في ذلك تلاميذه الكبار أمثال عبد الله بن عَمْرو، وعبد الله بن عُمَر، و أبو هريرة ... و لنضرب لذلك هذا مثلًا واحدًا نجتزئ به، ذلك أنّه لمّا اشتعلت نيران الفتنة في زمان عثمان و اشتدّ زفيرها، حتى التهمت عثمان فقتلته وهو في بيته، لم يدع هذا الكاهن الماكر هذه الفرصة تمرّ دون أن يهتبلها، بل أسرع ينفخ في نارها و يسهم بكيده اليهودي فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. و قد كان من كيده في هذه الفتنة أن أرهص بيهوديّته بأنّ الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية.

فقد روى وكيع عن الأعمش، عن أبي صالح[1] أنّ الحادي كان يحدو بعثمان ويقول:

فقال كعب الأحبار: بل هو صاحب البغلة الشهباء!

(يعني معاوية) وكان يراه يركب بغلة. فبلغ ذلك معاوية فأتاه فقال: يا أبا إسحاق ما تقول هذا!! وهاهنا علي و

[1] ص ٥١، للقمر زيّ «النزاع و التخاصم فيما بين بني أمية و بني هاشم».

الزبير و أصحاب محمّد صلّى الله عليه [و آله] وسلّم! قال:

أنت صاحبها. و لعلّه أردف ذلك بقوله: إنّي وجدتُ ذلك

في الكتاب الأوّل!!

و قدّر معاوية هذه اليد الجليلة للكعب، و أخذ يغمره

بأفضاله. و قد عرف من تأريخ هذا الكاهن أنّه تحوّل إلى

الشام في عهد عثمان و عاش تحت كنف معاوية

فاستصفاه لنفسه و جعله من خلصائه لكي يروي من

أكاذيبه و إسرائيليّاته ما شاء أن يروي في قصصه

لتأييده، و تثبيت قوائم دولته. و قد ذكر ابن حجر

العسقلاني في «الإصابة» بأنّ معاوية هو الذي أمر

كعبا أبدا ....[1]

و من العجيب أنّ هذه الإسرائيليّات لا تزال تجد إلى اليوم من يصدّقها، بل يقدّسها. و إذا بصّرناهم بتخفيفها و خاصّة من قبّ في وجهنا أدعياء العلم في عصرنا و كانوا من المتعصّبين، و رموا بالسبّ و الشتم كعبا و محاقته.

هذا مثل واحد نسوقه هنا في موقف كعب مع معاوية خاصّة، و ما أصاب الإسلام من كيده و مكره عامّة، و لأنّ عليّا و ابن عمّ النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم الذي أرصد له هؤلاء الكهان كلّ قواهم لمحاربته و شريعته. و لو شئنا أن نستوفي كلّ ما أتاه هذا الكاهن من كيد للإسلام و أهله لاقتضى منّا ذلك أن نعقد مؤلّفا خاصّا كما فعلنا لتلميذه الأكبر أبي هريرة.[2]

و لا ننسى أنّ عليّا رضي الله عنه كان يقول عن كعب: إنّه لكذّاب.

---

[1] الإصابة، ج ٥، ص ٣٢٣.

[2] راجع كتاب «شيخ المضيرة».

و ممّا يلفت النظر و يسترعي الفكر أنّنا نجد هؤلاء الكهّان جميعاً من اليهود و النصارى و ذوي الهوى من المسلمين يتحوّلون كلّهم إلى الشام بعد مقتل عثمان. و يبدو أنّ هذا التحوّل لم يكن للّه، و إنّما كان ذلك ليتعاونوا على نشر الفتنة و ليُشعلوا نار البغضاء بين المسلمين و كي تنضج دولة الأمويّين، و يتمزّق شمل المسلمين. و يملأوا أيديهم بعد ذلك من غنائم الأمويّين.[1]

و يواصل أبو رَيّة كلامه على هذا المنوال فيتحدّث عن طعام أبي هريرة عند معاوية، و يقول: كان أبو هريرة يلقّب بـ: **شَيْخُ المَضِيرَة**. و قد ذلّت

[1] الطبعة الثالثة، ١٨٢ ص هامش «أضواء على السنّة المحمّدية».

هذه المضيرة من عذايا العلماء و الكتّاب و الشعراء

ما لم ينله مثلها من أصناف الحلوى، و ظلّوا يتندّرون

بها، و يغمزون أبا هريرة قرونا طويلة من أجلها. و إليك

بعض ما أرسلوه فيها.

قال الثعالبيّ في كتابه ثمار القلوب في المضاف و

المنسوب»ما يلي:

شيخ المضيرة: كان أبو هريرة رضي الله عنه على

فضله و اختصاصه بالنبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم

مزّاحا أكولا. و كان مروان بن الحكم يستخلفه على

المدينة، فيركب حمارا قد شدّ عليه برذعة، فيقال للرجل

فيقول: الطّريق الطّريق! قد جاء الأمير ... و كان يدّعي

الطبّ ... و بعد أن ذكر الثعالبيّ شيئا من طبّه و كلّه طعام

يشفي داء الأمعاء، و يداوي ذهم البطن، قال: و كان

يعجبه المضيرة جدّا فيأكل مع معاوية. فإذا حضرت

الصلاة صلّى خلف عليّ رضي الله عنه، فإذا قيل له في

ذلك، قال: مَضِيرَةُ مُعَاوِيَةَ أَدْسَمُ وَ أَطْيَبُ، وَ الصَّلَاةُ

خَلْفَ عَلِيٍّ أَفْضَلُ.

و كان يقال له: شيخ المضيرة. و ختم الثعالبيّ قوله

ببيتين لشاعر هجا فيهما أبا هريرة أعرضنا عنهما.

و عقد بديع الزمان الهمدانيّ مقامه خاصّة - من

مقاماته - لهذه المضيرة، غمز فيها أبا هريرة غمزة

أليمة، فقال:

وُ حدّثنا عيسى بن هشام قال: كُنْتُ بِالبَصْرَةِ وَ مَعِي أَبُو

الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيّ: رَجُلٌ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَ

البَلاَغَةَ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ. وَ حَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ

التُّجَّارِ، فَقُدِّمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ تُثْنِي عَلَى الحَضَارَةِ، وَ

تَتَرَجْرَجُ فِي الغَضَارَةِ، وَ تُؤْذِنُ بِالسَّلاَمَةِ، وَ تَشْهَدُ

لِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بِالإِمَامَةِ....

قال أبو ريّة: و قال استاذنا الإمام محمّد عبده في

شرح ذلك: و معاوية ادّعى الخلافة بعد بيعة عليّ بن أبي

طالب رضي الله عنه، فلم يكن من

يشهد له بها في حياة عليّ إلّا طلّاب الملاذئذ، و بعُاة الشهوات. فلو كانت هذه المضيرة من طعام معاوية لحملت آكليها على الشهادة له بالخلافة، و إن كان صاحب البيعة الشرعيّة حيّاً. و إسناد الشهادة إليها، لأنّها سببها الحامل عليها. و الإمامة و الخلافة في معنى واحد.

و في كتاب «أساس البلاغة» لجار الله الزمخشريّ:

عليّ مع الحائل المضيرة[1] خير من معاوية مع المضيرة[2]

و قال أبو ريّة في كتاب الآخر: روى ابن طباطبا العروفي بابن القطقطيّ في كتابه «الفخريّ» ص ٧٩: أنّ معاوية كان يأكل كلّ يوم خمس أكلات و آخرهنّ أغلظهنّ ثمّ يقول: يا غلام! ارفع فوَ الله ما شبعتُ و لكنّي

---

[1] ديدشع جاع: ًارورُضوُرُضَيُلجرلا رَاضَ: ةَضَوَرَ مادّة «در اوملا برق» في جاء. ديدشلا عوجلا - .بضرلا عوج من ءوتأ: لجرلا رَوَّضَتَ: رصمب: رُوَّضلا.

[2] ١٧٩ إلى ١٩٨، الطبعة «منتخبٌ من ص المحمّديّة السنّة على الوضاء» الثالثة.

مَلَلْتُ! وَ إِنَّهُ لَأَكْلُ عِجْلٍ سَمِيذٍ مَشْوِيٍّ مَعَ عَشَرَةِ أَرْطَالٍ مِنَ الْخُبْزِ.

وَ أَبْرَعُ فَارِسٍ، وَ جَنْدِيٌّ حُرٌّ وَ آخَرُ بَارِدٌ سَوِيُّ الْأَلْوَانِ.[1]

أمّا رواية ابن كثير في «البداية و النهاية» ج ٨، ص ١١٩ فهي: أنّ معاوية كان يأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، و من الحلوى و الفاكهة كثيراً و يقول: ما أشبع و إنّما أعيا ... .

و إليك وصفاً لبعض طعام معاوية يريويه لك الأحنف بن قيس:

قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَدَّمَ لِيَ مِنَ الْحَارِّ وَ الْبَارِدِ، وَ الْحُلْوِ وَ الْحَامِضِ مَا كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْهُ. ثُمَّ قَدَّمَ لِيَ لَوْناً لَمْ أَعْرِفْ مَا هُوَ، فَقُلْتُ: مَا

---

[1] إلى ... **اشدت: الحصار** ... إلى أن قال: **الشدت** الحصار ... إلى أن قال: و هو فارسيّ، أو اتّفاق وقع بين اللغتين. و **السَّمِيذ** بالذال المعجمة و أن قال: و هو فارسيّ، أو اتّفاق وقع بين اللغتين. و **السميذ** بالدال المهملة هو الدقيق الأبيض. و **الزَّنْجَبِيل** خبزة غليظة مستديرة، و جمعها **زَنَانِيج**.

هذا؟!

فقال: مصارين[1] البطّ المحشوّة بالخبز قد يُقلى بدهن الزرنب.

فبكيتُ. فقال: ما يبكيك؟!

قلتُ: ذكرتُ عليًّا، بينما أنا عنده، وحضر وقتُ الطعام وإفطاره، وسألني المقام فجيء له بجراب تمر. فقلتُ: ما في هذا الجراب؟!

قال: سويق شعير! قلتُ: أفتدخر عليه أن يؤخذ؟! أو خلتَه به؟!

فقال: لا، ولا أحدهما. ولكنّي خفتُ أن تُليّنه النسحة أو زيت

---

[1] و. مفردها مِصران. وجمع الجمع مصارير. وجمع مصيرة أو مُصْران. البطّ: الواحدة: البطّة. للمذكّر والمصير هو ما يتنقل الطعام إليه بعد المعدة. وجمعه الأزواج، وهو طير مائي قصير العنق والرِّجلين، وهو غير الأوز. والمخّ بتشديد الخاء: نقي العظم، وربّما سمّوا الدماغ مخًّا. وبطوط وبطاط. والدنبق شجر من فصيلة السفرجل شجر مثمر وحرجيّ وثماره لذيذة، والسفرق شجر مثمر وثماره لذيذة الطعم. والجراب جلد الحيوان يُستعمل وعاءً والبلوطيّات ثماره لوزيّة لذيذة الطعم. تُليّنه: تُرطّبه. والسويق: الناعم من دقيق الحنطة والشعير. يُشدّ رأسه: يخيط من جلد. تلتّ: تبلّ الدقيق بالماء أو خلطه بالسمن.

فَقُلْتُ: مُحَرَّمٌ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟!

فَقَالَ: لَا، وَ لَكِنْ يَجِبُ عَلَى أَئِمَّةِ الْحَقِّ أَنْ يَعْدُلُوا

أَنْفُسَهُمْ عَنْ مَضَعَّةِ النَّاسِ لِئَلَّا يَطْغَى الْفَقِيرُ فَقْرُهُ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: ذَكَرْتَ مَا لَا يَنْكَرُ فَضْلُهُ![1]

لا ينازع معاوية أحد في النفاق و التزوير

استبان مما ذكرناه أنّ معاوية كان السبّاق بلا منافس

في النفاق

---

[1] بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٤٢٢ عن كتاب الشيخ المفيد «ص ١٨٠ و ١٨١ في الهامش، نقلًا عن ص ٤٢٢ من كتاب نثر الدرّ» للوزير أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي المتوفّى سنة ٤٢٢ هـ.

و الملكر و الخديعة و العمل ضدّ الإسلام و هدم القرآن و القضاء على نبوّة محمّد و اجتثاث ولاية عليّ من جذورها و ذلك في جبهتين: خارجيّة و تتمثّل في تعبئة الجيوش و صرف الأموال من بيت المال لأجل ذلك، و داخليّة و تتجسّد في وضع الأخبار و اختلاق الأحاديث و تزويرها منسوبة إلى رسول الله. و قد خرج ظافراً في الجبهتين معاً. و استحوذ على قوى الإسلام جميعها و نقل العاصمة المعنويّة الروحانيّة الملكوتيّة للرسول الأكرم من المدينة المنوّرة إلى شام الطغيان و الاستبداد و الكذب و الدَّغَل، و وجّه ضربة عنيفة إلى دين النبيّ لا تقوم لها قائمة و لا ينفعها علاج، و استولى على العالم كلّه من الصين إلى الأندلس، و لم تُلْحَظْ نافذة أمل حتى قيام قائم آل محمّد مع القدرة و الشوكة الذي تمتلئ الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً و الفساد و الجريمة و السياسة المزدوجة التي عمّت كلّ مكان، و ضرب رأس عليّ فدُفنت تلك الدعوة و ذلك النهج و المنهاج بين الحكومات و المجتمعات في

قبر الاضمحلال فيتقوّض جذره و أساسه في داخل الأرض.

لقد صار معاوية رئيساً في الشام منحيث الشوكة و الابّهة، و منحيث التزوير و الخداع، و منحيث تبديل روح الولاية و النبوّة إلى طاغوتيّة و جبّاريّة جاهليّة، و رفع اسم محمّد من الألسن، و سخر بالله و النبيّ و عليّ و أهل البيت و الوحي و المعاد و البعث و العدل و الحساب و الكتاب و القرآن و السنّة. و هذا هو مراده و قصده.

لم يَرْعَوِ معاوية عن أفعاله القبيحة طوال أربعين سنة من حكومته في الشام، و لم يستر حلظة واحدة من أجل هذا الهدف. و لم يخجل و لم ير نفسه مجرماً مذنباً أمام تلك الجرائم الظاهرة و الباطنة التي ارتكبها، بل كان ينظر إلى النبيّ و أمير المؤمنين و القرآن على أنّهم خونة مجرمون ناهضوا فرعونيّته و ممارساته الدنيئة، و أطاحوا برئاستهم في مكّة و الجزيرة.

خ يشلا ع طّلعلا ملاعلا تو صلا ي وا ملاطلا ع طّلعلا يشلا خ
و هذا يعلو صوت العالم الواعي المطّلع الشيخ
ن يّفصلا و لجملا ن ع لّصفملا هثيدح دعبلا ة يرب وأ دومحلا
ي بأ ن بلا د ضدّ عل ي ت ناكملإا و ى وقلا ع يمجلا ة رات إ و
!ي عُد ي ا ُللهاُ ك لَ :راتخلاا م لاسلإاب و ةلاصلا ه يلع بلاطلا
و إ ب ي رِقلا و دِ ي عبلا ن مِ ت مَ ن لِ ذ مْ ك و !ك يْ لَ عْ ى وَ قلا ل ُ ك ت نْ بَ أَ ت
!ه لِ مْ حَ ت نْ أ ل ُ ن ج تَ ن مِ م أَ ت أ ب ى الجِ ب ا ل[1]

و من هنا نفهم كلام أحد كبار علماء الألمان في الأستانة لبعض المسلمين - و فيهم أحد أشراف مكّة: إنَّهُ ينبغي لَنَا أنْ نُقِيمَ تِمْثَالًا مِنَ الذَّهَبِ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أبي سُفْيَانَ في مَيْدَانِ كَذَا مِنْ عَاصِمَتِنَا «برلين».

!؟اذ ا م لا :ه ل ل ق ف

:لاق ُ ه ُ وَ ي ذلا ح وَ ل ذِ ظَ ا مَ ح لا مِ كْ ع يّ م لاسلإا ن عْ
ُ م لاسلإا مَ ع لَ ك لِ ذ لا وْ لَ وَ ِ ه يَّ ب ِ ي ب صَ ع ى ل إِ ه يَّ ط ا رَ ف مْ ق م يّ د لا ه ِ ئَ د ِ ع اَ ق

[1] ه ي ن ا ث لا ة عبطلا ، ١٥٥ ص ش م اه « ة ر ي ض لا م خ ي ش»

الحاكم وإذا نكح الأمة وسئر وشعوبا وروا

عن أبي مسلمين.[2]

قال المحدث القمي رحمه الله عن صاحب كامل

البهائي» عن البيهقي في جواب من سأله: إن معاوية خرج

من الإيمان بمحاربة علي عليه السلام؟!

فقال: إن معاوية لم يدخل في الإيمان حتى خرج منه

بل خرج من الكفر إلى النفاق في زمن الرسول صلى

الله عليه وآله ثم رجع إلى الكفر

---

[1] في «أقرب الموارد» **العرب و العرب** جيل من الناس خلاف العجم. و المراد **بالعجم** كل من ليس من العرب من الفرس، و الترك، و الإفرنج، و غيرهم. و لفظ العرب مؤنث على تأويل الطائفة. يقال: **العرب العاربة، و العرب العرباء** ج **أعرب و عروب**. قيل: العرب بسكون الأعصار، و قيل: عام في بسكون الأعصار و بسكون البادية.

[2] «شيخ المضيرة» هامش ص ١٦٨، الطبعة الثانية.

الأصليّ.[1]

جرائم سمرة بن جندب عامل معاوية

لقد قلب معاوية الإسلام بتغييره سنّة رسول الله. و خرّب المعارف الإسلاميّة و شوّه صورة الإسلام النقيّة الصافية بوضعه الأحاديث التي لا تُحصى و بثّها في التأريخ و السنّة الإسلاميّة بواسطة رموزه الأصليّين مثل كعب الأحبار، و وهب بن منبّه، و تلاميذهما نحو عبد الله بن عمر، و المغيرة بن شُعبة، و عمرو بن العاص، و عروة بن الزبير، و سَمُرَة بن جُندب، و أبي هُريرة.

و ها هي كتب السنّة جميعها مشحونة بالأحاديث و المئومة لهؤلاء الأصاغر و عليها يقوم منهج التعليم و

---

[1] «هديّة الأحباب» ص ١١١. قال في ترجمة البيهقيّ: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ الشافعيّ الخسروجرديّ الحافظ و الفقيه المشهور صاحب «السنن الكبرى» و «السنن الصغرى» و «دلائل النبوّة» و غيرها ... إلى أن قال: و من كلمات على ما نقل صاحب «معالم العلماء» ... إلى آخره.

و عبّر قيس بن سعد بن عبادة عن هذه الحقيقة بتعبير آخر. قال الشيخ محمود أبو رية في كتاب «شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ١٧٢: و أرسل قيس بن سعد بن عبادة إلى معاوية كتاباً قال فيه: **أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ وَثَنُ ابْنُ وَثَنٍ تَدَلَّسْتَ الإِسْلامَ! كَمَا تَدَلَّسَ الأَثَافِيُّ! وَ دَخَلْتَ فِيهِ كَرْهاً وَ خَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعاً! وَ لَمْ يَحْدُثْ فِي إِيمَانِكَ، وَ لَمْ يَدْخُلْ فِي قَلْبِكَ!**

التعلّم. فانظروا من أين يبدأ الأعوجاج و الانحراف و النقصان و الدمار و أين تنتهي؟!

إن السنّة يصحّحون أحاديث سَمُرَة بن جندب لأنّه كان والياً من الصحابة - و كلّ صحابي عادل - و لأنّه كان فاسقاً بأمر معاوية - و معاوية عادل أيضاً - مع أنّه كان فاجراً سفّاكاً للدماء قاتلاً للأبرياء و قد أراق أنهاراً من دمائهم، و كان يبيع الخمر جهرةً.

قال العالم الجليل السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي:

أخرج الطبري في أحداث سنة خمسين من تاريخه بالإسناد إلى محمّد بن سليم، قال: سألت أنس بن شيرين، هل كان سمرة قتل أحداً؟

قال: و هل يُحصي من قتلهم سمرة بن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة سنّة أشهر حين كان والياً على الكوفة من قبل معاوية و أتى الكوفة فجاء، و قد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟! قال: لو قتلت منهم مثلهم ما خشيت!

و أخرج (الطبري) هناك أيضاً بالإسناد إلى أبي سوار العَدَوي، قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة و أربعين رجلاً ممّن كان قد جمع القرآن.

و أخرج هناك أيضاً بإسناده عن عوف. قال: أقبل سمرة من المدينة فلمّا كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقّتهم ففاجأ أوّل الخيل فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة (عبثاً و عتوّاً)، قال: ثمّ مضت الخيل فأتى عليه سمرة بن جندب و هو متشحّط بدمه، فقال: ما

هذا؟ قيل: أصابته أوائل خيل الأمير. قال عتوّاً و
استكباراً: إذا سمعتم بنا قد نزلنا فاتقوا أسنتنا - انتهى.

وهذه القضايا من المتّفق على صدورها من سمرة،
نقلها كلّ من أرّخ حوادث سنة الخمسين، كابن جرير و
ابن الأثير و أمثالهما. و إذا كانت هذه أعمال سمرة في
سنّة أشهر و هو ثقة البخاري، و دليله على دين الباري،
و قد احتجّ به في الورقة الثالثة في كتاب «بدء الخلق» من
صحيحه[1] و جزم
بعدالته[2] في ظاهر القول و صريحه، فما ظنّك
بأعمال زياد ابن سمية الخبيث الفاسق بإجماع البريّة، و

---

[1] في آخر ص ١٣٨ من جزئه الثاني قبل باب ما جاء في صفة الجنّة بأربعة
أحاديث، و احتجّ به في موارد كثيرة، يعرفها المتتبّع، و نصّ الإمام محمّد بن
القيسراني في كتابه «الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي و أبي بكر
الأصفهاني» على احتجاج البخاري و مسلم كليهما في سمرة بن جندب مع ما
له من الأعمال فراجع أحواله في الجزء الرابع من «شرح النهج» للعلّامة ابن
أبي الحديد في السطر الأوّل من صفحة ٣٦٣ من المجلّد الأوّل من طبعة
مصر، لتعلم الحقيقة، و لو سبرت من قبل تلك الصفحة إلى ما بعدها بوريقات
لعلمت أحوال جملة من رجال البخاري، كابن العاص و المغيرة و مروان، و
أبي هريرة و غيرهم من عمّال معاوية و أوليائه.

[2] مع ما ثبت عنه من المساوئ التي من جملتها بيع الخمر على عهد عمر فيما
رواه المحدّثون و أخرجه أحمد بن حنبل من حديث عمر بن الخطّاب في
صفحة ٢٥ من الجزء الأوّل من مسنده، قال: ذكر لعمر أنّ سمرة باع خمراً،

قد ولّاه معاوية كما نصّ عليه الطبريّ في أحداث سنة خمسين من تاريخه (أعمال الكوفة و البصرة و المشرق كلّه، و سجستان و فارس و السند و الهند: فَكَمْ حُرَّةٍ فِي تِلْكَ الْوِلَايَةِ هُتِكَتْ، وَ كَمْ حُرْمَةٍ لِلَّهِ انْتُهِكَتْ، وَ كَمْ دِمَاءٍ زَكِيَّةٍ سُفِكَتْ، وَكَمْ بِدْعَةٍ اسْتَنَّتْ، وَكَمْ شِرْعَةٍ انْدَرَسَتْ، وَكَمْ أَعْيُنٍ مُسْلِمَةٍ اقْتُطِعَتْ و. و. و. إلى ما لَا يُحْصَى مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَرْبَرِيَّةِ وَ الْفَظَائِعِ الْأُمَوِيَّةِ الَّتِي تَقْشَعِرُّ لَهَا جُلُودُ الْبَرِيَّةِ، وَ تَنْصَدِعُ لِهَا قُلُوبُ الْإِنْسَانِيَّةِ.

لكن الجمهور لم ينوا على اجتهاد معاوية عذروه في أعمال عمّاله، و لم يخدشوا في عدالته عندهم بوائقه و لا بوائق رجاله.[1]

فقال: قاتل الله سمرة. إن رسول الله قال لعن الله اليهود حُرّمت عليهم الشحوم فباعوها.

[1] «الفصول المهمّة في تأليف الأمّة» ص ١٢٣ إلى ١٢٥، الطبعة الخامسة.

ذكر شيخ المعتزلة الإمام أبو جعفر الإسكافيّ رحمه الله تعالى فيما نقله عنه ابن أبي الحديد:[1] أنّ معاوية حمل قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه و البراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه. قال: منهم أبو هريرة، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، و من التابعين عروة بن الزبير، قال: و روى الزهريّ: أنّ عروة بن الزبير حدّثه فقال: حدّثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله صلّى الله عليه و آله، إذ أقبل العبّاس و عليّ، فقال لي صلّى الله عليه و آله:

يا عائشة! إن هذين يموتان على غير ملّتي - أو قال: على غير ديني.

---

[1] في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد فاقتلوه و لن تفعلوا ألا و إنّه سيأمركم بسبّي و البراءة منّي. شرح النهج، ج ١، ص ٣٥٨ و ما بعدها، طبعة مصر.

قال: و روى عبد الرزّاق عن معمّر قال: كان عند الزهريّ حديثان عن عروة، عن عائشة في عليّ عليه السلام فسألته عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما؟ اللهُ أعلَمُ بهما و بحَديثِهما. أنّي ألتَهِمُهُما في بني هاشِمٍ.

قال: فأمّا الحديث الأوّل فقد ذكرناه، و أمّا الحديث الثاني فهو أنّ عروة زعم أنّ عائشة حدّثته قالت:

كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَأَقْبَلَ العَبَّاسُ وَ عَلِيّ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ! إِنْ سَرَّكِ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَانْظُرِي إِلَى هَذَيْنِ قَدْ طَلَعَا!

فَنَظَرْتُ، فَإِذَا العَبَّاسُ وَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

قال: و أمّا عمرو بن العاص فروى فيه الحديث الذي أخرجه البخاريّ و مسلم في صحيحيهما مسنداً متّصلاً بعمرو بن العاص. قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول:

وَ اللهُ يَتَوَلّى إنَّما أوْلِياءَ، إنَّما لِبَنِي أبي طالِبٍ ليْسُوا بِأوْلِيائِي، إنْ آلَ أبي فُلانٍ صالِحُ المُؤْمِنِينَ.[1]

حديث موضوع في خِطبة عليّ عليه السلام ابنة أبي جهل

قال: و أمّا أبو هريرة فروى عنه الحديث الذي معناه أنّ عليّاً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صلّى الله عليه و آله فأسخطه، فخطب صلّى الله عليه و آله على المنبر، و قال:

لَا هاءِ اللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ وَلِيِّ اللهِ وَ بِنْتُ عَدُوِّ اللهِ أبي جَهْلٍ. إنّ فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنّي يُؤْذِينِي ما يُؤْذِيها! فَإنْ كانَ عَلِيٌّ يُرِيدُ بِنْتَ أبي جَهْلٍ فَلْيُفارِقْ بِنْتِي وَ لْيَعْلَمْ ما يُرِيدُ.

قال: و الحديث مشهور في رواية الكرابيسيّ. قال: قلت: و هذا الحديث مخرج أيضاً في «صحيح مسلم» و «البخاريّ» عن المسوّر بن مخرمة الزهريّ. فقد ذكره

---

[1] روى أبو ريّة في كتابه «شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ١٧٦ و ١٧٧، الطبعة الثانية، هذه الرواية عن أبي جعفر الإسكافيّ و أضاف في ذيلها: أمّا أبو هريرة، فلم يقف عند وضع الأحاديث في الطعن في عليّ و إنّما زاد من وضع أحاديث ترفع من شأن آل أبي العاص عامّة و معاوية خاصّة، و ستر ى ذلك قريباً. هؤلاء بعض من ظاهر و معاوية بألسنتهم و رواياتهم التي نسبوها إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله. أمّا الذين ناصروا معاوية بسيوفهم فهم ألوف عديدة. و منهم و أسفاً من الصحابة كثيرون.

المرتضى في كتابه المسمّى تنزيه الأنبياء و الأئمّة» و ذكر أنّه من رواية حسين الكرابيسيّ، و أنّه مشهور بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام و عداوتهم و المناصبة لهم فلا تُقبل روايته.[1]

قال أبو ريّة: كي يدرأوا التهم عن بعض الصحابة الذين فتنتهم الدنيا أوردوا حديثاً يقول: أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ. و هذا الحديث لا أصل له. و لهذا الحديث قصّة جرت بيني و بين النّاصبيّ محبّ الدين الخطيب. فإنّه عند ما ظهر كتابي «الأضواء» و اطّلع فيه على فصل «عدالة الصحابة» قابلني غاضباً، و قال: كيف تذكر ذلك بعد أن قال فيهم النبيّ صلّى الله عليه و آله: أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ (الحديث).

---

[1]. «النصّ و الاجتهاد» ص ٣٥٤، الطبعة الثانية، صور، لبنان، سنة ١٣٨٠ هـ.

فقلت له: إنّك قد أوردت هذا الحديث في تعليقاتك على كتاب «المنتقى» للذهبيّ ص ٧١ على أنّه صحيح و قد طعنوا فيه، و من كبار الطاعنين ابن تيميّة فاشتدّ غضبه، و قال: في أي موضعٍ هذا الطعن؟! فقلتُ له: في نفس كتابك «المنتقى» فكاد يتميّز من الغيظ، و قال: في أي صفحةٍ؟ قلتُ له: في صفحة (٥٥١) و فيها يقول ابن تيميّة: و حَديثُ أصْحابي كالنُّجُومِ، بعضُه أئمّة الحديث فلا حجّة فيه. و ما كاد يقرأ هذا الكلام الذي أثبته هو بنفسه في كتاب حقّقه و نشره بين الناس حتى بُهت و اصفرّ وجهه. و قد قلتُ له قبل أن اغادر مجلسه: إن كتاب «المنتقى» هذا سيسجّل عليك هذا الجهل و هذه الوصمة إلى يوم القيامة![1]

---

[1] قال أبو ريّة في كتاب «أضواء على السنّة المحمّديّة» ص ٣٤٤، الطبعة الثالثة: و قال الغزّاليّ في «المستصفى» و زعم قوم أنّ حالهم كحال غيرهم في لزوم البحث ... و قال قوم: حالهم العدالة في بداية الأمر إلى ظهور الحرب و الخصومات، ثمّ تغيّرت الحال و سُفكت الدماء، فلا بدّ من البحث. و ممّا يتّكئ عليه من يعتقدون عدالة جميع الصحابة قولهم: إن رسول الله قال: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم. و في رواية: فأيّهم أخذتم بقوله ... و لكن هذا الحديث باطل لا أصل له.

و بمناسبة التشيّع لمعاوية و التقرّب إليه بروايته

أحاديث مكذوبة على النبيّ صلّى الله عليه و آله ترفع من

شأنه نسوق إليك حديثاً رواه مسلم في صحيحه!! معناه:

أنّ أبا سفيان بن حرب طلب من النبيّ صلّى الله عليه

و آله أن يزوّجه ابنته أمّ حبيبة و أن يجعل معاوية كاتباً

بين يديه ... إلى آخر الحديث. و قد ذكر أئمّة الحديث أنّ

هذا الحديث باطل بالإجماع لأنّ أبا سفيان قد دخل في

الإسلام يوم فتح مكّة بالإجماع، أمّا ابنته أمّ حبيبة - و

اسمها رملة - فقد أسلمت قبل الهجرة و حَسُنَ إسلامها، و

كانت ممّن هاجر إلى الحبشة هرباً

من أبيها، و قد تزوّجها رسول الله و أبوها كافر. و لأنّ هذا الزواج، قال كلمته المشهورة: **لَا لُحَفَلا كَلِذَ** لما بلغه **أَنْفُهُ عُدْجُيِ** (ص ١٦ من «تفسير سورة الإخلاص» الذي يلقّب عند الجمهور بشيخ الإسلام)[1].

موضوعات أبي هريرة في فضل عثمان و معاوية

و لم يكن ما قدّم أبو هريرة لمعاوية جهاداً بسيفه أو بماله، و إنّما كان جهاده أحاديث ينشرها بين المسلمين يخذّل بها أنصار عليّ و يطعن فيها عليه، و يجعل الناس يبرؤون منه، و يشيد بفضل معاوية و دولته. و قد كان ممّا رواه أحاديث في فضل عثمان و معاوية و غيرهما ممّن يمتّ بأواصر القُربى إلى آل أبي العاص و سائر بني اميّة.

روى البيهقيّ عنه أنّه لما دخل دار عثمان و هو محصور، استأذن في الكلام. و لما أذن له قال: أنّي

---

[1] لحفل عجد. شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ١٧٧ و ١٧٨، الطبعة الثانية. **أَنْفُهُ بِالرُّمْحِ، وَ إِذَا كَانَ غَيْرَ رَمِيكَ** فتفيد كلمة أبي سفيان إذن أنّ محمّداً شجاع لا يُجدع أنفه بالرُّمح، أي: هو رجل كريم ذو قوّة و كرامة.

سمعتُ رسول الله يقول: أنكم ستلقون بعدي فتنةً و اختلافاً. فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟! أو ما تأمرنا؟! فقال: عليكم بالأمين و أصحابه، وهو يشير إلى عثمان.[1] وقد أورده أحمد بسند جيّد.

ولما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة، فقال:

أنشدك الله! أتقرأ وقد سمعتُ رسول الله يقول: إن حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض، ثم جاء أبو بكر فتناوله، ثم جاء عمر فتناوله، ثم جاء عثمان فتناوله، ثم جاء قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولهم يرزقون، يعملون[2] بما جاء به النبيون؟ قال: فقلتُ: أي وربّ الكعبة. قال: فأعجب ذلك عثمان، وأمر بالمصاحف.[3]

---

[1] باب كتابي فيه ذكر أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، عن أحمد بن منيع، عن أبي هريرة. وذكر أيضاً عن البيهقي، عن أحمد بن منيع، عن أبي هريرة. وهذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٠٦، الطبعة الثانية. وأورده الشيخ المضيرة في «أضواء على السنة المحمدية» ص ٢٠٦، الطبعة الثانية.

[2] نَزَلُوا بِصِدْقٍ (في الطبعة الثالثة ص ٢٢٩).

[3] ٢١٦. ص ٧، ج ٧، ريتشارد بلاشير، «تاريخ القرآن»

و هذا الحديث من غرائبه، و هو يتطق و لا ريب بأنّه ابن ساعته.

و ممّا وضعه في معاوية ما أخرجه الخطيب عنه:

ناول النبيّ صلّى الله عليه و آله معاوية سهماً، فقال:

خُذْ هَذَا السَّهْمَ حَتَّى تَلْقَانِي بِهِ فِي الْجَنَّةِ.

و أخرج ابن عساكر، و ابن عديّ، و الخطيب البغداديّ عنه: سمعت رسول الله يقول: إِنَّ اللهَ اؤْتُمِنَ عَلَى وَحْيِهِ ثَلَاثَةً: أَنَا وَ جَبْرِيلُ وَ مُعَاوِيَةُ.

في رواية اخرى عن أبي هريرة مرفوعاً: الأُمَنَاءُ ثَلَاثَةٌ: جِبْرِيلُ وَ أَنَا وَ مُعَاوِيَةُ.[1]

و نظر أبو هريرة إلى عائشة ابنة طلحة و كانت مشهورةً بالجمال الفائق فقال:

سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَحْسَنَ مَا غَذَّاكِ أَهْلُكِ! وَ اللهِ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْكِ إِلَّا وَجْهَ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ.[2]

---

1. «البداية و النهاية» لابن كثير، ج ٨، ص ١٢٠.

2. «العقد الفريد» ج ٦، ص ١٠٩.

و الأخبار في ذلك كثيرة. و لقد بلغ من نصرته

لنبي اميّة أنّهم كانوا يحثّون الناس على ما يطالب به عمّالهم

من صدقات، و يحذّرهم أن يسبّوهم.[1]

و مع أنّنا نلحظ آلاف الأحاديث الموضوعة في كتب

العامّة عن أبي

[1] الأضواء على السنّة المحمّدية» ص ٢١٤ و ٢١٥، الطبعة الثالثة.

هريرة، و ذهب البعض إلى أنّها بلغت (٥٣٧٤)

هلموا لننظر كم عدد الأحاديث المأثورة عن أمير المؤمنين، و سيّد الوصيّين و قائد الغرّ المحجّلين و يعسوب المسلمين؟!

قال أبو ريّة: أوّل من أسلم و تربّى في حجر النبيّ و عاش تحت كنفه من قبل البعثة و ظلّ معه إلى أن انتقل النبيّ إلى الرفيق الأعلى لم يفارقه لا في سفر و لا في حضر وهو ابن عمّه و زوج ابنته فاطمة الزهراء، شهد المشاهد كلّها سوى تبوك فقد استخلفه النبيّ فيها على المدينة. فقال: يا رسول الله! أ تخلّفني في النساء و الصبيان؟ فقال رسول الله: أ ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟

هذا الإمام الذي لا يكاد يضارعه أحد من الصحابة جميعاً في العلم قد أسندوا له كما روى السيوطيّ (٥٨) حديثاً. و قال ابن حزم: لم يصحّ منها إلّا خمسون حديثاً لم يرو البخاريّ و مسلم منها إلّا نحواً من عشرين حديثاً.[1]

---

[1]. «الأضواء» ص ٢٢٤ و ٢٢٥، الطبعة الثالثة.

قال المحقّق الخبير و العالم البصير السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي:

افترى أبو هريرة افتراءات قبيحة على النبيّ و نسب إليه كلمات غير صحيحة من خلال التغطية على جرائم مروان و معاوية و أوليائهما كي يجعلهم مثل النبيّ في الخطأ و يجعل معاصيهم و جرائمهم قابلةً للعفو و التغاضي. و بعبارةٍ اخرى: أتّهم النبيّ حفاظاً لكرامة معاوية و مروان.

نقل آية الله العاملي عن أبي هريرة أنّه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول:

اللهُمَّ إنَّما مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَما يَغْضَبُ البَشَرُ. فَأيُّما مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ

ُبرِّقُتَ ًةبْرُقَوُهَلَّآرَفَكَكِلَذلْعَجْاَفُهُثْدَلَجْوأُهُثْبَسَبْوأ

.هِبِاقيَلإْكيَوْمَالقيامَة

وقدعملمروان وبنوهفيتعدادأساندأبيهريرة و تكثيرطرقه أعماًلجبّارةلميألوافيهاجهداً، و لم يدّخروا وسعاً؛ حتى أخرجه أصحاب الصحاح و السنن و المسانيد.[1]

أجمع أهل الحديث ـ كما في ترجمته من «الإصابة» و غيرها ـ على أنّه أكثر الصحابة حديثاً، و قد ضبط الجهابذة من الحفظة الأثبات حديثه، فكان خمسة آلاف و ثلاثمائة و أربعة و سبعين مسنداً. و له في البخاري فقط أربعمائة و ستّة و أربعون حديثاً.

و قد نظرنا في مجموع ما روي من الحديث عن الخلفاء الأربعة فوجدناه بالنسبة إلى حديث أبي هريرة وحده أقلّ من السبعة و العشرين في المائة، لأنّ مجموع ما روي عن أبي بكر إنّما هو مائة و اثنان و أربعون حديثاً،

---

[1] «أبو هريرة» للسيّد شرف الدين، ص ٤٣ إلى ٤٥، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٤ هـ - النجف الأشرف.

و كلّما أسند إلى عمر إنّما هو خمسمائة و سبعة و ثلاثون حديثاً، و كلّما لعثمان مائة و ستّة و أربعون حديثاً، و كلّما رووه عن عليّ خمسمائة و ستّة و ثمانون مسنداً فهذه ألف و أربعمائة و أحد عشر حديثاً، فإذا نسبتها إلى حديث أبي هريرة وحده (وقد عرفت أنّه ٥٣٧٤) تجد الأمر كما قلناه![1]

وقال السيّد شرف الدين أيضاً: لو صحّ ما زعمه أبو هُريرة من دعاء النبيّ له و لأُمّه بأن يحبّبهما إلى المؤمنين و يحبّب المؤمنين إليهما لأحبّه أهل بيت النبوّة و موضع الرسالة فإنّهم سادة المؤمنين و قادة أهل الملّة

---

[1]- «أبو هريرة» للسيّد شرف الدين، ص ٤٦، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٤ هـ. النجف الأشرف.

و الدين.فما بال أئمّتهم الاثني عشر و سائر علمائهم يرذلونه و يُسقطون حديثه و لا يأبهون بشيء ممّا انفرد به؟ حتى قال أمير المؤمنين[1] عليه السلام: أَلَا إِنَّ أَكْذَبَ النَّاسِ - أَوْ قَالَ: أَكْذَبُ الْأَحْيَاءِ - عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ![2]

على هذا الأساس ينقل العامّة أحاديث أبي هريرة و أمثاله في كتبهم و يعدّونها من الأحاديث الصحيحة، و يرون أنّ صحاحهم - كـ «صحيح البخاري» و «مسلم» - مشحونة بها و باعتبارها.

و لمّا ثبت بطلان و كذب و دغل أبي هريرة، و عِكرمة، و المغيرة، و عروة بن الزبير، و كعب، و أمثالهم. و وجدنا أنّ هؤلاء يشكّلون معظم المصادر

---

[1] في هذا المعنى أخبار متواترة عن أئمّة العترة الطاهرة. و قد أرسل هذه الكلمة عن أمير المؤمنين عليه السلام بالخصوص إمام المعتزلة أبو جعفر الإسكافي كما في ص ٣٦٠ من المجلّد الأوّل من «شرح النهج» الحميدي.

[2] و قد أورد أبو ريّة أيضاً في «أبو هريرة» للسيّد شرف الدين ص ١٥٩ و ١٦٠. و نقله في «شيخ المضيرة» ص ١١٩.

الأصليّة الأحاديث العامّة، فلا شأن و لا وزن لكتبهم، و دُمّر صرح وهمهم و خيالهم.

انتقاد رشيد رضا الأحاديث الصحيحَين

وهذه حقيقة اعترف بها كثير من الناقدين و الباحثين في مغزى الأحاديث و متونها كالدكتور أحمد أمين، و السيّد محمّد رشيد رضا، و الشيخ محمّد عبده، و الدكتور طه حسين، و الدكتور محمّد توفيق صدقي، و الشيخ محمود أبو ريّة و تحدّثوا بالتفصيل عن سقم أخبار الصحيحين و نظائرها إجمالًا.

قال أبو ريّة: و من الذين انتقدوا أحاديث أبي هريرة في هذا العصر

هم (هؤلاء)[1].

قال السيّد محمّد رشيد رضا: ... و ممّا لا شكّ فيه أيضاً أنّه يوجد في غيرهما (صحيح البخاري» و «مسلم») من دواوين السنّة أحاديث أصحّ من بعض ما فيهما ... .

و لكنّه (صحيح البخاري) لا يخلو من أحاديث قليلة في متونها نظر قد يصدق عليه بعض ما عدّوه من علامة الوضع، كحديث سحر بعضهم للنبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم الذي أنكره بعض العلماء كالإمام الجصّاص من المفسّرين المتقدّمين، و الأستاذ الإمام محمّد عبده من المتأخّرين لأنّه معارض بقوله تعالى:

إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ، انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا.[2]

هذا و إنّ في البخاري أحاديث في امور العادات و الغرائز ليست من اصول الدين و لا فروعه.

---

[1]. شيخ المضيرة» ص ١٣٢.

[2]. الإسراء: ١٧، من السورة ٤٨ و ٤٧ الآيتان.

فإذا تأمّلتم هذا و ذاك علمتم أنّه ليس من اصول الإيمان و لا من أركان الإسلام أن يؤمن المسلم بكلّ حديث رواه البخاريّ مهما يكن موضوعه، بل لم يشترط أحد في صحّة الإسلام و لا في معرفته التفصيليّة الاطّلاع على «صحيح البخاريّ» و الإقرار بكلّ ما فيه.

و علمتم أيضاً أنّ المسلم لا يمكن أن ينكر حديثاً من هذه الأحاديث بعد العلم به إلّا بدليل يقوم عنده على عدم صحّته متناً و سنداً. فالعلماء الذين أنكروا صحّة بعض هذه الأحاديث لم ينكروها إلّا بأدلّة قامت عندهم

قد يكون بعضها صواباً و بعضها خطأً و لا يُعدّ أحدهم عاصياً في دين الإسلام.[1]

وَ «الصَّحِيحُ» أَنْ يُقَالَ: كُلُّ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ فَإِنَّهُ يُثَابُ عَلَيْهِ وَ إِنْ لَمْ يَصِحَّ عَنْهُ؛ أَوِ الْعَمَلُ الَّذِي يُؤْمَرُ بِهِ فِي أُصُولِ الْإِسْلَامِ.

سبحان الله! يقول مالئين المسلمين من الحنفيّة: إن رفع اليدين عند الركوع و القيام منه مكروه شرعاً و قد روى البخاريّ في صحيحه و غير صحيحه عن عشرات من الصحابة بأسانيد كثيرة جدّاً، و لا إثم عليهم و لا حرج، لأنّ إمامهم لم يصحّ عنده ألبتّة لم يطّلع على أسانيد البخاريّ فيه. و كلّ من اطّلع من علماء مذهبه عليها يوقن بصحّتها. ثمّ يكفّر مسلم من خيار المسلمين علماً و عملاً و دفاعاً عن الإسلام و الدعوة إليه،[2] بدليل أو شبهة على صحّة حديث رواه البخاريّ عن رجل يكاد يكون

---

[1] ١٠٥. «المنار» ج ٢٩، ص ١٠٤ و

[2] حديث طعن في سنده، و كان قد توفيق صدقي محمّد الدكتور هو المسلم هذا الذباب فكفّره يشوخ الأزهر بذلك كما هي عادتهم.

مجهولًا و اسمه يدلّ على أنّه لم يكن أصيلًا في الإسلام و هو عبد بن حنين. و موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام و لا من عباداته و لا من شرائعه، و لا التزم المسلمون العمل به.

بل ما من مذهب من مذاهب المقلّدة إلّا و أهله يتركون العمل ببعض ما صحّ عند البخاري و عند مسلم أيضاً من أحاديث التشريع المرويّة عن كبار أئمّة الرواة لعلل اجتهاديّة أو لمحض التقليد.

و قد أورد المحقّق ابن القيّم أكثر من مائة شاهد على ذلك في كتابه «أعلام الموقّعين» و هذا المفكّر للدكتور منهم[1] (و لا يعمل بكثير من أخبار البخاري و مسلم).

و هاك كلمة للمسيو أميل درمنغهم، قالها في كتاب «حياة محمّد»

إن من المنابع الأولى لسيرة محمّد القرآن و السنّة.

فالقرآن هو أوثقها سنداً و لكنّه غير شامل الشمول الكافي

[1] ٣٠٦. إلى ٣٠٤ ص «أعلام الموقعين»

في هذا الموضوع، و أمّا الحديث فبرغم جميع ما تحرّاه المحدّثون لا سيّما البخاريّ في جمع أقوال الرسول و الإحاطة بأقلّ إشارة من إشاراته و ترجمة الرجال الذين روى عنهم الحديث مسلسلًا و معنعنًا لا يزال فيه كثير ممّا هو محلّ للتهمة و ممّا هو موضوع ... إلى آخره.

و علّق الأمير شكيب أرسلان على كلام درمنغهم بقوله:

... هو غير معتقد بصحّة كثير من الأحاديث حتى الوارد منها في الصحيحين. و هذا مشرب من المشارب الفكريّة لا نقدر أن نؤاخذه عليه لا سيّما أنّ كثيرين من المسلمين، و من ذوي الحميّة الإسلاميّة و ممّن لا ينقصهم شيء من الإيمان و الإيقان يشاركون المسيو درمنغهم في هذا الرأي ... و لا يرون من الواجب الدينيّ الإيمان بكلّ ما جاء في الصحيحين و غيرهما من الأحاديث لاحتمال أن يكون تطرّق إليها التبديل و التغيير، أو دخلها الزيادة و النقصان، إذ من المعلوم أنّهم كانوا يروون الأحاديث بالمعنى. و إذا روى الحديث

بالمعنى لم يخل الأمر من أن تتطرّق إليه زيادات كثيرة قد يتغيّر بها المعنى أو يبعد عن أهله، إلى أن قال:

و الأدلّة التي تستظهر بها هذه الفئة على وجوب عدم القطع بأكثر الأحاديث و لزوم التوقّف في كثيرٍ مما يسارع الناس فيه هي ما يلي:

أوّلاً: عدم إمكان رواية الأحاديث إلّا النادر الأندر بدون زيادة أو نقصان مما يعرفه كلّ إنسان من نفسه، و ذلك أنّه إذا أراد أن يُعيد كلاماً سمعه و لو بعد سماعه إيّاه بساعةٍ من الزمن تعذّر عليه سرده بحرفه.

ثانياً: كونهم يقولون: إن ما لا يكاد يُحصى من الأحاديث مرويّ بالمعنى، فيتغيّر فيه كثير من اللفظ.

ثالثاً: جواز السهو و النسيان ممّا لا يخلو منه إنسان و لا يمكن الجدال فيه أصلاً.

رواج الكذب في عصر النبيّ صلّى الله عليه و آله

رابعاً: كون النبيّ صلّى الله عليه و آله نفسه أشار إلى وضع الأحاديث عليه في أيّامه و أنّه من أوثق الأحاديث قوله:

لَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.[1]

ثمّ قال: و لا يزال الشكّ يحوم حول أحاديث كثيرة واردة في الصحاح، و هذا الشكّ ليس من جهة عدم الأمانة في النقل و لكن من جهة عدم استطاعة البشر إلّا ما ندر من رواية كلّما يسمعونه بحرفه، أو من وصف كلّ حادثة كانوا فيها كما وقعت بلا زيادة و لا نقصان، و

[1] يثبت الشيخ محمود أبو ريّة بقاطعيّة أنّ هذا الحديث هو بلفظه المذكور فحسب، و ليس فيه كلمة (متعمّداً). و هذه الكلمة من إضافات الرواة ليجعلوا كذبهم على النبيّ سهوياً لا عمدياً.

قد يكون اثنان في حادثة من الحوادث ويريويها كلّ واحد منهما بشكل يختلف قليلًا أو كثيرًا عن الآخر.[1]

هذا المورد الرابع في غاية الأهمّيّة أي: الكذب على النبيّ. لهذا ينبغي ألّا نكتفي باللنظر في سند الحديث للوقوف على صوابه وسقمه، بل لا بدّ من النظر أيضاً في متنه ومضمونه. ومن المؤسف أنّ محدّثينا العامّة لا تنظر إلى عدالة الرواة (لأنّهم جميعاً عدول عندهم) بل لا تنظر أيضاً إلى متن الحديث ومضمونه، ولهذا تُلحظ فيها كثيراً أخبار يخالف محتواها

[1] انظر: هاشم العالم الإسلامي، ج ١، ص ٤٤ إلى ٥١؛ وفؤاد على النّة الصحيحة، ص ٣٢٠ و ٣٢١، الطبعة الثالثة.

العقل و العلم و الشهود و الوجدان. منها الأحاديث التي اختلقها أبو هريرة. وننقل فيما يأتي عدداً منها:

الأول: طواف سليمان بمائة امرأة في ليلة!

أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً: قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلة بمائة امرأة، تلد كلّ امرأةٍ غلاماً يقاتل في سبيل الله! فقال له الملَك: قل: إن شاء الله، فلم يقل!! فأطاف بهنّ، فلم تلد منهنّ إلّا امرأة نصف إنسان!

قال أبو هريرة: قال النبيّ صلّى الله عليه و آله: لو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته.

قال السيّد عبد الحسين شرف الدين بعد نقل هذا الحديث: وفي هذا أيضاً نظر من وجوه:

أحدها: أنّ القوّة البشريّة تضعف عن الطواف بهنّ في ليلة واحدة مهما كان الإنسان قويّاً. فما ذكره أبو هريرة من طواف سليمان عليه السلام بهنّ مخالف لنواميس الطبيعة لا يمكن عادةً وقوعه أبداً.

ثانيها: أنّه لا يجوز على نبيّ الله تعالى سليمان عليه السلام أن يترك التعليق على المشيئة، و لا سيّما بعد تنبيه الملَك إيّاه إلى ذلك. و ما يمنعه من قول: إن شاء الله، و هو من الدعاة إلى الله و الأدلّاء عليه؟ و إنّما يتركها الغافلون عن الله عزّ و جلّ، الجاهلون بأنّ الأمور كلّها بيده. فما شاء منها كان و ما لم يشأ لم يكن.

و حاشا أنبياء الله عن غفلة الجاهلين. إنّهم عليهم السلام فوق ما يظنّ المخرّفون.

ثالثها: أنّ أبا هريرة قد اضطرب في عدّة نساء سليمان، فتارة روى

و [2]، أنّهنّ مائة امرأة، و [1] تارة يروي أنّهنّ تسعون، و تارة يروي أنّهنّ ستّون.[4] و تارة يروي أنّهنّ سبعون،[3] و هذه الروايات كلّها في صحيحَي البخاريّ و مسلم و «مسند أحمد». فما أدري ما يقوله فيها المعتذرون عن هذا الرجل (أبي هريرة)؟! أ يقولون: إن هذه الحادثة تكرّرت من سليمان مع زوجاته؟ و كنّ مرّة مائة، و مرّة كنّ تسعين، و مرّة سبعين، و اخرى ستّين! و في كلّ مرّة ينبّهه المَلَكُ فلا يقول، ما أظنّهم يقولون بهذا. و لو قالوا:

---

[1] و قد أخرجه البخاريّ في باب قول الرجل: **لألطوفنّ الليلة على نسائي** في آخر ص ١٧٦ من الجزء الثالث من صحيحه، في الورقة الأخيرة من كتاب النكاح. و أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ص ٢٢٩ و ٢٧٠ من الجزء الثاني من مسنده.

[2] كما أخرجه البخاريّ عنه في ص ١٠٧ من الجزء الرابع من صحيحه، في باب الاستثناء في الإيمان، من كتاب الإيمان و النذور.

[3] كما أخرجه البخاريّ بالإسناد إليه في ص ١٦٥ من الجزء الثاني من صحيحه في باب قوله تعالى: وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ. (الآية ٣٠، من السورة ٣٨: ص) من كتاب بدء الخلق.

[4] كما أخرجه مسلم بالإسناد إليه في باب الاستثناء من كتاب الإيمان، ص ٢٣ من الجزء الثاني من صحيحه، و أخرج مسلم أيضاً في ذلك الباب نفسه حديثاً من طريق ثالث عن أبي هريرة أنّهنّ سبعون، و أخرج فيه من طريق آخر أنّهنّ تسعون فراجع.

لمثل في وهم. أولى على القارع، لكان عِ القَرْ على خَ السَّ تِ دَقِ

السائر: لَيْسَ كِذْبٌ بِحافِظَةٍ.[1]

لطم موسى مَلَكَ الموت

الثاني: لطم موسى عينَ مَلَكِ الموت.

أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فقال له: **أجِبْ رَبَّكَ!** قال: فلطم

[1] أبو هريرة» للسيّد شرف الدين، ص ٦٩ و ٧٠، الطبعة الثالثة.

موسى عين ملك الموت ففقأها. قال: فرجع المَلَك إلى الله تعالى، فقال: إنّك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت ففقأ عيني. قال: فردّ الله إليه عينه و قال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت بيدك من شعرة فإنّك تعيش بها سنة (الحديث)[1].

و أخرجه أحمد في مسنده[2] عن أبي هريرة في حديث مرفوع فيه: إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً: قال: فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه (الحديث).

و أخرجه ابن جرير الطبري في الجزء الأوّل من تاريخه[3] عن أبي هريرة و لفظه عنه: أنّ ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه و

---

[1] لئن اضفت بابي في قرية رطبة رير هي بأن عن أخرجه أحمد و قوم لسم ظفلبه ماندر و أ و ، ي ناثلا ء زجلا ن م ، ٣٠٩ ص ه حيحص ن م ل ئاضفلا ب اتكا ن م ى سوم رضخلا ث يدحد عبق لخلا ء دبب اتكا ن م ى سوم ة افو ب اب ي في رّ اخبلا ه جرخأ و ، ي ناثلا ء زجلا ن م ١٦٣ ص ع ارف ، ه حيحصن م ن يتحفص ن م ل قأ ب ه جرخأ ن م زئانجلا ب اب م ن أ حبّ دلا ف ن ي أ ر ض لا ملقمّدقت ة م ن أ و اب

آخره: أنّ ملك الموت جاء إلى الناس خفيّاً بعد موت موسى.[1]

و أنت ترى ما فيه ممّا لا يجوز على الله تعالى، و لا على أنبيائه. و لا على ملائكته، أ يليق بالحقّ تبارك و تعالى أن يصطفي من عباده من

[1] و أنّ ملك الموت كان يأتي عياناً قبل وفاة موسى لطفحت به الأخبار و اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار فما بال المحدّثين و المؤرّخين و أهل الأخبار من جميع الأمم أغفلوا هذا الخبر و كان له أثر؟ و ما بال القصّاصين و المخرّقين ما حام خيالهم حوله، فهلّا تركوا الامتياز به ألبتّة؟!

يبطش على الغضب بطش الجبّارين؟ ويوقع بأسه
حتى في ملائكة الله المقرّبين؟ ويعمل عمل المتمرّدين؟
ويكره الموت كراهة الجاهلين؟

و كيف يجوز ذلك على موسى، و قد اختاره الله
لرسالته و ائتمنه على وحيه، و آثره بمناجاته، و جعله
منساة رُسُله؟! وكيف يكره الموت هذا الكُره معشر
مقامه، و رغبته في القرب من الله تعالى و الفوز بلقائه؟
و ما ذنب مَلَك الموت عليه السلام؟ و إنّما هو رسول الله
إليه و بما استحقّ الضرب و المثلة فيه بقلع عينه؟ و ما
جاء إلّا عن الله و ما قال له موسى: أجب ربّك؟ أ يجوز
على اولي العزم من الرسل إهانة الكرّوبيّين من الملائكة
و ضربهم حين يبلّغونهم رسالات الله و أوامره عزّ و
جلّ؟ **تعالى الله وَتَعَالَتْ أَنْبِيَاؤُهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.**

و نحن لَمَ برئنا من أصحاب الرسّ، و فرعون
موسى، و أبي جهل، و أمثالهم و لعنّاهم بكرةً و أصيلًا؟
أ ليس ذلك لأنّهم آذوا رسل الله حين جاءوهم بأوامره

فكيف نجوّز مثل فعلهم على أنبياء الله و صفوته من عباده؟

حاشا لله إن هذا لبهتان عظيم!

ثمّ إن من المعلوم أنّ قوّة البشر بأسرهم، بل قوّة جميع الحيوانات منذ خلقها الله تعالى إلى يوم القيامة لا تثبت أمام قوّة ملك الموت فكيف - و الحال هذه - تمكّن موسى عليه السلام من الوقيعة فيه؟ و هلّا دفعه الملك عن نفسه؟ مع قدرته على إزهاق روحه، و كونه مأموراً من الله تعالى بذلك. و متى كان للملك عين تجوز أن تُفقأ؟! و لا تنسَ تضييع حقّ الملَك و ذهاب عينه! و لطمته هدراً؟ إذ لم يؤمر الملك من الله بأن يقتصّ من موسى صاحب التوراة التي كتب الله فيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِ

وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ.[1]

و لم يعاتب الله موسى على فعله هذا بل أكرمه إذ خيّره بسببه بين الموت و الحياة سنين كثيرة بقدر ما تواريه يده من شعر الثور. و ما أدري و الله ما الحكمة في ذكره شعر الثور بالخصوص؟! أما و عزّة الحقّ، و شرف الصدق، و علوّهما على الباطل و الإفك لقد حمّل هذا الرجل أولياءه ما لا طاقة لهم به، و كلّفهم بأحاديثه هذه بما لا تحتمله عقولهم أبداً و لا سيّما قوله في هذا الحديث: إن مَلَكَ الموتِ قبل وفاة موسى كان يأتي الناس عياناً، و إنّما جاءهم خفيّاً بعد موت موسى. نعوذ بالله من سبات العقل و خطل القول و الفعل. وَ لا حَوْلَ وَ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.[2]

---

[1] إشارة إلى آية ٤٥، من السورة ٥: المائدة. و قد وجدنا في الفقرة (٢٣) من الإصحاح (٢١) من التوراة الموجودة في أيدي اليهود إلخ روج من إصحاحات و النصارى في هذه الأيّام ما هذا لفظه: **إن صَلَتْ أَيْ قَطَعَتْ أُذُنٌ أَوْ سِنٌّ فَنَفْسٌ بِنَفْسٍ وَ عَيْناً بِعَيْنٍ وَ سِنّاً بِسِنٍّ وَ يَداً بِيَدٍ وَ رِجْلاً بِرِجْلٍ وَ كَيّاً بِكَيٍّ وَ جَرْحاً بِجَرْحٍ وَ رَضّاً بِرَضٍّ.**

[2] أبو هريرة للسيّد شرف الدين، ص ٧٠ إلى ٧٢.

الثالث: فرار الحجر بثياب موسى و عدوّ موسى خلفه و نظر بنو إسرائيل إليه مكشوفاً.

أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: كان بنو إسرائيل يغتسلون عراةً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض. و كان موسى عليه السلام يغتسل وحده. فقالوا: و الله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلّا أنّه آدر (أي: ذو فتق) قال: فذهب مرّة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففرّ الحجر بثوبه. فجمع موسى بأثره يقول: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ!

حتّى نظر بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: و الله ما بموسى من

بأس. فقام الحجر بعد حتى نظر إليه فأخذ موسى ثوبه فطفق بالحجر ضرباً. فو الله إن بالحجر ندباً ستّة أو سبعة (الحديث)[1].

و في الصحيحين عن أبي هريرة أنّ هذه الواقعة هي التي أشار الله إليها بقوله عزّ من قائل:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً.[2]

و أنت ترى ما في هذا الحديث من المحال الممتنع عقلاً فإنّه لا يجوز تشهير كليم الله عليه السلام بإبداء سوأته على رؤوس الأشهاد من قومه، لأنّ ذلك ينقصه و يسقط من مقامه، و لا سيّما إذا رأوه يشتدّ عارياً ينادي الحجر، و هو لا يسمع و لا يبصر: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ!

---

[1] أورده بلفظ مسلم، إذ أخرجه عن أبي هريرة بطرق كثيرة فراجع باب فضائل موسى، ص ٣٠٨ من الجزء الثاني من صحيحه. و أخرجه البخاري في الباب الذي هو بعد حديث الخضر من صحيحه، ص ١٦٢ من الجزء الثاني، و في ص ٤٢ من الجزء الأوّل في باب مَن اغتسل عرياناً من كتاب الغسل، و أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة من طرق كثيرة فراجع ص ٣١٥ من الجزء الثاني من مسنده.

[2] الآية ٦٩، من السورة ٣٣: الأحزاب.

ثمّ يقف عليه وهو عار أمام الناس فيضربه و
الناس تنظر إليه مكشوف العورة كالمجنون! و هذه
الحركة لو صحّت فإنّما هي من فعل الله تعالى فكيف
يغضب منها كليم الله فيعاقب الحجر عليها؟! وما هو إلّا
مقسور على الحركة، و أيّ أثر لعقوبة الحجر؟

ثمّ إنه ربه بثياب موسى عليه السلام لا يليق له إبداء
عورته، وهتك نفسه لذلك وقد كان في إمكانه أن يبقى في
مكانه حتى يؤتى بثياب أو بستار غيرها كما يفعله كلّ ذي
لُبٍّ إذا ابتلي بمثل هذه القصّة.

على أنّ هرب الحجر من المعجزات و خوارق العادات التي لا تكون إلّا في مقام التحدّي كمقام انتقال الشجرة في مكّة المعظّمة لرسول الله صلّى الله عليه و آله حين اقترح عليه المشركون ذلك فنقلها الله عزّ و جلّ من مكانها تصديقاً لدعوته و تثبيتاً لنبوّته صلّى الله عليه و آله، و من المعلوم أنّ مقام موسى عليه السلام و هو مقام التحدّي و تعجيز فلا تقع فيه المعجزات لم يكن مقام تحدٍّ و تعجيز فلا تقع فيه المعجزات و خوارق العادات و لا سيّما إذا ترتّب عليها فضيحة نبيّ الله بإبداء سوأته للأمم من قومه على وجه يستخفّ به كلّ من رآه و كلّ من سمع بخبره هذا. و أمّا براءته من الأدرة فليست من الامور التي يباح في سبيلها هتكه و تشهيره و لا هي من المهمّات التي تصدر بسببها الآيات، إذ يمكن العلم ببراءته منها بسبب اطّلاع نسائه عليه؛ و إخبارهن بحقيقة حاله.

و لو فُرض ابتلاؤه بالأدرة فأيّ بأس عليه بذلك؟ و لو قد أصيب شعيب عليه السلام ببصره و أيّوب عليه السلام بجسمه، و أنبياء الله كافّة تمرّضوا و ماتوا، و لا

يجب انتفاء مثل هذه العوارض عن أنبياء الله و رسله، و لا سيّما إذا كانت مستورة عن الناس كالأدرة، نعم لا يجوز عليهم ما يوجب نقصاً في مداركهم أو في مروءتهم أو يوجب نفرة الناس عنهم و استخفافهم بهم. و الأدْرَة ليست في شيء من ذلك. على أنّ القول بأنّ بني إسرائيل كانوا يظنّون أنّ في موسى أدرة لم يُنقل إلّا عن أبي هريرة.

أمّا الواقعة التي أشار الله إليها بقوله عزّ من قائل:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا. فالمرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام، و ابن عبّاس أنّها قضيّة اتّهامهم إيّاه بقتل هارون، و هو الذي اختاره الجبّائيّ. و قيل: هي قضيّة الموسمة التي أغراها قارون بقذف موسى عليه السلام بنفسها فبرّأه الله تعالى إذ أنطقها بالحقّ. و قيل: آذوه من حيث نسبوه إلى السِّحْر و الكذب

و الجنون بعد ما رأوا الآيات.

و أنّي ألعجب من الشيخين يخرّجان هذا الحديث و الذي قبله في فضائل موسى. و ما أدري أيّ فضيلة بضرب ملائكة الله المقرّبين وفقء عيونهم عند إرادتهم تنفيذ أوامر الله عزّ و جلّ؟ و أيّ منقبة بإبداء العورة للناظرين؟ و أيّ وزن لهذه السخافات؟

إن كلّم الله وجيهه أكبر من هذا. و حسبه ما صدع به الذكر الحكيم و الفرقان العظيم من خصائصه الحسنى عليه السلام.[1]

حديث: لا عدوى و لا طيرة و لا هامة

الرابع: حديث لا عدوى و لا طيرة و لا هامة.

روى الشيخان عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلّى الله عليه [و آله] وسلّم قال:

لا عدوى و لا طيرة و لا هامة.[2]

---

[1] هذا أبو هريرة اللسيّد شرف الدين ص ٧٣ إلى ٧٥، الطبعة الثالثة. و أجاب هذا السيّد العظيم فقيد العلم نفس الجواب في رسالته «إلى المجمع العلميّ بدمشق» ص ٧٢.

[2] جاء في أقرب الموارد «العدوى: الفساد، و ما يُعدي من جَرَبٍ وغيره، أي: يسري من واحدٍ إلى آخر. و الطيّرة: ما يتشاءم به من الفأل الرديء. و الهامة:

و قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة، و لكنّ الصحابة عملوا بما يخالفه. فقد روى البخاريّ عن اسامة بن زيد أنّ رسول الله صلّى الله عليه [و آله] وسلّم قال:

إذا سمعتم بالطّاعون بأرض فلا تدخلوها، و إذا وقع بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا منها.

طائر صغير من طير الليل يألف المقابر. و قيل: **هو الصدى** للطائر الذي يخرج من رأس الميت في زعمهم. ج **هامٌ و هَامات**.

أجل، الجهلاء يتطيّرون و يرون ذلك مؤثّراً في امورهم، و يتطيّرون **بالصدى و الهامة**. و هو ما لا أصل له و قد قطع النبيّ دابر ذلك و طلب منّا ألّا نهتمّ بكلّ ما يُفضي إلى التطيّر، و أن نمضي في أعمالنا! و لا حقيقة للتطيّر غير أنّه يمثّل النيّة السيّئة للنفوس، و على المسلم أن لا يترتّب أثراً عليه. **إذا تطيّرتَ فامْضِ**.

و أمّا **العَدْوَى** فهي صحيحة و لها حقيقتها، و تعني انتقال الداء من مريض ملوّث بالجراثيم إلى إنسان سالم كالجدري، و الهيضة، و الطاعون، و الجرب، و التدرّن الرئويّ، و التراخوما، و غيرها من الأمراض المعدية. و يلزم الإسلام باجتنابها. و كلمة النبيّ صلّى الله عليه و آله **لا يوردنّ ممرضٌ** على مصحّ معجزة واضحة توصّل إليها العلم الحديث باكتشاف الجراثيم و طريق عدواها من المريض إلى السليم سواء عن طريق الطعام و الشراب أم عن طريق الهواء و التنفّس أم عن طريق الأشعّة فوق البنفسجيّة. و بلغت هذه الامور مستوى البداهة. و من هنا نفهم كم ضرّت الإسلام و المسلمين موضوعات أبي هريرة و أمثالها المنسوبة إلى النبيّ و المختلقة على لسانه! و كم ضرّت العلم و الثقافة بأضرارها البالغة!

و قد جاء هذا الحديث كذلك عن عبد الرحمن بن عوف. و روى الغزالي في «إحياء العلوم» ج ٤، ص ٢٥٠، عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه [و آله] وسلّم يقول: إِذَا سَمِعْتُمْ بِالْوَبَاءِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَ إِذَا وَقَعَ فِي أَرْضٍ وَ أَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ.

و لمّا سمع عمر هذين الحديثين، و حديث لَا يُورَدَنْ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ. و هو ممّا رواه أبو هريرة كذلك،[1] و كان قد خرج إلى الشام، و وجد الوباء، عاد بمن معه.[2]

و قد اضطرّ أبو هريرة أمام هذه الأخبار القويّة إلى أن يرجع عمّا

---

[1] رواه البخاري و مسلم عن أبي هريرة، و رواية مسلم: **لا يورد**.

[2] في ذهابه إلى الشام سنة ٨ هـ. و لمّا وصل إلى «سرغ» أخبر بأنّ الوباء قد وقع بالشام فرجع بالناس.

حدّث، و أنكر روايته الا ولى لَا عَدْوَى.

و لمّا أنكر عليه الحارث بن أبي ذباب (ابن عمّ أبي هريرة) و قال له: كنتُ أسمعك يا أبا هريرة تحدّثنا مع حديث (لا يورد ...)حديث (لا عدوى)فأنكر معرفته لذلك! و وقع عند الإسماعيليّ من رواية شعيب. فقال الحارث (ابن عمّ أبي هريرة): إنّك حدّثتنا!

فأنكر أبو هريرة و قال: لم احدّثك ما تقول. و رواية مسلم: أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لَا عَدْوَى؟ صَمَتَ وَ رَطَنَ بِالْحَبَشِيَّةِ.[1]

أي: إنّه غالط و ضيّع الموضوع.

حديث الذُّباب

الخامس: حديث الذُّباب.

قال أبو ريّة: روى البخاريّ، و ابن ماجة عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال: إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ

---

1. شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ١٢٥ و ١٢٦.

و انظر: فتح الباري» ج ١٠، ص ١٩٨ و ١٩٩، «جامع ابن وهب» ص ١٠٤، الذي نشره المعهد العلميّ الفرنسيّ بالقاهرة سنة ١٩١٩ م. و في «قرب الموارد» رَطَنَ لَهُ يَرْطُنُ رَطَانَةً بالفتح و يكسر: كلّمه بالأعجميّة.

فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الْآخَرِ شِفَاءً.

وهذا الحديث ألفاظ مختلفة منها:

فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ سَمٌّ وَفِي الْآخَرِ شِفَاءٌ وَإِنَّهُ يُقَدِّمُ السَّمَّ الَّذِي فِيهِ وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاءَ.

ومنها: إِنَّ تَحْتَ جَنَاحِ الذُّبَابِ الْأَيْمَنِ شِفَاءً وَتَحْتَ جَنَاحِهِ الْأَيْسَرِ سُمًّا فَإِذَا سَقَطَ فِي إِنَاءٍ أَوْ فِي شَرَابٍ أَوْ فِي طَعَامٍ فَغْمِسُوهُ فِيهِ، فَإِنَّهُ يُرْفَعُ مَرَقٍ

عِنْدَ الْجَنَاحِ الَّذِي تَحْتَهُ الشِّفَاءُ، وَ الَّذِي تَحْتَهُ السُّمُّ.[1]

هذا الحديث قد وجد من قبل الباحثين ما لم يجده حديث آخر؛ لأنّ الذباب في نفسه قذر تنفر النفوس من رؤيته. فكيف يأمر النبيّ بغمسه إذا سقط في الإناء الذي فيه طعام أو شراب ثمّ يتعاطون بعد ذلك ما في الإناء؟!

و منذ سبع عشرة سنة هبّ النطاسيّ البارع الدكتور سالم محمّد يشكِّك في هذا الحديث مرتكناً على ما أثبته الحسّ و العلم، و أجمع عليه الأطبّاء قاطبة من ضرر الذباب، و أنّه أكبر أعداء الإنسان، لأنّه يسبّب أمراضاً كثيرة تفتك بالملايين من البشر كلّ عام، فوقف في وجهه شيخ جامد يدرّس - للأسف - الشريعة الإسلاميّة بإحدى

[1] قال في الهامش: ورد في أنّ أبا هريرة قد ذكر هذا الحديث وهو على إحدى تعقّبات الملوك الخارجة - إذا كانت الأحاديث في المنامات - و رأي بأنّ الذباب قد يكون ملقى في أحد الأواني و شيء من هذا القبيل، فقال في هذا الحديث.

الجامعات المصريّة، فرمى هذا الطبيب الفاضل بالجهل، و أنّه لم يحترم (البخاريّ المقدّس).

و قد رأيتُ حينئذٍ أن أقوم بتنزيهاً للعلم، و تأييداً لهذا الحديث الذي رواه البخاريّ في كتاب الأدب، و آله] وسلّم، و صلّى الله عليه [و أن أنشره في العدد ٢٤ - ٩٦٤ من السنة الأولى ١٩٥١ م من مجلّة «الرسالة» كلمةً هذا نصّها:

معركة الذباب

تَتَّجِهُ أنظار الشرق في هذه الأيام نحو معركة حامية بين جماعتين من علماء المسلمين في الشهور الأخيرة. فالأولى جماعة «علماء الإسلام» و الثانية جماعة «الكتور حول الحديث الذباب. فالأولى تتمسّك بهذا الحديث، و تصرّ على إثباته، ليأخذ الناس به، و يصدّقوا بمدلوله، مرتكنة على أنّ كتاب الحديث

قد أوردته - و منها البخاريّ. و أمّا الثانية فتدفع هذا الحديث و تستبعد صدوره عن النبيّ الذي لا ينطق عن الهوى،[1] و حجّتها ما أثبته العلم و حقّقته التجربة من ضرر الذباب، و أنّه ناقل للعدوى في أمراض كثيرة.

و إن المرء ليأسى أن يقوم إنسان في هذا العصر الذي زخرت فيه بحار العلم و أخرجت من عجائب المخترعات و المستكشفات ما يُدهش العقول، و تسابق أهلوه في مضمار ما استطاعوا للانتفاع بما خلق الله لهم و سخّره لعلومهم في السماوات و الأرض، متّخذين في ذلك كلّ سبب من أسباب العرفان و التجربة، فيشغل الناس بهذه الأبحاث العقيمة التي لا تنفع و لا تفيد، بل هي إلى إساءة الدين أدنى، و إلى ضرر الناس أقرب!

و لقد كان جديراً بمجلّة «لواء الإسلام» أن تسوّد صفحاتها بمثل هذا البحث العقيم الذي يفتح و لا ريب على الدين شبهة يستغلّها أعداؤه، و يتوارى منها أوليائه، و أن تدع الأمر في مثل هذا الحديث إلى العلم و

---

[1]. وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى: النجم: ٥٣، من السورة ٣، من الآية ٣ اقتباس.

تجاربه، و ما وصلت إليه أبحاثه الدقيقة التي لا يمكن نقضها، و لا يردّ حكمها!

وماذا يضرّ الدين إذا أثبت العلم ما يخالف حديثاً من الأحاديث التي جاءت من طريق الآحاد؟!

أما الأخبار التي جاءت من طريق الآحاد فإنّها لا تعطي اليقين، وإنّما تعطي الظنّ الذي لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً[1]. فللمسلم أن يأخذ بها و يصدّقها إذا اطمأنّ قلبه بها، و له أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها. و هذا أمر معروف عند النظّار، و لا يعارض فيه إلّا زوامل الأسفار من الحشويّة الجامدين الذين لا يُفهم لهم وزن.

و إذا نحن أخذنا حديث الذباب على إطلاقه و لم نسلّط عليه أشعّة النقد فإنّا نجده من أحاديث الآحاد وهي التي تفيد الظنّ. فإذا لم يسعنا ذلك في ردّه بعد أن أثبت العلم بطلانه، فليسعنا ما وصفه العلماء من قواعد عامّة في ذلك، مثل:

---

[1] الآية ٢٨، من السورة ٥٣: النجم.

لَيْسَ كُلُّ مَا صَحَّ سَنَدُهُ يَكُونُ مَتْنُهُ صَحِيحاً، وَ لَا كُلُّ مَا لَمْ يَصِحَّ سَنَدُهُ يَكُونُ مَتْنُهُ غَيْرَ صَحِيحٍ.[1]

و إذا قيل: إنّ هذا الحديث قد رواه البخاريّ، و هو لا يروي إلّا ما كان صحيحاً، فإنّا نردّ على ذلك بأنّه قد روى في كتابه ما عدّه و صحيحاً معلّلاً بظاهر الإسناد، لا ما ثبت أنّه صحيح في الواقع. و لذلك لا يلزم غيره ما اعتبره هو لنفسه.

قال الزين العراقيّ في شرح ألفيّته: و حيث قال أهل الحديث: هذا حديث صحيح، فمرادهم في ما ظهر لنا معلّلاً بظاهر الإسناد، لا أنّه مقطوع بصحّته في نفس الأمر لجواز الخطأ و النسيان على الثقة. هذا هو الصحيح عند أهل العلم المحقّقين، و لهذه القاعدة قال ابن أبي ليلى: **لَا يَقْبَلُ الرَّجُلُ فِي الحَدِيثِ حَتَّى يَأخُذَ مِنْهُ وَ يَدَعَ!** ... أمّا راوي هذا الحديث و هو أبو هريرة، فقد ردّوا له أحاديث

---

[1] ارجع إلى كتابنا «هوامش على السنّة المحمّديّة» في طبعته الثالثة تجد هذه القواعد مبسوطة هناك.

كثيرة في حياته و بعد مماته، حتى من التي صرّح بأنّه سمعها من النبيّ مثل حديث: خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ.[1]

و إنّا نكتفي اليوم بهذه الكلمة القصيرة و نشكر الحضرة النطاسيّ البارع

[1] ممّن اعترضوا على حديث الذباب في عصرنا الدكتور محمّد توفيق صدقي.

و .الدكتور سالم محمّد الذي أثار هذا البحث النافع
ندعوه وسائر زملائه الأطبّاء، ثمّ رجال العلم جميعاً من
المهندسين، والكيميّين، والجغرافيّين، وغيرهم أن يستمرّوا
في أبحاثهم العلميّة النافعة بوسائلهم الصحيحة التي دعا
إليها الإسلام، و لا تخشوا أحداً في ذلك ....

المنصورة - محمود أبو ريّة

هذه «الرسالة» في اليوم الذي نشرت فيه مجلّة
الكلمة، و هو يوم ٢٤/١٢/١٩٥١ م تلقّيت من سيادة
الدكتور سالم محمّد، و كان حينئذٍ مديراً لمستشفى كفر
الشيخ، هذه البرقية ننشرها بنصّها لتستجلّ على وجه
التأخير.

لَكِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ!

الدكتور سالم محمّد - المنصورة - محمود أبو ريّة

ثمّ تحدّث الشيخ محمود أبو ريّة مفصّلاً عن هذا
الحديث و الردّ المفصّل الذي كتبه السيّد محمّد رشيد

رضا و دحض فيه هذا الحديث بالدليل المتقن. و ختم كلامه ببيان ضرر الذباب و قذارته عند العرب.[1]

و مثل هذه الأحاديث المخالفة للواقع كثير عند العامّة. و لمّا كان

[1] «شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي» ص ٢٢١ إلى ٢٢٨. الطبعة الثانية. و «أضواء على السنّة المحمّدية» ص ٢٢٣، الطبعة الثالثة، نقل أبو ريّة في كتابه حديث الذباب أيضاً عن أبي هريرة و ردّ عليه.

سندها صحيحاً بزعمهم ـ كأحاديث عِكْرِمة، ومقاتل بن سليمان، و ابن عمر، و عائشة، و ابن الزبير، و كعب، و أمثالهم ـ فإنّهم يتمسّكون بها و لا يتركونها و يصرّون على صحّة متونها و مضامينها بأدلّ دليل لسقيم غير وجيه. و من هذه الأحاديث: الأحاديث المتعلّقة بالصلاة و الصوم و النكاح و الحجّ عندهم، كغسل الرِّجلين في الوضوء على خلاف النصّ القرآنيّ، و غسل اليدين من أطراف الأصابع إلى المرافق على عكس ما هو معتاد، فإنّهم يبدأون من الأصابع ويختمون بالمرافق، من الأسفل إلى الأعلى. و ما زالوا يصرّون على هذا الأمر، لأنّ الاجتهاد محظور في مذاهبهم. و كلّهم مضطرّون مقسورون على أن يضعوا عقولهم تحت أقدامهم، و يقلّدوا أحد العلماء الأربعة الذين ربّما سبقهم أو جاء بعدهم مَن هو أعلم منهم. و السبب الآخر هو أنّهم يعتقدون بعدالة الصحابة أيّاً كانوا حتى معاوية بن أبي سفيان، و أبي هريرة الكذّاب. فلهذا يذهبون إلى

صحّة كلّ حديث ينقلونه و يعملون بمفاده حتى لو كان فيه مائة إشكال على صعيد الرجال و الدراية.

نقاش عالم شيعي مع فؤاد الآلوسي

إن موضوع حديث الذباب لأبي هريرة، و إصرار ذلك السنّي الحشوي على صحّته خلافاً للعقل و العلم ذكّراني بحكاية جميلة رائعة ذات سَمَاعٍ نقلها لي أحد أصدقائي الأعزّاء، و هو: الحاجّ أبو علي موسى محيي نجل الحاجّ أبي موسى جعفر محيي، الذي وُلد في النجف الأشرف، و كان ساكناً في الكاظميّة.

و نورد ها فيما يأتي كما نقلها باللهجة العربيّة البغداديّة الدارجة غير الفصيحة لمزيد اللطف و لفت الأنظار كي لا يخلو كتابنا من ذكر مثل هذه اللهجة، و نكون قد استفدنا من أصل الموضوع.

چانْ شابْ ساكِنْ بَغْدادْ بَسْ بِالأصْلِ نَجَفِي اسْمَه حَمُّودِي إبْنْ عَبْدِ الزَّهْرَة ألْكُرْكِچِي، نِقِلّي فَدْ يَوْمْ گالْ طَبَّيْتِ الْجامِعْ مَرْجانْ إبْرَاسِ

تَيَدْبَا وَ ،ءُوضُلْا لِحَمَلِّ حِرَفْيِلّصَأ هَوَّشلا

!؟ءُوضُوْلِبِ ،يِمامْلإا يِسوُلآا دَاوَفُ يِفانْحِإ ،ءُوضُوْلِبِ

!؟ىَمتِفَتْهَمُونْ مَتىَبُقُونْ

فَحَمَّودِي ايَكُولْ: إِتْرِيدِ الصُّدُكْ، آنِي أَوَّلًا شَخِصْ

عامِلْما أَكْدَرْ أَجادْلَهْ، او ثَانِيا آنِي عَصَبِي ذَارْكَبْرَهْ، وَ

لَكِنْ أَهْ سُبْحانَهْ او تَعالَى أَلْهَمْنِي الشَّلَونْ أَحاچِيهْ وَ ابْكُلْ

!بُرُودَهْ

فَحَمَّودِي گَلَّهْ: شَيْخَنَهْ، مُمْكِنْ اتْعَلِّمْنِي الشَّلَونْ

!؟إِلْجاهِلْ غَيرِ أَيْعَلْمُو لَوْ يِتْعارْكُونْ الْوُضُوءِ الصَّحِيحْ

.وِيَّا

الإِمامِي گَالْ: إِبْنِي، چَفْ إِيدَكْ إِتْصَعْدَهْ لِيفَوگْ و

.اِدِّيرِ الْمايْ عَلَهْ چَفْ إِيدَكْ لِيجَوَّهْ إِلْحَدِّالْعِكِسْ

حَمَّودِي گَلَّهْ: آنِي اهْوَايَهْ أَشْكُرَكْ! بَسْ أَرِيدْ أَسأَلْ

!؟مِنَّكْ: لُوَيشْ، يَعْنِي شِنُو السَّبَبْ

الإِمامِي گَلَّهْ: إِبْنِي الأَطِبَّاءْ إِيعِرْفُوهَهْ الْهايِ الشَّغْلَةْ.

بِلْجِسِمْ أَكُو اثْقُوبْ يِسَمُّوهَهْ الْمَسامَاتْ، فَالْمايْ مَنْ يِنْزِلْ

رْ ايْصِيحْ! مِنْ فَوگْليجَوَّه يِدْخُلِ ابْهايِ اِلْمَساماتْ فَلْوُضُو

عَلَه نْتَهَّبَنْتِيني هَ وَايَه أشْكُرَكْ و انَا مُحَمُّودِي گَلَّه: آنِي

!يبْتِشِمْنِ الزَّمَنْ مُدَّه انِمْ چِنِتْ هَمَّيَنَه آنِي ثَانِي شِ

!؟ههُوَّ هُنُشُدْ:گَلَّه ايلِمامِي

غُسْلِ أغْتِسِلْ چِنِتْ مِنْ آنِي گَلَّه، جَابَوِهِ مُحَمُّودِي

!طِلْبَاغُسْلِ كُ، ةبَنَجْلا

؟!شوَيُلْ:گَلَّه ايلِمامِي

أغْتِسِلْ وگَقُ چِنْتِ مِنْهُ أنَّه گَلَّه، جَابَوِهِ، مُحَمُّودِي

أغْتِسِلْ فَهَسَّه

بَعْدَ مَا نَبَّهَتْنِي عَنْ هَايِ لِزْرُوفْ إِلَى بِلْجِسِمْ، جَوَّهْ الدّوشْ لَازِمْ وَكْتِ الْغُسُلْ أَضْرُبْ چُفْلُنْبَهْ، يَعْتِي أَصَعِّدْ رِجْلِي لِيفَوگْ، اوْ رَاسِي لِيجَوَّهْ!

الإِمَامِي گَلَّهْ: أَي هَايْ لَيشْ؟!

مَحْمُودِي جَاوَبَهْ، گَلَّهْ: مُو إِنْتَهْ اللِّي گِلِتْ إِلْمَايْ لَازِمْ يِطُبْ بِزْرُوفِ الْجِلِدْ!

الإِمَامِي گَلَّهْ الْمَحْمُودِي: وَلَكْ إِنْتُو اشْوَنْ مِلَّهْ مَحَدَّدْ يِگْدَرْ عَلَيكُمْ!

دعم الآلوسيّ لجريمة نجيب باشا

عالماً أنّ فؤاد الآلوسيّ هو من أحفاد السيّد محمود بن السيّد عبد الله الآلوسيّ صاحب تفسير «روح المعاني» و كان يسكن في بغداد، و له مقام الإفتاء فيها على المذهب الحنفيّ أيّام السلطان محمود و ابنه السلطان عبد المجيد العثمانيَّين، مع أنّه كان سلفيّ الاعتقاد في الأصول شافعيّ المذهب في الفروع. و شهد هذا الرجل غارة محمّد نجيب باشا على كربلاء و المذبحة التي ارتكبها بحقّ أهلها بأمر من الحكومة العثمانيّة، و هاجم دورها

هما عدا دار السيّد كاظم الرشتي. فنظم الآلوسي- بوصفه ضابطاً في الجيش العثماني- بيتين من الشعر يفتخر بهما بقتل شيعة كربلاء، الذين قتل منهم تسعة آلاف خلال ثلاثة أيّام. و نورد هنا نقلاً عن كتاب «زينب» للمرحوم الحاجّ فرهاد ميرزا رضوان الله عليه[1] علماً أنّ من استطاع الفرار

...[2]

---

[1] قال الحاجّ فرهاد ميرزا في كتابه «زينب» ص ٣٥٠ و ٣٥١: تختلف النظم اختلافاً كبيراً في كربلاء بسبب كثرة الطغام و الأوغاد. فقد تقاطر عليها كلّ من كان ملاحقاً في البلاد التي كان خوفاً من بطش السياسة الحاكمة، و لجأوا إليها من الفجّار من أيّ بلدٍ كان. وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً حتى بلغ الأمر بحاكم كربلاء الذي تصبه النظام الملكيّ ببغداد أن يفقد السيطرة عليها لتراكم الأوغاد الذين يطيعون أهالي كربلاء الأشقياء المتهوّرين. و من الهيّن على كلّ أحدٍ أن يسمّيهم

شاء. حاصر المدينة ثلاثة أيّام ثمّ تسنّمها في الحادي عشر من شهر ذي الحجّة الحرام سنة ١٢٥٨ هـ و جرح قلوب الموالين لأهل البيت و أصدر حكمه بارتكاب مذبحة جماعيّة خلال ثلاث ساعات. و الثابت هو أنّ تسعة آلاف نسمة فارقوا الحياة يومئذٍ، و نُهب من الأموال و المجوهرات و الأثاث و الكتب و الذهب و الفضّة ما لا يُحصيه أحد. و رُبطت الخيل و البغال في صحن العبّاس، وقُتل كلّ من وُجد في الرواق الواقع بين حرم العبّاس و حرم الحسين خامس أصحاب الكساء عليهما السلام. و لم يسلم إلّا بيت السيّد كاظم الرشتي إذ كانوا قد آمنوه - إلى آخر ما نقلناه عنه في متن الكتاب.

من الجدير ذكره أنّ ابن الآلوسي هذا الذي عدّه الحاجّ فرهاد ميرزا في تنبيله من فضلاء أهل السنّة و قاضي عسكر محمّد نجيب باشا هو نفسه صاحب تفسير «روح المعاني» وهو الذي نظم البيتين تشفّياً بقتل تسعة آلاف من أهالي كربلاء خلال ثلاث ساعات و إباحة المدينة ثلاثة أيّام. و ورد في كتاب «زَيْحَ الذِّئاب في ترجمة شيخنا أبي عبد الله شهاب الدين محمود» المؤلَّف في العُود في ترجمته، و المطبوع في الصفحات الواقعة قبل تفسير «روح المعاني» طبعة بولاق، سنة ١٣٠١ هـ: أنّه حسنيّ من جهة الأمّ حسينيّ من جهة الأب، و ينتهي نسبه إلى موسى المبرقع، و أنّه ولد سنة ١٢١٧ هـ و توفّي سنة ١٢٧٠ هـ عن ثلاث و خمسين سنة. عيّنه على رضا باشا رئيساً للمفتين الحنفيّين في بغداد سنة ١٢٤٨ هـ. و ذهب إلى القسطنطينيّة سنة ١٢٦٣ هـ لحضور الوليمة التي أقيمت بمناسبة ختان ابن السلطان محمود العثماني. و في السنة نفسها بدأ بتأليف تفسيره و أتمّه سنة ١٢٦٧ هـ و أخذه إلى القسطنطينيّة، و أقام فيها سنتين، و بعد عرض التفسير المذكور و استلام الوسام الملكيّ رجع منها سنة ١٢٦٩ هـ. و مرض في الطريق بسبب المطر و البرد، ثمّ توفّي بعدها بقليل.

و من الضروريّ أن نذكر هنا عدداً من النقاط: **الأولى**: أنّه هو الذي كان قاضياً للعسكر في كربلاء عند هجوم محمّد نجيب باشا عليها إذا كان له من العمر إحدى و أربعون سنة آنذاك. و كان فقيهاً و له عدد من المناصب الرسميّة التي تقلّدها بأمر الحكومة العثمانيّة، فلا يمكن أن يكون أحد أبنائه صاحب الأمر، لأنّ أكبرهم وهو السيّد عبد الله فدي وُلد سنة ١٢٤٨ هـ فكان عمره وقتذاك عشر سنين. و من البيّن أنّ أولاده الأربعة الآخرين الذين ولد

من الناس فقد فرّ، و من لم يستطع فقد قُتل. و كُسرت الأواح في الروضة المنوّرة، و جُرحت قلوب الأحبّة، وَ كانَ ما كانَ وَ وَقَعَ ما وَقَعَ.

و بعد الذبحة الجماعيّة صدر قرار بأمر الولاية، و رجع في الرابع عشر من الشهر المذكور. و نظم ابن

بعضهم بعد إباحة كربلاء لا يمكن أن يكونوا أصحاب الأمر أيضاً. كما لا يمكن أن يكون أبوه السيّد عبد الله أفندي، إذ لم تُذكر له المناصب المشار إليها، بل كان يشغل منصب رئيس المدرّسين فحسب، يضاف إلى ذلك أنّه لمّا كان مشهوراً بالآلوسيّ، فقد ذكر الحاجّ فرهاد ميرزا ابنه السيّد محمود على أنّه ابن الآلوسيّ. و لا نستبعد أن يكون متوفّياً يومذاك، إذ لا اسم و لا ذكر له في تلك الفترة من الزمان.

الثانية: كانت بين السيّد كاظم الرشتيّ و السيّد محمود الآلوسيّ علاقات ودّيّة، و لهذا كتب السيّد كاظم تقريظاً عالياً على تفسيره أيّام على رضا باشا، و قد جاء في ص ٦ إلى ٨ قبل مقدّمة التفسير المطبوع بطبعته بولاق. و بسبب هذه العلاقات الودّيّة لم تُنهب دار الرشتيّ في الغارة على كربلاء و لم يُقتل أحد من أفراد اسرته.

الثالثة: لا نستبعد أن يكون الآلوسيّ سيّداً لأنّ كثيراً من السادة كانوا أتباعاً لحكّام الجور. و مع وجود الإمام بالحقّ لم يستسلموا لولايته. و يدلّ التأريخ على أحوالهم و أوضاعهم جيّداً. و موسى المبرقع المذكور هو ابن الإمام الجواد عليه السلام و يعدّ الجدّ الأعلى للآلوسيّ. تأريخه مجهول، و كان يختلف إلى بلاط المتوكّل العبّاسيّ. و كان أخوه الإمام الهاديّ عليه السلام ساخطاً عليه.

ً قاضيا كان من فضلاء أهل السنّة، الذي كان من أصحاب القاضي أبي الوليد الباجي، وكان من أقران القاضي أبي بكر محمّد بن العربي، وكان آنذاك:

السادس: حديث: خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ.

قال أبو ريّة: روى مسلم في كتابه عن أبي هريرة:

أَخَذَ رَسُولُ اللهِ بِيَدِي! فَقَالَ: خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَ خَلَقَ فِيهَا الجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَ خَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَ خَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ، وَ خَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَ بَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعْدَ العَصْرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي آخِرِ السَّاعَاتِ الجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ.[1]

حديث خلق الأرض في سبعة أيّام!

وقد روى هذا الحديث كذلك الإمام أحمد، و النسائيّ عن أبي هريرة، و رواية النسائيّ: إن الله خَلَقَ

---

[1] في التفسير النبيل ص ٣٥١، وقال الشيخ عزيز بن الشيخ شريف النجدي: نَئَلَ وَدُدَرَتَيِ يَعَلى العَهُدَ يَ وَعلى العَرش إِنَ اللهَ وَدُعَ أَسْخَاءَ بِهِ وَكِبَ العَطيسَةُ دُمَحَمَّ وَدُقَالَ العَلِيُّ العَظِيمُ بِرَشْ رَبُ العَالَمِينَ وَدُقَالَ النَّبِيُّ مُ

السَّمٰاوَاتِ وَ الأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ.

وقد ذكر الأئمّة ومنهم البخاريّ في «التاريخ الكبير» و ابن كثير أنّ أبا هريرة قد تلقّى هذا الحديث عن كعب الأحبار، لأنّه يخالف نصّ القرآن في أنّ خلق السماوات و الأرض في ستّة أيّام!!

ومما يدلّ على أنّ أبا هريرة قد استقى هذا الحديث من كعب الأحبار كما نصّ الأئمّة على ذلك، و أنّه من بني إسرائيل، أنّ هناك خبراً آخر يشابهه مروياً عن عبد الله بن سلام - الذي كان من أحبار اليهود و أسلم - رواه الطبراني،[1] وهذا نصّه:

إِنَّ اللهَ بَدَأَ الْخَلْقَ يَوْمَ الأَحَدِ فَخَلَقَ الأَرَضِينَ فِي الأَحَدِ وَ الاثْنَيْنِ، وَ خَلَقَ الأَقْوَاتَ وَ الرَّوَاسِيَ فِي الثَّلاَثَاءِ وَ الأَرْبِعَاءِ، وَ خَلَقَ السَّمٰاوَاتِ فِي الْخَمِيسِ وَ الْجُمُعَةِ، وَ خَلَقَ فِيهَا آدَمَ عَلَى رَأْسِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَخَلَقَ فِيهَا السَّاعَةَ فَرَغَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ فَخَلَقَ فِيهَا السَّاعَةَ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ.

---

[1] الطبراني، ج ١، ص ٢٤.

و عبد الله بن سلام هذا قد حدّث عنه أبو هريرة كما حدّث عن كعب الأحبار.[1]

و من العجيب أنّ أبا هريرة قد صرّح في هذا الحديث بسماعه من النبيّ و أنّه صلّى الله عليه و آله قد أخذ بيده حين حدّثه به.

---

[1] و أبو عبد الله بن سلام هو «الذهبي»، ج ٢، ص ٢٩٦. و «سير أعلام النبلاء» أسلم بعد أن قدم النبيّ المدينة و هو من أحبار اليهود. و الحارث الإسرائيليّ: أسلم بعد أن قدم النبيّ المدينة و هو من أحبار اليهود. و حدّث عنه أبو هريرة، و أنس بن مالك، و جماعة. اتّفقوا على أنّه توفّي سنة ٤٣ هـ.

و إنّي لأتحدّى الذين يزعمون أنّهم على شيء من علم الحديث، أن يحلّوا هذا المشكل و أن يخرجوا شيخهم من هذه الورطة التي ارتطم فيها!

إن الحديث صحيح السند على قواعدهم، لا خلاف في ذلك بينهم، و قد رواه مسلم في صحيحه. و لم يصرّح بسماعه من النبيّ فحسب، بل زعم أنّ رسول الله قد أخذ بيده و هو يحدّثه به. و قد قضى أئمّة الحديث بأنّ أبا هريرة قد أخذه من كعب الأحبار و أنّه مخالف للكتاب العزيز. و لو رواه عنه ثقة لقلنا عسى، و الالتماس له مخرجا يخرج منه، و لكنّه صرّح بسماعه و وضع يده في يد النبيّ عند ما تلقّاه منه. فمثل هذه الرواية تعدّ و لا ريب كذبا صراحا و افتراء على رسول الله، فما حكم من يقترفها؟! و هل تدخل تحت طائلة حكم حديث الرسول: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ؟ أم هناك

مخرج لراوي هذا الحديث بذاته، لأنّه صاحب الثوب، و المِزْوَد؟[1] الوعاءين، و

إنّي و الله في حاجة إلى الانتفاع بالجواب المقنع عن هذا السؤال! لأنّ هذا الحديث وحده و أمعن الإنسان نظره فيه و حقّق في ظاهره و مطاويه، لكشف و لا ريب عن حقيقة رواية أبي هريرة كلّها. لأنّه إذا كان هذا شأنه في رواية

---

[1] **المِزْوَد** (بكسر الميم): وعاء التمر يُعملُ من أدم (جلد مدبوغ). و ذكر العلّامة السيّد شرف الدين في كتاب «أبو هريرة» حديث الثوب، و الوعاءين، و المزود مفصّلًا، و انتقده بشدّة. و اقتدى به أبو ريّة في كتاب «شيخ المضيرة» و ذكر ذلك أيضاً، و ردّ عليه بإيجاز من ص ١٨٤ إلى ٢٠٢. و هذه الأشياء الثلاثة من اختلاق أبي هريرة. وضعها لإعلاء شأنه و رفع التهمة عن نفسه.

ما يصرّح بسماعه بأذنه من النبيّ صلّى الله عليه و آله، فكيف يكون الأمر فيما يرويه عنه عن غيره؟!

و لقد أحسن علماؤنا في تكذيب هذا الحديث، و أن يقطعوا بأنّ أبا هريرة قد كذب في أنّه رواه عن النبيّ. و أنّه قد تلقّاه عن كعب الأحبار اليهوديّ الذي لم يكن له من عمل إلّا أن يدسّ في الإسلام ما يشوّه بهاءه، و أن يفتح باب الطعن في علم من جاء به ... .

روى أحمد عن أبي هريرة أنّه قال: إن رَسُولَ اللهِ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ! (مشار في إيليا).

رواه البيهقيّ، و قد قال الحافظ ابن كثير: إنّه من كعب الأحبار،[1] و ليس كلام رسول الله.

قال أبو ريّة في الصفحات الأخيرة من الكتاب: و قد طعن في هذا الحديث الأئمّة، و قالوا: إنّه ليس من قول

---

[1] إلى ٧٩ ص «البداية و النهاية» ج ٢، ص ٢٧٥؛ «شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ٨٢، الطبعة الثانية. و نقل أبو ريّة أيضاً في كتاب «أضواء على السنّة المحمّدية» ص ٢٠٩، الطبعة الثالثة، حديث خلق العالم في سبعة أيّام عن أبي هريرة، و ردّ عليه.

النبيّ صلّى الله عليه و آله، و جزموا بأنّه من قول كعب الأحبار، و إليك ما قاله ابن تيميّة الذي يلقّبه أهل السنّة بشيخ الإسلام. قال:

و أمّا الحديث الذي رواه مسلم في قوله: خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ فهو حديث معلول، قدح فيه أئمّة الحديث كالبخاريّ و غيره. قال البخاريّ: الصحيح أنّه موقوف على كعب الأحبار، و قد ذكر تعليله البيهقيّ أيضاً و بيّنوا أنّه غلط، ليس ممّا رواه أبو هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه [و آله] وسلّم. و هو ما أنكر الحذّاق على مسلم إخراجه إيّاه.

و قال: و قد نوزع مسلم بن الحجّاج في عدّة أحاديث ممّا خرّجها، و كان الصواب معه من نازعه. كما روى في حديث الكسوف أنّ النبيّ صلّى الله عليه [و آله] وسلّم صلّى بثلاث ركوعات، و الصواب أنّه لم يصلّ إلّا بركوعين.

و كذلك روى مسلم: خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ. و نازعه فيه من هو أعلم منه كيحيى بن معين، و البخاريّ فبيّنوا أنّه غلط و ليس من كلام النبيّ صلّى الله عليه [و آله] وسلّم، و الحجّة مع هؤلاء. فإنّه قد ثبت بالكتاب و

السنّة و الإجماع أنّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الأرْضَ في سِتَّةِ أيّامٍ.

و كذلك روي أنّ أبا سفيان لمّا أسلم طلب من النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أن يتزوّج بامّ حبيبة، و أن يتّخذ معاوية كاتباً له. و غلّط في ذلك طائفة من الحفّاظ. و ذلك بأنّ النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم قد تزوّج بامّ حبيبة و أبو سفيان كافر![1]

أجل، لقد بذل معاوية قصارى جهده على جبهتين: جبهة الدعايات و الأحاديث الموضوعة؛ و جبهة الحرب و المذابح المتكرّرة التي ارتكبها بحقّ الشيعة فتمكّن من الإطاحة بالنبوّة و استبدال الملَكيّة بها. كما تمكّن من اجتثاث الحياة المعنويّة من جذورها، و إحلال شجرة الاستبداد

[1]. «شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ٢٤٢، الطبعة الثانية.

و الطاغوتيّة الحنظليّة محلّها على امتداد أربعين سنة من حكومته بالشام يوم كان أميراً عليها في العشرين سنة الأولى، و يوم تقمّص خلافة المسلمين في العشرين الثانية. و مع أنّ للحكّام الغاصبين الذين سبقوه قسطاً كبيراً في هذا الأمر -إذ انطلق السهم من سقيفتهم حقّاً و استقرّ في حلقوم عليّ الأصغر- لكنّ هذا الطاغي المكّار الغدّار الأثيم قد برّز في تنفيذ خطّته و بلوغ هدفه المنشود.

لقد كان وضع الأحاديث و قتل الشيعة المظلومين و أسرهم أشياء مألوفة منذ البداية، بيَدَ أنّها نضجت و تطوّرت أكثر فأكثر في عهد معاوية.

بعض الأحاديث الموضوعة

قال المحدّث القمّيّ رحمه الله في بعض الأحاديث الموضوعة: ذكر بعض الأحاديث الموضوعة عن الصنعانيّ من علماء العامّة أنّه قال في كتاب «الدُّرر الملتقطة» و من الموضوعات ما زعموا أنّ النبيّ صلّى

الله عليه [و آله] و سلّم قال: إن الله َيتجَلَّى لِلْخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيامَةِ عامَّةً، وَيتجَلَّى لأبي بكْرٍ خاصَّةً!

و أنّه قال: حدَّثَني جبْرئيلُ: إن الله َتعالى لَمّا خَلَقَ الأرْواحَ اخْتارَ رُوحَ أبي بكْرٍ مِنَ الأرْواحِ.

ثمّ قال الصنعاني: و أنا أنتسب إلى عمر، و أقول فيه الحقّ لقول النبيّ صلّى الله عليه [و آله] وسلّم: قُولُوا الحَقَّ وَلَوْ على أنفُسِكُمْ أوِ الوالِدَيْنِ وَ الأقْرَبِينَ!

فمن الموضوعات ما روي: إن أوَّل ما يُعْطَى كِتابَهُ بِيَمِينِهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَ لَهُ شُعاعٌ كَشُعاعِ الشَّمْسِ. قيل: فأيْنَ أبُو بكْرٍ؟ قال: سَرَقَتْهُ الملائِكَةُ!

و قال الصنعاني: و منها: مَنْ سَبَّ أبا بكْرٍ وَ عُمَرَ قُتِلَ، وَمَنْ سَبَّ عُثْمانَ وَعَلِيًّا جُلِدَ الحَدَّ إلى غير ذلك من الأحاديث المختلفة.

أَبَدًا تَزْدَادُ زُرْغِبًا :ومن الموضوعات

.الإِنْظَارُ في الخُضْرَةِ يُزِيدُ الصَبرَ

.مَنْ أَعْيَى عَبْرَ خَوْطَةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ

.العِلْمُ الأَبْدَانِ وَعِلْمُ الأَدْيَانِ

.الجَنَّةُ دَارُ الأَسْخِيَاءِ

.طَاعَةُ النِّسَاءِ نَدَامَةٌ

.قَدْ نُبِذَتِ الكُمْرَاتِ مِنَ الأَنْبَاتِ

!الوُجُوهُ الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الطُّبُوا

.لَا هَمَّ إِلَّا هَمُّ الدِّينِ

.لَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعُ العَيْنِ

.المَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ

.[1] إِنَّ التَّجَارَ هُمُ الفُجَّارُ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

هل كان نهج معاوية في حكمه القائم على القتل و الدعايات بغية بقاء ملكه و استمراره من بنات أفكاره أو كان متأسّيًا بمن سبقه من الحكّام الذين انتهجوا هذا الأسلوب من أجل المحافظة على سياستهم و إمارتهم؟

---

[1] «سفينة البحار» ج ١، ص ٢٣١، مادّة (حَدَثَ).

لقد هدّد عمر بحرق بيت فاطمة تو طيداً للبيعة، و

صَرَفَ الآية الكريمة: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً[1] التي نزلت

في عيد الغدير يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، و الأدلّة

التأريخيّة القطعيّة على ذلك كثيرة لا يأتي عليها

الإحصاء عن موضوعها الحقيقيّ، و ذكر أنّها نزلت يوم

عرفة.

أ ليس هذا التحريف وضعاً و دساً و تزويراً في

التأريخ و التفسير و الحديث؟!

تحدّث الدكتور السيّد محمّد التيجانيّ التونسيّ عن

هذه الآية و ذكر أنّ اليهود و النصارى قالوا: لو نزلت

هذه الآية فينا لاتّخذنا ذلك اليوم عيداً. و أورد أحاديثاً عن

«صحيح البخاريّ»[2] و «الدرّ المنثور»[3] للسيوطيّ، يقول

---

[1]. قسم من الآية ٣، من السورة ٥: المائدة.

[2]. «صحيح البخاريّ» ج ٥، ص ١٢٧.

[3]. «الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور» للجلال الدين السيوطيّ، ج ٣، ص ١٨.

فيها عمر: أنّي لأعلم أيّ مكان انزلت، انزلت و رسول الله واقف على جبل الرحمة يوم عرفة. ثمّ قال التيجاني:

و لا يستبعد أن يكون عمر بن الخطّاب نفسه هو الذي صرف نزولها إلى يوم عرفة، لأنّه كان بطل المعارضة لخلافة عليّ، كما كان هو مؤسّس و مشيّد البيعة لأبي بكر يوم السقيفة حتى وصل به الأمر إلى تهديد المتخلّفين عنها في بيت فاطمة الزهراء بحرق البيت بمن فيه إن لم يخرجوا لبيعة أبي بكر.[1]

نبذة تأريخيّة عن الوهّابيّة

فمن كانت همّته بهذه القوّة و عزيمته بهذه الشدّة لا يصعب عليه إقناع الناس بأنّ الآية إنّما نزلت يوم عرفة. و إذا كان النصّ بالخلافة على علي بن أبي طالب قد حرفوه عن حقيقته و باغتوا الناس بما فيهم علياً نفسه و الذين كانوا منشغلين بمعه بتجهيز الرسول صلّى الله عليه و آله وسلّم و دفنه) بالبيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة على حين غفلة، و ضربوا بنصوص الغدير عرض

[1] تاريخ الخلفاء «بالدقيقة الديني»: كيف كانت بيعة أبي بكر، ج ١، ص ٦.

دعب أحد سيّ الأ نكمي له فه ،ًايسنمً ّايسن وه لعجو ،رادجلا

؟!ريدغلا موي ةيلآا لزونب جّتحي نأ عقو ذلا ي

ةيوهّلا تسّسأ تلا ي هي ةلسلسلا

و روّجتها.[1]

---

[1] قال الحاجّ فرهاد ميرزا في كتاب «زينيل» ص ٣٤٨ إلى ٣٥٠: كان شخص يعرف بعبد الوهّاب من عرب البادية في البصرة تلمذ مدّةً لشخصٍ اسمه محمّد، وهو أبو جهل في تصرّفه. وبعد برهة أعرض عن أستاذه البصريّ و نزل أصفهان. و درس علوم العربيّة و العلوم الغريبة و أجرى بعض التغييرات على أحكام الشرع بزعمه. و أسّى دعائم مذهب جديد خليط من عقائد الشيعة و السنّة، ومن عقائده: أنّ تزيين مراقد الأئمّة بدعة، و أنّ السجود على التربة في الصلاة كالسجود على الأوثان، و أنّ زيارة الأضرحة الشريفة المقدّسة إلّا بيت الله الحرام حرام. و سمع به عبد العزيز أحد مشايخ نجد فاستحسن عقائده كثيراً. و لمّا كانت فكرة الرئاسة تراود نفس عبد العزيز، و رأى أنّ أفضل طريق للارتقاء إلى منصب مهمّ هو اختراع مذهب جديد، لهذا روّج كتبه في بلاد نجد، و سمّى أتباعه الضالّين: الوهّابيّين. و بعد مدّة قصيرة جمع عدداً وافراً من الناس و توجّه بهم لاحتلال الحرمين الشريفين. و جهّز جيشه بخزائر المدينة المنوّرة و كنوزها، و انطلق في عمله من حيث حقده و بغضه، و بنيّة قلعة الدرعيّة. و تحرّك لمهاجمة النجف الأشرف و أغار عليه مرّة أو مرّتين لكنّه لم يستطع أن يفعل شيئاً أمام قلعة الحصينة و تبعثة العرب الخزاعيّين الذين كانوا شيعة صحيحي الاعتقاد لصدّ هجومه. ثمّ أرسل ولده الأكبر سعود غير السعيد في اثني عشر ألف فارس غدّار إلى كربلاء المقدّسة، فدخلها يوم عيد الغدير سنة ١٢١٦ هـ على حين غفلة. ولم يرعوا عن الفتك و النهب و القتل و الأسر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. و استشهد معظم علماء الدين المبين و منهم **الملّا عبد الصمد الهمدانيّ**. و صنع سعود و أصحاب السعيدة قوةً على نار مقدّمة من خشب الصندوق المطهّر لخامس أصحاب الكساء سلام الله عليه، و جلس في رواق الطاق و شربها هو و بنيّته. و استشهد خلال ستّ أو سبع ساعات قرابة ستّة آلاف من الناس متبايني أنّهم في غرفات الجنان. و لمّا كان معظم أهالي كربلاء و الزوّار قد يمّموا مهبط الملائكة مرقد الأمير مولى الصغير و الكبير سلام الله عليه في النجف الأشرف لزيارته يوم الغدير لهذا سلموا من خطر هذا السيل الجارف و لهيب نار العناء الحارق. و عاد ذلك الأثيم المشئوم إلى ديار عصر ذلك اليوم. و

فليست الآية أوضح في مفهومها من حديث الولاية، و إنّما تحمل معناها إكمال الدين و إتمام النعمة و رضاء الربّ فليكن ذلك اليوم (عند عمر) عيداً بالمعنى، لا باللفظ![1]

و ذكر السيّد هاشم البحراني رواية مفصّلة عن كتاب سليم بن قيس في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر بعد غصب الخلافة، و إلزامه بحقّانيّته و حقّه، إلى أن بلغ كلام أبي بكر إذ قال: كلّما قلت

بعد مدّة قُتل عبد العزيز فاستقلّ سعود. و لم يبق للوهّابيّة و لسعود أثر في ذلك البلد باهتمام محمّد علي باشا والي مصر و إيفاد نجله إبراهيم باشا إليه.

(الآية ٢٢٧، من السورة ٢٦: وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ الشعراء) - انتهى كلام الحاجّ فرهاد ميرزا. و أقول أنا: و بعد مدّة دفعت السياسة الإنجليزيّة سعوداً إلى أن يتماشى معها و يؤسّس حكومة و يطيح بأشراف مكّة. و ما زالت حكومتهم قائمة حتى يومنا هذا السادس و العشرين من شهر شوّال المعظّم سنة ١٤١٤ هـ، و لم يكفها هذا. و لم يألوا جهداً في الجناية و الخيانة و قتل الشيعة و أسرهم خلال هذه المدّة الطويلة. و ستنتهي حكومتهم و يزول استكبارهم و استبدادهم في القريب العاجل إن شاء الله تعالى.

وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ (الآية ٣١، السورة ١٣: من الرعد).

[1] «الكون مع الصادقين» ص ٥٣ إلى ٥٦، الطبعة الثانية.

حقٌّ قد سمعناه بآذاننا و عرفناه و وعته قلوبنا و لكن

سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه [و آله] وسلّم يقول:

إِنَّ أَهْلَ بَيْتٍ اصْطَفَانَا اللهُ تَعَالَى وَ اخْتَارَ لَنَا الآخِرَةَ

عَلَى الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ النُّبُوَّةَ وَ

الْخِلَافَةَ!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هل أحد من

أصحاب رسول الله شهد هذا معك؟ فقال عمر: صدق

خليفة رسول الله قد سمعته منه كما قال. وقال أبو عُبيدة،

وسالم مولى حُذيفة، و معاذ بن جبل: قد سمعنا ذلك من

رسول الله! فقال لهم عليّ عليه السلام: لقد وفيتم

بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها في الكعبة إن قتل الله

محمّداً و مات لنذودنّ هذا الأمر عنّا

أهل البيت![1]

نلحظ هنا بوضوح أنّ أبا بكر نفسه قد وضع حديثاً، وصدّقه عليه أقطاب بيعة السقيفة: عمر، وسالم، وأبو عُبيدة، ومعاذ. ولكن أيّ حديث هذا وهو مخالف للقرآن والإسلام الثابتة؟! ومخالف أيضاً للأحاديث القطعيّة والأدلّة العقليّة والنقليّة؟! وأيّ حديث هذا الذي لم يسمعه أهل البيت، والمهاجرون والأنصار إلّا أفراداً قلائل منهم؟! الله وحده أعلم!

لقد تحدّثنا سابقاً عن سقم هذا المنطق القائل بتعذّر الجمع بين النبوّة والخلافة، وبعده عن العقل في هذه الدورة من المعارف والعلوم، فيُرجع إليه للاطّلاع على أساس هذا الموضوع وأصله.[2]

---

[1] وغاية المرام» القسم الثاني، ص ٥٥٢، الحديث الأوّل من الباب الرابع والخمسين.

[2] تحدّثنا عنه مفصّلاً في الجزء الثامن من كتابنا هذا «معرفة الإمام» الدرس ١١٠ إلى ١١٥.

اذا لم يكن أبو بكر نفسه فارس الحلبة في وضع هذا الحديث:نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُوَرِّثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ؟![1]

هذا الحديث يعارض منطوق عموم آية الإرث في القرآن الكريم، ولم يسمعه أحد المسلمين من النبيّ لا في مكّة و لا في المدينة، و لا في سفر و لا في حضر، و لا في الغزوات و لا في أيّام السلم، و لا و لا و لا ... فكيف يظهر أعرابي بغتةً بعد وفاة النبيّ و أبو بكر هو و يصير فطمة الزهراء سلام الله عليها مِصْدَقِ، و يسلبها فدكاً و تشتكي و تحتجّ و تطالب و تناشد أبا بكر و تستكتبه كتاباً و تستشهد عليّاً و تستشهد أمّ أيمن و تستشهد الحسنين عليهما السلام و تستشهد سلمى و تستشهد رباح و تستشهد سائر الموالي و تستشهد سائر النساء و تستشهد سائر الصحابة و تستشهد سائر التابعين و تستشهد سائر المسلمين و تستشهد سائر المؤمنين و تستشهد سائر المؤمنات و تستشهد سائر المسلمات و تستشهد سائر المؤمنين و تستشهد سائر المؤمنات و تستشهد سائر المسلمين

يكن هذا الأمر قد جرى بإشراف مباشر من لدن أبي بكر وعمر؟!

صلاح الدين الأيّوبيّ يقتل الشيعة في حلب

قتل صلاح الدين الأيّوبيّ الشيعة في حَلَب وسجن العلويّين في مصر وفصل الرجال عن النساء قطعاً لنسل الشيعة وهو أوّل من اتّخذ يوم عاشوراء عيداً في مصر

كان قتل الشيعة وذهبهم وأسرهم من جهة، وضع الأحاديث ضدّهم وخلع ما رائهم وقضاتهم وحكّامهم وفتيهم من جهة أخرى، منذ غصب الخلافة حتى اليوم أموراً مألوفةً وشائعةً في العالم.

وهذا يعود إلى استقلالهم الفكريّ ومنهجهم الأصيل. وكلّ شخصٍ كان يتقلّد الأمر ويقبض على السلطة يمارس ضروب الضغط والتنكيل ضدّهم خوفاً من نهضتهم ضدّ الظلم والجور، وخشيةً من تأسيسهم حكومة مستقلّة. وأفضل دليل نذكره كنموذج على ذلك هو أنّ صلاح الدين الأيّوبيّ عندما استولى على الحكم

عزل الخليفة الفاطميّ العاضد، و أطاح بالحكومة الفاطميّة التي امتدّت في مصر و أفريقية مائتين و اثنتين و سبعين سنة.

قال آية الله المحقّق الخبير السيّد محسن الأمين العاملي رحمه الله: فولّي العاضد صلاح الدين الوزارة، و لقّبه بالملك الناصر. و يقول أبو الفداء في تاريخه: إنّه تاب عن شرب الخمر، و ضعف أمر العاضد، و عزل صلاح الدين قضاة المصريّين، و كانوا شيعة إسماعيليّة، و رتّب قضاة شافعيّة. و في سنة ٥٦٧ قطع خطبة العاضد و خطب للعبّاسيّين. و كان العاضد مريضاً، فتُوفّي و لم يعلم بقطع خطبته.

و استولى على قصر الخلافة و جميع ما فيه، و كان يخرج عن

الإحصاء. و كانت مدّة ملكهم ٢٧٢ سنة. و حبس صلاح الدين العلويّين، و منع الرجال من النساء حتى لا يتناسلوا. و هو أوّل من جعل يوم عاشوراء عيداً بمصر.[1]

قال آية الله الشيخ محمّد حسين الظفّر في هذا المجال: كان التشيّع مخيّماً على القاهرة، و ضارباً أطنابه في القرى و البلدان، إلى أن قوي صلاح الدين يوسف الأيّوبيّ، و بلغ من الشأن أن استوزره العاضد لدين الله الفاطميّ فكان جزاؤه منه حينما عرف من نفسه القوّة و الغلبة أن حَجَرَ على العاضد و منعه من الخروج و استلب جميع ما لديه من الصفايا و الأموال حتى لم يبق عنده إلّا فرس واحد. و بعد ذلك استلبه منه.

ثمّ شرع في قلب الدولة و الدعوة للمستنصر بأمر الله العبّاسيّ ببغداد، فساعده الظالع على ما أراد. فدعا

---

[1] «معادن الجواهر و نزهة الخواطر» ج ٢، ص ٣٧٨. طبعة دار الزهراء، بيروت.

للعبّاسيّ، و الفاطميّ مسجّى على فراش المرض. فلم يعلم بالحال حتى جاءه الموت.[1]

و لمّا تمهّدت للأيّوبيّ قواعد الدولة أقبل بالإمراء و الجند، و أنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعيّة، و أخرى للمالكيّة. و صرف قضاة الشيعة كلّهم. و فوّض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماراتيّ الشافعيّ، فلم يستنب عنه في إقليم مصر إلّا من كان شافعيّ المذهب.[2] فتظاهر الناس من ذلك اليوم بما كان عليه هوى الملك.

و كيف لا يختفي مذهب أهل البيت و الأيّوبيّ يستقدم العلماء الذين على رأيه، و يبني المدارس و يخصّصها الرواتب، و يحمل الناس على عقيدة الأشعريّ. و مَن خالف ضُربت عُنقه. و ساعد على ذلك أنّ السلطان نور

---

[1] و ذلك عام ٥٦٧، انظر: «خطط المقريزيّ» ج ٣، ص ٣٧٩؛ و «تاريخ ابن الأثير» و غيرهما.

[2] قال ابن الأثير في حوادث عام ٥٦٦ (ج ١١، ص ١٣٧): و عزل قضاة الصريّين و كانوا شيعة. و أقام قاضيا شافعيّا في مصر. فاستناب الشافعيّة في جميع مصر في العشرين من جمادي الآخرة.

الدين محمود بن عماد الدين زنكي تعصّب فنشر مذهب أبي حنيفة في بلاد الشام. فما زال من ذلك الوقت تنتشر و تقوى، و تزداد فقهاؤهم، و تكثر بمصر و الشام. و جروا على ذلك في جميع البلاد التي لهم عليها سلطان، و عُودِيَ مَن تمذهب بغيرها، و انكر عليه.

و لم يُوَلَّ قاضٍ و لا قُبلت شهادة أحد. و لا قُدِّمَ للخطابة و الإمامة و التدريس إنسانٌ ما لم يكن مقلّداً لأحد المذاهب الأربعة.

و أفتى فقهاؤهم في طول مدّة الأيّوبيّين و بعدهم بوجوب اتّباع هذه المذاهب و تحريم ما عداها.[1]

و ما قنع الأيّوبيّ بما ارتكبه من الفاطميّين و مذهب أهل البيت حتى ناصب العداء للبيت الطاهر نفسه. فقابل الشيعة و الفاطميّين بالعكس مما كانوا يعملونه يوم عاشوراء.

قال المقريزيّ في ج ٢، ص ٣٨٥: كان الفاطميّون و يتّخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطّل فيه الأسواق و

---

[1]. انظر: «الخطط» ج ٤، ص ١٦١.

يعمل فيه السماط العظيم المسمّى سماط الحزن و كان يصل إلى الناس منه شيء كثير.

فلمّا زالت الدولة اتّخذ الملوك من بني أيّوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسّعون فيه على عيالهم، و يتبسّطون في المطاعم، و يصنعون الحلاوات، و يتّخذون الأواني الجديدة، و يدخلون الحمّام جريا ًعلى عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجّاج أيّام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آنافشيعة

علي بن أبي طالب، الذين يتّخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي، لأنّه قُتل فيه. و قد أدركنا بقايا ممّا عمله بنو أيّوب من اتّخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسّط.

لا أدري إذا كان الأيّوبيّون أعداء بني فاطمة فهل ساغ لهم أن يعادوا الرسول و أهل بيته؟ و لماذا صنعوا يوم مقتل الحسين عيداً، و قد بكاه الرسول و حزن عليه قبل ذلك اليوم بعشرات السنين و الحسين في الأحياء؟ و إن الأغرب أن يُطرى الأيّوبيّون و يكال له المدح جزافاً و هو صاحب يوم عاشوراء! فـ: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ![1]

---

[1] تاريخ الشيعة» للمظفّر، ص ١٩٢ إلى ١٩٤. و الآية المذكورة هي الآية ١٥٦، من السورة ٢: البقرة.

و ممّا ذكره المظفّر أيضاً في «تاريخ الشيعة» ص ١٤٥ إلى ١٤٨ حول مدينة حلب في عيّن التشيّع في حلب ما زال يأتي: ما حتى أنّ السلجوقيّين الأتراك حاولوا استعطاف اليساريين في حلب، فما استطاعوا إلى أن كثّر من ضربهم لهم عليه القضاء عديدة مرّات و سلالاتهم، و كان المؤذّن يؤذّن في آخر الأذان: حَيَّ على خَيْرِ العَمَل (انظر: مجلّة «المقتبس» ج ٦، ع ١٠).

و أمّا ابن كثير الشامي فقد ذكر أنّ صلاح الدين لمّا جاء إلى حلب و نزل بظاهرها اضطرب أهل حلب في حرب صلاح الدين فعاهدوه و غلّبوا عليه أموراً، و منها: أن يفوّض أمور عقودهم جميعها في ذلك، و لكن شرطوا عليه أن يفوّض أمور عقودهم جميعها في ذلك، و لكن شرطوا عليه أموراً، و منها:

1 ...

صلاح الدين إلى حلب بحربٍ، بل دخلها سلماً. ٣ و لم يثنه ذلك عن التفكّ
بالشيعة التفكّ الذريع. و لمّا تصرّمت حبال الدولة الأيّوبيّة لم يُقضِ التشيّع في
حلب كما قُضي في مصر، بل بقي رصين الأسّ، كما يُخبرنا بذلك ياقوت
الحمويّ في «معجم البلدان» قال في «حلب» و الفقهاء يفتون على مذهب
الإماميّة، و قال: و عند باب الجنان مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه
رُؤي فيه في النوم، و داخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة
زعموا أنّه خطّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه. و في

[1] غربي البلد في سفح جبل الجوشن قبر المحسن بن الحسين يزعمون أنّه سقط
لمّا جيء به سبيًا من العراق ليحمل إلى دمشق، أو طفل كان معهم فدُفن هناك.

٤ و بالقرب منه مشهد مليح العمارة، تعصّب الحلبيّون و بنوه أحكم بناء، و
أنفقوا عليه أموالًا يزعمون أنّهم رأوا عليًّا رضي الله عنه في المنام في ذلك
المكان. و هذه الآثار التي يذكرها ياقوت هي من دلائل تشيّع الحلبيّين، فهي
على التشيّع إلى عهده. و كتب ذلك عن حلب عام ٦٣٦، فيكون ذلك بعد دخول
الأيّوبيّين سلماً بسبعٍ و خمسين سنة. و إلى ذلك اليوم كان فيها أعلام من بني
زهرة. و هكذا استمرّ التشيّع في حلب رفيع البناء لم تقلعه تلك الهزّات العنيفة،
و لم تردمه تلك العواصف الشديدة، إلى أن أفتى الشيخ نوح الحنفيّ في كفر
الشيعة و استباحة دمائهم و أموالهم تاباوا أو لم يتوبوا. ٥ فزحفوا على شيعة
حلب و أبادوا منهم أربعين ألفاً أو يزيدون، و انتُهبت أموالهم، و خرج الباقون
منهم من ديارهم إلى جبل، و الغوطة، و دمّ العمد، و الدلبوز، و العوعة، و
غيرها من القرى. و اختبأ التشيّع في أطراف حلب في هذه القرى و البلدان، و
لم يبقَ في حلب شيعيّ أبداً. و قيل: إن بني زهرة اليوم ذرّيّة في العوعة و لكن
لا يُعرَف نسبهم إلى بني زهرة. و يوجد اليوم في حلب قليل من الشيعة سكنوها بعد تلك
الحادثة المؤلمة. و هذه إحدى الوقائع المضمّة التي شاهدها الشيعة من أجل
الأمير ملحم بن الأمير لأهل البيت و تمسّكهم بمذهبهم. و هاجم الأمير ملحم
حديد بسبب هذه الفتوى بجبل عاملة عام ١٠٤٨. فانتهك الحرمات و استباح
الحرّمات يوم وقعة قرية أنصار. فلا تَسَل عمّا أراق من دماء، و استلب من

مأوال، و تنا هتكمن حريم. فقد قتل ألفاً و سأر ألفاً و ستمائة مسلم.

يجر و عتى هلكفي الكنيف بيبر و ت. ٦ فيا لله من هذه الجرأة الكبرى.

---

[١] كان و لا يزال الهتافيف الأذان «حيّ على خير العمل» من شعار الشيعة. و قد تماتت الأدلّة الصريحة الواردة من طرقهم بأنّه من فصول الأذان. و ديل على أنّه كان بلال يقول في الأذان: «حيّ على خير العمل» ما في «كنز العمّال» ج ٤، ص ٢٦٦، عن الطبراني قال: كان بلال يؤذّن بالصبح فيقول: «حيّ على خير العمل»؛ و ما في «التيسير» في باب الأذان و مشروعيّته ج ٢، ص ١٠٥، الطبعة الثانية قال: إنّ ابن عمر، و بدء

تحدّث آية الله المتضلّع الخبير و العالم الواعي الشريف البصير في عصرنا المرحوم السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي عن سرّ كتمان فضائل أهل البيت، و الأحاديث المدسوسة الموضوعة، و الظلامة التي عانوا منها بسردٍ رائع و تفصيلٍ مُمَتِّعٍ بالدليل. و لمّا كان حديثه عن الموضوعات الواقعيّة، فمن الخليق بنا أن نورده هنا. قال السيّد المذكور في جواب الشيخ سليم البشري المصري عن زعيم السنّة في العالم و العميد العلمي الأزهر حين سأله عن سبب خلوّ صحاح السنّة و مسانيدهم من تلك النصوص الجليّة:

«المتأولة أو الشيعة في جبل عامل». على النفوس و الأعراض؛ و من تلك الفتيا التي غرّرت باولئك على تلك الفظائع و الجرائم، فالله الخصم و الحكم.

أمّا عدم إخراج تلك النصوص فإنّما هو لشنشنة نعرفها لكلّ من أضمر آل محمّد حسيكةً، و أبطن لهم الغلّ من حزب الفرعنة في الصدر الأوّل، و عَبَدَة اولي السلطة و التغلّب الذين بذلوا في إخفاء فضل أهل البيت و إطفاء نورهم كلّ حول و كلّ طول، و كلّ ما لديهم من قوّة و جبروت، و حملوا الناس كافّة على مصادرة مناقبهم و خصائصهم بكلّ ترغيب و ترهيب، و أجلبوا على ذلك تارة بدراهمهم و دنانيرهم، و اخرى بوظائفهم و مناصبهم، و مرّة بسياطهم و سيوفهم، يُذنَ من كذّب بها، و يُقصون مَن صدّق بها، أو ينفونه أو يقتلونه، و أنت تعلم أنّ نصوص الإمامة و عهود الخلافة لمّا يخشى الظالمون منها أن تدمّر عروشهم و تنقض أساس ملكهم، فسلمتها منهم و من أوليائهم المتزلّفين إليهم، و وصولها إلينا بالأسانيد المتعدّدة، و الطرق المختلفة، آية من آيات الصدق، و معجزة من معجزات الحقّ، إذ كان المستبدّون بحقّ أهل البيت و المستأثرون بمرتبهم التي رتّبهم الله فيها، يسومون من يتّهمونه بحبّهم سوء

العذاب، يحلقون لحيته، و يطوفون به في الأسواق، ثمّ يُرَذِّلونه و يُسقطونه و يحرمونه من كلّ حقّ، حتى ييأس من عدل الولاة،[1] و يقنط من معاشرة الرعيّة، فإذا ذكر عليّاً ذاكرٌ بخير برئت منه الذمّة و حلّت بساحته النقمة، فتُستصفى أمواله، و تضرب عنقه، و كم استلّوا ألسنةً نطقت بفضله، و سملوا أعيناً رمقته باحترام، و قطعوا أيدياً أشارت إليه بمنقبة، و نشروا أرجلاً سعت نحوه بعاطفة، و كم حرقوا على أوليائه بيوتهم، و اجتثّوا نخيلهم، ثمّ صلبوهم على جذوعها، أو شرّدوهم عن عقر ديارهم. فكانوا طرائق قدداً.

وكان في حَمَلَة الحديث و حفظة الآثار، قوم يعبدون أولئك الملوك الجبابرة و ولاتهم من دون الله عزّ وجلّ، و يتزلّفون إليهم بكلّ ما لديهم من تصحيف، و تحريف، و تصحيح، و تضعيف، كالذين ذمّهم في زماننا هذا من شيوخ التزلّف و علماء الوظائف و قضاة السوء،

---

[1] راجع شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٥، تجد بعض ما تمّ ذكره من الحنق على أهل البيت و شيعتهم في تلك الأيّام، و للإمام الباقر كلام وقع عن الحنق على أهل البيت و شيعتهم في تلك الأيّام، و للإمام الباقر كلام في هذا الموضوع، ألفت إليه الباحثين.

يتسابقون إلى مرضاة الحكّام بتأييد سياستهم العادلة كانت

، أو جائرة، وتصحيح أحكامهم، صحيحة كانت أو فاسدة،

فلا يسألهم الحاكم متى تؤدّي حكمه، أو تقمع خصومه إلّا

بادروا إليها على ما تقتضيه رغبته، وتستوجبه سياسته،

و إن خالفوا نصوص الكتاب و السنّة، و خرقوا إجماع

الأمّة، حرصاً على منصب يخافون العزل عنه، أو

يطمعون في الوصول إليه، و شتّان بين هؤلاء و أولئك،

فإنّه لا قيمة لهؤلاء عند حكوماتهم، أمّا أولئك فقد كانت

حاجة الملوك إليهم عظيمة، إذ كانوا يحاربون الله و

رسوله بهم، و لذا كانوا عند الملوك و الولاة ذوي منزلة

سامية، و شفاعة مقبولة فكانت لهم بسبب ذلك صولة و

دولة و كانوا يتعصّبون على الأحاديث الصحيحة إذا

تضمّنت فضيلة لعلي أو لغيره من أهل بيت النبوّة،

فيردّونها بكلّ شدّة، و يسقطونها بكلّ عنف، و ينبزون

رواتها إلى الرفض - و الرفض أخبث شيء عندهم - هذه

سيرتهم في السنن الواردة في عليّ، و لا سيّما إذا تشبّث

الشيعة بها، و كان أولئك الملتزلفين من يرفع ذكرهم من

الخاصّة في كلّ قطر، و لهم من يروّج رأيهم من طلبة العلم الدينيّين، و من المرائين بالزهد و العبادة و من الزعماء و شيوخ العشائر، فإذا سمع هؤلاء ما يقولون في ردّ تلك الأحاديث الصحيحة اتّخذوا قولهم حجّة، و روّجوه عند العامّة و الهمج، و أشاعوه و أذاعوه في كلّ مصر، و جعلوه أصلًا من الأصول المتّبعة في كلّ عصر. و هناك قوم آخرون من حَمَلَة الحديث في تلك الأيّام، اضطرّهم الخوف إلى ترك التحديث

بالمأثور من فضل عليّ و أهل البيت و كان هؤلاء

الّذين إذا سئلوا عمّا يقولون فيهم أولئك المتزلّفون في رد

النصوص الصحيحة المشتملة على فضل عليّ و أهل البيت

الذين يخافون -من مبادهة العامّة بغير ما عندهم- أن تقع فتنة

عمياء بكماء صمّاء فكانوا يضطرّون في الجواب إلى

اللواذ بالمعاريض من القول، خوفاً من تألّب أولئك

المتزلّفين، و مروّجيهم من الخاصّة، و تألّب من يتبعهم من العامّة و رعاع الناس.

و كان الملوك و الولاة أمروا الناس بلعن أمير

المؤمنين، و ضيّقوا عليهم في ذلك، و حملوهم بالتقود

بالجنود، و باليعيد و الوعود، على تنقيصه و ذمّه و

سبّوه للناشئة في كتاتيبها بصورة تشمئزّ منها النفوس

و حدّثوها عنه بما تستكّ منها المسامع و جعلوا لعنه على

منابر المسلمين من نسنن العيدين و الجمعة، فلولا أنّ

الله لا يُطفأ نوره و فضل أوليائه لا يخفى، ما وصلت إلينا

النصوص بفضله!

صَّ اخْتَ ذيلا رِهابلا لِضفَلا نَمِ بُجَعْلأا ِللهَ وَ ّيِنإ وَ

بِهِ عَبْدَهُ وَ أخَا رَسُولِهِ عَلِيّ بْنَ أبِي طَالِبٍ، كَيْفَ خَرَقَ

ذُرُهُ الحُجُبَ مِنْ تِلْكَ الظُّلُماتِ المتَرَاكِمَةِ وَ الأمْوَاجِ

المتَلاطِمَةِ، فأشْرَقَ عَلى العالَمِ كَالشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ

النَّهارِ.[1]

المواالة و البراءة أصالن ثابتان من اصول الشيعة

أجل، يستبين مما ذكرناه منهج الشيعة و منهاجهم و

سنّتهم في جميع مراحل الاعتقاد و الفكر و العمل في

مقابل غيرهم من جميع المذاهب الأربعة و الظاهرية و

الخوارج و سواهم. و قد جعل الشيعة أساس عملهم

---

[1] «المراجعات» ص ١٩٤ إلى ١٩٦، المراجعة ٦٤، الطبعة الاولى، مطبعة

العرفان، صيدا، سنة ١٣٥٥ هـ.

دعامة الحقّ، و استهدوا بالكتاب و السنّة فرأوا أنّ

موالاة أولياء الله و البراءة من أعدائهم جزءاً لا يتجزّأ

من اصولهم و عقائدهم، و عرفوا التشيّع على أنّه التعبّد

بولاية الأئمّة الاثني عشر في كافّة الامور و في مراحل

الأخذ و البطش و الفكر و الفعل في الحياة و الممات، بيَدَ

أنّ العامّة بجميع أقسامهم و أصنافهم يرون أنّ كلام

الخلفاء حجّة في مقابل الكتاب و السنّة، و جعلوه من

شئونهم العمليّة اليوميّة، و قدّموا الاعتباريّات على

الحقائق.

إنّ الأشاعرة أغلظ من المعتزلة في الفكر و العقيدة

و العمل، و المعتزلة قريبون من الشيعة في عقائد كثيرة،

إلّا أنّهم لا يبرأون من الشيخين، بل يرونهما، و عثمان،

و أمير المؤمنين عليه السلام خلفاء حقيقيّين. و يذهب

المعتزلة إلى أنّ معاوية رجل خبيث فاسد على عكس

الأشاعرة الذين كانوا يقدّسونه، و جميع بني اميّة و بني

مروان. و المعتزلة مملّون بالحكمة و المطالب العقليّة و

البرهان، في حين أنّ الأشاعرة لم يقطعوا شوطاً على هذا الطريق مبدئيّاً، وهم خصوم العقل و العقليّات.

يتحدّث ابن أبي الحديد المعتزليّ في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام: يَهْلَكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ، وَ بَاهِتٌ مُفْتَرٍ، فيقول:

و لهذا كان أصحابنا أصحاب النجاة و الخلاص و الفوز في هذه المسألة، لأنّهم سلكوا طريقة مقتصدة: قالوا إنّ علياً أفضل الخلق في الآخرة، و أعلاهم منزلةً في الجنّة، و أفضل الخلق في الدنيا، و أكثرهم خصائص و مزايا و مناقب. و كلّ من عاداه أو حاربه أو بغضه فإنّه عدوّ الله سبحانه، و خالد في النار مع الكفّار و المنافقين، إلّا أن يكون ممّن قد ثبت توبته، و مات على توليته و حبّه.

فأمّا الأفاضل من المهاجرين و الأنصار الذين ولوا الإمامة قبله، فلو أنّه أنكر إمامتهم، و غضب عليهم و سخط فعلهم، فضلاً أن يشهر عليهم

السيف، أو يدعو إلى نفسه لقلنا: إنّهم من الهالكين، كما لو غضب عليهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، لأنّه قد ثبت أنّ رسول الله قال له:

حَرْبُكَ حَرْبِي، وَ سِلْمُكَ سِلْمِي، وَ أَنَّهُ قَالَ: اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ. وَقَالَ لَهُ: لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَ لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ!

و لكنّا رأيناه رضي إمامتهم و بايعهم، و صلّى خلفهم، و أنكحهم، و أكل من ذبيحتهم، فلم يكن لنا أن نتعدّى فعله، و لا نتجاوز ما اشتهر عنه.

أ لا ترى أنّه لمّا برئ من معاوية برئنا منه، و لمّا لعنه لعنّاه، و لمّا حكم بضلال أهل الشام، و من كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص، و عبد الله ابنه و غيرهما حكمنا أيضاً بضلالهم؟!

و الحاصل أنّا لم نجعل بينه و بين رسول الله صلّى الله عليه و آله إلّا رتبة النبوّة، و أعطيناه كلّ ما عدا ذلك - أي: ما عدا النبوّة - من الفضل المشترك بينه و بينه. و لم

نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصحّ عندنا أنّه طعن فيهم، و عاملناهم بما عاملهم هو عليه السلام به.

ثلّة من الصحابة القائلين بتفضيل عليّ عليه السلام

فصل: فيما قيل في التفضيل بين الصحابة

و القول بالتفضيل - أي: تفضيل عليّ على جميع الصحابة - قول قديم قال به كثير من أصحاب رسول الله و التابعين. فمن الصحابة عمّار، و المقداد، و أبو ذرّ، و سلمان، و جابر بن عبد الله، و أبي بن كعب، و حُذَيفة، و بريدة، و أبو أيّوب، و سهل بن حنيف، و عثمان بن حنيف، و أبو الهيثم ابن التيّهان، و خزيمة بن ثابت، و أبو الطفيل عامر بن واثلة، و العبّاس بن عبد المطّلب، و بنوه، و بنو هاشم كافّة، و بنو عبد المطّلب كافّة.

و كان الزبير من القائلين به في بدء الأمر، ثمّ رجع.

مناظرة في تفضيل عليّ عليه السلام

و كان قوم من بني اميّة يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن

العاص، و منهم عمر بن عبد العزيز. و نذكر هذا الخبر المرويّ المشهور عن عمر، و هو من رواية ابن الكلبيّ قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه إذ دخل حاجبه و معه امرأة أدماء (سمراء) طويلة حسنة الجسم و القامة، و رجلان متعلّقان بها، و معهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من ميمون بن مهران، **سَلامٌ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللهِ وَ بَرَكاتُهُ**؛ أمّا بعد، فإنّه ورد عليّ أمر ضاقت به الصدور، و عجزت عنه الأوساع، و هربنا بأنفسنا عنه، و وكلناه إلى علمه، لقول الله عزّ و جلّ:

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ.[1]

و هذه المرأة و الرجلان، أحدهما زوجها، و الآخر أبوها. و إنّ أباها يا أمير المؤمنين زعم أنّ زوجها حلف

---

[1]. النساء: ٤ من السورة، ٨٣ من الآية.

بطلاقها إن لم يكن علي بن أبي طالب عليه السلام خَيْرُ هذِهِ الامَّةِ وَ أوْلاَها بِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

و أنّه يزعم أنّ ابنته قد طُلّقت منه، و لا يجوز له في دينه أن يتّخذ صهراً، و هو يعلم أنّه حرام عليه كامّه. و أنّ الزوج يقول له: كذبتَ! و أثمتَ! لقد بَرَّ قسمي، و صدقت مقالتي، و أنّها امرأتي على رغم أنفك، و غيظ قلبك. فاجتمعوا إلى يختصمون في ذلك، فسألتُ الرجل عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك! و قد حلفتُ بطلاقها إن لم يكن عليّ خَيْرُ هذِهِ الامَّةِ وَ أوْلاَها بِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، عَرَفَهُ مَن عرفه، و أنكره من أنكره، فليغضب من غضب، و ليرضى من رضي. و تسامع الناس بذلك،

فاجتمعوا له، و كانت الألسنة مجتمعة و القلوب تشتّى.

و قد علمتَ يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم، و تسرّعهم إلى ما فيه الفتنة. فأحجم عن الحكم لتحكم بما أراك الله. و إنّهما تعلّقا بها، و أقسم أبوها ألّا تحكم إلّا بما عنده، و أقسم زوجها ألّا يفارقها و لو ضُرِبَت عنقه بين يديها، و إنّ الحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته و لا أن يحكم عليه بغير ذلك، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين، أحْسَنَ اللهُ توفيقَكَ و أرْشَدَكَ!

فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم و بني اميّة و أفخاذ قريش، ثمّ قال لأبي المرأة: ما تقول أيّها الشيخ؟! قال: يا أمير المؤمنين، هذا الرجل زوّجته ابنتي، و جهّزتها إليه بأحسن ما يجهّز به مثلها، حتى إذا أمكنت خَيْرَهُ، و رجوت صلاحه، حَلَفَ بطلاقها كاذباً، ثمّ أراد الإقامة معها! فقال له عمر: يا شيخ! لعلّه لم يطلّق امرأته! فكيف حلف؟!

قال الشيخ: سبحان الله! الذي حلف عليه ألا يبيت ليلة واحدة

أوضح كذبًا من أن يختلج في صدري منه شك، مع سنّي

وعلمي، لأنّه زعم أنّ عليًّا خيرُ هذه الأمة وإلّا امرأته

طالق ثلاثًا. فقال للزوج: ما تقول؟ أهكذا حلفت؟ قال:

نعم، فقيل إنّه لما قال، كاد المجلس يرتجّ بأهله، وبنو

أمية ينظرون إليه شزرًا، إلّا أنّهم لم ينطقوا بشيء، كلّ

ينظر إلى وجه عمر.

فأكبّ عمر مليًّا ينكت الأرض بيده والقوم صامتون

ينظرون ما يقوله، ثمّ رفع رأسه وقال:

وَما خَسْرُ الإمامِ

ثمّ قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟

فسكتوا. فقال:

سبحان الله! قولوا. فقال رجلٌ من بني اميّة: هذا حكم في فرج، و لسانا نجترئ على القول فيه، و أنت عالم بالقول، مؤتمن لهم و عليهم، قل ما عندك، فإنّ القول ما لم يكن بحقّ باطلًا و يبطل حقّاً جائز عُدَّ في مجلسي.

قال: لا أقول شيئاً؛ فالتفت إلى رجلٍ من بني هاشمٍ من ولد عقيل بن أبي طالب.

فقال له: ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟

فأغتنمها، فقال يا أمير المؤمنين! إن جعلتَ قولي حكماً، أو حكمي جائزاً قلتُ، و إن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي، و أبقى للمودّة. قال: قل و قولُك حكم، و حكمك ماضٍ.

فلمّا سمع ذلك بنو اميّة قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا، و نحن من لحمتك و أولي رحمك! فقال عمر: اسكتوا أ عَجَزاً و لؤماً! عرضت ذلك عليكم آنفاً فما انتدبتم له. قالوا: ألذّك لم تعطنا ما أعطيتَ العقيليّ، و لا حكّمتنا كما حكّمته. فقال عمر: إن كان أصاب و أخطأتم، و حزم و عجزتم، و أبصر و عميتم فما ذنب عمر، لا أبا لكم! أ تدرون ما

مثلكم؟ قالوا: لا ندري، قال لكنّ العقيليّ يدري، ثمّ قال: ما تقول يا رجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، كما قال الأوّل:

قال عمر: أحسنتَ و أصبتَ! فقل ما سألتك عنه! قال:

إن الزوج برّ قسمه، و لم تطلّق امرأته! قال عمر: كيف عرفتَ هذا؟

قال العقيليّ: نشدتك الله يا أمير المؤمنين! إن رسول الله صلّى الله

عليه [و آله] وسلّم قال لفاطمة وهو عائد لها: يا بُنيّة! ما عليك؟! قالت: الوعك يا أبتاه. و كان عليّ غائباً في بعض حوائج النبيّ صلّى الله عليه [و آله] وسلّم. فقال لها: أتشتهين شيئاً؟! قالت: أشتهي عنباً، و أنا أعلم أنّه عزيز، وليس الوقت وقت عنبٍ.

قال النبيّ صلّى الله عليه [و آله]: إنّ الله قادر على أن يجيئنا به. ثمّ قال: اللهُمَّ ائتِنا بِهِ مَعَ أفْضَلِ اُمَّتي عِنْدَكَ مَنْزِلَةً. فطرق عليّ الباب، و معه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه.

فقال النبيّ: ما هذا يا عليّ؟! قال: عنب التمسته لفاطمة! فقال النبيّ: اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أكْبَرُ، اللهُمَّ كَما سَرَرْتَني بِأنْ خَصَصْتَ عَلِيّاً بِدَعْوَتي فَاجْعَلْ فيهِ شِفاءَ بُنَيَّتي! ثمّ قال: كُلي على اسم الله! و ما خرج النبيّ حتّى برأت.

فقال عمر: صدقتَ و بررتَ! أشهد لقد سمعته و وعيته. يا رجل خذ بيدِ امرأتك، فإن عرض لك أبوها، فاهشم أنفه. ثمّ قال: يا بني عبد مناف! و الله ما نجهل ما يعلم غيرنا، و لا بنا عمىً في ديننا، و لكنّا كما قال الأوّل:

و كأنّما ألقم بني اميّة حجراً، و مضى الرجل بامرأته.

و كتب عمر بن عبد العزيز إلى ميمون بن مهران:

عَلَيْكَ سَلَامٌ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أمّا بعد؛ فإنّي قد فهمت كتابك، و ورد الرجلان و المرأة، و قد صَدَقَ اللهُ يمين الزوج، و أبرّ قسمه، و أثبته على نكاحه، فاستيقن ذلك، و اعمل عليه، و السلام

عليك و رحمة الله و بركاته.

فأمّا من قال بتفضيله على الناس كافّة من التابعين فخلق كثير كاويس القرنيّ، و زيد بن صُوحان، و صعصعة أخيه، و جندب الخير،[1] و عُبيدة السلمانيّ، و غيرهم ممّن لا يُحصى كثرةً، و لم تكن لفظة الشيعة تُعرف في ذلك العصر إلّا لمن قال بتفضيله. و لم تكن مقالة الإماميّة و مَن حا حذوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذٍ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمّون الشيعة. و جميع ما ورد من الآثار و الأخبار في فضل الشيعة، و أنّهم موعودون بالجنّة، فهؤلاء هم المعنيّون به دون غيرهم، و لذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم و تصانيفهم: و نحن الشيعة حقّاً. فهذا القول هو أقرب إلى السلامة و أشبه بالحقّ من القولين المتقسمين طرفي الإفراط و التفريط إن شاء الله.[2]

---

[1] في نسخةٍ: «حبيب الخير».

[2] شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٢٠ إلى ٢٢٦، شرح الحكمة ٤٧٦، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة، و في طبعة بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم،

و قال العالم البصير و المحقّق الخبير المعاصر الشيخ محمّد جواد مغنيّة بعد أن ذكر الكلام المتقدّم عن «شرح نهج البلاغة» مفصّلًا: و كان من نتيجة هذه المحادثة و غيرها أن دسّ الأمويّون السمّ لمعمر بن عبد العزيز، كما فعلوا من قبل بمعاوية الثاني، لأنّهم لا يطيقون أن يكون بينهم من ينافس الحقّ و أهله. لقد تعجّلوا عليه خشية أن يعرف الناس من فضل عليّ ما يعرف الأمويّون، فيتفرّقوا عنهم إلى أولاد أمير المؤمنين عليه السلام. كما قال عبد العزيز الأمويّ الذي كان يتلعثم عند

دار الكتب العربيّة الكبرى، مصطفى البابي الحلبي: ج ٤، ص ٥٢٠ إلى ٥٢٢.

و قد أشرنا إلى أنّ ابن أبي الحديد المعتزليّ كان يعدّ نفسه شيعيًّا على أساس الأحاديث النبويّة الثابتة المأثورة في فوز الشيعة و نجاتهم. بَيْدَ أنّ أعاظم الشيعة لا يرونه شيعيًّا و يذهبون - بعامّة - إلى أنّ المعتزلة هم شركاء الأشاعرة و هم قسم من أهل السنّة. و شرط التشيّع الإقرار بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام و وصايته و ولايته بلا فصل. فكلّ من قال بخلافة الشيخين و عثمان فهو ليس شيعيًّا. و كذلك كلّ من لا يبرأ منهم و من نهجهم. و ما قاله ابن أبي الحديد إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يخالفهم كذب محض. فالتأريخ كلّه و الأخبار و الآثار و السير و الخطب، بل شرحه على «النهج» كلّ ذلك مشحون باعتراضات الإمام على الحكومة الجائرة أبي بكر، و عمر، و عثمان، و بيعة الإمام لهم بعد مدّة أشهر لا تدلّ على الرضا و القبول، إذا كانت على أساس المصلحة الخارجيّة كما صرّح نفسه عليه السلام.

ذكر سيّد الكونين، وهو الخطيب البليغ خاف الأمويّون من الحقّ، لأنّه يسلّبهم الملك و السلطان، وهابوا العدل، لأنّه يقضي عليهم بالموت، لذا حاولوا إخفاء الحقّ قبل أن يقضي عليهم، و لكن مهما حاول المشعوذون و المنحرفون إخفاءه فلا بدّ أن يظهر و ينتصر، و يكشف أمر المبطلين.

توضيح حول عمر بن عبد العزيز

و قال قائل: إن عمر بن عبد العزيز رجل عادي، و إنّما عظم أمره لأنّه أعور بين عميان كما قال المنصور، قام عمر بعد قوم بدّلوا شريعة الدين و سنن النبيّ، و كان الناس قبله من الظلم و الجور و التهاون بالإسلام ما لم يسبق بمثيل، أو يجرِ بحُسبان، و حسبك من ذلك أنّهم كانوا يعلنون سبّ علي على المنابر، فلمّا نهى عنه عمر عدّ محسناً، بل جُعل في عداد الأئمّة الراشدين، و يشهد لذلك قولٌ كثير.

و بكلمة: إن عمر استمدّ حسناته من سيّئات غيره.

و الجواب: إن هذا القائل أراد أن يحطّ من مكانة عمر فدلّ كلامه على عكس ما أراد، لقد عرفنا و عرف التأريخ كثيرين نشئوا في بيت صلاحٍ و تُقى و أفنوا حياتهم في دراسة علوم الإسلام و القرآن، و مع ذلك رأيناهم ينحرفون عن طريق الدين، و لا يصمدون أمام المغريات الشيطانيّة

و الشهوات الدنيويّة، أمّا عمر فقد تمرّد على بيئته و قومه، و تعالت نفسه عن عاداتهم و تقاليدهم و لم تغترّ بشهوة الحكم و فتنة السلطان، و هذا مكان عظمته و سرّ عبقريّته، نقم عمر على آبائه و أجداده، و شهد عليهم بالفعل بقبل القول بأنّهم ضالّون مضلّون، و لم يكترث بما تجرّه هذه الشهادة عليه من المتاعب و المصاعب.

لذلك نحن نُكبره و نعظّم فيه يقظة الضمير. و قوّة الإيمان و الجهاد في سبيل الحقّ، و التمرّد على الباطل، باطل أهله و بيته. و السلام على روحه الطيّب، و بدنه الطاهر، لقد كانت سيرة ابن عبد العزيز انقلاباً في السياسة الأمويّة، و إصلاحاً جذرياً لما أفسد الأمويّون، و هذه فضيلة لا يُدانيها شيء، و مكرمة لا يعادلها إلّا الجهاد بين ديّ الرسول الكريم.

الثقافة الشيعيّة أساس الثقافات

و تحدّث مغنيّة أيضاً تحت عنوان «أدب الشيعة في الشعر و خدمته للأدب العربيّ» عن الأحاسيس و العواطف و تصاعد الغضب و الحنين التي حلّت بالشيعة

و قد جسّدها شعراؤهم في قالب النثر و النظم أمثال:

دعبل، و ابن الرومي، و أبي فراس الحمداني. و قد أضفوا على العربيّة و أدبها حلّةً جميلةً و خلعةً رائعةً حقّاً، و واصل كلامه، إلى أن قال:

و نختم هذا الفصل بكلمتين: احداهما لمحمّد سيّد كيلاني قالها في كتابه «أثر التشيّع في الأدب العربي» ص ٢٢، طبعة القاهرة، لجنة النشر للجامعيّين:

جاء الأدب الشيعيّ صورة صادقة لما وقع على العلويّين من اضطهاد. فقد قُتل عليّ و أصبح آله يُستذلّون، و يضامون، و يُقصون و يمتهنون، و يُحرَمون و يُقتلون، و يخافون و لا يأمنون على دمائهم و دماء أوليائهم، فقُتل أنصار عليّ في كلّ قطر و كلّ مصر و عُذّبوا تعذيباً مرّاً، قطعت منهم الأيدي و الأرجل.

ومن ذكر علياً سُجن أو ذُهب ماله أو هُدمت داره، و كان البلاء يشتدّ على العلويّين يوماً بعد يوم. فمن دفن الناس أحياء إلى الصلب إلى الحرق إلى الحبس و منع الهواء و الأكل و الماء عن المحبوس، حتى يقضي نحبه جوعاً و عطشاً. و كانوا يصلّبونهم و يتركونهم حتى تنبعث منهم الروائح الكريهة، ثمّ يحرّقونهم و يذرّونهم في الهواء و حرّموا على الناس أن يسمّوا أبناءهم علياً أو حسناً أو حسيناً.

و كان العبّاسيّون أشدّ كرهاً للعلويّين من الأمويّين و أعظم بغضاً، فأمعنوا فيهم قتلاً و حرقاً، و اضطهاداً و تعذيباً، فأمر المنصور، فحُمل إليه من المدينة كلّ من كان فيها من العلويّين مقيّدين بالسلاسل و الأغلال، و لمّا وصلوا إليه حبسهم في سجن مظلم لا يُعرف فيه ليل من نهار، و كان إذا مات أحدهم ترك معهم، و أخيراً أمر بهدم السجن عليهم، و في ذلك يقول أحد شعراء الشيعة:

وقال أبو فراس:

وقال الشريف الرضيّ:

و قد بالغ الرشيد في التنكيل بالعلويّين، و لم يخفّ الضغط عليهم إلّا حين ضعفت الخلافة العبّاسيّة، و أصبح السلطان الفعليّ في الممالك الإسلاميّة للترك و الديلم و بني حمدان. كلّ هذه النكبات قد أثّرت تأثيراً كبيراً في الأدب الشيعيّ نثره و شعره.

و **الثانية** لعبد الحسيب طه حميدة قالها في كتاب «أدب الشيعة»

ص ٣٢٨، طبعة ١٩٥٦ م: في الحقّ أنّ حركة التشيّع أغنت الأدب العربيّ الحديث بكثير، وساهم أدباؤه في بناء النهضة الأدبيّة مساهمةً مشكورةً بما انتجوا من أدب و آثار مخصومة.

و قد رأينا كيف كان الأدب الشيعيّ جزل اللفظ، محكم النسج، رصين العبارة، صادق الأداء ... صورة ناطقة لنفسيّات قومه و عواطفهم و سجلًّا خالداً لحياتهم و عقائدهم، و تصويراً رائعاً لما أصابهم من محن و حلّ بساحتهم من نكبات.

و علمنا مصادر الإلهام لهذا الأدب الكريم، فهو نتاج عاطفتين: عاطفة الحزن، و عاطفة الغضب، و خلاصة ثقافات مختلفة، عربيّة و أعجميّة، مزجها الإسلام روحاً و معنى، و نقل أصحابها ذاتاً و وطناً، و أخضعهم لسلطانه إخضاعاً تداخلت به اللغات و الأفكار و العقائد.

... ثمّ كان الأدب الشيعيّ أصدق ما تمثّلت فيه هذه الثقافات، إذ كان الحزب الشيعيّ لأسباب سياسيّة و دينيّة أكبر حزب جمع هذه العناصر، فأغنى بذلك النتاج

الشيعيّ، و كان الأدب النّاتج عنهم أدباً غزيراً قويّاً تصدره عاطفة و قلب و عقل، و تنضح عليه ثقافات العراق المعرّقة في الرّقيّ المتعدّدة المشارب، فاستفاد الأدب العربيّ من هذه النّاحية، و عزّزت مادّته، و اتّسعت معانيه و أغراضه.

ترى ذلك واضحاً في هذه العقائد الشيعيّة الّتي شرحناها قبلاً، و رأينا أثرها في الأدب، و أدركنا إلى أيّ حدّ كان التشيّع مجازاً لنقل هذه العقائد المختلفة إلى الحياة العربيّة، و العقليّة العربيّة، و الأدب العربيّ، و تلك و لا شكّ مساهمة في المجهود الأدبيّ لم تكن لو لا التشيّع.

و اخرى من ناحية التأثير أنّ الموقف الذي وقفته الدولة من الشيعة من شأنه أن يلهب العاطفة، و يثير الوجدان، و يخلق فناً جديداً من القول،

و مسرحاً جديداً للخيال، و قد تمثّل ذلك في الأدب السياسيّ و العاطفيّ. و ظهر أوّل ما ظهر، و أقوى ما ظهر في الأدب الشيعيّ، أدب النفس الثائرة و العاطفة الصادقة و الحبّ المتأجّج، أدب العقيدة، كما قلنا، فبنى الشيعة بذلك ركناً من الحضارة الأدبيّة باذخاً و شديداً، و كان لهم أكبر الفضل في النهوض بهذه الناحية العاطفيّة و السياسيّة.[1]

---

[1] من الأدب الشيعيّ البراءة من أعداء الله و الرسول و أهل البيت، إذ يُعلن و هؤلاء بعد الصلاة على محمّد و آله. و نُذكّر أنّ البراءة من أعداء آل محمّد اللعنة عليهم من الموضوعات التي يدعمها الدليل و البرهان، و ترتوي من الأدلّة العقليّة و النقليّة البرهانيّة و الشواهد الوجدانيّة، و لا شكّ و لا ريب في رسوخها. فالتشيّع مع الموالاة بلا معاداة ليس تشيّعاً حقيقيّاً و الاستنفاع بلا دفعٍ للضرر عبث و هراء. و الاختلاط بالصديق و العدوّ في بيتٍ واحد و المساواة بينهما في النظرة يعني دمار البيت. و كثير من العامّة -كأبي الحديد و المسعوديّ، و غيرهما- الذين استجابوا للولاء تماماً لكنّهم قصّروا في البراءة من المخالفين و الغاصبين ليسوا شيعةً. و كثير من الأشخاص الذين ألّفوا كتباً في مناقب الأئمّة عليهم السلام كالحمّوئيّ، و الزرندي، و ابن الصبّاغ، و الحاكم الحسكانيّ، و غيرهم ليسوا شيعة لأنّهم لا يخضعون لولاية الأئمّة الشيعة، و لا يتّبعون منهجهم، و لا يبرؤون من أعدائهم. قال المرحوم آية الله السيّد شرف الدين العاملي في رسالته إلى المجمع العلمي بدمشق «ص ٣٥ و ٣٦: ...فإنّ التشيّع من أوّل أيّامه إلى يوم القيامة ليس إلّا التمسّك بالثقلين: كتاب الله عزّ و جلّ، و أئمّة العترة الطاهرة؛ و الانقطاع إليهما في أصول الدين و فروعه، و في كلّ ما يتّصل به، أو يكون محلّه مع موالاة وليّهم في الله، و معاداة عدوّهم في الله عزّ و جلّ. هذا هو التشيّع الذي كان عليه السلف

في وقت كان الأدب الرسميّ فيه تطغى عليه الرغبات الماديّة و المعنويّة و تصرفه عوامل الرجاء و الخوف، و تلهب نفوس أصحابه سيّئات العطايا. و إنّك لتلمس ذلك فيما صوّره الشيعة من آلام، و شرحوا من حُجَج، و كشفوا من مظالم، و أثاروا من أحقاد، دفاعاً عن عقيدتهم و جهاداً في

الصالح من، و الخلف البارّ من عهد عليّ و فاطمة بعد رسول الله حتى يقوم الناس لربّ العالمين.

سبيل قضيّتهم.[1]

وتحدّث مغنيّة عن الوليد وسليمان نجلَي عبد الملك بإيجاز، وذكر استبانة نتائج الانحراف عن الولاية والثمرة الخبيثة للشجرة الملعونة، والنَّبتة المعوجّة الأولى نقطة لانتهاك القرآن الكريم والنبيّ العظيم والأولياء الأبرار من ذرّيّته. وهذه سلسلة متّصلة.

جرائم الوليد بن عبد الملك وولاته

الوليد بن عبد الملك

مات عبد الملك سنة ستّ وثمانين هجريّة. وكانت ولايته إحدى وعشرين سنةً، وشهراً ونصفاً وتولّى بعده ابنه الوليد. قال المسعوديّ: كان الوليد جبّاراً عنيداً، ظلوماً غشوماً.

وكان قد أوصاه أبوه أن يكرم الحجّاج ويلبس جلد نمر، ويضع سيفه على عاتقه، فمن أبدى ذاتَ نفسه ضُربت عنقه. ونفّذ الوليد وصيّة الوالد، فأطلق يد

---

[1] «الشيعة والحاكمون» ص ١٧٩ إلى ١٨٢.

الحجّاج بالتقتيل و التنكيل، تماماً كما فعل أبوه، وفي أيّام الوليد قتل الحجّاج سعيد بن جبير.

و روى ابن الأثير حكاية تدلّ على مكانة الحجّاج عند الوليد، وقرب منزلته منه، قال: مرض الوليد مرضة اغمي عليه يوماً، وظنّوا أنّه قد مات، ولمّا بلغ الخبر إلى الحجّاج شدّ قيده حبلًا إلى إسطوانة، وقال: اللهمّ طالما سألتك أن تجعل منيّتي قبل الوليد. وحين أفاق الوليد قال: ما أجد أشدّ سروراً بعافيتي من الحجّاج!

وكان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة من قبل الوليد، وكان ملجأً لكلّ مظلوم يأوي إليه الهاربون من ظلم الحجّاج في العراق، فكتب

كتاباً إلى الوليد يشكو عسف الحجّاج وإعتداءه على أهل العراق، فعزله الوليد إرضاءً للحجّاج ولم يكتف بذلك بل طلب من الحجّاج أن يسمّي من يشاء لتولية الحجاز فأشار عليه بالجلّاد خالد بن عبد الله القسري، فولاه على مكّة المكرّمة.

قال ابن الأثير في حوادث سنة تسع وثمانين: في هذه السنة ولى خالد بن عبد الله القسري مكّة، فخطب أهلها، وقال: أيّها الناس أيّهما أعظم خليفة الرجل على أهله - أي الوليد - أو رسوله إليهم - أي إبراهيم؟! و الله لم تعلموا فضل الخليفة ... إن إبراهيم خليل الرحمن استسقاه، فسقاه ملحاً اجاجاً و استقى الخليفة فسقاه عذباً فراتاً - يعني بالملح زمزم، و بالفرات بئر حفرها الوليد - و كان خالد ينقل ماء البئر التي حفرها الوليد، و يضعها في حوض إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم، فغارت البئر و ذهب ماؤها. و قال صاحب «الأغاني» ج ١٩، ص ٥٩ و ما بعدها: إن خالداً هذا كان يسمّي ماء زمزم امّ

اَنُلِطِبُ بِاطِنُلا الجِعلان[1] و أنّه صعد المنبر، و قال: إلى كَمْ يَغْلِبُ بَاطِلُنَا حَقَّكُمْ؟!... أما آنَ لِرَبِّكُمْ أنْ يَغْضَبَ لَكُمْ؟!... لَوْ أمَرَنِي أمِيرُ المُؤْمِنِينَ نَقَضْتُ الكَعْبَةَ حَجَراً حَجَراً وَ نَقَلْتُهَا إلى الشَّامِ! وَ اللهِ المُؤْمِنِينَ أكْرَمُ عَلى اللهِ مِنْ أنْبِيَائِهِ.

ثمّ قال صاحب «الأغاني» كان خالد زنديقاً، و أمّه نصرانيّة، فكان يُوالي النصارى و المجوس على المسلمين، و يأمرهم بإتهانهم و ضربهم، و قد أباح للنصارى أن يشتروا الجواري المسلمات و ينكحوهنّ.

---

[1] في «قرب الموارد»: ضرب من الخنافس تضرّبه ريح الجُعَل كصُرَد: ضرب من الخنافس تضرّبه ريح الجُعَل بالجُعَل الورد. قال المتنبّي:... *كما تضرّبُ ريحُ الورد

وقال المستشرق الألماني فلهوزن في كتاب «تاريخ الدولة العربية» ص ٣١٩: إن خالداً حين أصبح والياً بالكوفة بنى لأُمِّه كنيسة في ظهر قبلة المسجد، وحُكيت عنه فضائح تتقشعرّ منها الأبدان، وكان في حداثته يتخنّث ويسعى بين الشباب والناس، وأنّه نال من كرامة الكعبة والنبيّ وأهل بيته والقرآن، وقال: لا يوجد رجلٌ عاقل يحفظ القرآن عن ظهر قلب. ثمّ قال فلهوزن: وإنّه زنديق كافر فاسق.

وما كان الأمويّون يركنون إلى أحدٍ، أو يولون أحداً إلّا إذا كان كافراً على شاكلتهم، يفضّلهم على محمّد وجميع الأنبياء والمرسلين.

وبالتالي، فلا شيء أصدق في الدلالة على طغيان الوليد من اعتماده على الحجّاج، وإقراره على ما كان عليه أيّام أبيه عبد الملك.

سأل سليمان بن عبد الملك يزيد بن مسلم عن الحجّاج، وحاله يوم القيامة، فقال له: يأتي غداً عن يمين أبيك عبد الملك، ويسار أخيك الوليد، فاجعله حيث شئت.

سليمان بن عبد الملك

مات الوليد سنة ستّ و تسعين، و كانت أيّامه تسع سنين و شهراً، و قام مكانه أخوه سليمان، و كان رجل طعامٍ و نكاحٍ.

قال المسعوديّ: كان سليمان صاحب أكلٍ كثيرٍ يجوز المقدار ... يأكل في كلّ يوم مائة رطلٍ[1] عراقيّ، و كان ربّما أتاه الطبّاخون بالسفافيد - حديد يُشوى عليه اللحم - التي فيها الدجاج المشويّة، فيلتهمها، و كان يقبض على الدجاجة بكمّه و هي حارّة فيفصلها! و خرج يوماً من الحمّام، فاستعجل الطعام فقُدّم له عشرون خروفاً فأكل أجوافها كلّها مع أربعين رقاقة، ثمّ قرب بعد ذلك الطعام، فأكل معه كأنّه لم يأكل شيئاً. و كان يتّخذ سلال الحلوى، و يجعلها

---

[1] قال في «أقرب الموارد»: **الرطل** بالفتح و بكسر: اثنتا عشرة **اوقيّة** - انتهى. و لمّا كانت **الاوقيّة** أكثر من ربع الكيلو قليلاً فإنّ الحُقّة وهي أربع أواقيّ تكون أكثر من الكيلو. و المائة رطل عراقيّ الذي كان يأكله سليمان كلّ يوم يزيد على ثلاثمائة كيلوغرام.

حول مرقده فإذا أفاق من نومه يمدّ يده فلا تقع إلّا على سلّةٍ يأكل منها.

وبقي سليمان في الحكم سنتين و أشهراً، ولو امتدّت به الحياة لعمل مثل ما فعله، ومع ذلك فقد أقرّ وليّة خالد بن عبد الله القسري خليفة الحجّاج في القسوة و البغي.

قال صاحب «العقد الفريد» في ج ٤، ص ١٩١، طبعة ١٩٥٣ م: صعد خالد المنبر يوم الجمعة، وهو واليّ مكّة في عهد سليمان، فذكر الحجّاج و أثنى عليه.

وقتل سليمان الفاتح العربيّ الكبير موسى بن نصير الذي فتح بلاد المغرب كلّها و الأندلس، إسبانيا و البرتغال اليوم، قتله لأنّه أعطى الغنائم للوليد و لم يؤخّرها إلى أن يتولّى سليمان الحكم، و قتل قتيبة بن مسلم الذي امتدّت فتوحاته من بلاد فارس إلى الصين، و سبب قتله أنّه وافق الوليد على خلع سليمان من وليّة العهد.

و بالجملة، إن سليمان لا يختلف في شيء عمّن تقدّمه من حكّام اميّة، غير أنّ الظروف لم تُمهله، حتى

يفعل أكثر ممّا فعل، و يدلّ على ذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان ذُكر في مجلسه فصلّى على روحه، و أرواح من سلف من آبائه، و قال: و الله ما رُئي مثل معاوية! ترحّم سليمان على معاوية، و صلّى على روحه، ألذّة لم ير أحداً أقدر منه على المكر و الخيانة، و لا أجرأ على العسف و الظلم.

هذه هي الروح الحقيقيّة للأمويّين لا يعجبها شيء إلّا الخداع و البهتان و الجور و الطغيان.[1]

و قال الشيخ مغنيّة أيضاً في الشيعة و معاوية أيّام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

طلّة معاوية المزيّفة لدم عثمان ذريعة للتسلّط

معاوية

إنّ لمعاوية مآثر لا يُحصى عديدها، منها: أنّه ملعون على لسان الله و نبيّه. فقد فسّر المفسّرون الشجرة الملعونة في القرآن بنبي اميّة. و رآه النبيّ يوماً يقود أخاه يزيد، فقال: لَعَنَ اللهُ القَائِدَ وَ المَقُودَ.

و منها: أنّه يموت على غير الإسلام برواية عبد الله بن عمر الذي قال: سمعتُ رسول الله يقول: يُطْلَعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَمُوتُ عَلَى غَيْرِ سُنَّتِي! فطلع معاوية.

و منها: أنّه رأس الفئة الباغية التي قتلت عمّاراً.

و منها: أنّه ابن من قاد الحرب ضدّ الرسول و أنّه ابْنُ آكِلَةِ الأَكْبَادِ.

---

[1]. «الشيعة و الحاكمون» ص ١٠١ إلى ١٠٤، الطبعة الثانية.

.مهنع و ،رمخلا برشب هنّأ :اهنم و مكحي وهو ،مسابم مالإسلا

[1] لاقن ،٢١٣ ص ،٣ ج «قدصلا لئلا» عن «مسند أحمد»).

---

[1] ٣، ج «قدصلا لئلا» باتكي فرّظنلا دمحم نسحلا خيشلا مكحلا الله ةيآ لاق نم بجعأ لا و :ـه ١٣٧٣ يرهمجرذوب ،لوّلأا مسقلا ،٢١٣ و ٢١٢ ص :لاقف ،هاوهلإا رمأ لكوأ ىتح رابرحلا فكشم يعاوطلا ةمّرحم ةيآ نأ ظحلا رهظ فإ مرعف **!كَاهْنُأ لَا وَ كَرَمْأ لَا** هيف لوقي ... إلى آخره («شرح نهج البلاغة» ج ٤، ص ٦٠، الطبعة الثانية، و في الطبعة الجديدة: ج ١٦، ص ١٣١).

قال: «أمّا مهتوك ستره، فإنّه كان كثير الهزل و الخلاعة، صاحب جلساء و سمّار، و معاوية لم يتوقّر، و لم يلزم قانون الرئاسة إلّا منذ خرج على أمير المؤمنين عليه السلام، و احتاج إلى الناموس و السكينة، و إلّا فقد كان في أيّام عثمان شديد التهتّك، موسوماً بكلّ قبيح. و كان في أيّام عمر يستر نفسه قليلًا خوفاً منه، إلّا أنّه كان يلبس الحرير و الديباج، و يشرب في آنية الذهب و الفضّة، و يركب البغلات ذوات السروج المحلّاة بهما، و عليهما جلال الديباج و الوشي، و كان حينئذٍ شابّاً و عنده نزق الصبا و أثر الشبيبة، و سكر السلطان و الإمرة. و نقل الناس عنه في كتب السيرة: أنّه كان يشرب الخمر في أيّام عثمان بالشام. و أمّا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام و استقرار الأمر له، فقد اختلف فيه. فقيل: إنّه شرب الخمر في سترٍ، و قيل: لم يشرب. و لا خلاف أنّه سمع الغناء، و طرب عليه، و أعطى، و وصل عليه».

ر اظلا :ةطقنلا هذه دنع ىهتنا ي ذلا ديحلا يبأ نبا مالكلا دعب رّظنلا الله ةيآ لاق نب الله دبع نع (٣٤٧ ص ،٥ ج) دنسملا في ه رمألا رارقتسا دعب اهلهب رش ،انيتاّمث ،رفلا رش ىلع ىلا انسلجأف ةيواعمل ةعي أبي و أ تلخد :لاق ي ملسملا ريدب ةبتر ه ام :لاق ،ي أبل و اذ ةيواعم ،ثمّ ب رشف ،رابشلا باب انيتاّمث ،كأ لنا ف ام طعلا ب ةيواعم نع ضغُي لا ةديرب لثمّ نإف .ه و آله و هيلع الله ىلّص الله لوسر ه مرّحم نم :أي) لاق ثيدحلا ةمتتي ام إلى ،ضمف ،ه رمألا رارقتسا و ه فوخ لا و لد عي شم و ،اًرغ ه دوجأ و ،ش يرق ب ابشلا لمجأ تنك :ةيواعم لاقثمّ (الله دبع

ومنها: إلحاق ابن السفاح بغير أبيه.

ومنها: دسّه السمّ بالسعي لقتل الأولياء والصلحاء،

وقوله: إِنْ هِيَ إِلَّا نُجُودٌ مِنْ عَسَلٍ

ومنها: جمعه اللصوص وقطّاع الطرق، ومدّهم بالقوّة والسلاح للسلب والنهب، وقتل النساء والأطفال، وإحراق البيوت على أهلها.

كنت أجد لهذه، كما كنت أجده وأنا شابّ، غير اللبن، أو إنسان حسن الحديث يحدّثني، فإنّ هذا الكلام ظاهر في بلوغه سنّ الشيخوخة، وذهاب اللذّات عنه، سوى لذّتَيِ اللبن والحديث الحسن، فلا يجد لذّة الخمرة - وقد شاخ - كما كان يجدها وهو شابّ، فيا سوأة له ولمن يواليه!

ومنها: تفنّنه في المكر والكذب والخداع.

ومنها: كرهه الشديد لأهل الحقّ والعدل.

ومنها: إعلانه السبّ واللعن لأولياء الله.

ومنها: تحويله الخلافة إلى وراثة.

لهذه الأسباب وغيرها لم يجد معاوية ما يتذرّع به لطلب الخلافة من سابقةٍ أو منقبة أو حديث إلّا قول الرسول الأعظم: لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ[1]. فانتحل دم عثمان، ونشر قميصه مع أصابع زوجته نائلة على المنبر، وأسعفته عائشة وحملها، وقطام وابن ملجمها، والخوارج ومروقهم، وأهل الشام وغباوتهم، وأهل العراق وتخاذلهم، والطامعون وأساليبهم، وصلابة الإمام في دينه، ومعاوية في كفره. كلّ هذه وما إليها كانت عواملَ هامّةً وفعّالةً في وصول معاوية إلى الخلافة، وتسميته بداهيةِ العرب. لقد انتفع معاوية

---

[1] قال مغنية في الهامش: ذهب النسائيّ إلى دمشق - وهو أحد أصحاب الصحاح الستّة عند السنّة - فقيل له: حدّثنا عن فضائل معاوية. فقال: أما يرضى معاوية رأساً برأس، حتى يفضّل؟! وقال: لا أعرف له فضيلة إلّا لا أشبع الله بطنه، فداسوه بالأرجل، وماتَ بسبب ذلك.

نامثع صيمق امهّمهأ ناك و ،تابسانملا و فورظلاب لثاملأا برضمحبصأ يذلا.

قال المستشرق الألمانيّ يوليوس فلهوزن في كتاب «تاريخ الدولة العربيّة» ص ١٢٩، طبعة ١٩٥٨ م: «كان الثأر لمقتل عثمان هو الأساس الذي بني عليه معاوية حقّه في وراثة الخلافة، أمّا بأيّ معنى قام الثأر لعثمان فهو يتجلّى في أنّه من أجل ذلك اتّحد مع عمرو بن العاص الذي ألّب على عثمان أخبث تأليب، و لم تكن التقوى و لا البرّ بعثمان باعثاً لمعاوية».

دافع علي عن عثمان، و حرّض على قتله طلحة، و
الزبير، و عائشة، و معاوية، و ابن العاص. و لمّا قُتل
ثاروا على الإمام، و طالبوه بدمه، فقُتل طلحة، و الزبير،
و عُفر الجمل، و آبت صاحبته بالخذلان، و سلم معاوية،
و ابن العاص بعد أن رفعا المصاحف. و لو لا هاله ورد
مورد الجمل و أصحابه. و رجع معاوية من صفّين ليدبّر
الاغتيالات و الغارات ضدّ علي و شيعته.

غارات معاوية على الولايات الخاضعة لحكومة أمير المؤمنين

غارات القتل و التخريب

كانت الأمصار الإسلامية بكامل أطرافها في طاعة
أمير المؤمنين عليه السلام ما عدا الشام، حيث يوجد
معاوية.

فالعراق و الحجاز و اليمن و مصر و فارس و
غيرها كان عليها ولاة يحكمونها و يديرون شئونها من
قبل الإمام.

فجمع معاوية حوله الأشقياء الجلّادين، و البغاة من
قطّاع الطرق و المخرّبين أمثال النعمان بن بشير، و

يزيد بن شجرة، و عبد الرحمن بن قباث، و زهير بن مكحول، و مسلم بن عقبة، و سفيان بن عوف، و بسر بن أرطاة، و الضحّاك بن قيس، و غيرهم و غيرهم، و أمدّهم بالخيل و الرجال، و السلاح و المال، و أمرهم بالغارة على البلاد الآمنة التابعة للإمام، و أوصاهم أن ينشروا الفوضى و الفساد، و يحدثوا التخريب و الذعر.

سفيان بن عوف الغامدي

دعا معاوية سفيان بن عوف، و قال له: أنّي موجّهك في جيش كثيف ذي أداة و جلادة، فالزم لي جانب الفرات، حتى تمرّ «هيت» فتقطعها فإن وجدت بها جندا ً فأغر عليها، و امض، حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جندا ً، فامض حتى توغل المدائن، ثمّ أقبل إلى، و اتّق أن تقرب

الكوفة، و اعلم أنّك إن أغرت على الأنبار و أهل المدائن، فكأنّك أغرت على الكوفة، إن هذه الغارة يا سفيان على العراق ترعب قلوبهم، و تُفرح كلّ من له فينا هدى منهم، و تدعو إلينا كلّ من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممّن ليس على مثل رأيك، و اخرب كلّ ما مررت به من القرى، و احرب الأموال فإنّ حرب الأموال - أي: اسلبها - شبيهة بالقتل و هو أوجع للقلب ... («شرح ابن أبي الحديد» ج ١، ص ١٤٤، الطبعة القديمة).

،نينمؤلا ريمأ اي عجرا :اولاق ،كفيكن نحز و ،نينمؤلا ريمأ اي عجرا :اولاق ،فخرج وحده يمشي راجلًا، فلحق به قوم، و ،اولقاثتف ،مهعدوا نع عفدلا ةفوكلا لهأ مامإلا بدند و

!كِبِيِّنَظَدْنِعَتَنْكَ:ةيواعمل هلاقف

سِوفُنْلِلَّرَسأ لَا وَ نِوفُيُعْلِلَّرَقأ ٌةَوْزَغ امِ اللهَ وَ !سِأَّنلا بَوبُلُقُتُبَعْرأ دْقَلَوَ ،امَهْنِمِ

ل: ما ذا قال معاوية، و رجع إلى أصحابه و قال لهم: أ تدرون من كلّمت؟ كلّمت عليّ بن أبي طالب، و الله ما رأيت رجلًا أهيب في عينه منه، و لقد كان يكلّمني فأرعد مما يهابني، و لقد كنت أعرف في وجهه أنّه يعرفني أنّي أكذب منه، و لقد كان يعرف أنّي أعرف

تكفوني و لا تكفوا أنفسكم، فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، وهو واجم كئيب. ثمّ خاطبهم بخطبة جاء فيها:

... أَلَا وَ أَنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَاراً، وَ سِرّاً وَ عَلَانِيَةً، وَ قُلْتُ لَكُمْ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ. فَوَ اللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا! فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ، وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ!

وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ - وَ هُوَ سُفْيَانُ - قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَ أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا. وَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ

الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ

- الأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا - أَيْ سِوَارَهَا -

وَقَلَائِدَهَا وَ رِعَاثَهَا - الْقُرْطَ - مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ

وَ الِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ ... .

فَيَا عَجَبًا! وَ اللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنِ اجْتِمَاعِ

هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ... .

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ! وَ لَا رِجَالَ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ

رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ، وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ... .

قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِي

غَيْظًا ... وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَ الْخِذْلَانِ ... وَ

لَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ![1]

وهكذا ابتُلِيَ الإمام بعدوّ كمعاوية يغدر ويفجر، و

يستبيح الدماء، ويذهب الأموال ويهتك الأعراض، و

---

[1] هذه الفقرات من الخطبة ٢٧ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة»اختار المرحوم مغنية بعضاً منها. وهي موجودة مع شرحها في شرح نهج البلاغة»ج ١، ص ١٤٠ إلى ١٤٦، الطبعة القديمة، وفي الطبعة الجديدة: ج ٢، ص ٧٤ إلى ٩٠.

بأصحابٍ كأهل الكوفة متواكلين متخاذلين، يُغزون في عقر دارهم فيذلّون ويستكينون، ويفرّون ولا يكرّون!

الضحّاك بن قيس الفهري

دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سِرْ حتى تمرّ بناحية الكوفة، وتترفّع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ، فأغر عليه، وإن وجدتَ له مسلحة أو خيلًا، فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدٍ فأمسِ في آخر، ولا تقيمنّ لخيلٍ بلغَك أنّها قد سرّحت

إليك لتلقاها فتقاتلها. ثمّ جهّزه بثلاثة آلاف إلى أربعة (ابن أبي الحديد: ج ١، ص ١٥٤، الطبعة القديمة).

و لمّا التقى الجيشان أمر سيّده، و أسرف في القتال و أنفذ الكتائب، و السلب و النهب، فكان يقتل كلّ من رآه في طريقه، و أغار على قافلة الحجّاج، فأخذ أمتعتهم، ثمّ قتلهم جماعة، منهم العبد الصالح عمرو بن يمسبن مسعود، و هو ابن أخ عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله.

و لمّا علم الإمام بعد المنبر، و قال: يا أهل الكوفة اخرجوا فقاتلوا عدوّكم، و امنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين. فردّوا عليه ردّاً خفيفاً، و رأى منهم فشلاً، ثمّ عاد فخرج بنفسه، فعقد له على أربعة آلاف، و سار إلى الكندي، حتّى لقيه بناحية تدمر، فاقتتلوا ساعة، و تعبّأ الكتائب، و من قُتل من أصحاب الكتائب تسعة عشر رجلاً، و من قُتل من أصحاب الكندي رجلان، فحجز الليل بينهم، فهرب الكتائب إلى الشام لا يلوي على شيء.

و كان معاوية يُغير على أطراف الإمام، و يتعمّد بعض أصحابه قتل الآمنين في المدن و القرى، و يقتل الرجال و النساء و الصبيان، و يأخذ الأموال، و يهرب قبل أن يلحقه الجيش، و كان يقول: إنّي لأرجو أن يكون ما أصبت من دماء هؤلاء القوم و أموالهم طهرة لي.

تقتل و تنهب و تحرق، و تنشر الرعب، حيث يخلو لها الجوّ، فإذا داهمها عسكر الإمام أسرعت في الفرار.

غارات معاوية بتنفيذ النعمان بن بشير

النعمان بن بشير

النعمان و أبوه بشير بن سعد الأنصاري أوّل من بايع أبا بكر من الأنصار يوم السقيفة. ثمّ توالت بعده الأنصار على المبايعة. وكان النعمان ثمانيًا مقرّبًا عند معاوية و ولده يزيد، و بقي حيًّا إلى خلافة مروان بن الحكم، و لمّا بويع لمروان بالخلافة كان النعمان واليًا على حمص، فدعا أهل حمص إلى مبايعة ابن الزبير فثاروا عليه وقتلوه، و ذلك سنة ٦٥. و من

أخلاقه أنّه لمّا قتل عثمان أخذ قميصه و أصابع زوجته نائلة، و بعثها إلى معاوية، و كان معاوية يعلّق القميص و فيه الأصابع يستثير بهما أهل الشام، فكانوا إذا رأوا القميص و الأصابع يزدادون غيظاً، ثمّ تركا النعمان معاوية، و ذهب إلى عليّ، و لكن لم يطب له المقام في بيئة التقوى و الصلاح، فهرب إلى الشام حيث الضلالة و الفساد، و هكذا تموت النفوس من رائحة الزهور و العطور و تحيا في المزابل و المراحيض.

و ندب معاوية النعمان، و جهّزه بألفي رجل، و أمره بالغارة على عين التمر في العراق، و أوصاه أن يقوم بالمناوشات و الغارات المفاجئة، و يعجّل الحرب، كما تفعل اللصوص و العصابات. و أقبل النعمان على عين التمر و بها مالك بن كعب من قبل الإمام و ليس معه سوى مائة رجل، فصمدوا للألفين، و قال مالك لأصحابه: قاتلوهم داخل القرية، و اجعلوا الجُدُر إلى ظهوركم، و اعلموا أنّ الله ينصر العشرة على المائة، و المائة على الألف، و القليل على الكثير، و أنجدهم قوم

بالقرب منهم من شيعة أمير المؤمنين فانهزم النعمان و من معه و ولّوا هاربين إلى أرض الشام.

و بعد مقتل الإمام عيّن معاوية النعمان بن بشير أميراً على الكوفة، و كان أميراً عليها من قبل يزيد، فعزله، و عيّن مكانه عبيد الله بن زياد حين قدم إليها مسلم بن عقيل، و ربّما أتينا على ذكر النعمان في الصفحات الآتية.

غارات معاوية بتنفيذ بسر بن أرطاة

بُسْرُ بن أرْطاة

في يومٍ من أيّام صفّين بعد الإمام إلى التل، و نادى بأعلى صوته: يا معاوية!

فأجابه. فقال الإمام: علامَ يقتتل الناس؟! ابرز إلي، ودع الناس

فيكون الأمر لمن غلب. فقال ابن العاص لمعاوية: أنصفك الرجل. فضحك معاوية و قال: طمعت فيها يا عمرو، أي: في الخلافة.[1] فقال عمرو: ما يجمل بك إلّا أن تبارزه. فقال معاوية: نلقاه بجمعنا. فقال ابن العاص: و الله لأُبارزنّ عليّاً، ولو متّ ألف موتة، ثمّ برز للإمام، وكان من أمره وتره ما يُغني عن ذكرها.[2]

وكان في جيش معاوية فارس يُدعى أبا داود، فقال: إذا كره معاوية مبارزة أبي الحسن عليّ فأنا أبرز له. ثمّ خرج من بين الصفّين، وقال: أنا أبو داود أبرز إليّ يا أبا الحسن. فتقدّم عليّ، فناداه الناس ارجع يا أمير المؤمنين عن هذا الكلب، فليس لك بخطر. فقال: دعوني، ثمّ حمل عليه، وضربه ضربة قطعته قطعتين سقطت إحداهما يمنةً، و الاخرى يسرى. فارتجّ العسكران لهول الضربة. وكان لأبي داود ابن عمّ في عسكر معاوية،

---

[1] أي: أنت موقنٌ أنّ عليّاً يقتلني، فتجلس مكاني وتدّعي الخلافة.

[2] جاء في كتاب التأريخ جميعها أنّ عمرو بن العاص عندما وقف أمام الإمام، رماه الإمام بسهمٍ فسقط إلى الأرض. ولمّا ذهب الإمام ليقتله أدار ظهره و رفع قميصه وكشف عن عورته. فأغمض الإمام عينيه و ابتعد عنه.

فصاح: واسوآه: قبّح الله البقاء بعدك يا أبا داود، وبرز للإمام، فألحقه بابن عمّه.

كذلك وقف معاوية على التلّ يبصر ويشاهد، فقال: تبًّا لهؤلاء الرجال أما فيهم من يقتل عليًّا مبارزةً، أو غيلةً، أو في اختلاط الفيلق، وثوران القَعْ. فقال له الوليد: ابرز إليه أنت، فإنّك أولى الناس بمبارزته. فقال معاوية: والله لقد دعاني للبراز حتى استحييت من قريش، ثمّ التفت معاوية إلى بسر بن أرطاة، وقال له: أتقوم أنت لمبارزته؟ فقال له بسر: ما

أحد أحقّ بها منك، و مع ذلك فأنا له. و كان عند بسر ابن عمّ له قدم من الحجاز يخطب ابنته، فقال له: إيّاك أن تبارز عليّاً و ما الذي يدعوك إلى ذلك؟! قال صدر منّي وعد، و أستحي أن أرجع عنه، فضحك ابن عمّه منه، و قال أبياتاً، منها:

فقال بسر: هل هو إلّا الموت؟! و برز بسر مقنّعاً بالحديد، و نادى: ابرز إلى أبا الحسن. فمشى الإمام إليه غير مكترث به، حتى إذا قاربه طعنه، فسقط على الأرض، فكشف عورته، كما فعل ابن العاص من قبله، فانصرف عنه مدبراً، فقال الأشتر: هذا بسر أتتركه، و هو عدوّ الله و عدوّك؟ فقال: دَعْهُ لَعَنَهُ اللهُ، أَبَعْدَ أَنْ فَعَلَها!

و قال الشاعر في عمرو و ابن أرطاة أبياتاً ذكرها ابن أبي الحديد في ج ٢، ص ٣٠١، منها:

قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج» ج ١، ص ١١٧ و ما بعدها: كان بسر بن أرطاة قاسي القلب فظّاً سفّاكاً للدماء، لا رأفة عنده و لا رحمة. و قد جهّزه معاوية في ثلاثة آلاف، و قال له:

سر حتى تمرّ بالمدينة فاطرد الناس، و أخِف من مررت به، و انهب أموال كلّ من أحصيت له مالاً، ممّن لم يكن دخل في طاعتنا، فإذا دخلت

لا أنّهم أخبروهم أنّك تريد أنفسهم، و المدينة فأرهم عذرك و لا عذر لهم عندك.

بهذه النصائح كان معاوية يزوّد عصابات الإرهاب، قال لسفيان بن عوف - كما أسلفنا: إئت هنا و هناك و اقتل كلّ من مررت به، و خذ الأموال و اقتل الرجال، و ثمل ذلك أمر لبسر: اطرد الناس، و أخف و اهنب، و أمض هؤلاء للصوص الحضاك و غير الحضاك؛ و يفنّدون أمر سيّدهم و يُفيضون إليه من لؤمهم و حقدهم على الإنسانيّة الكثير من الفتك و السفك.

و وصل بسر إلى المدينة المنوّرة، فشتم أهلها و تهدّدهم و توعّدهم، و أحرق دوراً كثيرة، منها دار زرارة بن حرون، و دار عمرو بن عوف، و دار رفاعة ابن رافع الزرقيّ، و دار أبي أيّوب الأنصاريّ صاحب منزل رسول الله صلّى الله عليه و آله (ابن أبي الحديد: ج ١).

قال المسعودي (ج ٣، ص ٣١، طبعة ١٩٤٨ م): و قتل بسر بالمدينة و بين المسجد خلقاً كثيراً من الرجال و عاز خ

غيرها، و كذلك بالجرف قتل خلقاً كثيراً من رجال

همدان، و قتل بصنعاء خلقاً كثيراً. و قال المسعودي: و

لما بلغ الخبر عليّاً أنفذ جارية بن قدامة في ألفين، و وهب

بن مسعود في ألفين و حين علم بسُر بخبر جارية فرّ

هارباً.

اتّخذ معاوية خطّة الغارات المفاجئة و الهجوم

الخاطف، ثمّ الفرار و المواراة عن الأنظار، و اتّخذ

الإمام خطّة الدفاع، و لكنّه دافع بطيء بطء المواصلات

يومذاك.

و قبل أن يغادر بسر مدينة الرسول استخلف على

أهلها أبا هريرة، و أوصاهم بطاعته، و أبو هريرة هذا

الذي نصّ عليه بُسر «بالخلافة» من بعده رأي و شاهد

البدع و الأحداث التي أحدثها بسر في مدينة الرسول

الأعظم، و هو بالذات الذي وثّقه أصحاب الصحاح، و

رووا عنه الكثير.

و قد يكون السبب لتوثيقه و تصحيح حديثه روايته

عن نبيّ الرحمة: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَماً، وَ إِنَّ حَرَمِي

بِالْمَدِينَةِ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَ الْمَلَائِكَةِ

وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ. وَ أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً أَحْدَثَ فِيهَا!

و تأريخ رواية هذا الافتراء متأخّر عن غزوة بسر

للمدينة و استخلافه أبا هريرة بعده. عليّ الذي قال عنه

الرسول: لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَ لَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ.

عليّ في منطق أبي هريرة قد أحدث في المدينة. أمّا

معاوية الذي مات على غير سنّة محمّد -بشهادة عبد الله

بن عمر- معاوية هذا صان مدينة الرسول، و منع عنها

البدع و الأحداث بشهادة بسر و خليفته أبي هريرة!

ترك بسر المدينة و توجّه إلى مكّة، و قتل في طريقه

بين حرم الله و حرم الرسول رجالاً، و ذهب أموالهم، و

لمّا بلغ خبره أهل مكّة هرب أكثرهم خوفاً من جوره و

طغيانه و مرّ بنجران فقتل جماعةً، و قام خطيباً في

أهلها. و قال: يا أهل نجران، يا معشر النصارى، و

إخوان القرود، أما و الله إن بلغني عنكم ما أكره لأعودنّ

عليكم بالتي تقطع النسل، و تُهلك الحرث، و تخرب الديار، و قتل و هو ذاهب إلى صنعاء أبا كرب، و كان من رؤوس الشيعة، و سيّد من كان في البادية من حمدان، و حين دخل صنعاء أعمل في أهلها القتل و السلب، و أتاه وفد من أرب يستعطفه و يسترضيه، فقتل رجاله، و ذبح طفلين صغيرين لعبيد الله بن العبّاس، و كانت امّهما تدور مذهولة ناشرة شعرها، و تقول:

و كتب المغيرة بن شعبة إلى بسر كتاباً يشكره على ما فعل،[1] و يقول

[1] قال شيخ الملّة و الدين الشيخ بهاء الدين العاملي في «الكشكول» ج ٤، ص ٣٨٩، الطبعة الحجرية ج ٢، جزء ٣، ص ٣٣٣، و ٣٣٤، الطبعة المصرية المحرّمة، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق طاهر أحمد الزاوي: دخلت سودة ابنة عمارة الهمدانية على معاوية بعد موت أمير المؤمنين علي عليه السلام

فيه:

وجهه، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيّام صفّين، و آل أمره إلى أن قال: ما حاجتكِ؟ فقالت: إنّ الله سائلك عن أمرنا، و ما افترض عليك من حقّنا، و لا زال يعدو علينا من قبلك من سومك بمكانك، و يبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، و يدوسنا دوس الحرمل، و يسومنا الخسف، و يذيقنا الحيف. هذا بُشر** بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا و أخذ أموالنا، و لو لا اعتصامنا بطاعتك كان فينا عزّ و منعة، فإن عزلته عنّا شكرناك، و إلّا كفرناك. فقال لها معاوية: **إيّاي تهدّدين بقومك! لقد هممت أن أحملك على قَتَبٍ أشوس فأردّك إليه فينفذ فيك و فيهم أمري، و يحكم فيك و فيهم برأيه**** فأطرقت ساعة ثمّ قالت: صلّى الإلٰه على جسم تضمّنه قبرٌ فأصبح فيه العزّ مدفونا قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلا و أصبح الحقّ و

فصادفته قائماً يصلّي، فلمّا رآني انفتل من صلاته ثمّ أقبل عليّ بوجهه بر فوأفة، و تعطّف و قال: ألكِ حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته، فبكى ثمّ قال: **اللهمّ أنت الشاهد عليّ و عليهم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقّك!** ثمّ أخرج

قطعة من جلد فكتب فيها: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. (الآية ٨٥، من السورة ٧: الأعراف) فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتّى يقدم عليك من يقبضه منك و السلام. ثمّ دفع القرعة إلى وكيله و أمره بتسليمها إلى صاحبه، فانصرف عنّا معزوّاً، فقال معاوية: اكتبوا لها فجئت بالقرعة إلى صاحبه، فقال: ما تريد، و اصرفوها إلى بلدها غير شاكية. ** - جاء في النسخة التي نكل عليها «شر» بالشين المعجمة. و لعلّه خطأ من النسّاخ، إذ الصحيح هو «سر» بالسين المهملة.

جَعَلَنَا اللهُ وَ إِيَّاكُمْ مِنَ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ، وَ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً، وَ الْقَائِمِينَ لِلْحَقِّ وَ الصَّادِقِينَ.

آمنتُ باللهِ[1] حتى الذين يعصون أوامره يتكلّمون باسم الله. وما أقوى وجوه الشبه في الطباع و الخداع بين بسر و المغيرة، وبين الكثير ممّن نعرف اليوم من الذين يتكلّمون باسم الله جلّ و علا علوّاً كبيراً. و صدق الذي قال:

منطق معاوية و يزيد في ارتكاب الجرائم

ما اخْتَلَفَ النَّاسُ وَلَكِنِ اطَّرَدَ الْقِيَاسُ.

أشرنا إلى أنّ الإمام أنفذ جارية بن قدامة إلى بسر، و أخذ جارية يسأل عنه، و يتعقّبه، و بسر يفرّ بين يديه من جهة إلى جهة، حتى أخرجه

---

[1] يقال هذا الكلام عند التعجّب مثل: **سبحان الله، و الله أكبر، و لا إله إلّا الله.**

من أعمال علي كلّها، و لكن بعد أن قطع اللسل، و أهلك الحرث و خرّب الديار، و حين رجع بُسر إلى الشام. قال لمعاوية: أنّي سرتُ في هذا الجيش أقتل عدوّك ذا هبا جائيا. فقال له معاوية: **فَعَلَ اللهُ بِكَ ذَلِكَ لَا أَنْتَ**.

قال ولده يزيد للإمام زين العابدين: **الحَمْدُ لِلَّهِ الذي قَتَلَ أباكَ**. فقال له زين العابدين: لَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَ أبي.

و نقول نحن: لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَ أَمَرَ بِهِ.

قال **ابن أبي الحديد** (ج ١، ص ١٢١): و كان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، و حرق قوماً بالنار ... و كان مسلم بن عقبة لما يزيد و ما عمل بالمدينة في وقعة الحرّة، كما كان بسر لمعاوية و ما عمل في الحجاز و اليمن، **وَ مَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ**.

و سأل الإمام ربّه تعالى أن ينتقم من بسر في الدنيا بالجنون، فقال: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتّى تَسْلُبَهُ عَقْلَهُ! فلم يلبث إلّا يسيراً حتى ذهب عقله، فكان الصبيان يتبعونه، و يعبثون به.

بهذه البدع و الأحداث، بانتهاك حرم الله و حرم الرسول، بقتل الرجال و ذبح الأطفال، بسلب النساء أقراطها و خلاخلها، بهذه و ما إليها قال المتقوّلون:

مُعاوِيَةُ أعْرَفُ مِنْ عَلِيّ بِالسِّياسَةِ

أجل، لا عليّ و لا غير عليّ أعرف من معاوية بالشرّ و ضراوته فيه و الإقدام عليه. و من هنا كان سياسيّاً عظيماً عند أشكاله و أمثاله![1]

تعنيف معاوية لقتله حجراً

هذه هي جرائم معاوية في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا نظر جرائمه بعد استشهاد الإمام من نقض العهود التي أبرمها مع الإمام الحسن عليه السلام، و دسّ السمّ إليه، و سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد خطبة الجمعة في جميع أرجاء العالم، و

---

[1]. «الشيعة و الحاكمون» ص ٤٢ إلى ٥٢، الطبعة الثانية.

إنّما أراق معاوية دماء الشيعة الذين وقفوا بوجهه اعتداءاته و انتهاكاته، و إلّا فلا شغل له بأحدٍ ما لم يزاحمه على ملكه و حكومته. ذكر ابن الأثير الجزريّ في «الكامل في التاريخ» ج ٤، ص ١٣، أنّ عبد الله بن عمير قال: **أغْلَظَ لمعاوية رجلٌ فأكثر، فقيل له: أتحلم عن هذا؟! فقال: أنّي لا أحوّل بين الناس و بين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا و بين ملكنا.**

تسليط المغيرة بن شعبة على الكوفة، و الأمر بالتضييق على الشيعة، و نصب زياد بن سُمَيَّة على الكوفة و البصرة بعد المغيرة، و الأمر بإلقاء القبض على الرجل الورع العابد الزاهد الناسك حجر بن عديّ الكنديّ و أصحابه و إشخاصهم إلى الشام و قتلهم في مَرْج عُذْراء و قتل عمرو بن الحمق الخزاعي بعد أربعة فرار من دمشق،[1] و قتل

---

[1] قال المستشرق فلهوزن في كتاب «الخوارج و الشيعة» ص ١١٩ و ١٢٠، الطبعة الثانية: و ليس من شكّ في أنّ حجراً كان ثائراً على السلطة و أنّه كان يودّ أن يجتذب إلى حركته أهل الكوفة. و لهذا فإنّ زياداً حسب تقديرنا كان على صواب و معاوية قد استعصم بالحلم. و لكنّ الأمر في ذلك العهد كان على خلاف تقديرنا الحالي. فإنّ قتل مسلم لا يحلّ إلّا إذا قتل مسلماً آخر، أي أنّ الناس بالناس، و كان الجاري أن يقتصّ صاحب الثأر بنفسه و كانت السلطة العامّة إنّما تساعده على ذلك و تهيؤ له. و الجريمة ضدّ الدولة تنحصر في الخروج عن الإسلام، لا في الخيانة العظمى، ما دام لم يصحبها قتل. أمّا أن يقتل شخص بسبب خروجه على الدولة -مهما يكن ما يبرّر هذا القتل- فهذا أمر كان يثير ثائرة الناس، خصوصاً في مثل هذه الحالة الأولى التي تشمل الأمر فيها رجالاً بارزين جدّاً. حتى أنّ أهل الكوفة عامّة قد شعروا بالخزي، و أنّ والي خراسان، ربيع بن زياد، قد مزّق قلبه الأسى و إن كان غير رقيق القلب. و أظهرت عائشة غضبها الشديد، و كذلك فعل الحسن البصري بعد ذلك بزمان و لم يكن يخضع في ذلك -كما خضعت عائشة أم المؤمنين- لدوافع شخصية خاصّة. و يقال إن معاوية لمّا حضرته الوفاة شعر بتأنيب ضمير عنيف لقتله حجر بن عديّ، و لكنّه تبرّأ من ذلك قائلاً إنّه لمّا انحسر عنه قريش استسلم لتأثير زياد. و طبعاً كان غضب القبائل، خصوصاً اليمانية القوية، على السلطة بالغاً، إذ شعرت بأنّه من العار ألّا تخلّص أبناءها من بطش

ابن الحمق؛ و كان حُجر، و عمرا ً من صحابة رسول الله و أمير المومنين و الحسنين عليهم السلام.

و لحق أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين بأخيه خاتم المرسلين، و انعزل الإمام الحسن عليه السلام في بيته، و جرى حكم معاوية في الأقطار الإسلاميّة جميعها بلا أمر من الله تعالى، و بدون أن يكون للأُمّة الخيرة من أمرها. و كان حكما ً إمبراطوريّا ً فرديّا ً بلا منازع.

أ لم يجد ربه أن يتغاضى عن مانوئيه في تلك الفترة، و يعفو عنهم، و يريحهم في حياتهم، و كذلك يعامل بالإحسان كافّة المواليين لأهل البيت الذين كانوا يرون أنفسهم خاضعين لسلطانه القاهر، و يرونها كالطير الهيض الجناح الملازم لقفصه قانعين بالحَبّ و الماء، و يتصرّف كما هو شأن الساسة الكبار في العالم؟ بَيدَ أنّه

السلطان. و اتّحدت معارضة القبائل مع المعارضة الدينيّة. و اشتدّ غضب الشيعة و كان استشهاد مقدّمة لاستشهاد سيّد الشهداء و الشيعة، وهو الحسين بن علي.

شعر ابنة أبي الأسود في هديّة معاوية لأبيها

لمدّعين قُ، و زعم أنّه صاحب المقام، و اتّهم جميع الموالين الذين سعوا من أجل عظمة الإسلام بالتخريب و منافاة اصول حكومته، و امتصّ دماءهم حتى آخر قطرة لانتفاضاتهم ضدّ حكومته الجائرة الظالمة، و لم يرتوِ منها.

لقد صفح أمير المؤمنين ابن أبي طالب عن عائشة، و مروان بن الحكم في معركة الجمل و عفا عنهما، و صفح عن عمرو بن العاص، و بُسر ابن أرطاة في معركة صفّين و أطلقهما، و سقى معاوية و جنده الماء لأنّه كريماً ابن كريم. إنّه ابن أبي طالب الذي قال بكلّ اقتدار حين آذته قريش لحمايته النبيّ:

و كانت عائشة من المعارضين لقتل حُجر، و عاتبت معاوية على ذلك، لكنّها استسلمت بعد ذلك و

كفّت عن احتجاجها عليه بسبب سياسته الماكرة و عطاياه وكلماته الخادعة.[1]

و تشفّع مالك بن هُبيرة السكونيّ إلى معاوية في حجر، فلم يقبل، وغضب على معاوية، وجاء إلى مَرْج عُذْراء مع جماعة من كِنْدَة وسكون ليخلّصوا السجناء بقوّة وشدّة، لكنّهم وصلوا في وقت كانوا قد قُتلوا فيه. و أرسل معاوية إليه مائة ألف درهم، و أعلمه أنّ قتل حجر فتح له الطريق إلى العراق مرّة اخرى بعد الجملتين السابقتين فهدأ مالك بن هُبيرة وسكت غضبه.

شعر ابنة أبي الأسود في هديّة معاوية لأبيها

أمّا تحفه و هداياه و حلواه إلى أبي الأسود الدؤليّ صاحب مولى الموحّدين علي بن أبي طالب فقد رُفضت. نقل السيّد حسن الصدر عن القاضي نور الله المرعشيّ في «مجالس المؤمنين» أنّ معاوية بعث لأبي الأسود هدايا فيها حلوى، فنظرت إليها ابنة أبي الأسود، فقالت لأبيها:

---

[1] «الخوارج و الشيعة» للمستشرق الألماني يوليوس فلهوزن، الترجمة العربية للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص ١١٨ و ١٢٠، الطبعة الثالثة، نشر وكالة المطبوعات بالكويت.

من أين هذه الهديّة؟ فقال: بعث بها معاوية يخدعنا عن

ديننا، فقالت البنت على البديهة:

قال ابن خلّكان في «الوفيّات» بعد ترجمته لأبي

الأسود: وله ديوان شعر. ومن شعره:

و أسند الشيخ منتجب الدين في كتاب «الأربعين» عن علي بن محمّد قال: رأت ابنة أبي الأسود الدؤلي بين يدي أبيها خبيصاً (حلوى مخلوطة معروفة) فقالت: يا أبه! أطعمني. فقال: افتحي فاك، ففتحت، فوضع فيه مثل اللوزة، ثمّ قال لها: عليكِ بالتمر فإنّه أنفع و أشبع. فقالت: هذا أنفع و أنجح، فقال: هذا طعام بعثه إلينا معاوية يخدعنا عن علي بن أبي طالب، فقالت:

بِالشَّهْدِ الْمُطَهَّرِ يَا أَبَتَاهُ عَنِ السَّمِّ يَخْدَعُكَ اللهُ فَحَبَّذَا عَنِ الْمُزَعْفَرِ؟ فَقَالَ: لَا بِأَكْلِهِ وَ لَا بِرُسْلِهِ!

ثمّ عالجت نفسها و قاءت ما أكلته منه، و أنشأت تقول الأبيات المتقدّم ذكرها. قال آية الله الصدر: و إنّما ذكرنا هذا الطريق لأنّه من رواية الشيخ منتجب الدين بن بابويه.[1]

---

[1]. ص ٤٥ و ٤٦، «مأساة السبط الشهيد عليه السلام».

قال العلّامة جلال الدين السيوطيّ: أنشد أبو الأسود الدؤلي في رثاء عليّ رضي الله عنه:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

أجل، إلى هنا تمّ الجزء الثامن عشر من كتاب «معرفة الإمام» الذي يؤلّف القسم الثاني من دورة

العلوم و المعارف الإسلاميّة، و بهذا الجزء تنتهي دورة «معرفة الإمام»[1].

للّه الحمد و له المنّة إذ وفّقني لإنجاز هذه الدورة الّتي بدأت في مدينة طهران سنة ألف و ثلاثمائة و إحدى و تسعين هجريّة، و ختمت في مدينة مشهد المقدّسة جوار المولى الإمام الهمام عليّ بن موسى الرضا عليه و على آبائه و أبنائه الكرام أفضل الصلوات و التحيّات من الملك الحيّ القيّوم العلّام -يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ذي القعدة الحرام، سنة ألف و أربعمائة و أربع عشرة هجريّة، و هذا من فضله و إنعامه إنّه ذو الفضل العظيم.

و قد حاولت في هذه الدورة أن أقصر الحديث على أصل ولاية مولى الموحّدين و المسائل العامّة المرتبطة

---

[1] فأنّ هذه الدورة تتألّف من ثلاثة عشر جزءاً، الجزء الأوّل من كتاب «معرفة الإمام» جاء في مقدّمة الجزء الثاني عشر جزءاً، لكنّي لمّا وفدتُ على مدينة مشهد المقدّسة و تنعّمت بضيافة الإمام عليه السلام، و هاهي خمس عشرة سنة تمرّ على تشرّفي بجوار مولاي عليه السلام، و أنا أشعر بخواء البال و هدوء الفكر أكثر ممّا كنت في طهران، لهذا أضفت إليها ستّة أجزاء أخرى متوسّعاً في الحديث من حيث العناوين و من حيث امتداد المباحث المعهودة بفضل الفرصة الّتي أتيحت لي فبلغت ثمانية عشر جزءاً.

بابصول الإلمامة. و سيق الكلام فيها عرضاً عن سائر الأئمة المعصومين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

و مع أنّي لم أدّخر وسعاً و لم آل جهداً في إعداد المطالب المنقّحة الثابتة، و كنتُ أحسب أنّي أستطيع، بهذه الموضوعات الفلسفيّة العقليّة القرآنيّة النقليّة و الأدلّة طيّ التأريخيّة و غيرها من المسائل الاجتماعيّة، أن الثام

عن وجهه (وجه أمير المؤمنين عليه السلام) المتألّق

و عرّفه حقّ معرفته يَدَ أنّي أجد أنّ ما أتيت به قطرةٌ من

بحر و حصاةٌ من برّ، و ذرّة من شعاع شمس ساطعة. و

الآن إذ تصرّم العمر و أوشكت شمس الحياة أن تأفل

أشعر أنّني لم أعرف عليّاً حقّاً و حقيقةً و لم أخبر سرّه، و

لم أكتسب من منهجه و منهاجه علماً، و لم، و لم، و لم!

صلّى الله عليك يا أبا الحسن، صلّى الله على روحك

و بدنك، صلّى الله عليك و على زوجك و ذرّيّتك، صلّى

الله على شيعتك و الملازمي مشيتك و منهجك!

و مع أنّني متمرّغ و نفي النعم الإلهيّة من أوّل العمر

إلى آخره، يَدَ أنّ جوهرتها الباقية لنا، و بها مسرورون

مبتهجون نغتبط و نهي حبّها ذا السيّد العظيم.

اللهُمَّ بِحَقِّ الزَّمانِ الصالِحِ وَالصَّلَواتُ الزَّاكِياتُ عَلَيْهِ

اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَ دِينَ مُحَمَّدٍ وَكُنْ لَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ آلَ مُحَمَّدٍ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِنْ خَيْرِ أَنْصارِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَأَسْعَدِ أَتْبَاعِهِ وَأَوْفَرِ حِزْبِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْتَظِرُ أَمْرَهُ وَيَرْعَى ذِمَامَهُ وَيَعْمَلُ لِجَمِيلِ الثَّوابِ فِي مُوَالاتِهِ وَمُعاداةِ أَعْدائِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَسْتَشْهِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَكُونُ مِنَ الْمَرْحُومِينَ الَّذِينَ لَا يَتَوَلَّوْنَ عَنْهُ وَلَا يَرْغَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَكُرُّ فِي رِجْعَتِهِ وَيُمَلَّكُ فِي كَرَّتِهِ وَيُمَكَّنُ فِي دَوْلَتِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ وَلَا يَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ وَيَسْعَدُ بِخِدْمَتِهِ وَيَتَزَوَّدُ مِنْ طَاعَتِهِ وَيَسْتَدْعِي بِالتَّوْبَةِ إِلَى أَيَّامِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَحْيَى فِي حَيَاتِهِ وَيُبْعَثُ فِي أَيَّامِهِ وَيُرَى النَّصْرُ عِنْدَ قِيَامِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَمْلَأُ الْأَرْضَ مَعَهُ قِسْطًا وَعَدْلًا وَيُمَكِّنُ لَهُ فِي الْبِلَادِ وَيُشَرِّدُ أَعْدَاءَهُ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ وَيَقْتُلُ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ وَيَقْصِمُ رُؤُوسَ الضَّلَالَةِ وَيُذِلُّ الْجَاحِدِينَ وَيُبِيرُ الْمُنَافِقِينَ وَيُزِيلُ الْمُرْتَابِينَ حَيْثُ كَانُوا وَيَقْتُلُهُمْ أَيْنَ ثَقِفُوا وَيَأْخُذُهُمْ أَخْذًا وَبِيلًا وَيَقْتُلُهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَ الرَّسُولِ وَيَسْلُكُ مِنْهَاجَ الْمَأْمُولِ وَيَقْصِدُ سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ وَيَسْتَنُّ بِسُنَّةِ الصَّالِحِينَ وَيَلْزَمُ مِنْهَجَ الْمُتَّقِينَ وَيَطَأُ عَقِبَ الْمُحِقِّينَ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَحْشُرُ فِي زُمْرَتِهِ وَيُقَادُ فِي رَكْبِهِ وَيُكَرُّ فِي كَرَّتِهِ وَيُرْمَقُ بِعَيْنِهِ وَيُصَبَّحُ بِرَايَتِهِ وَيُسْقَى بِكَأْسِهِ وَيُذَادُ عَنْ مَوْرِدِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْتَجِزُ الْوَعْدَ بِهِ وَيَطَأُ الْعَرْصَةَ بِرَكْبِهِ وَيَسْتَوْجِبُ الْمَغْفِرَةَ بِصُحْبَتِهِ وَيَسْتَحِقُّ الرِّضْوَانَ بِنُصْرَتِهِ وَيَسْتَكْمِلُ الْكَرَامَةَ بِخِدْمَتِهِ وَيَسْتَوْجِبُ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا بِمُوَالاتِهِ وَمُوَالاةِ أَوْلِيَائِهِ وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَسْقِي بِكَأْسِهِ وَيُحْبَى بِصَفْوَتِهِ وَيُسْقَى مِنْ حَوْضِهِ وَيُرْوَى مِنْ عَذْبِ فُرَاتِهِ وَيَسْكُنُ فِي ظِلِّ قُبَّتِهِ وَيَسْتَظِلُّ بِلِوَائِهِ وَيَرِدُ مَشْرَبَ سَلْسَبِيلِهِ وَيَتَنَعَّمُ بِبَرْدِ نَسِيمِهِ وَيَتَفَيَّأُ بِأَفْيَائِهِ وَيَتَقَلَّبُ فِي رِيَاضِ جَنَّتِهِ وَيَتَمَتَّعُ بِقُرْبِهِ وَيَتَبَوَّأُ مَقْعَدَ صِدْقٍ فِي جِوَارِهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَحْمِي لَهُ وَيَذُبُّ عَنْهُ وَيَسْعَى إِلَيْهِ وَيَفِدُ عَلَيْهِ وَيَعْكُفُ بِهِ وَيَعُوذُ بِهِ وَيَلُوذُ بِهِ وَيَفِرُّ إِلَيْهِ وَيَطْمَئِنُّ بِهِ وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ وَيَثِقُ بِهِ وَيَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ وَيَتَمَسَّكُ بِأَسْبَابِهِ وَيَعْتَزِي إِلَى أَنْسَابِهِ وَيَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ بِهِ وَيَشْهَدُ عَلَى مَا شَهِدَ عَلَيْهِ

اللهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْتَضِلُ بِهِ وَيَنْتَصِلُ بِهِ وَيَنْتَضِلُ بِهِ وَيَنْتَصِلُ بِهِ وَيَنْتَضِلُ بِهِ وَيَنْتَصِلُ بِ

مُهِيْلَعِ هِلآ وَ كَلِوسُرَ ةَعاطَ وَ كَتَعاطَ ىلعَ[1] «صُّوصُ مْرُ

[2] ةِمايقلا مِوْيَ ىلإ يِقُدُ عيفُ يِ هَلَ ةٌعْيَبِ هِذَ هَّمُهللا مُلاَّسلا

و هنافُرغ يجارلا هدبع ةثرادلا نيمي هبتك

رضاوه

يّنيسحلا نيسحلا دّمحم دّيسلا يّراهطلا

---

[1] دّابعلا بابحاصلل، ٦٧، ص ٤، ج«غلبلا ريدم»

[2] قّصلا: ٦١ ةروسلا نم، ٤ ةيلآا